

الخاتم أَخْمَدُ حَسِينٍ يَعْقُوبُ

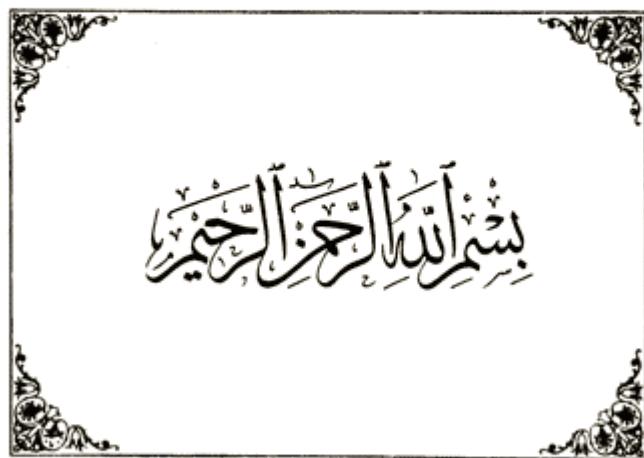
نظريّة عدالة الصحابة

والمرجعية السياسيّة في الإسلام

رأي السنّة

حكم الشّرع

رأي الشّيعة



المقدمة

أحمدك اللهم حمداً كثيراً ، بمندى علمك ، وبسعة رحمتك ، طيباً يليق بربوبيتك لي وبعبدتي لك ، وبنفس الكم والكيف استغفرك من كل ذنبي وأثامي كما امرت ، وأتوسل إليك ان تجود علي بالمعفورة كما وعدت ، انك يا مولاي لا تخلف الميعاد.

وأسألك باسمك العظيم الاعظم ، وكلماتك الناتمة ، أن تصلي وتسلم على رسولك محمد الذي أرسلته بالإسلام ، فميذه وببيته ، وسلك بمعتنقيه الصراط السوئي إليك فعَبَدْه ، اللهم صلّى وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، أهل الثقل والتقوى ، ونجوم الأمان والهدى ، وسفين النجا ، خصّهم الله بالفضل ، وقدّمهم على أهل الملة ، وجعل الصلاة عليهم ركناً من أركان الصلاة المفروضة على العباد ، لتكون تذكرةً دائمة بتلك المنزلة (إن نفعت الذكرى) (إن الذكرى تنفع المؤمنين) ، أما بعد :

فإن المنظومة الحقوقية الإلهية التي جاء بها الإسلام ، ما هي في محملها وحقيقةها وبكل جوانبها إلا خطة إلهية متكاملة ، أعدّت بإحكام ، ووضعت خصيصاً لترشيد الجنس البشري للأقوم ، ولإسعاده في الدارين ، وهي بطبعتها وبحكم تكوينها الإلهي قائمة على الجرم واليقين ، بعكس المنظومات الحقوقية الوضعية المبنية اصلاً على الافتراض والتخمين وما يؤكّد الثقة المطلقة بهذه المنظومة أنها لم تبق مجرد قواعد نظرية ، إنما شفقت طريقها إلى عالم التطبيق ، ونقلت من النظر إلى العمل ، ومن الكلمة إلى الحركة ، وبالتصوير الفني البطيء ، عبر دعوة قادها النبي ^٩ بنفسه ، تمحضت عن دولة تأسّسها النبي ^٦ نفسه ، ونتيجة تطبيق هذه المنظومة ، تكونت خير امة اخرجت للناس ، وقامت اعظم دولة عرفتها البشرية ، وهي دولة النبي ^٦.

والنبي الكريم على فراش الموت ، وبعيد انتقاله إلى جوار ربه بدأت سلسلة من

التداعيات والاختيارات السياسية واقعياً ، وبدأت معها عمليات التعليم والتظاهر بالسلامة ، والتنسق على هذه الاختيارات ، ظناً من أرباب تلك العمليات أنها قد تعطي الفرصة لإيقاف تلك الاختيارات ، فلا يسمع بها أحد ، ولا يشمت بالدين وأهله شامت ، ولكن الاختيارات لم تتوقف ، بل تولت عبر التاريخ ، ومهد الاختيار إلى اختيار ، حتى تحول النظام السياسي في الإسلام إلى هيكل عظمي لم يبق له من الإسلام إلا الاسم ، حيث اختفى وأنهار نحائياً بسقوط آخر سلاطين بني عثمان ، واستفاق المسلمون من ذهولهم ، فإذا بالأمة الواحدة أمم ممزقة ، تحيا الحيرة والضياع ، فلو أرادت أن تتحدد لما عرفت كيف تتحدد ، كما يقول العقاد في ميزانه ، وإذا بدولة الإسلام الواحدة دول ، وإذا بجمي الإسلام يتحول إلى مائدة تتداعى فيها الأمم ، والعالم من حولنا تتحكم به شريعة الغاب ، وقد أنشبت المادية أظافرها في ذاته فأدمنتها ، يجري وراء السراب ، بتوهם أنه اكتشف العلاج الذي يوقف التزيف ، ويحاول أن يجرّ إليه البشرية جرّاً ، تحت شعار الرحمة وإكرام المريض على تناول العلاج . وبينما الطبول تصدر انغام الفرح والمسرة ، يكتشف العالم أن الذي تصوره علاجاً كان وهماً ... وليس اختيار العقيدة الشيوعية ببعيد.

لماذا حدثت الاختيارات؟ لماذا تولت؟ حتى حولت النظام السياسي الإسلامي إلى هيكل عظمي واخرجته عن معناه وصورته ، ثم أنت عليه ورفعته من واقع الحياة بعد أن أبطلت مفعول المنظومة الحقوقية الإلهية وحرمت الجنس البشري من التداوي بعلاج الإسلام ومن الانتفاع بمنظومته؟ أين يكمن سبب ذلك كله؟ من الحال عقلاً أن يكون سبب كل هذه البلايا والخن من المنظومة الحقوقية ذاتها ، لأنها من صنع الله الذي أتقن كل شيء خلقه!

اذن ، فمن المؤكد ان السبب في كل ذلك يكمن في الذين قادوا التاريخ السياسي الإسلامي وصنعوه ، أو في الأمة التي اشتراكهم في صناعة هذا التاريخ وآخرجه ، أو بالاثنين معاً!

الأحزاب الدينية العربية التي تولّت قيادة موكب التقليد الاعمى ، وتجارت بالآلام ، وخلطت كل الأوراق لغاية في نفس يعقوب ، تحاول بكل قواها أن تلقي بروع الناس ، أن فهم هذه الأحزاب للإسلام بعينه ، وأنه لا فرق بين

فهمها للإسلام وبين الإسلام ، فهما وجهان لعملة واحدة ، مع أن الإسلام من صنع الله ، وفهم الأحزاب للإسلام من إنتاجها ، كما تحاول بكل قواها أن تشتت للناس بأن التاريخ السياسي الإسلامي الذي صنعه البشر من بعد وفاة النبي ⁹ وحتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان ، هو عينه النظام السياسي الإسلامي الذي أنزله الله على عبده لترشيد الحركة السياسية للمجتمع البشري ، وهي جادة في ما تقول وجادة فيه ، مع أنها بعملها هذا قد خلّطت الفهم بالمفهوم ، وقدّمت التابع على المتبوع ، والفرع على الأصل ، واستبدلت المنظومة الحقوقية الإلهية بالاجتهادات التي نشأت في ظلالها ، ولم تتكلف الأحزاب الدينية العربية بذلك ، إنما ضاق صدرها بالرأي الإسلامي المخالف ، وحاوّلت بكل الوسائل أن تخنقه ، وهي مع ذلك تدّعي الانفتاح على الفكر العالمي ، وتَعْدُ باعطاء الحرية له ولأربابه ليعرضوا فكرهم في الوقت الذي تخنق فيه هذه الأحزاب الرأي الإسلامي المعارض لها ، وتنزع أصحابه من التصريح به ، فكيف يصدق بربك العالم ادعاءات هذه الأحزاب بالانفتاح؟

هكذا قدمت الأحزاب الدينية العربية الإسلام للعالم الحديث ، فالإسلام الذي جاء لينقذ الجنس البشري كله ، ويتسع به كله ، ويشبع حاجاته وأماله كلها ، يضيق على أبنائه ويضيق حتى بهم!! ذلك مبلغهم من العلم ، وهم يحسبون أنهم يحسّنون صنعاً.

وبهذا البحث المتواضع حاولت جهدي إثبات أن ما أنزله الله شيء ، وأن فهمنا له شيء آخر ، وأن الاحتمالات التي بدأت بعد وفاة النبي ⁹ ، وتواترت حتى اقتلعـت النظمـة السياسيـة الإسلاميـة من واقـع الـحياة ، لم تـكن بـسبب عـلة فيـ الدـين ، ولا لـنقص أو خطـأ فيـ منظـومـته الحقوقـيةـ الخـالـدةـ ، إنـما بـسبـبـ المـسـلمـينـ الـذـيـ بـذـلـواـ نـعـمةـ اللهـ وأـعـماـلـهـ لـماـ تـحـوىـ الـانـفـسـ ، بـدـلـاًـ مـنـ حـكـمـ اللهـ ، وـهـنـاـ يـكـمـنـ حـذـرـ الـبـلـاءـ ، وـمـنـ هـنـاـ المـنـطـقـ نـحـوـ اللهـ.

وتأصيلاً وبتحذيرًا وتسهيلاً لاستيعاب هذا البحث ، فقد قسمته إلى أربعة أبواب ، عالجت في الباب الأول مفهوم الصحابة ، وفي الباب الثاني كشفت الجذور التاريخية لهذا المفهوم ، أما الباب الثالث فقد وضحت فيه المرجعية في الإسلام ، ونظراً لارتباط مبدأ المرجعية بالقيادة السياسية ، فقد تناولت في الباب الرابع القيادة

السياسية في الإسلام ، وسيكتشف القاريء المتمعن أن هذه المواضيع الأربع تتشابك مع بعضها تشابكاً عضوياً يتعذر فصله ، وفي كل موضوع من هذه المواضيع سقت رأي أهل السنة باعتباره رأياً إسلامياً ، قاد أصحابه الأمة الإسلامية طوال التاريخ ، بعد أن استخرجته من مصادر أهل السنة المعتبرة ، ثم سقت رأي أهل الشيعة ، باعتباره رأياً إسلامياً تولّ مهمة المعارضة طوال التاريخ الإسلامي ، بعد أن استمزجت هذا الرأي من مصادر أهل الشيعة ، وبعد ذلك وضعت تحت تصرف عشاق الحقيقة الشرعية المجردة حكم الشرع في كل موضوع من تلك المواضيع .

فجاء البحث وحيد زمانه شكلاً وموضوعاً ومنهجية ، وحسب علمي القاصر ، فإنه لأول مرة في العصر الحديث يتم تناول هذا الموضوع من قبل عربي من أهل السنة بهذا الشمول والتكميل والموضوعية ، وبهذا الحجم من المعلومات والمراجع .

ولم أخفِ ولائي لآل محمد خاصة ، ولبني هاشم عامة ، ومن يلمني بولائي لهم وهم الثقل الأصغر والقرآن هو الثقل الأكبر ، والهدى لا تدرك إلا بهما معاً ، والضلال لا يمكن تجنبها إلا بهما معاً كما هو ثابت في النصوص الشرعية القاطعة ، وكيف يلمني لائم وهم سفن النجاة ونجوم الامان والهدى في كل ليل كما هو ثابت في النص ، وهم الحل ، فالنبي هو القاسم المشترك بين المسلمين ، وحصر القيادة والولاية في اولاده تطبيب لنفوس الجميع ، وانتزاع لجنور الطمع بها من نفوس الجميع ، ونبذ التنافس عليها يؤدي إلى الاستقرار ، ناهيك عن فضل القرابة الطاهرة على الإسلام ، وهم الذين حموا النبي ومنعوه ، وهم الذين حاصرتهم كل قبائل العرب مجتمعة وبلا استثناء ثلاث سنين في شباب أبي طالب ، وللعرب مطلب واحد وهو أن يسلم الهاشميون محمداً ، أو أن يخلعوا بينه وبين العرب ليقتلواه ، ولو استجاب الهاشميون لأحد هذين المطلبين لما قامت للإسلام قائمة ، ولقتل النبي ^٦ كما قتل غيره من الانبياء! فضلاً عن جهاد الهاشميين الذي لا ينكره أحد ، وتضحياتهم التي لا تخفي على أحد ... هذا غيض من فيض من ميررات ولائي وشعفي ، فمن يلمني بعد ذلك؟ إلهي ومولاي ، أنت تعلم سري وعلانيتي ، وتعلم أنني ما قصدت إلا رضاك ، فإن أصبت فمنك ، إنك نعم المولى ونعم النصير ، وإن أخطأت فمن نفسي ، وثانية

اقول : اللهم اجعل عملي هذا خالصاً لوجهك وهديةً لحمد ولآل محمد ولكل هاشمي أو
مُطلبي دب على وجه الارض أو سيدب إلى يوم الدين ، وليكن عملي صدقةً تطفئ بـها
خطاياي ، وتقربني منك ، وأآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

الباب الأول
مفهوم الصحابة والصحابة

الفصل الأول

مفهوم الصحابة والصحابة

١ . معنى الصحابة لغة

أ . في قواميس اللغة

الأصحاب ، الصحابة ، صحب ، يصاحب صحبة (بالضم) وصحابة (بالفتح)
صاحب أي : عاشر ، رافق ، جالس ، انقاد ، شايع. والصاحب هو المعاشر ، أو المنقاد ،
أو المجالس ، أو المشايع ، أو المرافق ، أو القائم على الشيء ، أو الحافظ له. ويطلق أيضاً
على كل من تقلد مذهبأً ، فيقال : أصحاب الإمام جعفر ^٧ ، وأصحاب أبي حنيفة ،
وأصحاب الشافعي ... الخ. يقال : اصطحب القوم أي صحب بعضهم بعضاً ، واصطحب
البعير أي انقاد له ^(١).

ب . في القرآن الكريم

الله تبارك وتعالي انزل الكتاب قرآناً عربياً ، وهو بوجهه من وجوهه المرجع اليقيني
الاوحد للغة العربية ، لأنه كلام الله العالم علماً يقيناً بأدق خفايا هذه اللغة

(١) ويمكن لمن اراد ان يراجع على سبيل المثال : لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ج ١ ص ٩١٥ . وтاج اللغة لسامuel بن حماد الجوهرى ص ١٦٢ - ١٦١ . وтاج العروس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي ج ٣ ص ١٨٦ . والمعجم الوسيط لابراهيم مصطفى ورفقاهم ج ١ ص ٥٠٩ - ٥١٠ . والقاموس الخيط للفيروز آبادي مجدى بن محمد يعقوب . ومخترات الصحاح لابي بكر الرازي ص ٣٥٦ .

وأعمق أسرارها.

وبتلاوتنا للقرآن الكريم ، نجد أنه قد اشتمل على كلمات (تصاحبني ، وصاحبهما ، وصاحبه ، وصاحبته ، وأصحاب ، وأصحابهم) . وأن هذه الكلمات تكررت بمجموعها في القرآن الكريم (٩٧) مرة.

ومن المثير لالانتباه ، أننا لم نعثر في القرآن الكريم كله على لفظ لكلمتي (صحابة ، بالفتح ، أو صحبة ، بالضم) .

ج . استقراء الآيات لصالح المعنى اللغوي

وباستقرارنا لتلك الكلمات نجد أنها تشكل تغطية كاملة للمعاني اللغوية التي أشرت إليها في الفقرة السابقة (أ) . فالصحبة يمكن أن تأخذ وجهاً أو صورة واحدة ، ويمكن أن تأخذ وجهاً أو صوراً متعددة ، ويمكن أن يكون لها وجه أمثل يشمل كل نواحي الخير ، وقد يكون لها وجه أبغض يشمل كل نواحي الشر.

د . وجوه أو صور الصحبة

فقد تكون بين مؤمن ومؤمن (١) وقد تكون بين والد ووالدين مختلفين بالاعتقاد (٢) وقد تكون بين رفيقي سفر (٣) وقد تكون بين تابع ومتبع (٤) وقد تكون بين مؤمن وكافر (٥) وقد تكون شمولية على الشر بين كافر وكافرين (٦) وقد تكون بين النبي وقومه الكافرين والنبي يحاول ان يشدهم نحو الخير وهم يحاولون اعادته إلى

(١) راجع الآية ٢٦ من سورة الكهف ، ووج ٣ ص ٩٢ - ٩٣ من تفسير ابن كثير على سبيل المثال.

(٢) راجع الآية ١٥ من سورة لقمان ، ووج ٣ ص ٤٤٤ من تفسير ابن كثير.

(٣) راجع الآية ٣٦ من سورة النساء ، ووج ١ ص ٤٩٤ من تفسير ابن كثير.

(٤) راجع الآية ٤٠ من سورة التوبة ، ووج ٢ ص ٣٥٨ من تفسير ابن كثير.

(٥) راجع الآيتين ٣٤ و ٣٧ من سورة الكهف ووج ٣ ص ٨٣ من تفسير ابن كثير.

(٦) راجع الآية ٢٩ من سورة القمر ، ووج ٤ ص ٢٦٥ من تفسير ابن كثير.

حظيرة الشر^(١) وقد تكون الصحبة اضطرارية^(٢) وقد تكون صحبة أثر فيقتدي فاسد بفعل فاسد وينسج على منواله^(٣) وقد تكون الصحبة انقياداً لعقيدة إلهية وولاء مطلقاً لقيادة لها السياسية كانقياد الآل الكرم للعقيدة الإلهية ، وولائهم المطلق لقيادة النبي السياسية ، وتضحياتهم الجسم ، وكأنقياد وولاء الصفة الصادقة من أصحاب محمد^٦ . فمحور الصحبة (بالضم) محور شمولي يرتكز على عقيدة وقيادة وأهداف ومثل علياً يسعى القائد واصحابه لتحقيقها وسيادتها على مجتمع معين^(٤).

٢ . معنى الصحابة اصطلاحاً

يقول ابن حجر العسقلاني الشافعي بالحرف (الصحابي من لقي النبي^٦ مؤمناً به ومات على الإسلام)^(٥)

أ . توضيح ابن حجر لهذا التعريف

- ١ . فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت.
- ٢ . من روى عنه أو لم يرو.
- ٣ . من غزا معه أو لم يغز.
- ٤ . من رآه ولو لم يجالسه.
- ٥ . من لم يره لعارض كالعمى.

ويخرج بقيد الإيمان «مؤمناً به» :

(١) راجع الآية ٢ من سورة النجم والآية ٤١ من سورة سباء وج ٣ ص ٥٤٣ وج ٤ ص ٢٤٦ لابن كثير.

(٢) راجع الآية ٣١ من سورة يوسف ج ٢ ص ٤٧٩ لإبن كثير.

(٣) راجع الآية ٥٩ من سورة الذاريات ، وج ٢ ص ٢٣٨ لابن كثير.

(٤) راجع سلسلة مقالاتنا المنشورة تباعاً في جريدة اللواء الاردنية عام ٩٢٠ - ٩١.

(٥) راجع الاصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي بن محمد بن علي الكتاني العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر ص ١٠ .

- ١ . من لقيه مؤمناً بغيره كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبلبعثة.
- ٢ . وهل يدخل من لقيه منهم وأمن بأنه سيعث أو لا يدخل ، محمل احتمال ، ومن هؤلاء بحيرة الراهب ونظرواه.
- ٣ . ويدخل في قولنا مؤمناً به كل مكّلّف من الجن والأنس.
- ٤ . وإنكار ابن الأثير على أبي موسى تحرّيجه لبعض الجن الذين عرفوا في كتاب الصحابة فليس بمنكر.
- ٥ . وقال ابن حزم (من ادعى الإجماع فقد كذب على الأمة ، فإن الله تعالى قد أعلمنا أن نفراً من الجن آمنوا وسمعوا القرآن من النبي ﷺ فهم صحابة) ^(١).
- ٦ . الملائكة محل نظر ، وقد نقل الإمام فخر الدين الرازي في (أسرار التنزيل) الإجماع على أنه ﷺ لم يكن مرسلًا إلى الملائكة ، ونوزع في هذا النقل ، بل رجح الشيخ تقى الدين السبكي أنه كان مرسلًا إليهم واحتاج بأشياء.
- ٧ . وخرج بقولنا (ومات على الإسلام) من لقيه مؤمناً به ثم ارتدّ ومات على دينه والعياذ بالله من ذلك عدد يسير كعبد الله بن جحش الذي كان زوجاً لأم حبيبة ، فإنه أسلم معها وهاجر إلى الحبشة فانتصر ومات على نصرانيته ، وكعبد الله بن خطل الذي قتل وهو متعلق بأسوار الكعبة.
- ٨ . ويدخل فيه من ارتدّ وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت سواء اجتمع به (ﷺ) مرة أخرى أم لا ، وهذا هو الصحيح المعتمد. والشق الأول لا خلاف في دخوله. وأبدى بعضهم في الشق الثاني احتمالاً وهو مردود لإطباقي أهل الحديث على أن ابن قيس من الصحابة ، وعلى تحرّيجه أحاديثه في الصدح والمسانيد وهو من ارتد ثم عاد للإسلام في خلافة أبي بكر.

(١) راجع ص ١١ وما فوق من المرجع السابق.

ب . تقييم ابن حجر لهذا التعريف

هذا التعريف مبني على الأصح المختار عند الحفظين كالبخاري وشیخه أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَمَنْ تَبَعَهُمَا. وَوَرَاءِ ذَلِكَ أَقْوَالُ آخَرِينَ شَاذَّةً كَقُولَّ مَنْ قَالَ : لَا يَعْدُ صَحَابِيًّا إِلَّا مَنْ وَصَفَ بِأَحَدٍ أَوْصَافَ أَرْبَعَةَ : ١ . مِنْ طَالَتْ صَحْبَتِهِ . ٢ . أَوْ حَفَظَتْ رَوَايَتِهِ . ٣ . أَوْ ضَبَطَ أَنَّهُ قَدْ غَزَا مَعَهُ . ٤ . أَوْ اسْتَشَهَدَ بَيْنَ يَدِيهِ . وَكَذَلِكَ مَنْ اشْتَرَطَ فِي صَحَّةِ الصَّحَّةِ بِلَوْغِ الْحَلْمِ أَوِ الْمُجَالِسَةِ وَلَوْ قَصْرَتْ . وَأَطْلَقَ جَمَاعَةً أَنَّ مَنْ رَأَى النَّبِيَّ ^٩ فَهُوَ صَحَابِيٌّ ، وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى مَنْ بَلَغَ سِنَّ التَّمِيِيزَ ، إِذْ مَنْ لَمْ يَمْيِيزْ لَا تَصَحَّ نَسْبَةُ الرَّؤْيَاةِ إِلَيْهِ ، وَعِنْدَمَا يَرَاهُ النَّبِيُّ ^٦ فَيَكُونُ صَحَابِيًّا مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ ، وَمَنْ حَيْثَ الرَّؤْيَاةِ يَكُونُ تَابِعِيًّا . وَهُلْ يَدْخُلُ مَنْ رَآهُ مِيتًا قَبْلَ أَنْ يُدْفَنَ كَمَا وَقَعَ لِأَبِي ذُئْبَلِ الْهَذَلِيِّ الشَّاعِرَ . إِنْ صَحَّ . مَحْلُ نَظَرٍ ، وَالرَّاجِحُ دُمْدُورُ الدُّخُولِ .

ج . وسائل معرفة الصحابة

أَنْ يَبْتَدِي بِطَرِيقِ التَّوَاتِرِ أَنَّهُ صَحَابِيٌّ ثُمَّ بِالاستِفَاضَةِ وَالشَّهَرَةِ ، ثُمَّ أَنْ يَرَوِي عَنْ أَحَدٍ مِنِ الصَّحَّابَةِ أَنَّ فَلَانًا لَهُ صَحَّةٌ مَثُلًا ، وَكَذَلِكَ عَنْ آحَادِ التَّابِعِينَ بِنَاءً عَلَى قَبُولِ التَّرْكِيَّةِ مِنْ وَاحِدٍ وَهُوَ الرَّاجِحُ ، ثُمَّ بَأْنَ يَقُولُ هُوَ إِذَا كَانَ ثَابِتُ الْعَدْلَةِ أَنَّهُ صَحَابِيٌّ . أَمَّا الشَّرْطُ الْأَوَّلُ وَهُوَ الْعَدْلَةُ فَجَزَمَ بِهِ الْأَمْدِيُّ وَغَيْرُهُ لَمَّا قَوَلَهُ قَبْلَ أَنْ تَبْتَدِي عَدْلَتُهُ أَنَّهُ صَحَابِيٌّ ، أَوْ مَا يَقُولُ مَقَامُ ذَلِكَ يَلْزَمُ مِنْ قَبُولِ قَوْلِهِ إِثْبَاتُ عَدْلَتِهِ ، لِأَنَّ الصَّحَّابَةَ كُلُّهُمْ عَدُولٌ فَيَكُونُ بِمِنْزَلَةِ الْقَائِلِ أَنَّهُ عَدْلٌ وَذَلِكَ لَا يَقْبِلُ .

وَفَوْقَ ذَلِكَ الْمُعَاصِرَةِ ، فَيُعَتَّبُ بِمَضِيِّ مِائَةِ سَنَةٍ وَعَشْرِ سَنِينَ مِنْ هَجْرَةِ النَّبِيِّ ^٦ . وَمَنْ هُنَّا لَمْ تَصْدِقِ الْأَئِمَّةُ مَنْ ادْعَى الصَّحَّةَ بَعْدَ الغَايَا الْمُذَكُورَةِ ، وَقَدْ ادْعَاهُمَا جَمَاعَةٌ فَكَذَبُوا لِأَنَّ الظَّاهِرَ كَذَبُهُمْ فِي دُعَوَاهُمْ ، وَمَنْ لَا تَعْرِفُ حَالَهُ إِلَّا مَنْ نَفْسُهُ . فَمَقْتَضَى كَلَامِ الْأَمْدِيِّ أَنَّ لَا تَبْتَدِي صَحْبَتِهِ .

د . كل الشعب صحابة

مِنَ الْجَمْعِ عَلَيْهِ أَنَّ الدُّعَوَةَ الْحَمْدِيَّةَ تَخْضُطُ عَنِ الدُّولَةِ الْحَمْدِيَّةِ الَّتِيْ قَادَهَا

النبي ﷺ بنفسه قرابة عشر سنين ، أرسى خلالها قواعد النظام السياسي الإسلامي ، وبين عقيدة الإسلام بياناً كاملاً من خلال نقل النصّ من النظر إلى التطبيق على كل صعيد ، ومن خلال إبراز روحها العامة.

ومن المتفق عليه دستورياً أن مقومات الدولة . أية دولة . على الإطلاق تتكون من : ١ . شعب . ٢ . إقليم يستقر فوقه هذا الشعب . ٣ . سلطة تسوس هذا الشعب .

وإذا أخذنا بالتعريف الذي اورده ابن حجر العسقلاني للصحابة فإنّ المعمول لينال

شرف الصحابة ويكون صحابياً هو :

١ . الالقاء بالنبي محمد ﷺ سواء أكان هذا الالقاء عن طريق المجالسة أو المحادثة أو المشاهدة . فمن شاهد النبي أو شاهده النبي فهو صحابي حتى ولو كان طفلاً رضيعاً لأن المشاهدة لا تنسب له إنما تنسب للنبي نفسه .

٢ . الإيمان بالنبي أنه النبي ، فلو أخذنا برأي ابن حجر العسقلاني لوجب علينا أن نتأكد من حقيقة هذا الإيمان ، وهذا أمر خارج عن قدرة البشر ، وكان على ابن حجر العسقلاني أن يقول : مؤمناً به أو متظاهراً بالإيمان به . فعبد الله بن أبي ، زعيم المنافقين قوله واحداً هو من الصحابة بالإجماع . فقد قال النبي ﷺ لمن أشار بقتله (فلعمري لنحسن صحبته ما دام بين أظرنا)^(١) . وعبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله ثم افترى على الله الكذب ، وأباح الرسول ﷺ دمه ولو تعلق بأستار الكعبة . وعند فتح مكة تشقّع له عثمان ودخل في الإسلام لينجو بروحه ... وهو صحابي شاء الناس أم أبوها^(٢) ومثله الحكم بن العاص طرد رسول الله ﷺ إذ طرده الرسول وحرم عليه دخول المدينة ، وبوفاة الرسول راجع عثمان أبو بكر ليدخله لكن أبو بكر رفض ، ولما مات أبو بكر راجع عثمان عمر ليدخل ولكن عمر رفض أيضاً ان يدخله المدينة في عهده ،

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ٥٦ على سبيل المثال وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ١٠٣ .

(٢) راجع المعارف لابن قتيبة ص ١٣١ و ١٤١ .

ولما تولى عثمان الخلافة أدخله معززاً مكرماً وأعطاه مائة ألف درهم لأنّه صحابي^(١). وباختصار فلا يشترط بالشخص حتى يكون صحابياً يكون مؤمناً حقيقة بالنبي بل يكفي أن يتظاهر بالإيمان وأن يموت على هذا الإيمان أو على هذا التظاهر به ، لأنّ النبي لا يعني بالبواطن إنما يكلها إلى الله.

ومن هنا ، ومن خلال دعوة النبي ومن خلال دولته وغزواته^(٢) ومن خلال بيعة الناس له ، والحج والعمرة وفتح مكة وحجة الوداع خاصة ، وسيطرة دولته الكاملة على الجزيرة العربية أتيحت الفرصة للجميع للالتقاء به ، لم يبق في مكة ولا الطائف أحد في السنة العاشرة إلا اسلم وشهد مع النبي حجّة الوداع ، ومثل ذلك قول بعضهم في الأوس والخرج أنه لم يبق منه أحد في آخر عهد النبي إلا ودخل في الإسلام ، وما مات النبي وواحد منهم يظهر الكفر^(٣) « حتى الأطفال صاروا صحابة » على سبيل الالحاد لغلبة الظن على أنه رآهم لتوفّر دواعي أصحابه على إحضارهم أولادهم عنده عند ولادتهم ليحنّكهم ويسمّيهم ويبرك عليهم. والأخبار بذلك كثيرة (كان النبي يؤتى بالصبيان فيبارك عليهم) (ما كان يولد مولود إلا أتى به النبي)^(٤).

إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ الفوارق قد أزيلت تماماً بين الحاكم والمحكوم في دولة النبي ، وأنه كان يمشي في الشارع وحده. ويقضي حاجته بنفسه ، فكان بإمكان أي مواطن في الدولة الإسلامية ان يراه وان يتكلّم معه أو أن يحضر مجلسه مما جعل شعب دولة النبي كلّه صحابة بهذا المفهوم ، بمعنى أن كل مواطني الدولة قد التقوا بإمامهم ورئيس دولتهم أو شاهدوه أو سمعوه أو جالسوه.

الفرق الإسلامية الأخرى تتفق مع أهل السنة من حيث المعينين اللغوي والاصطلاحي ، ولكنهم مختلفون من حيث صفة العدالة ، فبينما يعمم أهل السنة

(١) راجع المعارف لابن قبيبة ص ٥٤ و ١٣١ و راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ١٠٣ .

(٢) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ٢٢٢ وما فوق.

(٣) راجع الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ص ١٦ .

(٤) الاصابة في تمييز الصحابة ص ٧ لابن حجر العسقلاني.

ويرون أن كل الصحابة بلا استثناء عدول ، ترى الفرق الإسلامية الأخرى أن العدالة لها مستلزمات شرعية ومواصفات موضوعية ، فمن توفرت فيه تلك المستلزمات والمواصفات فهو العدل ، ومن لم تتوفر فيه فليس بعدل ، ولديهم أدلة من الكتاب والسنّة والمنطق كما سترى.

الفصل الثاني

نظريّة عدالة الصحابة عند أهل السنة

اتفق أهل السنة على أن جميع الصحابة عدول ، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعه ، على حد تعبير ابن حجر العسقلاني ، ويجب الاعتقاد بتزاهتهم ، اذ ثبت أن الجميع من أهل الجنة وأنه لا يدخل أحد منهم النار ^(١) والمقصود بالصحابة كل الصحابة بالمعنى الذي عرضناه عند تحليل تعريف ابن حجر .

ما هو دليل أهل السنة على ذلك

ذكر الخطيب أن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم ، وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم. فمن ذلك قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) وقوله (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يباعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم) وقوله (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهם بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) وقوله (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) وقوله (للقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يتغرون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) إلى قوله (إنك رءوف رحيم) وفي آيات كثيرة يطول ذكرها ، واحاديث شهيرة يكثر تعدادها ^(٢).

(١) راجع الاصابة في تمييز الصحابة ص ٩ و ١٠ .

(٢) راجع الاصابة في تمييز الصحابة ص ٩ و ١٠ .

مضمون عدالة الصحابة عند أهل السنة

تعني عدالة الصحابة فيما تعنيه ، أن كل من عاصر الرسول أو ولد في عصره ، لا يجوز عليه الكذب والتزوير ، ولا يجوز تحريره ، ولو قتل آلافاً و فعل المنكرات ، وعلى أساس ذلك فجميع الطبقة الأولى من الأمويين ، كأبي سفيان وأولاده ، وجميع المروانيين بما فيهم طرید رسول الله وأولاده ، والمغيرة بن أبي شعبة وولده عبد الله الذي كان في حدود العاشرة من عمره حين وفاة النبي ^٩ ، ومع ذلك نسبوا إليه مجموعة من الأحاديث كتبها على النبي في صحيفة يسمونها الصادقة. فجميع هؤلاء من العدول ومرؤويا لهم من نوع الصاحح ولو كانت في تحرير علي وأهل البيت ، وفي التقرير والتقديس لعبد الرحمن بن ملجم. هذه المرويات يجب قبولها ولا يجوز ردها لأنّ رواتها من العدول ، والعادل لا يتعمد الكذب ، والذين اتبعوا معاوية وسايروه طيلة ثلاثين عاماً من حكمه ، هؤلاء كلّهم على الحق والمهدى ، وحتى الذين سمو الحسن بن علي وقتلوا الحسين وأصحابه ، وفعلوا ما فعلوا من الجرائم في الكوفة وغيرها كانوا محقّين ومن المهددين بحجّة أن النبي ^٦ قد قال بزعمهم (أصحابي كالنجوم بأيّهم افتديتم) ^(١) وهذا الحديث ضعفه أئمة أهل الحديث فلا حجّة فيه وطعن فيه ابن تيمية ^(٢).

ما هو جزاء من لا يعتقد بهذا الرأي؟

بأقل أقوال أهل السنة (إذا رأيت الرجل ينقص أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق. والذين ينقصون أحداً على الإطلاق من أصحاب رسول الله هم زنادقة والجرح أولى بهم) ^(٣) ومن عاجهم أو انتقصهم فلا تؤكلوه ولا تشاريروه ولا

(١) راجع ص ٨١ و ٨٢ من كتاب آراء علماء المسلمين في التقىة والصحابة وصيانة القرآن الكريم للسيد مرتضى الرضوي.

(٢) المرجع السابق ص ٩١ وقد نقل عن محب الدين الخطيب وعن المتنقي للذهبي.

(٣) راجع الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ص ١٧ و ١٨ .

تصلوا عليه^(١).

ما هو سر هذا التشدد والصرامة عند أهل السنة؟

ذلك أن الرسول حق ، والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة. وهؤلاء الذين ينقصون أحداً من الصحابة يريدون أن يخرجوا شهودنا ليطلبوا الكتاب والسنة والجرح أولى بهم وهم زنادقة^(٢).

استذكار

يقصد أهل السنة بالصحابة ما قصده ابن حجر عند تعريفه للصحابي بدءاً من خديجة وعلي وزيد بن حارثة وابي بكر وانتهاءً بآخر طفل رأى الرسول أو رآه الرسول ، ويستحسن أن نرجع لعرضنا لتحليل ابن حجر لتعريف الصاحبي.

محاولة للتخفيف من هذا الغلو

قال المازري في شرح البرهان (لسنا نعني بقولنا الصحابة عدول كل من رأاه النبي ٦ يوماً أو زاره ماماً ، أو اجتمع به لغرض وانصرف عن كتب ، وإنما نعني به الذين لازموه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) انتهى^(٣).

استنكار المحاولة ودفتها

والجواب على ذلك أن التغييرات المذكورة خرجت مخرج الغالب وإلا فالمراد من اتصف بالإنفاق والقتال بالفعل أو القوة. وأما كلام المازري فلم يوفق عليه بل اعترضه جماعة من الفضلاء. وقال الشيخ صلاح العلاني (هذا قول غريب يخرج

(١) راجع ص ٢٣٨ من كتاب الكبار للحافظ الذهبي وراجع آراء علماء المسلمين ص ٨٥ للسيد مرتضى.

(٢) راجع الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ص ١٧ و ١٨ .

(٣) الاعراف . ١٥٧ . ، راجع الاصابة في تمييز الصحابة ص ١٩ .

كثيراً من المشهورين بالصحبة والرواية عن الحكم بالعدالة كوائل بن حجر ومالك بن الحويرث وعثمان بن العاص وغيرهم من وفد عليه ^٦ ولم يقم عنده إلا قليلاً وانصرف. كذلك من لم يعرف إلا برواية الحديث الواحد ولم يعرف مقدار إقامته من أعراب القبائل والقول بالتعيم هو الذي صرّح به الجمّهور وهو المعتبر ^(١).

الآثار المترتبة على هذا التعيم

المساواة العشوائية ، فالصحابي حسب رأي أهل السنة متساوون بالعدالة ، فجميعهم عدول ، فالقاعد كالجاهد ، والعالم كالجاهل ، ومن أسلم عن اقتناع تماماً كمن أسلم لينجو بروحه ، والسابق كاللاحق ، والمنفق كالمقتدر ، والعاصي كالمطيع ، والطفل المميز تماماً كالراشد ، ومن قاتل الإسلام في كل المعارك تماماً كمن قاتل مع الإسلام كل معاركه . فعلي ^٧ الذي قاتل مع الإسلام كل معارضه هو تماماً كأبي سفيان الذي قاد كل الحروب ضد الإسلام ، وهو تماماً كمعاوية ابن أبي سفيان ! وحمزة ^٧ وهو المتغول وسيد الشهداء تماماً مثل قاتله (وحشى) وعثمان بن عفان المبشر بالجنة هو تماماً مثل عمّه الحكم بن العاص والد خلفاء بني أمية ، وهو طريد رسول الله وطريد صاحبيه ، وقد لعنه الرسول ولعن ولده ^(٢) وعبد الله بن أبي سرح الذي افترى على الله الكذب وارتدى عن الإسلام وأباح الرسول دمه ولو تعلق بأستار الكعبة ^(٣) هو تماماً كأبي بكر ، وعبد الله بن أبي زعيم المنافقين تماماً كعمار بن ياسر ... الخ .
كيف لا؟ فكلهم صحابة ، وكلهم عدول ، وكلهم في الجنة ، ولا يدخل أحد منهم النار أبداً كما نقلنا !!

(١) راجع الاصابة في تمييز الصحابة ص ١٩.

(٢) راجع كنز العمال ج ١١ ص ٣٥٨ - ٣٦١ وراجع المعرف لابن قتيبة ص ١٣١ و ١٤١ و ٥٤ .

(٣) راجع كنز العمال ج ١١ ص ٣٥٨ - ٣٦١ وراجع المعرف لابن قتيبة ص ١٣١ و ١٤١ و ٥٤ .

تساؤل واستنتاج

هل يعقل أن يكون العالم كالجاهل والقاعد كالمجاهد ، ومن أسلم عن اقتناع كمن أسلم خوفاً؟ هل من المعقول أن يتساوى القاتل والمقتول؟ وهل يتساوى السايب باللاحق ، والمنافق بالمقتر ، والعاصي بالطبع وصادق الإيمان بالمتظاهر؟ وأن يتساوى المؤمن والمنافق ... الخ؟ هل يعقل أن يكون معاویه مثل علي؟

لا الشع يقبل هذه المساواة ولا العقل ولا المنطق ، وهي ظلم صارخ وخلط فظيع ينفر منه العقل وتأباهما الفطرة الانسانية السليمة ^(١) .

نقد رأي أهل السنة

الائتلاف والاختلاف

على ضوء المعنيين اللغوي والاصطلاحي لكلمة صحابة فإنه لا بديل أمام أتباع الإسلام (الفرق الإسلامية) من الاتفاق على أن اصطلاح الصحابة يشمل كل الذين أسلموا أو تظاهروا بالإسلام وسعوا رسول الله ﷺ أو جالسوه أو شاهدوا ، ولكن الخلاف يكمن في التعميم ، فبينما يرى أهل السنة أن الصحابة بهذا المعنى الواسع كلهم عدول ، إلا أن الفرق الإسلامية الأخرى لا تقر أهل السنة على ذلك ولا توافق على هذا التعميم.

محاولة للتوفيق

الصحابة بالمعنى الواسع الذي يرکن اليه أهل السنة هم كل شعب دولة النبي ، أو هم كل الأمة الإسلامية التي دانت لدولة النبي ^٦ ، وهم أول المخاطبين المعنين بآيات القرآن الكريم. فعليهم طبقة أحكامه كلها ، فمن أعلن إسلامه وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله اعتبر مسلماً ومواطناً في دولة النبي ، لأن الله هو المطلع على الضمائر ، العالم بخائفة الاعين وما تخفي الصدور ،

(١) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ١٠٦ وما فوق.

وهو وحده الذي يثبت على هذا الإسلام. وانطلاقاً من هذا الاعتقاد ، فقد كان النبي يكتفي بالظاهر ويترك الباطن لله ، وسلوك الإنسان متوك للمستقبل ولرحمة الله وتأثير المجتمع المسلم عليه ، ولوقف الفرد من معارك الإيمان مع الكفر تحت قيادة النبي أو من ينتدبه. ومن الطبيعي أن النبي لم يقل لمنافق أنت منافق ، بل كان يدعو الله أن يستر على عيوب خلقه وان يصلحهم ويهديهم ، مع أن القرآن الكريم حافل بالآيات التي تقرع بشدة المنافقين المنتشرين في عاصمته المدينة ومن حولها من الأعراب ، وقد كشفت هذه الآيات أسرارهم ، وفضحت أضغانهم ، وعالجت أموراً واقعية ، ووصفت وشخصت حالات فردية لأشخاص كانوا يعتبرون صحابة ، بل وأقيمت الحدود على الكثير منهم.

والشريعة وضعت صفات موضوعية لأعمال البر والتقوى والأعمال الفجور ، فمن توافت فيه صفات معينة حشرته تلك الصفات بإحدى هاتين المجموعتين ، وترجمة الصفات وبيانها متوك لسلوك الإنسان ميدانياً. فالصدام مع الكفر لم يتوقف طيلة حياة النبي ، والإنسان بطبيعة يعكس دائماً حقيقة اعتقاده بسلوكه آجلاً أم عاجلاً. وبانتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى ، كان كل مسلم من مواطني الدولة الإسلامية يعرف حقيقة موقعه في حوض التقوى أو في بؤرة الفجور ، وعرف الناس كلهم منازل بعضهم ، مع أن المجتمع المسلم ، خاصة مجتمع المدينة المنورة ، كان مجتمع صحابة ، ولكل واحد من أفراده صفة صحابي لغة واصطلاحاً. ثم من يأمن مكر الله؟ وما معنى الأمور بخواتتها؟ إنه لا بديل من تقسيم الصحابة الكرام إلى مجموعتين كبيرتين :

- ١ . **أفضل الصحابة :** وهم الأخيار الذين قامت الدولة على أكتافهم وتحملوا سخرية وأذى الأكثريـة الكافرة حتى ظهر أمر الله ، وتمسّكوا بأمر الله ووالوا بيـه ووالوا من والـه ، وانتقلوا إلى جوار ربـهم وهم مـعتصمون بـحبل الله ، فـهؤلاء عـدول بالإجماع ولا تشـد عن ذلك أية فـرقـة من الفـرقـ الإسلامية.
- ٢ . **بـقـية الصحـابة :** وـهم مـتفـاوتـون ، الله أعلم بـهم ، فـمنـهم الصـبـيـ ، وـمنـهم المـنـافقـ. فـالـمنـافقـون الأـشـرارـ جـعـلـهـمـ اللهـ فيـ الدـرـكـ الأـسـفـلـ منـ النـارـ معـ أـنـهـمـ كـانـواـ يـتـظـاهـرونـ بـالـإـسـلامـ وـيـسـمـونـ أـيـضاـ صـحـابـةـ بـكـلـ الـمـعـايـرـ الـمـوـضـوعـيـةـ الـمـعـرـوفـهـ عـنـدـ أـهـلـ السـنـةـ.

ما هي الفائدة من هذا التقسيم؟

إنّ معرفة أفضال الصحابة أمر في غاية الأهمية ، فهم الذين يباعون الإمام البيعة الخاصة ، وهم ركن من أركان أهل الشورى ، وهم الذين ينفذون أوامر الإسلام ، وهم حكومة الإمام الفعلية ، وهم الذين يقومون بتهيئة المجتمع لتلقي الذكر ولتطبيق الشرعية وإعطاء البيعة العامة ، وبرضاهم يجب أن ترضى العامة ، وبسخطهم يسخطون. فإذا تحقق ذلك نجت الأمة ونجوا ، وإن لم يتحقق هلكت الأمة وتأخروا ، ووسد الأمر لمن يغلب. وفائدة هذا التقسيم الآن هو دراسة الماضي دراسة موضوعية لمعرفة سر اختلاف المسلمين وبعثرة كلمتهم وأخيار دولتهم ، تمهيداً لاستشراق مستقبلهم وتوثيق خطواتهم بحيث تبقى ضمن المقصود الشرعي كطريق أوحد لتوحيدهم ثانية وإقامة دولتهم التي ينبغي أن تقوم على الأسس الشرعية ، حتى تدوم وتحتفظ غايتها ولا تنهار ثانية.

ثم إن التفضيل ضروري لمعرفة الأفضل ومن هو المستحق ملء الوظائف العامة. يقول تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَؤْدُوا الْأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا) وقد فسّرها الطبراني بإسناد الولاية لمن هو جدير بها. وكيف يمكن تأدية هذه الأمانات في هذا المجال دون اللجوء للتفضيل؟ إنّ أول من سمع بذلك هم الصحابة ، ومن المعنى بذلك غيرهم؟!

التفاضل سنة إلهية

التفاضل سنة إلهية ، ومنهج من مناهج الحياة ، وحافز من حواجز السمو بما تقتضيه طبيعة الحياة ، ويقتضيه التباين بين الخلق في القدرة والقدرة والفهم ، وتحقيق العدل السياسي والوظيفي من حيث وضع الشخص المناسب في المكان المناسب ، المؤدي لتحقيق الغاية الشرعية ووسيلة ذلك كله هو نظام التفاضل الشرعي في الإسلام ، على اعتبار أن التفضيل مكافأة وحافز وهي وأن التفاضل وسيلة شرعية.

الدليل الشرعي للتفاضل

وسيلة التفاضل مكرسة بالشريعة الإسلامية وبروحها العامة ، قال تعالى (**فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعددين**) (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض). والتفضيل وارد حتى على مستوى الأسر والأقوام ، فها هو سبحانه وتعالى يخاطب بني إسرائيل (**أي فضلتكم على العالمين**) (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً (وإسماعيل واليسع وبونس ولوطاً) (ولآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً) (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة) ... الخ.

والتفضيل ضرورة لمعرفة الأفضل ومن هو المستحق ملء الوظائف العامة عملاً بقوله ٦ : من ولّ على عصابة رجلاً وهو يجد من هو أرضى الله منه فقد خان الله رسوله .

طبقات الصحابة

إن الصحابة شرعاً وعملاً واقعاً ليسوا بدرجة واحدة. فمنهم الصادقون وهم طبقات في صدقهم ، ومنهم الأقوياء وهم طبقات في قوتهم ، ومنهم الضعفاء وهم أيضاً طبقات في درجات ضعفهم ، ومنهم المنافقون وهم أيضاً طبقات في نفاقهم. أنظر إلى قوله ٦ من أشار عليه بقتل عبد الله بن أبي رأس النفاق في المدينة (لعمري لنحسن صحبته ما دام بين اظهرنا)^(١) فزعيم المنافقين حسب هذا النص صحابي ، وهو صحابي بالموازين المتفق عليها عند أهل السنة. ولو جارينا أهل السنة بحرفيتهم فهمهم لتجمدت الحياة ولتجمد الفكر تماماً. وبالرغم من أهل السنة قد أجمعوا أو أشاعوا الإجماع على أن الصحابة كلهم عدول ، إلا أن هذا لم يمنعهم من أن يعترفوا ضمناً بأن هذا التعميم غير واقعي وغير منطقي ويتعارض مع المقصود الشرعي. ولعل تقسيمهم الصحابة الكرام إلى طبقات أكبر شاهد على

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج ٦ ص ٦٥ وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ١٠٣ .

هذا الاعتراف ، حيث أن انتماء الصحابة لطبقة من الطبقات يحدد شرعاً دوره في الأمور السياسية والحقوق^(١) وهذه ليست مسألة اجتهادية لأن الشرع الحنيف بقرآن وسنته قد وضع معلم تلك الطبقات. ومن هنا فان ابن سعد تصدى لهذه الناحية فجمع جميع الصحابة في خمس طبقات^(٢) وكذلك فإن الحكم في مستدركه قسم الصحابة إلى اثنتي عشرة طبقة.

طبقات الصحابة كما ذكرهم الحكم في مستدركه^(٣)

الطبقة الأولى : الذين أسلموا بمكة قبل الهجرة كالخلفاء الراشدين.

الطبقة الثانية : أصحاب دار الندوة.

الطبقة الثالثة : مهاجروا الحبشة.

الطبقة الرابعة : أصحاب العقبة الأولى.

الطبقة الخامسة : أصحاب العقبة الثانية.

الطبقة السادسة : أول المهاجرين الذين وصلوا بعد هجرة الرسول للمدينة.

الطبقة السابعة : أهل بدر.

الطبقة الثامنة : الذين هاجروا بين بدر والحدبية.

الطبقة التاسعة : أهل بيعة الرضوان.

الطبقة العاشرة : من هاجر بين الحديبية وفتح مكة كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص.

الطبقة الحادية عشرة : الطلقاء وهم الذين أسلموا يوم فتح مكة كأبي سفيان ومعاوية.

الطبقة الثانية عشرة : صبيان وأطفال رأوه يوم الفتح.

فأول الناس إسلاماً خديجة ثم علي ٧. تبأ رسول الله

(١) راجع فتوح البلدان للبلاذري وانظر طريقة عمر بن الخطاب بتسلسل العطايا ومقدارها.

(٢) ويمكن لمن اراد التوسيع ان يراجع طبقات ابن سعد.

(٣) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطني ص ٢٢٧ - ٢٢٨ وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ١٠٨ .

٦ يوم الإثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء ثم زيد بن حارثة ثم أبو بكر^(١).

وتقسيم الصحابة إلى طبقات ، دخول واقعي في باب التفاضل ، فمن غير المنطقي أن يكون أول من أسلم بنفس الدرجة من العدالة التي يتمتع بها طليق أسلم يوم الفتح. وقد تنبه إلى هذه الناحية الفاروق عند توزيع العطايا ، فأخذ بعين الاعتبار توزيع العطايا حسب الطبقة ، ولم يساو بين أول من أسلم وآخر من أسلم ، ولا ساوي بين من قاتل الإسلام بكل فنون القتال حتى حوصل بجزء الشرك مع الرجل الذي قاتل مع الإسلام كل معاركه حتى أعز الله دينه. وفي اجتماع السقيفة كانت حجة المهاجرين على الأنصار هي أنهم أول من عبد الله في الأرض (السابقة في الإيمان) وأنهم أولياء الرسول وعشيرته وأحق الناس بالأمر من بعده ، ولا ينazuهم إلا ظالم ، ولأنّ العرب تأبى أن تؤمر الأنصار ونبيها من غيرهم ، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم. وانظر إلى قول عمر : « من ينazuنا سلطان محمد وميراثه ونحن أهله وعشيرته » هذا بالحرف ملخص ما قاله أبو بكر وعمر في السقيفة^(٢) إلا ترى أن هذا تطبيق نظري دقيق لعملية التفاضل الشرعية وبالتالي نسف لcomplete المقوله إنّ الصحابة كلهم بلا استثناء عدول؟ فأذعن الأنصار لتلك الحجج القوية وقالوا : طالما أن الأمر هكذا فإننا لا نباع إلا علينا^(٣) وعند ما واجه الإمام علي القوم بحجته بعد البيعة قال بشير بن سعد الذي شق إجماع الأنصار وبايع أبا بكر مخاطباً علياً : لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان ، وما كان بالإمكان الوصول إلى هذه القناعات لو لا إعمال نظام التفاضل كوسيلة لتقديم الأعلم والأفضل والأنسب لكل أمر تحتاجه الأمة. ونظام التفاضل يتعارض بطبيعته مع مقوله « كل الصحابة عدول » لأنه لو

(١) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٢٧.

(٢) راجع كتاب الطبرى ج ٧ ص ١٩٨ وراجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة وراجع ج ٢ ص ٣٢٦ من شرح النهج وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ١٢٦ و ١٣٣.

(٣) راجع كتاب الطبرى ج ٧ ص ١٩٨ وراجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة وراجع ج ٢ ص ٣٢٦ من شرح النهج وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ١٢٦ و ١٣٣.

صحت هذه المقوله لما كانت هنالك دواع لوجود هذا النظام ولا لسلوك منهجه التفاضل باعتبار أن الجميع متساوون بالعدالة.

نظام التفاضل في الإسلام

تجنبًا للخلاف والاختلاف ، واستبعادًا للدور المزاج والهوى ، وتفريحًا لأي واقع متجرد سيفرض على الأمة ، فقد حدد الإسلام بنصوص قاطعة لا تحتمل الانكار والتأويل الأركان الأساسية لنظام التفاضل في الإسلام وحصرها في خمسة أركان ، لتكون مسارب للفضل والعدالة وطرفًا لمنازل الخير ، وهي التي تحدد موقع الإنسان المسلم وتبيّن دوره وتحدد حجم اعتباره. وهي مجتمعة تقدم الجواب الشرعي الأمثل لكل سؤال يتعلق بالمنازل والكرامات ، وهي وبالتالي الطريق الأوحد لمعرفة الأعلم والأفضل والأنسب في كل أمر من الأمور.

إذا كان الصحابة كلهم بلا استثناء عدولًا لا فرق بين واحد وآخر ، فما الداعي لإيجاد نظام التفاضل في الإسلام؟ وما الداعي لتشريع المحدود ووضع الأحكام؟

أركان التفاضل أو مسارب العدالة

باستقراء أحكام العقيدة الإلهية الإسلامية ، يتبيّن لنا أن التفاضل يقوم على خمسة أركان ، وهذه الأركان بمثابة موازين أو معايير شرعية تحدد حجم الاعتبار لكل مسلم وتبيّن منزلته.

الركن الأول والأهم : القرابة الطاهرة ، فهم قيادة الأمة السياسية والروحية بعد نبيه الكريم بالنص الشرعي القاطع. أما لماذا هم بالذات؟ هذا فضل الله يؤتى به من يشاء. لماذا انزل الله الوحي على محمد واختاره للرسالة؟ لماذا محمد بالذات؟ لماذا موسى بالذات؟ هذا أمر يبدى الله تعالى. هذه القرابة هي مركز الدائرة بالنص وهي سفينه النجاة بالنص ، وهم باب حطة بالنص ، وهم نجوم المهدى بالنص ، وهم الاسبق بالإيمان بالنص ، وهم الاتقى بالنص ، وهم الأعلم بالنص ، وهم الأكثر بلاء بالنص ، ومحبتهم مفروضة على الجميع بالنص ، وعميدهم في كل زمان هو الإمام الشرعي للأمة وهو مرجعها ... فالنبي أولاً والكتاب ثانياً ، والمهدى أولاً والهدایة ثانية

فمَنْ بَعَثَ اللَّهُ رِسَالَةً بَدْوَنَ رَسُولٍ؟ وَمَنْ تَرَكَ اللَّهَ كِتَابًا إِلَّا عَلَىٰ عَبْدٍ؟ وَسَأَثِبُ ذَلِكَ فِي حِينِهِ ، فَهُمْ مُحْطَطُ الْوَلَايَةِ وَمُحْوِرُهَا.

الرَّكْنُ الثَّانِي : السَّابِقَةُ فِي الإِيمَانِ.

الرَّكْنُ الثَّالِثُ : التَّقْوَىِ.

الرَّكْنُ الرَّابِعُ : الْعِلْمِ.

الرَّكْنُ الْخَامِسُ : تَقْيِيمُ الرَّسُولِ الْقَائِدِ أَوِ الْإِمَامِ الشَّرِعيِّ (الْمَعِينِ شَرِيعًا) لِيقومُ مَقَامَهُ وَالَّذِي بَايَعَتِهِ الْأُمَّةُ الْمُسْلِمَةُ بِالرَّضْيِ وَيَحْضُرُ اخْتِيارَهَا بَدْوَنَ إِكْرَاهٍ وَلَا إِغْرَاءٍ وَلَا لَفٌْ وَلَا دُورَانٌ (بَدْوَنَ غَلْبَةٍ).

الْحُكْمُ عَلَىٰ هَذِهِ الْمَوَازِينِ

تَلْكَ مَوَازِينٌ شَرِيعِيَّةٌ مُوضُوعِيَّةٌ مُسْتَمْدَةٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَمِنَ الشَّرِيعَةِ وَحْدَهَا ، وَهِيَ تَبَيَّنُ مَعَالِمَ الْعَدْلَةِ لِكُلِّ فَرَدٍ. وَمَا سُواهَا مَعَ عُمَيقِ الاحْتِرَامِ لِيُسَمِّي إِلَّا مَوَاءَمَةً بَيْنَ وَاقِعِ مَفْرُوضٍ وَمَثَلٍ إِلَهِيٍّ آخَذَ بِالْأَعْنَاقِ ، وَهَذِهِ الْمَوَازِينُ مُعْتَرَفُ بِهَا ، وَكَانَ حَجَةٌ لَا تَعْلُوْهَا حَجَةٌ فِي نَظَامِ الْخَلْفَةِ التَّارِيْخِيِّ.

فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَلِ ارْجِعْ إِلَى حَجَةِ أَبِي بَكْرٍ عَلَى الْأَنْصَارِ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةِ^(١) وَارْجِعْ إِلَى حَجَةِ عُمَرِ فِي السَّقِيفَةِ^(٢) وَارْجِعْ إِلَى حَجَةِ أَبِي عَبِيدَةِ^(٣) قَدْ قَالُوا إِنَّهُمْ الْأُولَى بِمُحَمَّدٍ : ١ - لِأَنَّ الْعَرَبَ تَأْبِي أَنْ تَوْلِي الْخَلْفَةَ إِلَّا مِنْ كَانَتِ النَّبُوَّةَ فِيهِمْ. ٢ - إِنَّ أَهْلَ مُحَمَّدٍ وَعُشَيْرَتِهِ هُمُ الْأُولَى بِمِيراثِهِ وَسُلْطَانِهِ (وَهَذَا مَعيَارُ الْقِرَابَةِ بَعْنَاهُ) وَقَالُوا : إِنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ ، وَهَذَا مَعيَارُ السَّابِقَةِ فِي الإِيمَانِ وَالتَّقْوَى ... إِلْخ. ثُمَّ طَرِيقَةُ عُمَرٍ بِتَوزِيعِ الْأَعْطَيَاتِ. لَقَدْ أَخَذَ بِأَكْثَرِ هَذِهِ الْمَعَايِيرِ^(٤).

(١) راجع الإمامة والسياسة ص ٥ . ٧ .

(٢) راجع الإمامة والسياسة ص ٨ . ٧ .

(٣) راجع الإمامة والسياسة ص ٨ .

(٤) راجع فتوح البلدان للبلاذري.

تساؤلات

فإذا كان الصحابة كلهم عدول وكلهم في الجنة ولا يدخل أحد منهم النار ، وأن الله ساوي بينهم ، فما الذي منع الأنصار من أن يتولوا الخلافة؟ ولماذا اقتنعت أكثريتهم وأعطوا القيادة للمهاجرين الثلاثة عن قناعة؟ لماذا فرق الخليفة العادل عمر ولم يساو بينهم بالعطايا مع انهم صحابة وكلهم عدول ولا فرق بين واحد وآخر؟ لماذا اقيمت الحدود على بعضهم؟ وهل يسرق العادل النزيه المضمون دخوله في الجنة؟ أنتم لستم أفقه من الشيوخين في الدين ، وكفى بفهمهما عندكم حجة ، ليجب كل واحد منكم على هذه التساؤلات أو ليحاول ، فمتي كان التقليد الأعمى طريقاً للهداي؟ لقد أنبأنا الله أنه طريق إلى النار ، وقد أنعم الله علينا بالعقل لنستشرمه في طاعة ومعرفة مقاصد الشريعة ^(١).

(١) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ١٠١ وما فوق فقد فصلنا هذه الموازنات بالقدر الذي يفهم.

الفصل الثالث

نقض النظريّة من حيث الشكّل

حجّة أهل السنّة منقوصّة شكلاً من وجهين :

الوجه الأول : حول الشهادة والشهود

إن القرآن الكريم هو الذكر ، وما جاء به النبي هو بيان لهذا الذكر وترجمة له وهو من مستلزماته ، وقد تكفل الله جلّت قدرته بحفظه على مرّ الأزمان (إنا نحن نرّلنا الذكر وإنّا له لحافظون) فحفظ الذكر مضمون بضمانة إلهية ولا علاقة للصحابة الكرام بهذا الحفظ. فالدّين محفوظ وثابت وبدون شهود لأنّ الله هو الشاهد والتّكفل بإثباته ، ولأنّ الرسول ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن أكمل الله الدين وأتمّ النعمة. فالشاهد على المسلمين هو محمد ، والمسلمون في كل زمان هم شهداء على الناس. ثم إنّ كتاب الله منزّل من عند الله وليس بامكان أحد كائناً من كان أن يزيد فيه حرفاً أو ينقص منه حرفاً أو أن يبدل فيه حرفاً ، لأنّه ترتيب إلهي. فقد كانت الكوكبة من آيات القرآن الكريم تنزل على رسول الله مع التوجيه الإلهي بأي سورة توضع ، وعند ما انتقل الرسول إلى جوار ربّه ، كان القرآن كله مرتبًا بالصورة التي بين أيدينا ومكتوبًا كاملاً وليس في صدور الرجال فحسب كما يزعم بعض إخواننا. فالقول بأن الصحابة كلهم عدول لا يزيد الثابت ثباتاً ولا المحفوظ حفظاً ، والقول بأن المخلصين من الصحابة فقط هم العدول لا يهز هذا الثابت ولا يؤثر على هذا المحفوظ ، وإقحامهم للقرآن وحفظه لإثبات عدالة كل الصحابة لا مبرر له ، لأنّ الفضل في ذلك كله والمتّة والشّكر لله تعالى ، والفخر لحمد ولآل محمد وللصادقين من الصحابة الذين التفوا حولهم. (فلو ان الآل

الكرام سلّموا محمداً لزعامة قريش أو خلوا بينها وبينه لقتلوه كما قتل كثير من الأنبياء من قبل ، ولما تحمل الآل الكرام كل سني الحصار والعداب والألم. وبالمقابلة فإبني أتساءل : أين كان كل الصحابة والهاشميون محصورون في شباب أبي طالب يأكلون ورق الشجر من الجوع وبعدهم أطفالهم الرمال من العطش؟ هل من العدالة الوضعية او السماوية ان يتساوى الماشر مع الماشر (**مالكم كيف تحكمون**) .

الوجه الثاني :

أما القول بأن هؤلاء الذين ينقصون أحداً من الصحابة (زندقة) فلا يستقيم لعدة وجوه ، لأن الإسلام بوصفه آخر الأديان السماوية ، وبوصفه الصيغة النهائية لدين الله معدّ ومصالح ليفهم منه كل إنسان على قدر فهمه ، والفهم الأمثل هو ما يتطابق مع المقصود الشرعي أو الغاية الشرعية من النص ، بحيث يكون الفهم هو عين ما أراد الله ، وتلك مهمة عصيرة بل واحتياط فني تماماً ، وإنما الداعي لإرسال الرسول مع الكتب وابتعاث المهدى مع الهدى؟ وما هي الغاية إذن من وجود الائمة ومن رئاسات الأنبياء لدول الإيمان؟ ومن هنا فإن الإسلام شيء وفهمنا له شيء آخر مختلف حسب ثقافتنا. فاختلاف الرأي وتبادر الإفهام ليس زندقة ، وهنالك من الصحابة من عاب النبي نفسه وطعن في عدالته. أنظر إلى قول ابن الحويصرة (إعدل يا محمد والله ما أردت بهذه القسمة وجه الله !) لم يقل له النبي : أنت زنديق أو منافق ، قال له : ويحك من يعدل إن لم يعدل. فهل للصحابي مكانة أعظم من مكانة النبوة؟ فإذا كان سيد البشر محمد ٦ يقول (أنا بشر أصيب وأخطيء) فكيف تعممون العدالة على جميع الصحابة وتعتبرون من يناقشكم بالامر زنديقاً؟

نقض حجة أهل السنة

يجمع أهل السنة أو يتظاهرون بالإجماع على القول وبالحرف : « إن الرسول حق والقرآن حق وما جاء به النبي حق ، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة ، فهم الشهود وهؤلاء الذين ينقصون أحداً من الصحابة . أي واحد . يريدون أن يخرجوا شهودنا »

لبيطلووا الكتاب والسنّة وهؤلاء زنادقة^(١) فمن عاهم أو انتقص منهم فلا تؤاكلوه ولا تشاربوه ولا تصلووا عليه^(٢).

قراءة أولية

أولاً : الخلط

القول بأنّ النبيّ حق والقرآن حق وما جاء به النبيّ حق ، هذا قول لا غبار عليه ولا اختلاف فيه ، وهو قدر مشترك بين كل المسلمين من سنّة بمختلف فرقهم ومن شيعة بمختلف فرقها ، وهم يتساون بالاتمامه لهذا الدين وتحمل هويته الخالدة. والدين يتكون من مقطعين : ١ - نبي الله بذاته وقوله وفعله وتقريره ٢ - كتاب الله المنزل من عند الله. هذا إجماع كل المسلمين ، والخلاف منحصر بفهم المقصود الشرعي لهذا الدين ، فلا ينبغي الخلط بين الدين وبين مفاهيمنا له. فالدين هو المركز الثابت ومفاهيمنا هي المتردّيات والمتغيرات من حوله. فالدين شيء ومفاهيمنا له شيء آخر ، هذه المفاهيم عملياً تختلف من فرد إلى فرد ، ومن جماعة إلى جماعة حسب درجة العلم وقدرة الفهم والطاقة والتجدد من الهوى.

ولو كان مجدياً فرض فهم واحد لفرضه الله تعالى ولما كان هنالك داع للإجماع ولما كان هنالك داع للفهم أصلاً. فعندما نفهم نصاً معيناً بفهم ما ، ويفهم الآخر النص نفسه بفهم آخر ثم يدعى كل منهما ان فهمه هو المقصود الشرعي ، فمعنى ذلك أنه لا بد للاثنين من دراسة النص دراسة ثانية وثالثة ... الخ. حتى يصلا إلى مفهوم واحد للنص لأن النص الشرعي الواحد له مقصد شرعي واحد وهو عين المقصود الإلهي ، اذ لو قلنا بغير ذلك لأضفيانا طابع الشرعية على الفرقة والاختلاف ، ولذهبنا كل جماعة باتجاه مع أن مصلحة الأمة تتحقق بوحدتها لا بفرقتها ، ثم إنه لا مصلحة لك ولا مصلحة لي . إذا كانت النفوس خالصة لله . أن يصح هذا الفهم أو ذاك ، إنما مصلحتنا تتحقق بفهم المقصود الإلهي الأمثل والعمل به.

(١) الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ص ١٧ - ١٩ .

(٢) كتاب الكبائر للحافظ الذهبي ص ٢٣٨ .

فمن غير الجائز أن يخلط أفهاماًنا بالدين وبنوایا مختلفة حسنت أم ساءت ونقول : إنّ هذه الأفهams هي الدين ، ثم نضع عقوبة لمن يخالفنا بهذه الأفهams متتجاوزة دائرة الاتباع إلى دائرة التشريع المخصصة لله تعالى. فحكم الزندقة وقرار عدم المواكلة والمشاركة وعدم الصلاة على من يخالف الرأي هو قرار لا يقره الدين ، وهو عقوبة بغير نص ، وتصرف من لا يملك في ملك الغير ، وهو باطل من اساسه ولا يعادل شروي نقير.

ثانياً : كلمات للتلقين

١ . الإسلام كلمة محددة ولفظ يدل على معنى بعينه وهو يعني : نبي الله محمدًا بذاته و قوله و فعله وتقريره ، ويعني القرآن الكريم على الصعيدين النظري والعملي ، وهو مجموعة البنی الحقيقة المتكاملة التي أوحاها الله لنبيه وبينها النبي للناس ، إنه العقيدة الإلهية التي أرادها الله أن تكون دینه و دین المطیعین من خلقه. وهو شيء ومعنى قائم بذاته و مستقل عن غيره.

٢ . الصحابة الكرام اتبعوا هذا الدين و ووالوا نبيه على صعيدي الدعوة والدولة ، هم أتباع للدين وليسوا دیناً أو جزءاً من الدين.

٣ . المسلمين كلهم هم الذي اتبعوا الإسلام و آمنوا به ، لكنهم ليسوا هم الإسلام ، إنهم أتباع ، وشنان ما بين العقيدة والمعتقد بما وما بين القانون والشعب ، وما بين القضاة والمتقاضين.

ثالثاً : الحماية والتستر

قلنا : إنّ مصلحة الإسلام والمسلمين تتحقق بفهم المقصود الشرعي بالذات وهو عين المقصود الذي قصده الله تبارك وتعالى ، والوقوف على هذا المقصود يحتاج إلى اختصاص وملکات خاصة والوقوف عليه مطلب الجميع وغايتهم ، ولكن أنساً أنزلوا أنفسهم منازل ليست لهم واجتهدوا ، وهذا حق لهم ، ثم حاولوا رغبة أو رهبة أن يفرضوا هذا الاجتهاد على أبناء الملة وأغلقوا طريق البحث عن الحقيقة الشرعية ، وأوصدوا مسالك التحری عن المقصود الشرعي ، وأعلنوا بأن رأيهم هو الدين ومن

يعارضهم زنديق ... الخ. وهذا ليس من حُقُّهم لأنَّهم شيءٌ والدين شيءٌ آخر ، ومخالفتهم بالرأي أو بالإجتهد أو بالفهم ليس مخالفة للدين لأنَّ القول بغير ذلك ترجيح بغير مرجع ، ووصاية من اذن شرعي بالوصاية مما يحول العمليَّة كلها إلى تستر بالدين ، واحتماء به لنصرة على رأي أو مذهب على مذهب. فاختلافك معِي بفهم نص من النصوص الشرعية لا يجعل منك زنديقاً ولا يجعل مني مرجعاً وقديساً ، فذلك ترجيح بغير مرجع ، وتقبیح بغير سند ، وخدمة لأولئك الذين غلبوا هذه الأمة وفرقوها إلى شیع وأحزاب بأحابيلهم السياسية الملتوية ، وبمساعدة السذج من علماء السوء الذين يقفون في كل زمان ضد تفاهم هذه الأمة ووحدتها ، فيقولون : هذا زنديق ، وهذا رافضي ، وهذا شیعی ، وهذا سني ، وهذا جعفري ، وهذا مالكي ، وذلك كفر ، وذلك زندقة ... الخ.

وتلك ألفاظ يعاها الذوق السليم ، وتنفر منها الفطرة النقية ، وقد ترفع عن مثل هذه الأمور حتى الكفارة من أهل الكتاب ، وبالتالي هي تعبر عن ضيق الصدر وتعارض مع مباديء الأخوة الإسلامية وروح الإسلام العامة. الله وحده يعلمكم هو مؤذن التعصب ومثير للقرف. يقول الذهبي في رسالته التي ألفها في الرواية الثقات : « قال أبو عمر بن عبد البر : روينا عن محمد بن وضاح قال : سألت يحيى بن معين . يحيى بن معين هذا من كبار أئمة الجرح والتعديل الذي جعلوا قوله في الرجال حجة قاطعة . سأله عن الشافعى فقال : ليس ثقة . وجعفر بن محمد الصادق وثقه أبو حاتم والنسائي إلا أنَّ البخاري لم يبحَّث به »^(١). أنت تلاحظ أنَّ يحيى بن معين وهو العملاق الشهير يزعم أنَّ الشافعى ليس ثقة ، مثلاً تلاحظ أنَّ البخاري لم يبحَّث بالإمام جعفر الصادق واحتاج من هو أقل من الإمام جعفر ، وجعفر ٧ هو صاحب مذهب أهل البيت الكرام ، وهو أستاذ أصحاب المذاهب الأربع ، وهو العالم الأعلى الذي لا يشق له غبار ، والذي تخرج على يديه أربعة آلاف فقيه ومحدث ، وفوق ذلك كله هو الإمام السادس من أئمة أهل البيت الكرام ، فهو جعفر بن محمد بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومع هذا لم

(١) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن للسيد مرتضى الرضوي ص ٩٧ - ٩٨ .

يحتاج به البخاري ولم يوثقه! وبحاق عن روايات أهل البيت مع أنهم صحابة بالمعنى الذي يقصده أهل السنة ، والصحابة كلهم عدول.

نقض نظرية كل الصحابة عدول من حيث الموضوع

يؤمن أهل السنة بالنظرية القائلة « بأن كل الصحابة بلا استثناء عدول » ، تلك النظرية التي ابتدعها رجال السياسة الغالبون ، كما سنت ذلك ، ولغاية في نفس يعقوب ، وألقوا في روع الغافلين الذين يحبون هذا الدين ، بأن هذه النظرية جزء لا يتجزأ من دين الإسلام وفصل ثابت من فصول العقيدة الإلهية ، من شك فيها أو خرج عليها أو ناقشها فهو زنديق ، لا ينبغي أن يؤاكل أو يشارب أو يصلى عليه إذا مات!

حقيقة أن الصحابة شرف عظيم ومراتبها عالية ، ولكنها بالمعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي المتفق عليه عند أهل الملة ، هذه الصحابة تشمل كل المسلمين الذين عاصروا رسول الله ، بمعنى أن كل شعب دولة النبي كانوا صحابة ، لأن العبرة والمعلول عليه هو :

- ١ . الالتقاء بالنبي.

- ٢ . الإيمان الصادق به كحال الصحابة الصادقين ، أو التظاهر بهذا الإيمان ، وكحال المنافقين وحال الذين حاربوا الإسلام بكل وسائل الحرب ثم أحبطوا واضطروا للإسلام ، لأن كل الأبواب قد أوصدت في وجوههم إلا باب الإسلام فوجوه ، والله وحده أعلم بنوياهم.

- ٣ . الموت وهو على هذه الحال.

إن هؤلاء المؤمنين الصادقين ، والمنافقين المتطاهرين ، ومن لم يدخل الإيمان في قلوبهم ، لم يكونوا بدرجة واحدة حتى يقال بأنهم جميعاً عدول ، بل إن منهم من كان يظهر الإيمان ويبطن الكفر والعصيان ، وهم الفئة المناقضة من المسلمين الذين عاصروا النبي ومات النبي وهم على قيد الحياة.

وقد كشف القرآن الكريم بأن أفراد هذه الفئة مردوا على النفاق وخانوا ، وغدروا ، ووعدوا فأخلفوا ، وحدثوا فكذبوا ، وابتغوا الفتنة وأذوا النبي ، وقلبوا الأمور.

وكانت راية الإسلام ترتفع كل يوم حتى بسطت دولة النبي سلطانها المبارك على الجزيرة ، وأضفت هييتها على الجميع وأكمل الله الدين ، وأتم النعمة ، وانتقل النبي إلى جوار ربّه ، وتلك الفئة المنافقة على حالها ، وال المسلمين متفاوتون بإيمانهم وتضحياتهم ومنازلهم.

العجب العجاب

وبدون مقدمات أو عقد مقدمات سياسية أصبح كل رعايا دولة النبي عدول بحجّة أنهم كلّهم صحابة شاهدتهم النبي أو شاهدوه ، وأمنوا به أو ظاهروا بالإيمان ، وأنهم ماتوا على هذا الإيمان مع أن النظريّة قد ابتدعت في العصر الأموي (عصر خلافة الطلقاء) وقبل أن يموت جيل الصحابة بالمفهوم الآتف الذكر ، أي أنهم قد حكموا بالعدالة قبل أن يتأكّدوا من حسن الخاتمة ، وهذه النظريّة منقوضة من أساسها.

وجوه النقض

- ١ . أنها تتعارض مع النصوص القرآنية القاطعة.
- ٢ . أنها تتعارض مع السنة النبوية بفروعها الثلاثة : القول والفعل والتقرير.
- ٣ . نظرية عدالة كل الصحابة ينقضها واقع الحال.
- ٤ . أنها تتعارض مع روح الإسلام العامة ومع حسن الخاتمة ومع الغاية من الحياة نفسها.

تفصيل وإثبات وجوه النقض

- ١ . نظرية عدالة كل الصحابة تتعارض مع النصوص القرآنية القاطعة . ظاهرة النفاق

شاعت ظاهرة النفاق في زمن النبي ، وبرز المنافقون كقوة حقيقة يحسب حسابها ، والمنافقون هم فئة آمنت بالظاهر ، فهم بأفواههم يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ويرددون نفس الألفاظ والمصطلحات التي يرددوها

المسلمين خداعاً واستهزاً) ومن الناس من يقول آمنا بالله وبال يوم الآخر ... يخادعون الله والذين آمنوا ...) وهم يجاهرون بذلك ويحرضون على أن يسمعه النبي والذين آمنوا (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ...)

ولا تقتصر ظاهرة النفاق على القول بل تتعداها إلى العمل ، فقد كانوا يصلون وينفقون ويقدمون الأعذار إذا تخلفوا عن الخروج مع النبي ، ويكررون مزاعمهم بالإيمان. سلوك الإنسان يعكس عاجلاً أم آجلاً حقيقة اعتقاده ، لكن النوايا لله ، والنبي يعني بالظاهر والسلوك وبكل البواطن لله ، وهو بطبيعته رؤوف رحيم خلوق ونموذج فرد للإنسان الكامل ، ولكنهم تجاوزوا الحدود فبدأت الآيات القرآنية تنزل وتكشف حقائق هذه الفئة. من ذلك :

(... وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا ...).

(... وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنما معكم إنما نحن مستهزءون ...).

(... ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالي ولا ينفقون إلا وهم كارهون ...).

(... ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فتبطئهم).

(... لو خرجوا فيكم ما زادكم إلا خبala ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ...).

(... ويختلفون بالله إنهم ملوككم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ...).

(... ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني إلا في الفتنة سقطوا ...). (قرآن كريم)

الحكم الإلهي القاطع

بعد أن كشف حقيقتهم ، وعرى بواطفهم ، أصدر حكمه العادل الذي يتلاءم وجريتهم بالكذب على الناس وعلى الله ، وكلّف نبيه أن يبلغهم مضمون هذا القرار الإلهي وحيثياته وأسباب صدوره (قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم).

لماذا؟ لأنهم يخادعون الله والذين آمنوا ، ومزاعمهم بالإيمان غير صحيحة واستهزة ، وبالتالي فإنهم قد كفروا بالله ورسوله بالرغم من كل مزاعمهم. وإذاع

النبي القرار الإلهي وأسبابه وحيثياته ووضع كل الحقائق أمام الجميع. ومع هذا لطبيعته الفذة
٦ كان يستغفر لهم ويسأل الله لهم الهدایة فجاءه الرّد الإلهي واضحاً (استغفروهم أو لا
 تستغفروهم إن تستغفروهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا
 يهدي القوم الفاسقين).

أمثلة على تعارض نظرية عدالة كل الصحابة مع القرآن الكريم

المثال الأول :

قال تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقون ولنكونن من الصالحين
 فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما
 أخلفوا الله ما وعدوه) (سورة التوبة).

إنها قصة ثعلبة ، ذلك الصحابي المعدم الذي سأله الرسول أن يدعوا الله له حتى يرزقه
 المال ، فقال له الرسول (ويحك يا ثعلبة ، قليل تشكره خير من كثير لاتطيقه) فقال ثعلبة :
 والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فيرزقني مالاً لأعطيك كل ذي حق حقه. فقال الرسول :
 اللهم ارزق ثعلبة مالاً) فرزقه الله ونفاه له ، وعندما طلب منه الرسول زكاة أمواله بخل ثعلبة
 معللاً بخله بأن هذه الزكاة جزية وامتنع عن دفعها! ومات النبي ثعلبة على قيد الحياة ،
 فأرسل زكاة أمواله إلى أبي بكر الصديق فرفضها ، وأرسلها إلى عمر فرفضها ، وهلك ثعلبة في
 زمن عثمان ^(١).

المثال الثاني :

قال تعالى : (أَفَمِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمْنَ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوْنَ. أَمَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) راجع على سبيل تفسير فتح القدير للشوكاني علي بن محمد مجلد ٢ ص ١٨٥ وراجع تفسير ابن كثير
 لاسعيل بن كثير الدمشقي مجلد ٢ ص ٣٧٣ . وراجع تفسير الحازن لعلاط الدين علي بن ابراهيم البغدادي مجلد
 ٢ ص ١٢٥ . وراجع تفسير البغوي محمد بن الحسن بن مسعود الفرا مجلد ٢ ص ١٢٥ بجامش تفسير الحازن .
 وراجع تفسير الطبرى لابي جعفر محمد بن جرير الطبرى مجلد ٦ ص ١٣١ .

و عملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلًا بما كانوا يعملون . وأما الذين فسقوا فمأواهم النار
كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أَعْيَدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كَنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ)
(سورة السجدة)

المؤمن هو علي بن أبي طالب ، والفاسق هو الوليد بن عقبة ، وقد تولى الكوفة
لعثمان ، وتولى المدينة لمعاوية ولابنه يزيد (١) .

المثال الثالث : قال تعالى (**وَمَنْ أَظْلَمُ مَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذْبَ وَهُوَ يَدْعُ إِلَى
الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**) (سورة الصافع) .

نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي سرح وهو والي عثمان على مصر ، فهو

(١) راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكتاني الحنفي ج ٤٤٥ ، ٤٥٣ ، ٦١٠ و ٦٢٤ و راجع مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص ٣٢٤ و ٣٧٠ و راجع تفسير الطبرى ج ٢١ ص ١٠٧ و راجع الكشاف للزمخشري ج ٣ ص ٥١٤ و راجع فتح القدير للشوكتانى ج ٤ ص ٢٥٥ و راجع تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٦٢ و راجع أسباب النزول للواحدى ص ٢٠٠ راجع أسباب النزول للسيوطى مطبوع بجامش تفسير الجلالين ص ٥٥٠ و راجع أحكام القرآن لابن عربى ج ٣ ص ١٤٨٩ و راجع شرح النهج لابن أبي الحميد ج ٤ ص ٨٠ وج ٦ ص ٢٩٢ و راجع كفاية الطالب للكنجي الشافعى ص ١٤٠ و راجع الدر المنشور للسيوطى ج ٥ ص ١٧٨ و راجع كفاية العقى للطبرى الشافعى ص ٨٨ و راجع المناقب للخوارزمي الحنفى ص ١٩٧ و راجع نظم درر السمحطين للزرندى الحنفى ص ٩٢ ، و راجع تذكرة الخواص للسبط الجوزي الحنفى ص ٢٠٧ و راجع مطالب المسؤول لابن طلحة الشافعى و راجع بناية المودة للقنديوى الحنفى ص ٢٥٠ و راجع زاد المسير لابن الجوزى الحنبلي ج ٦ ص ٣٤٠ و راجع أنساب الأشراف للبلاذرى ج ٢ ص ١٤٨ ح ١٥٠ ، و راجع تفسير الحازن ج ٣ ص ٤٧٠ وج ٥ ص ١٨٧ و راجع معلم التنزيل للبغوى الشافعى بجامش الحازن ج ٥ ص ١٨٧ و راجع السيرة الخلبية للحلبي الشافعى ج ٢ ص ٨٥ و راجع تخريج الكشاف لابن حجر العسقلانى مطبوع بذيل الكشاف ج ٣ ص ٥١٤ و راجع الانتصاف فى ما تضمنه الكشاف بذيل الكشاف ج ٣ ص ٢٤٤ و راجع إحقاق الحق ج ٣ ص ٢٧٣ و راجع فضائل الخمسة ج ١ ص ٢٦٨ و راجع المراجعات ص ٦٤ حسين الرضاى .

الذى افتري على الله الكذب ، وأباح الرسول دمه ولو تعلق بأسثار الكعبة كما يروى صاحب السيرة الخلبية الشافعى في باب فتح مكة ، وجاء به عثمان يوم الفتح يطلب الأمان له كما يروى صاحب السيرة ، وسكت الرسول على أمل أن يقتل خلال سكوته كما أوضح رسول الله ، ولما لم يقتل أعطاه الأمان ^(١).

تحليل الامثلة الثلاث

١ . حكم الله في الثالث

في المثال الأول : حكم الله بنفاق قلب ثعلبة وأنه من الكاذبين.
وفي المثال الثاني : بين الله أن الوليد بن عقبة فاسق وأنه من أهل النار وأنه لا محيد له عنها ولا مخرج له منها.

وفي المثال الثالث : بين الله أن عبد الله بن أبي سرح افترى على الله الكذب ، وحاول ان يحرف كتاب الله ، وهو من أكثرخلق ظلماً ، وبين أن من الحال أن يهتدي لأن الله لا يهدي القوم الظالمين.

٢ . حكم أهل السنة في الثالث

هؤلاء الثلاثة من الصحابة ، فشروط الصحابة قد توفرت فيهم بالمعنىين اللغوي والاصطلاحي وبما أنهم صحابة فهم عدول لا يجوز عليهم الكذب ومحكوم بنزاهتهم ، وهم من أهل الجنة ولا يدخل أحد منهم النار ، كيف لا وعبد الله بن أبي سرح وهو والي مصر لعثمان وأحد وزرائه ، وكذلك الوليد بن عقبة فهو والي الكوفة والذي صلّى الصبح أربعاءً ولو طلبوا الزيادة لزدادهم! وهو وزير عثمان ووالي معاوية على المدينة. ومن ينتقص من هؤلاء الثلاثة فهو زنديق ، ولا يؤكل ولا يشارب ولا يصلّى عليه إذا مات.

(١) راجع السيرة الخلبية باب فتح مكة.

٣ . الأولى بالتصديق :

أيهما الأولى بالتصديق : كتاب الله وحكمه ، أم التقليد الأعمى؟ ومن هنا فإن نظرية عدالة كل الصحابة منقوضة من حيث الموضع لأنها تتعارض مع النصوص القرآنية القاطعة وهذا التعميم . كل الصحابة عدول . يتعارض مع الأحكام الإلهية ويخالفها ^(١) .

٤ . نظرية عدالة كل الصحابة تتعارض مع السنة النبوية

المثال الأول :

ذو الثدية فقد كان من الصحابة المتنسّكين وكان يعجب الناس تعبده واجتهاده ، وكان رسول الله يقول : (إنه لرجل في وجهه لسعة من الشيطان) وأرسل أبا بكر ، ليقتله فلما رأه يصلّي رجع ، وأرسل عمر فلم يقتله ، ثم أرسل عليه ^٧ فلم يدركه ^(٢) وهو الذي ترأس الخوارج وقتله على ^٧ يوم النهروان ^(٣) .

المثال الثاني :

كانت مجموعة من الصحابة يجتمعون في بيت علي أحدهم يبطون الناس عن رسول الله ^٦ فأمر من أحرق عليهم هذا البيت ^(٤) .

المثال الثالث :

قرمان بن الحرت قاتل مع رسول الله في أحد قتال الأبطال ، فقال أصحاب النبي : ما أجرأنا أحد كما أجرأنا فلان ، فقال النبي (أما إنه من أهل النار) ولما أصابته الجراح وسقط قيل له هنئياً لك بالجنة يا أبا الفيداق . قال جنة من حرمل؟ والله

(١) ارجع للمراجع السابقة.

(٢) راجع الاصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٤٣٩ .

(٣) راجع أراء علماء المسلمين للسيد مرتضى الرضوي.

(٤) راجع سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٣٥ .

ما قاتلنا إلا على الأحساب ^(١).

المثال الرابع :

الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس عم عثمان بن عفان ووالد مروان بن الحكم ،
لعنه رسول الله ^(٢) ولعن ما في صلبه وقال (ويل لأمتى ممّا في صلب هذا). ومن حديث
عائشة أنها قالت لمروان : أشهد أن رسول الله لعن اباك وانت في صلبه ، فنفاه النبي إلى مرج
قرب الطائف وحرّم عليه ان يدخل المدينة ، ولما مات رسول الله راجع عثمان أبا بكر ليدخله
فرفض أبو بكر ، ولما مات أبو بكر راجع عثمان عمر ليدخله المدينة فأبى عمر ، ولما تولى
عثمان الخلافة أدخله معزّزاً مكرّساً وأعطاه مئة ألف درهم ، واتخذ مروان ابنته بطانة له ،
وتسبّب فيما بعد بقتل الخليفة وخراب الخلافة الراشدة. وكان مروان يلقب به خيط باطل ثم
صار خليفة المسلمين. يقول الشاعر :

لي الله قوماً امروا خيط باطل على الناس يعطي من يشاء وينفع ^(٣)

المثال الخامس :

وهم الذين (اخنعوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفرقاً بين المؤمنين) وقالوا : إنهم بنوا هذا
المسجد تقرّباً لله تعالى ، وكانوا إثني عشر رجلاً من الصحابة المنافقين ^(٤).

المثال السادس : لعن الرسول لبعض الصحابة.

قال الحليفي في رواية : صار **٦** يقول (اللهم العن فلاناً وفلاناً ^(٥) وأخرج البخاري قال
: حدثني سلم عن أبيه أنه سمع رسول الله

(١) راجع الاصابة ج ٣ ص ٢٣٥ وراجع آراء علماء المسلمين للسيد مرتضى ص ١٢٧ وما فوق.

(٢) راجع كنز العمال.

(٣) راجع مروج الذهب للمسعودي.

(٤) راجع سيرة ابن هشام.

(٥) السيرة الخلبية ج ٢ ص ٢٣٤ .

٦ إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الأخيرة من الفجر يقول : (اللهم العن فلاناً وفلاناً)
 بعدهما يقول : سمع الله لمن حمده . وقال السيوطي وأخرج أحمد والبخاري والترمذى والنمسائى
 وابن جرير والبيهقى في الدلائل عن ابن عمر قال : قال رسول الله ٦ يوم أحد (اللهم العن
 أبا سفيان ، اللهم العن الحضر بن هشام ، اللهم العن سهيل بن عمرو اللهم العن صفوان
 بن أمية) قال السيوطي وأخرج الترمذى وصححه وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عمر
 قال : كان النبي يدعوا على أربعة نفر وكان يقول في صلاة الفجر : (اللهم العن فلاناً وفلاناً
^(١)) وأخرج نصر بن مزاحم المنقري عن عبد الغفار بن القاسم عن عدي بن ثابت عن البراء
 بن عازب قال : اقبل أبو سفيان ومعه معاوية ، فقال رسول الله (اللهم العن التابع والمتبوع ،
 اللهم عليك بالأقيص) فقال ابن براء لأبيه : مَنْ أَقْيَصَ قَالَ : معاوية ^(٢) وأخرج نصر عن
 علي بن الأقمر في آخر حديثه قال : فنظر رسول الله إلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية
 وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق ، فلما نظر إليهم رسول الله قال (اللهم العن القائد
 والسائق والراكب) قلنا أنت سمعت رسول الله؟ قال : نعم والا فصمت أذناي ^(٣) . وانظر إلى
 رسالة محمد بن أبي بكر الصديق التي وجهها معاوية فقد جاء فيها : وقد رأيتك تسامي
 وأنت أنت وهو هو أصدق الناس نية وأفضل الناس ذرية ، وخير الناس زوجة ، وأفضل الناس
 ابن عم أخيه الشاري بنفسه يوم مؤته وعمة سيد الشهداء يوم أحد ، وأبوه الذائب عن رسول
 الله ٩ ونحن حوزته . وأنت اللعين ابن اللعين لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله الغوائل
 وتحهدان في إطفاء نور الله ، تجتمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتؤلبان عليه
 القبائل ، وعلى ذلك مات أبوك وعليه خلفته ^(٤) ولم ينف معاوية لعنة ولا

(١) الدر المنشور المأثور ج ٦ ص ٧١.

(٢) وقعة صفين ص ٢١٧ تحقيق وشرح الاستاذ عبد السلام محمد هرون.

(٣) وقعة صفين ص ٢٢٠.

(٤) راجع مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ١٤ وقد نقلت هذا المقتطف حرفيًا.

لعن أبيه مع انه قد ردّ ردّاً بليغاً على هذه الرسالة^(١).

دعاة لتحليل هذه الأمثلة

الأمثلة السنتى سقناها عن رسول الله ٩ تنقض نقضاً كاملاً القول (بأن كل الصحابة عدول) فمن يأمر الرسول بقتله ليس من العدول.

ومن يحرق عليهم رسول الله البيت ليسوا من العدول.

ومن يقل عن الجنة : جنة من حرم وقاتل على الأحساب ليس من العدول.

ومن يلعنه الرسول ويعلن ما في صلبه ليس من العدول.

والذين اتخذوا مسجداً ضرراً ليسوا من العدول.

لان القول بعدالتهم يتعارض مع السنة المطهرة. فالسنة المطهرة تنفي هذه العدالة ،

ومقلدوه تقليداً اعمى بعزلة عن التفكير يثبتونها فأيهما أولى بالتصديق ، سنة المصطفى أم

تقليد المقلدين؟

فلا خلاف بعدالة أفضضل الصحابة ، ولكن الخلاف يكمن في التعميم بالقول (بأن

كل الصحابة عدول) والقول بالتفاسير تنقضه السنة المطهرة لأنه يتعارض معها تعارضًا

كاملاً.

٣ . نظرية عدالة كل الصحابة ينقضها واقع الحال.

المثال الأول :

حصل معاوية على البيعة بالقتل والندم والتحريض وشتمه انصار رسول الله ،

واستغل اموال المسلمين التي جمعها خلال عشرين عاماً بولايته على الشام لتوسيع سلطانه

بعد أن أخرج أموال المسلمين عن مصارفها الشرعية. ورتب معاوية عطاء

(١) راجع المرجع السابق ج ٣ ص ١٥ و ١٦ من مروج الذهب للمسعودي.

اسمه : رزق البيعة يعطى للجند عند تعيين خليفة جديد ^(١).
وتؤكد أن المطلب الحقيقي لمعاوية هو الملك عندما كتب وصيته من بعده ليزيد ابنه وأخذ له البيعة بالقوة ^(٢) وأمره على صحابة رسول الله بالرغم من مجنونه وقلة دينه وسوء خلقه.

المثال الثاني :

أوصى معاوية بن أبي سفيان ابنه يزيد (إذا ثار أهل المدينة فأرسل إليهم مسلمة بن عقبة) وكان مع مسلمة قائمة بأسماء الطاهرين من الصحابة ليقتلهم واحداً واحداً .
ويدخل عقبة عاصمة النبي ويفعل الأفاعيل التي تضج منها السماء ، مروان دليل الجيش يؤشر وعقبة وجشه المظفر ينفذ ويعدم بغير رحمة ، وتم تنفيذ أبشع مجزرة وكان من نتيجة هذه الوصية أن :

١ - أبىد من حضر من البدريين بالكامل.

٢ - أبىد من قريش ومن الأنصار سبعمائة رجل.

٣ - أبىد من المولى والعرب عشرة آلاف.

كان ذلك سنة ٦٣ هـ في وقعة الحرة. هنالك قال عبد الله بن عمر (نحن مع من غالب) وتحول قوله إلى قاعدة دستورية ، وكان معتزلاً عندما اشتد الصراع بين علي ومعاوية ^(٣).

المثال الثالث :

أرسل معاوية بسر بن أرطأة في ثلاثة آلاف سنة ٤٠ هـ وقدم المدينة فصعد المنبر وتحدد أهل المدينة بالقتل فأجابوه إلى بيعة معاوية ، ومضى بسر إلى مكة ثم

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ٢٨٣ .

(٢) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ١٨٢ .

(٣) راجع نتائج معركة الحرة في كل كتب التاريخ وتتأكد من صحة هذه النتائج وراجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قبيبة .

سار إلى اليمين ولم يجد واليها عبيد الله بن العباس ووجد طفليه الصغيرين عبد الرحمن وقاسم فقتلهمما بسر وقتل معهما خالاً لهما من ثقيف ، وقتل بالمدينة وبين المسجدتين خلقاً كثيراً ، وكذلك بالجوف قتل بها خلقاً كثيراً من رجال همدان وقتل بصنعاء خلقاً كثيراً من الابناء . ولم يبلغه عن احد انه يماليء علياً أو يهواه إلا قتله ^(١).

وكانت جويرية أم ابني عبيد الله بن العباس الذين قتلهمما بسر تدور حول البيت ناشرة شعرها وترثيهمما بعاطفه تذيب الصلد ^(٢).

المثال الرابع :

ذكر ان امرأة الحسن بن علي ٧ جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي سقته السم ، وكان معاوية دس إليها : إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم وزوجتك من يزيد ، فكان ذلك الذي بعثها على سمه. فلما مات الحسن وفي لها معاوية بالمال وأرسل إليها : إننا نحب حياة يزيد ولو لا ذلك لوفينا لك بتزويجه . وذكر أن الحسن قد قال عند موته (لقد حاقت شريته وبلغ أمنيته والله لا وفي لها بما وعد ، ولا صدق فيما قال). وعن العباس بن عبد المطلب قال : كنت عند رسول الله إذ أقبل علي بن أبي طالب ، فلما رأه أسفرا عن وجهه فقلت يا رسول الله إنك لتسفر في وجه هذا الغلام فقال (يا عم رسول الله والله أشد حباً له متي ، إنه لم يكننبي إلا وذرته الباقية بعده من صلبه ، وإن ذريتي بعدى من صلب هذا ^(٣) . ومن سمعهم معاوية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وذلك عندما شاور أهل الشام فيمين يعقد له من بعده فقالوا : رضينا بعد عبد الرحمن ، فشق ذلك على معاوية فسمه ^(٤) وهذا ما فعله مع عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.

(١) راجع الإمامة والسياسة وراجع مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٢٦ .

(٢) راجع مروج الذهب ص ٢٧ .

(٣) راجع مروج الذهب للمسعودي ص ٤٧٧ ج ٢ .

(٤) راجع ترجمته في الاستيعاب وراجع ص ١٧٥ من كتابشيخ المضيرة.

المثال الخامس : الفرحة الكبرى.

حدث محمد بن جرير الطبرى عن محمد بن حميد الرازى عن علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن الفضل بن عباس بن ربيعة قال : وفد عبد الله بن العباس على معاوية قال : فوالله إني لفي المسجد اذ كبر معاوية في الحضرة ، فكبير أهل الحضرة ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الحضرة ، فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف من خوخة لها فقالت : سرك الله يا أمير المؤمنين ما هذا الذي بلغك فسررت به؟ فقال معاوية : موت الحسن بن علي ، فقالت : إتا الله وإنما إليه راجعون ، ثم بكى وقالت : مات سيد المسلمين وابن بنت رسول الله ^٩ ، فقال معاوية : نعما والله ما فعلت ، انه كان كذلك أهلاً ان تبكي عليه. ثم بلغ الخبر ابن عباس فراح فدخل على معاوية ، قال : علمت يا ابن عباس أن الحسن توفي؟ قال : أذلك كبرت؟ قال : نعم ^(١).

المثال السادس :

تقدّم الجيش بقيادة الصحابي عمرو بن سعد بن أبي وقاص ... وما تكاثرت العساكر على الحسين ^٧ أیقّن أنه لا محيسن له ، فلم يزل يقاتل حتى قُتل. وكان الذي تولى قتله رجل من مذحج وأخذ رأس الحسين وانطلق به إلى ابن زياد وهو يقول :

أوَقْرَرَ رَكَابِيْ فَضَّةً وَذَهَبًا
أَنَا قُتْلَتْ مَلَكَ الْمُجَبَّا
قُتْلَتْ خَيْرُ النَّاسِ أَمَا وَأَبَا
وَخَيْرُهُمْ أَذْيَنْسَبُونَ نَسَبًا
فَسَلَبُوهُ جَبَتِهِ وَحْذَاءَهُ كَمَا يَرَوِي البَلَادِرِيُّ فِي اِنْسَابِ الْاَشْرَافِ ، وَلَمْ يَكْتُفُوا بِذَلِكَ إِنَّمَا
أَمْرُ الصَّحَّابِيِّ عَمَرَوْ بْنَ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ أَنْ يَوْطَئُوهُ خَيْلَهُمْ جَثَّةَ الْحَسَنِ ، فَانْتَدَبَ لِذَلِكَ
إِسْحَاقَ بْنَ هَبَّيْرَةَ الْحَضْرَمِيِّ فِي نَفْرٍ مِنْهُ فَوَطَئُوهُ بِخَيْلِهِمْ ^(٢) وَعَادَ

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .

(٢) راجع مقتل الحسين في انساب الاشراف للبلادرى .

عمرو بن سعد بن أبي وقاص مظفراً ، بعد أن أباد ذرية محمد وما توا وهم عطشى ، وبجانبهم الفرات حلال حتى الكلاب وحرام على ذرية محمد.

المثال السابع والأخير :

قال الحسن ٧ أثناء اجتماعه بمعاوية (... يا أهل الكوفة لو لم تذهب نفسي عنكم إلا لثلاث خصال لذهبتم : مقتلكم أبي ، وسلبكم ثقلني ، وطعنكم في بطني ، وإن قد بايعتم معاوية) ^(١).

وكان ٧ بعد تولي الخليفة قد خرج في جيش قوامه الثاني عشر ألفاً وعسکر في المدائن فقام بعض من معه بمباغته وسلبوه رحله ، وتفرقوا عنه وخذلوه ، بل أن بعضهم أراد أن يوثقه ويسلمه لمعاوية موثقاً ، وبعضهم أراد قتله.

تحليل هذه الأمثلة

التقطيل والتدمير والتحريق ، وإبادة البدريين ، وقتل أحد عشر ألف مسلم بيوم واحد من أهل المدينة المنورة بلا ضرورة ، أمر ينافق العدالة.

وقتل الأطفال وقتل كل من يظن أنه يهوى ولِي الله علي أمر لا يتفق ودعوى العدالة. وسم الحسن ، وقتل الحسين ، والدوس على جثته الطاهرة بسنابك الخيل ، وإبادة آل محمد ومنعهم من أن يشربوا من ماء الفرات ، أمر ينافق الزعم بالعدالة.

هذه الأمور وأمثالها مما لا يخصى تنقض بوقوعها مزاعم كل الذين يقولون إن الصحابة كلهم عدول ، وإنهم كلهم من أهل الجنة ولا يدخل أحد منهم النار ، لأننا لو قلنا بذلك لكان فيه مكافأة للذين انتهكوا محارم الله. ان سَمَّ الحسن وقتل الحسين وإبادة أهل البيت ، وإبادة أفالصل الصحابة لا يمكن ان يكون اجتهاداً إنما هو عدوان. ومن يفعل ذلك لا يمكن أن يكون من العدول بكل المعايير العقلية والدينية ووفق كل الشرائع الوضعية التي عرفها البشر ، يتربع أي قائد أمريكي أو فرنسي أو روسي أو وثني من أن يقوم بقتل طفلين صغيرين في غياب أبيهما كما فعل ابن أرطاة ،

(١) راجع مروج الذهب.

فقتل الطفلين لا يقدم ولا يؤخر في ملك ابنه ، وهذا العمل بكل المقاييس عمل وحشى لا يمكن تبريره ، فهل يعقل أن من يقوم بهذا العمل أو يأمر به من الصحابة العدول؟ وهل يعقل أن يدخله الله الجنة؟ نعم بالتقليد يقبل كل غريب ولكن وفق قواعد الشرع الحنيف فإنه غير مقبول. ومن هنا فإن واقع الحال وما جرى بعد وفاته ^٦ ينقض نقضاً كاملاً نظرية كل الصحابة عدول ، لأن ما جرى ينافيها وما وجدت هذه النظرية أصلاً إلا لغايات سياسية كما سنتبّث ذلك ، ولتعطية الخروج على الشرعية ، ولتبرير توسيد الأمر لغير أهله ، والله غالب على أمره ، ثم تناقل الناس هذه النظرية تقليداً كتناقل الأزياء.

٤ . نظرية عدالة الصحابة تتعارض مع روح الإسلام العامة

ومع حسن الخاتمة ومع الغاية من الحياة نفسها

فallah سبحانه وتعالى ما خلق الموت والحياة ، وما خلق الأرض وما عليها إلا ليتحن خلقه أيّهم أحسن عملاً ، بدليل قوله تعالى :

(إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيّهم أحسن عملاً) (سورة الكهف) (

الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً) (سورة الملك).

فالحياة وجدت لتكون ميدان اختبار للمكلفين ، وكل ما في الحياة عنصر من عناصر عملية الاختبار ، وتبدأ عملية الاختبار بالتكليف المرتبط بالعقل والتمييز وتنتهي بالموت. فإذا كان كل الصحابة عدولًا لا يجوز عليهم الكذب ومحکوم بنزاهتهم ، وأنهم جميعاً من أهل الجنة وأنه لا يدخل أحد منهم النار ، فهم خارجون تماماً عن عملية الابتلاء ولا داعي لامتحانهم ، وهذا ينافي الغاية من حياتهم ، إذ في ذلك إيقاف عملية الابتلاء الإلهية.

ثم إنما تناقض روح الإسلام العامة لأن الإنسان في خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، فقدر المسلم أن يكون ملتزمًا بأوامر الله حتى يتوفاه الله ، وأي خلل بهذا الالتزام يخرج من دائرة الإسلام ويجرّ عليه غضب الله بحجم هذا الخلل ، والعبرة دائمًا بحسن الخاتمة. فلو أن مسلماً التزم بأوامر الله

طوال حياته ، وقبل أن يموت بيوم واحد كفر بالله ، لما أغنى عنه التزامه السابق شيئاً.
والرسول بفضل الله عليه على علم بما سيحدث بعده ، لذلك خاطب جميع المؤمنين
في حجة الوداع قائلاً (لا ترجعوا بعدي كفراً يضرب بعضكم عنق بعض) والخطاب
موجه للصحابة بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي .

وروى البخاري عن ابن عباس عن النبي قال (إنكم تحشرون حفاة عراة ، وإن أناساً
من أصحابي يؤخذ بهم ذات اليمين وذات الشمال فأقول : أصحابي أصحابي فيقول : إنهم لم
يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول كما قال العبد الصالح : و كنت عليهم شهيداً
ما دمت فيهم).

وروى مسلم هذا الحديث بلفظ (ليりدن علی ناس من أصحابي حتى إذا عرفتهم
اختلجوا من دوني فأقول أصحابي فيقول لا تدربي ماذا أحدثوا بعدي؟).

وروى البخاري عن النبي قال (بينما أنا قائم ، فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل
من بيتي وبينهم قال : هلّم ، قلت : أين؟ قال : إلى النار والله ، قلت : وما شأنهم؟ قال :
إنهم ارتدوا بعدي على أدبارهم القهقرى ، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم . أي القليل
(.)

وفي رواية أخرى أن النبي قال : (يرد عليّ يوم القيمة رهط من أصحابي فيملأون عن
الخوض فأقول : يا رب أصحابي ، فيقول : إنك لا علم لك بما أحدثوا ، إنهم ارتدوا على
أدبارهم القهقرى) .

وأخرج عن سهل بن سعد قال : قال النبي (ليوردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ، ثم
يجال بيتي وبينهم) . قال أبو حازم : فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال : هكذا سمعت من
سهل فقلت : نعم ، فقال : أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها (فأقول
إنهم مني ، فيقال : إنك لا تدربي ما أحدثوا بعدي فأقول : سحقاً سحقاً لمن غير بعدي) .
وأخرج من حديث ابن عباس جاء فيه (وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات
الشمال فأقول : أصحابي أصحابي فيقال : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم) .

وأخرج أبو يعقوب في مسند عمر مثل ذلك.

وأخرج البخاري في باب غزوة الحديبية عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال : « لقيت البراء بن عازب فقلت له : طوي لك صحبت النبي ^٩ وبأيّه تتحت الشجرة ، فقال : يا ابن أخي إنك لا تدرِّي ما أحدثناه بعده ». .

وأخرج عن عبد الله عن النبي ^٩ : (أنا فرطكم على الحوض وليرفض رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول : يا رب أصحابي فيقال : إنك لا تدرِّي ما أحدثوا بعده) .

قال البخاري : تابعه عاصم عن أبي وائل وقال حصين عن أبي وائل عن حذيفة عن النبي ^٦ .

وأخرج عن أسماء بنت أبي بكر (إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم ، وسيؤخذ ناس دوني فأقول : يا رب مني ومن أمتي ، فيقال : هل شعرت ما عملوا بعده؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم) .

قال البخاري فكان ابن مليكة يقول : اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا ونفتنه عن ديننا.

هذا بعض ما نقلناه من البخاري ومسلم وفي غيرهما كثير أعرضنا عنه خشية التطويل

(١)

تحليل هذه النماذج من النصوص

ثبت من أحاديث رسول الله التي سقناها أن قسماً من الصحابة سيبدلون من بعده وسيرتدون على أعقابهم وسيؤمر بهم إلى النار. ومن أخرج هذه الأحاديث البخاري ومسلم ، وهما في نظر المقلدين يأتيان بعد القرآن في الصحة والاعتبار ،

(١) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم للسيد مرتضى الرضوي ص ١٠٠ وما فوق وراجع مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٥٠ وج ١ ص ٢٣٥ .

فكيف نوحد بين قولهم بأن الصحابة كلهم عدول وكلهم في الجنة ولا يدخل أحد منهم النار ، وبين هذه النصوص النبوية القاطعة والمتواترة والتي يؤيدتها واقع الحال؟ وطالما أنه لا يمكن التوحيد بين المزاعم والنصوص ، فإن نظرية عدالة كل الصحابة منقوضة من أساسها ، لأنها تتعارض مع الغاية من الحياة وهي الابتلاء ، وتتعارض مع روح الإسلام التي تربط الحياة القوية بالعمل الصالح واستمرار التواصي بالحق والصبر عليه ، وتتوج كل ذلك بحسن الخاتمة.

تَهافت نظرية عدالة كل الصحابة

روى ابن عرفة المعروف بنفطويه ، وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم كما جاء في شرح النهج للمعتزلي : (إن أكثر الأحاديث في فضائل الصحابة قد افتعلت في أيامبني أمية تقرّبًا إليهم بما يظلون أنفسهم يرغمون أنوف بن هاشم . وقد صيغت بأسلوب يجعل من كل صحابي قدوة صالحة لأهل الأرض وتصب على كل من سب أحداً منهم أو اتهمه بسوء ، كما جاء فيما روى عن أنس بن مالك (من سبّ أحداً من أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ومن عاهم أو انتقصهم فلا تؤاكلوه ولا تشاربوا ولا تصلوا عليه) وقد جاءت بهذا الأسلوب ولم تفرق بين صحابي وصحابي).

عرض

ولي الله بالنص ، وأخو رسول الله بالنص ، وعميد آل البيت بالنص ، وباب مدينة العلم اللّدني بالنص ، هو على الأقل صحابي يحمل هذا اللقب كما يحمله غيره ، فما حكم من يسبّه ويفرض سبّ عليّ والانتقاد منه في جميع المقاطعات التي كانت تخضع لحكم معاوية؟ وما حكم الذين أطاعوا معاوية بسبّه؟ هل يشملهم هذا الحديث الآنف؟ وعندما نصح معاوية بعض خلصائه للتوقف عن سبّ عليّ وشيعته قال : والله لا أدع سبه وشتمه حتى يهرم عليه الكبير ويشبّ عليه الصغير . وقد بذل للصحابي أبي سمرة بن جندب خمسمائة ألف درهم ليروي له عن النبي أن الآية (**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعَجِّبُ كَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ويشهد **اللهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَّا يَخْصَمُ إِذَا تَوَلَّ سَعْيَ فِي الْأَرْضِ لِيَفْسُدَ فِيهَا**)

ويهلك الحمر والنسل والله لا يحب الفساد) نزلت في علي بن أبي طالب. وأن الآية (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاه الله) نزلت في عبد الرحمن بن ملجم لأنه قتل علياً ٧. مما لهذه النظرية تفرق بين صحابي وصحابي وتطبق على أناس ولا تطبق على الآخرين؟ ولا عاقل في الدنيا ينفي أن شتم عليٍّ والله قد فرضته الدولة على كل رعاياها ، وأنهم قد شاركوا الدولة هذا الإثم رهبة أو رغبة.

دور الصحابة في السنن والتشريع

في عهد الصحابة والطبة الأولى من التابعين كان دور الصحابة منحصراً على نقل أقوال الرسول وأفعاله ، وكانوا يلاحقون الرواة للتأكد من صدقهم وبعضهم يستحلفه وأكثراهم يتتجنب مرويات البعض لأن البعض كانوا يكذبون على رسول الله ودرة عمر بن الخطاب كانت لهم بالمرصاد.

فبعد أن كانت السنة لا تتعدي أقوال الرسول وأفعاله عند متقدمي الصحابة أصبحت في العصور التي تعددت فيها المذاهب ، وتوزعت في العواصم وبقية الأقطار أصبحت هذه السنة تتسع لرأي الصحابي وفتواه ، فإذا لم يجدوا نصاً على حكم الواقعه في كتاب الله وسنة الرسول أصبحت آراء الصحابة في أحكام الحوادث التي كانت تعرض عليهم المصدر الثالث من مصادر التشريع بعد كتاب الله وسنة رسوله!

ولعل أئمة المذاهب الثلاثة وعلماءهم : الأحناف والمالكية والحنابلة أكثر تعصباً من الشوافعِ كما يبدو ذلك من تصريحاتهم وبما يحيط بهم الفقهية. ومع أن أبا حنيفة كان متھمساً للقياس ويراه من أفضل المصادر بعد كتاب الله فقد كان يقدم رأي الصحابي إذا تعارض في مورد من الموارد. وجاء عنه أنه كان يقول : إذا لم أجده في كتاب الله ولا في سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه ، فإذا اختلفت آراؤهم في حكم الواقعة آخذ بقول من شئت وأدع من شئت ، ولا أخرج من قوله إلّا قول غيرهم من التابعين.

^١ وجاء في أعلام الموقعين لابن القيم ، أن أصول الأحكام عند الإمام أحمد خمسة :

النص. ٢ - فتوى الصحابة. وإن الـ؟أحناف والحنابلة قد ذهبوا إلى

التخصيص الكتاب بعمل الصحابي لأن الصحابي العالم لا يترك العمل بعموم الكتاب إلا لدليل
فيكون عمله على خلاف عموم الكتاب دليلاً على التخصيص وقوله منزلة عمله^(١). وما
أبعد ما بين هؤلاء أهل السنة وبين أهل الشيعة القائلين بعدم جواز الاعتماد على السنة في
مقام التشريع إلا إذا تأيدت بأية من القرآن لأن فيه تبيان لكل شيء ، وقد نزل بلغة العرب
، وبأسلوب يفهمه كل عربي ، وذلك لأن السنة رواها عن الرسول جماعة يجوز عليهم الخطأ
والكذب ، وكانوا لا يقبلون مرويات بعضهم أحياناً ويعمل كل منهم بما يوحيه إليه اجتهاده ،
وقد تراشقوا بأسوأ التهم واستحل بعضهم دم بعض^(٢).

ومهما كان الحال فأقول الصحابة وآراؤهم واجتهاداتهم من أبرز أصول التشريع عند الجمهور بعد كتاب الله ، وفي الوقت ذاته يختصون بها عمومياته ويقيدون بها مطلقاته وكأنها وحي من السماء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ومن المعلوم أن هذا الغلو في تقديس الصحابة لا يختلف عن العصمة في شيء ، ويتسع للمنافقين وللمشركين الذين أرغموا على التظاهر بالإسلام.

وهذا الغلو في تقديس الصحابة قد تحول في الفترة التي ظهرت فيها المذاهب الفقهية
لمحاربة التشيع لأنّة أهل البيت في فقههم وأصولهم وجميع تعاليمهم التي تجسّد الإسلام في
جميع مراحله وفضوله كما ورثوه عن جدهم (علي) الذي وهو مدينة العلم.

وكان الأئمة : يقولون (إذا حديث لا نحدث إلا بما يوافق كتاب الله وكل حديث ينسب إلينا لا يوافق كتاب الله فاطرحوه) كما كان الإمام الصادق يقول (حدثني حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي ، وحديث جدي حديث

(١) راجع أبا حنيفة لابي زهرة ص ٤٣٠ وراجع آراء علماء المسلمين في النقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم ص ٨٧ وما فوق لقد لخصنا ما ذكره في هذا المجال الإيماني لموقفه للصواب.

(٢) راجع المدخل إلى علم اصول الفقه المعروف الدوالبيي ص ٢١٧ وراجع المرجع السابق.

رسول الله ، وحديث رسول الله قوله (١).

(١) لقد اقتطفنا هذا الموضوع من كتاب آراء علماء المسلمين للسيد مرتضى الرضوي ، فارجع اليه ص ٨٧ وما فوق وغايتها وضع الحقيقة الشرعية امام طلامها.

الفصل الرابع

نظيرية عدالة الصحابة عند الشيعة

١ . مولاة الشيعة للصحابة

يقول السيد مرتضى الرضوي : الشيعة يوالون أصحاب محمد (عليه وآلـه الصلة والسلام) الذين ابلوا البلاء الحسن في نصرة الدين وجاهدوا بأنفسهم وأموالهم .
وأحكام الشيعة بسب الصحابة وتکفیرهم أجمع هو اهتمام بالباطل ، ورحم بالغيب وخضوع للعصبية ، وتسليم للنزعة الطائفية ، وجري وراء الأوهام والأباطيل .

٢ . من هم الصحابة عند الشيعة

الصحبة تشمل كل من صحب النبي ﷺ أو رأه أو سمع منه ، فهي تشمل المؤمن والمنافق والعادل والفاسق والبّر والفاجر ... فالصحبة ليست بمجرد ها عاصمة تلبس صاحبها إيراد العدالة ، وإنما تختلف منازلهم وتفاوت درجاتهم بالأعمال. ولنا في كتاب الله وأحاديث رسول الله كفاية عن التحمل في الاستدلال على ما نقول ، والآثار شاهدة على ما نذهب إليه من شمول الصحابة وأن فيهم العدول من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ورسخت أقدامهم في العقيدة ، وجرى الإيمان في عروقهم ، وأخلصوا الله فكانوا بأعلى درجة من الكمال. وقد وصفهم الله عز وجل بقوله تعالى (أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً) يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج

شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيط بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا .

وهم المؤمنون (الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) (سورة الحجرات) . وقد أمر الله باتباعهم والاقداء بهم بقوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (سورة التوبة) .
هؤلاء هم أصحاب محمد العدول عند الشيعة .

الشيعة تناقش أعمال ذوي الشذوذ من الصحابة بحرية فكر وتنز كل واحد منهم بميزان عمله فلا يوادون من حاد الله ورسوله ويتراؤن من اتخذوا ايها نعم جنة فصدوا عن سبيل الله . وهم بهذا الأسلوب لا يخالفون كتاب الله وسنة رسوله وعمل السلف الصالح في تمييز الصحابة .

٣ . نقطة الخلاف الجوهرية

أهل السنة يقولون بعدالة كل الصحابة بالمعنىين اللغوي والاصطلاحي . وأهل الشيعة يقولون بعدالة المتصف بالعدالة من الصحابة فقط .

٤ . دعاء الشيعة لأصحاب محمد

إن الدعاء الذي ترددت الشيعة لأصحاب محمد ^٩ لدليل قاطع على حسن ولاء الشيعة للصحابة وإخلاص المودة لهم . فهم يدعون الله لاتباع الرسل عامة وأصحاب محمد ^٩ خاصة بما ورثوه من أئمتهم الطاهرين .

٥ . أشهر أدعية الشيعة

ومن أشهر أدعية الشيعة للصحابة دعاء زين العابدين ^٧ في صحفته المعروفة بالسجادية .

٦ . النص الحرفي للدعاء الذي تدعو به الشيعة للصحابة

(اللّهم وأتباع الرسل ومصدقوهم من أهل الأرض بالغيب عند معارضه المعاندين لهم بالتكذيب ، والاستباق إلى المرسلين بحقائق الإيمان ، في كل دهر وزمان أرسلت فيه رسولاً ، وأقامت لأهله دليلاً من لدن آدم إلى محمد ٩ من أئمة الهدى وقادة أهل التقى على جميعهم السلام ، فاذكرهم منك بعفراة ورضوان. اللّهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحبة ، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره وكائفوه وأسرعوا إلى وفاته وسابقوا إلى دعوته واستجأبوا له حيث أسمعهم حجة رسالته ، وفارقا الأرواح والأولاد في إظهار كلامه ، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته وانتصروا به ، ومن كانوا منظومين على محبه يرجون تجارة لن تبور في مودته والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته ، وانتفت منهم القرابات إذ سكنا في ظل قرابته ، فلا تننس لهم اللّهم ما تركوا لك وفيك وارضهم من رضوانك وبما حاשوا الخلق عليك ، وكانوا مع رسولك دعاة لك اليك واشكراهم على هجرتهم فيك ديار قومهم وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه ومن كثرت في اعزاز دينك من مظلومهم. اللّهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الدين (يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) خير جزائك الذين قصدتهم سمعتهم وتحروا وجهتهم وموضوا على شاكلتهم لم يشنهم ريب في نصرتهم ولم يختلجم شك في قفو آثارهم ولا ت تمام بهدایة منارهم ، مكاففين ومؤازرين لهم يدينون بذينهم وبهتدون بهداهم ينفقون عليهم ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم ، اللّهم صل على التابعين من يومنا هذا إلى يوم الدين وعلى أزواجهم وعلى ذرياتهم وعلى من أطاعك منهم صلاة تعصّمهم بها من معصيتك وتفسح لهم في رياض جنتك ، وتنعمهم بها من كيد الشيطان ، وتعينهم بها على ما استعنوك عليه من بر وتقيهم طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير أيدي العباد لتردهم إلى الرغبة إليك والرھبة منك وترهدهم في سعة العاجل وتحبب إليهم العمل الآجل والاستعداد لما بعد الموت وتحمّن عليهم كل كرب يحمل بهم يوم خروج الأنفس من أبدانهم ، وتعافيهم مما تقع به الفتنة من محذوراتها وكمبة النار وطول الخلود فيها وتصير لهم إلى

أمن من مقيل المتقين)^(١).

(١) الصحيفة السجادية الإمام علي بن الحسين ٧ ص ٤٣ . ٤٥ .

الفصل الخامس

بذور للتفكير في نظرية عدالة الصحابة

ابن عباس يصف الصحابة معاویة :

سأله معاویة ابن عباس عن عدة أمور ، ثم سأله عن الصحابة فقال ابن عباس : يا معاویة إن الله جل شأنه وتقديست أسماؤه خصّ نبیه محمدًا بصحابة آثروه على الأنفس والأموال ، وبذلوا النفوس دونه في كل حال ، ووصفهم الله في كتابه فقال (رحمة بينهم تراهم ركعاً سجداً يتبعون فضلاً من الله ورضواناً) ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فازره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيط بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيماً (١).

قاموا بمعالم الدين وناصحوا الاجتهاد للمسلمين ، حتى تحدبت طرقه ، وقويت أسبابه ، وظهرت آلاء الله ، واستقر دينه ، ووضحت أعلامه ، وأذلّ بهم الشرك ، وأزال رؤوسه ، وما معالمه ، وصارت كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلة .
فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزكية ، والأرواح الطاهرة العالية فقد كانوا في الحياة أولياء وكانوا بعد الموت أحياء ، وكانوا لعباد الله نصائح رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها ، وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها.

(١) الفتح . ٢٩ .

فقطع عليه معاوية الكلام وقال : يا ابن عباس حدثنا في غير هذا ^(١).

شهادة ووصية الصحابي حذيفة بن اليمان

كان حذيفة علياً بالكوفة سنة ٣٦ هـ فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعليّ فقال : أخرجوني وادعوا الصلاة جامعة. فوضع على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي وآلـه ثم قال : «أيها الناس ان الناس قد بايعوا علياً ، فعليكم بتقوى الله وانصروا علياً وآزروه ، فوالله إنه لعلى الحق آخرًا وأولاً ، وإنـه لخـير من مضـى بعـد نـبـيـكـمـ وـمـنـ بـقـيـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ . ثم أطبق بيـmineـ على يـسـارـهـ ثـمـ قالـ : اللـهـمـ اـشـهـدـ أـنـيـ قدـ بـاـيـعـتـ عـلـيـاـ .

قال لابنيه صفوان وسعد : احملاني وكـونـاـ معـهـ فـسـتـكـونـ لـهـ حـرـوبـ كـثـيرـةـ فـيـهـلـكـ فـيـهـاـ خـلـقـ مـنـ النـاسـ فـاجـتـهـداـ أـنـ تـسـتـشـهـدـاـ مـعـهـ فـإـنـهـ وـالـلـهـ عـلـىـ الـحـقـ وـمـنـ خـالـفـهـ عـلـىـ الـبـاطـلـ ، وـمـاتـ حـذـيفـةـ ٢ـ بـعـدـ هـذـاـ الـيـوـمـ بـسـبـعـةـ أـيـامـ وـقـيـلـ بـأـرـبـعـينـ يـوـمـاـ ، وـنـقـذـ الـوـلـدـانـ الـبـارـانـ وـصـيـةـ اـبـيهـماـ وـاستـشـهـدـاـ يـوـمـ صـفـيـنـ وـهـماـ يـقـاتـلـانـ إـلـىـ جـانـبـ عـلـيـاـ . ^(٢)

الزبير وحسن الخاتمة

خرج علي بنـهـ حـاسـرـاـ عـلـىـ بـغـلـةـ رـسـوـلـ اللـهـ لـاـ سـلاحـ مـعـهـ ، فـنـادـىـ : (يا زـبـيرـ اـخـرـجـ عـلـيـ) فـخـرـجـ إـلـيـهـ الزـبـيرـ شـاكـيـاـ فـيـ سـلاـحـهـ ، فـقـيـلـ ذـلـكـ لـعـائـشـةـ فـقـالـتـ : وـاثـكـلـكـ يـاـ أـسـماءـ ، فـقـيـلـ لـهـ : إـنـ عـلـيـاـ حـاسـرـ فـاطـمـأـنـتـ ، وـاعـتـنـقـ كـلـ وـاحـدـ مـنـهـمـ صـاحـبـهـ فـقـالـ عـلـيـ : وـيـحـلـكـ يـاـ زـبـيرـ مـاـ الـذـيـ اـخـرـجـكـ ، قـالـ : دـمـ عـشـمـانـ ، قـالـ عـلـيـ : قـتـلـ اللـهـ اـولـاـنـاـ بـدـمـ عـشـمـانـ ، اـتـذـكـرـ يـوـمـ لـقـيـتـ رـسـوـلـ اللـهـ ٩ـ فـيـ بـنـيـ بـيـاضـةـ وـهـوـ رـاـكـبـ حـمـارـهـ فـضـحـكـ إـلـيـ رـسـوـلـ اللـهـ وـضـحـكـتـ إـلـيـهـ وـأـنـتـ مـعـهـ ، فـقـلـتـ أـنـتـ : يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ مـاـ يـدـعـ عـلـيـ زـهـوـهـ ، فـقـالـ لـكـ : لـيـسـ بـهـ زـهـوـ ^(٣) اـتـجـبـهـ يـاـ زـبـيرـ ؟ فـقـلـتـ : إـنـيـ

(١) مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٦٥ - ٦٦ و ص ٤٢٥ - ٤٢٦.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٦٥ - ٦٦ و ص ٤٢٥ - ٤٢٦.

وَاللَّهُ لِأَحْبَهْ فَقَالَ لَكَ : إِنَّكَ وَاللَّهُ سَتَقاتِلُهُ وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ ، فَقَالَ الزَّبِيرُ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، وَاللَّهُ لَوْ ذَكَرْتَهَا مَا خَرَجْتَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا زَبِيرُ ارْجِعْ ، فَقَالَ الزَّبِيرُ : كَيْفَ أَرْجِعَ الْآنَ وَقَدْ التَّقْتَ حَلْقَتَا الْبَطَانَ؟ هَذَا وَاللَّهُ الْعَارُ الَّذِي لَا يَقْبِلُ. فَقَالَ عَلِيٌّ (يَا زَبِيرُ ارْجِعْ بِالْعَارِ قَبْلَ أَنْ تَجْمِعَ الْعَارَ وَالنَّارَ) فَرَجَعَ الزَّبِيرُ وَهُوَ يَقُولُ :

الخلاصة أنه انسحب من التجمع الأثم ، ولقيه عمرو بن حرموز فقتله.
نادي علىٰ بأمرٍ لست أجهله عار لعمرك في الدنيا وفي الدين (١)
اخذت عاراً علىٰ نارٍ مؤججة ما إن يقوم لها خلق من الطين

طلحة وحسن الخاتمة

نادى علي طلحة حين رجع الزبير ، وقال له : يا أبا محمد ، ما الذي اخرجك؟ فقال
الطلب بدم عثمان ، قال علي : (قتل الله أولانا بدم عثمان ، يا طلحة أما سمعت رسول
الله يقول : « اللهم وال من والاه وعاد من عاده » ، وأنت أول من بايعني ثم نكثت وقد
قال الله عز وجل (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) فقال طلحة : (أستغفر الله ، ثم
رجعاً).

الخليفة يقتل الخليفة

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٤٠٢ . ٤٠٠

نهاية الصحابي عمار بن ياسر

قال عمار بن ياسر : إني لأرى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون ، والله لو هزمنا حتى يبلغوا بنا سعفatas هجر لكننا على الحق وكأنوا على الباطل . وتقديم عمار فقاتل ثم رجع إلى موضع فاستسقى ، فأتته امرأة من نساءبني شيبان من مصافهم بعسل فيه لبن فدفعته إليه فقال : الله أكبر الله أكبر اليو ألقى الأحبة تحت الأسنة ، صدق الصادق وبذلك أخبرني الناطق وهو اليوم الذي وعدنا فيه . وكان الرسول ﷺ قد أخبره بأن الفتنة الباغية ستقتلها وسيكون آخر طعامه وقال عمار : أيها الناس هل من رائح إلى الجنة تحت العوالي ، والذي نفسي بيده لمقاتلتهم على تأويله كما قاتلناهم على تنزيله ، وتقديم وهو يقول :

نَحْنُ ضَرِبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِنَا فَالْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِنَا
ضَرَبًا يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيَنْهَلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ
أَوْ يَرْجِعُ الْحَقَّ إِلَى سَبِيلِهِ

فقتله أبو العادية وابن جون السكسكي ، واختلفوا في سلبه فاحتكموا إلى الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص .

حججة معاوية

لقد تمرد معاوية على الإمام الشرعي طالباً من الإمام معاقبة قتلة عثمان ، قال له الإمام : ادخل في الطاعة وحاكم القوم إلى أحكام بالعدل . ولكن معاوية أبى أن يدخل في الطاعة واتخذ من قتل عثمان جسراً يعبر منه إلى الملك . ونجح معاوية وتوج ملكاً على المسلمين ودانت له الرقاب رغبة ورهبة .

معاوية يعاقب قتلة عثمان

قدم معاوية إلى المدينة فدخل دار عثمان . فقالت عائشة ابنة عثمان : أبناه ، وبكت ، فقال معاوية : يا ابنة أخي إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهما أماناً ، وأظهروا لهم حلمأ تحته غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، ومع كل إنسان سيفه ، وهو

يرى مكان أنصاره ، وإن نكثنا بهم نكثوا بنا ، ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا ، ولئن تكoni
بنت عم أمير المؤمنين خير من أن تكوني من عرض المسلمين ^(١).

رأي الحسن البصري في معاوية

روى الطبرى أن الحسن كان يقول : أربع خصال كُنَّ في معاوية ، ولو لم يكن فيه
منهُنَّ إلا واحدة لكان موبقة : انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير
مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذووها الفضيلة . واستخلافه ابنه بعده سكيراً خيراً يلبس الحرير
ويضرب الطباشير . وأدعياه زياداً ، وقد قال رسول الله : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وقتلته
حجرأً وأصحابه ، ويل له من حجر وأصحابه ، ويل له من حجر وأصحابه ^(٢).

تتويع مفاسخ معاوية

لم يكتفى هذا الصحابي (العادل) بما فعل ، إنما لعن الإمام عليّ وهو ولي الله
لتقتدي به الأمة وتلعن الإمام كما لعنه ^(٣) .
وأصدر أوامره لرعيته بأن يسبوا علياً بن أبي طالب ٧ ^(٤) .

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ص ٣٠٠ وراجع شيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية ص ١٨٢ .

(٢) راجع كتاب الطبرى من حوادث سنة ٥١ وابن الأثير ص ٢٠٩ . ٢٠٢ وابن عساكر ج ٢ ص ٣٧٩
والشيخ محمود أبو رية ص ١٨٤ . ١٨٥ .

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٤ ص ٣٦٦ وشرح النهج لابن أبي الحميد ج ١ ص ٣٥٦ وج ٣ ص ٣٥٨
وج ٤ ص ٥٦ .

(٤) راجع صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٦٠ وصحيح الترمذى ج ٥ ص ٣٨٠ . ٣٠١ وراجع المستدرك للحاكم ج
٣ ص ١٠٩ وراجع ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعى ج ١ ص ٢٠٦ .
٢٧١ وراجع خصائص أمير المؤمنين للنسائي الشافعى ص ٤٨ وراجع درر السمحان للزرندى الحنفى ص
١٠٧ وراجع كتاب الطالب للكنجي الشافعى ص ٨٤ . ٨٦ وراجع المناقب للخوارزمي الحنفى ص ٥٩ وراجع
أسد الغابة لابن الأثير ج ١ ص ١٣٤ وج ٤ ص ٢٦٠ . ٢٥ وراجع الإصابة لابن حجر العسقلانى ج ٢

عمال معاوية يسبون علياً

وابتغاء لمرضاهة معاوية كان عماله يسبون علياً ٧ (١).

ص ٥٠٩ وراجع الغدير للعلامة الأمياني ج ١ ص ٢٥٧ وج ٣ ص ٣٠٠ وراجع العقد الفريد ج ٤ ص ٢٩ وراجع وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٨٢ و ٩٢ وراجع شرح النهج ج ١ ص ٢٥٦ و ٣٦١ وراجع تذكرة الخواص للسبط الجوزي ص ٦٣ وراجع المراجعات للعاملي وملحقها للسيد حسين راضي.

(١) راجع تاريخ الطبرى ج ٥ ص ١٦٧ - ١٦٨ وراجع الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ٤١٣ وراجع المستدرك للحاكم ج ١ ص ٣٨٥ وج ٢ ص ٣٥٨ وراجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٥٦ و ٣٦١ وراجع تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٩٠ وراجع العقد الفريد ج ٤ ص ٣٦٥ ، وراجع الغدير للأمياني ج ١ ص ٢٦٤ عن إرشاد السارى في شرح البخارى للقسطلاني ج ٤ ص ٣٦٨ وراجع تحفة البارى في شرح البخارى للأنصارى مطبوع بذيل إرشاد السارى وراجع المراجعات للإمام العاملى وملحقها لحسين راضي ص ٢١٨ .

الفصل السادس

طريق الصواب في معرفة العدول من الأصحاب

المدخل الموضوعي

الأكثريّة الساحقة من أصحاب السير والمؤرخين قالوا : إنه قبل أن تبدأ معركة بدر ، وهي أول مواجهة مسلحة بين الإيمان والشرك ، اصطف جيش الشرك بقيادة أبي جهل استعداداً للمعركة ، واصطف جيش الإيمان بقيادة محمد^٩ ، ورفع أبو جهل يديه إلى السماء ودعا الله قائلاً : « اللهم أبعدنا منك ، وأقطعنا للرحم فأحنه من هذه الغداة ... الخ ». وفي الوقت نفسه كان محمد^٦ يرفع يديه إلى السماء داعياً ربّه : « اللهم إنك إن تحلك هذه العصابة فلن تُعبد بعد اليوم في الأرض ، اللهم انحرجي ما وعدتني ... الخ).

تدقيق في الدعاءين :

كلاهما يرفع يديه إلى السماء ...

كلاهما يقول اللهم ...

كلاهما يرفع شعار حق. فأبو جهل يزعم أنه الأقرب إلى الله ، وأنه الأولصل رحماً .. ومحمد يؤكّد أن من اتبّعه هم حماة الحق وهم رمز الصلة المثلثة بين الخالق والمخلوق ، ويصرّح أن بينه وبين الله عهوداً ووعوداً.

تساؤل :

طالما أنهما على حق ، فلماذا يتقايلان؟ وطالما انما معاً على طريق الله ، فلماذا يصل هذا الخلاف إلى درجة التقاتل ، خاصة أن الطريق إلى الله واحدة ، وأن طريق الحق طريق واحدة وهي صراط الله المستقيم.

احتمالات :

وفق معايير البحث الموضوعي المجرد ، أمامنا ثلاثة احتمالات أو تصورات وهي :

- ١ - كلاهما محق ، وهذا غير وارد لأنه لا يوجد للحق إلا طريق يقيني واحد وهو صراط الله المستقيم ، و كنتيجة لوحدة المنطلق يجب أن يتبع أحدهما الآخر.
- ٢ - أحدهما محق والآخر مبطل وهذا وارد.
- ٣ - كلاهما مبطل وهذا غير وارد بالنسبة لنبي يملك البرهان والمعجزة.

سر الحل :

للوقوف على الحقيقة المجردة ، لابد من :

- ١ . معرفة الحق.
- ٢ . معرفة الباطل.
- ٣ . معرفة الحق بوسائل الحق نفسه.
- ٤ . معرفة المبطل بوسائل موازين الحق نفسه.

الطريق إلى ذلك :

- ١ - وجود حق ووجود منظومة حقوقية لهذا الحق ، والحق هو الإسلام (القرآن والسنة بفروعها الثلاثة : القول والفعل والتقرير) والنصوص الواردة بالقرآن والسنة مجتمعة هي المنظومة الحقوقية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها لأنها من صنع الله وبوحيه .

٢ . العقل الذي يقوم بعملية استيعاب المنظومة الحقوقية الإلهية .

٣ . التجدد والموضوعية : بحيث يكون هدف المسلم أن يكون ضمن إطار الشرعية ،

وأن يحقق نفس غاية المقصود الشرعي من النص ومن الروح العامة للمنظومة الحقوقية .

٤ . وجود شخص سواءً أكان نبياً أم إماماً شرعاًً تطرح أمامه ثمرات الاستيعاب العقلي ويكون قوله الفصل عند اختلاف الاجتهادات ، وهو بمثابة منسق الطاقات ومرشد الحريات والوجه الحق للجماعة التي تريد الحق وتسعى إليه . هذا الشخص هو النبي في زمن النبوة ، وهو الوالي والإمام الصالح المعين وفق الشرع بعد انتهاء عصر النبوة . وهذا الشخص هو الميزان الموضوعي بين الحق والباطل . فالذين يوالون محمداً ويطيعون أوامره ويتبعون توجيهاته هم على الحق . والذين لا يوالون محمداً ويوالون غيره هم على الباطل حتى ولو تلوا القرآن الكريم وحفظوه عن ظهر قلب ، ولو صلوا وصاموا وبنوا المساجد هم على الباطل لأن الولاية والولاة هي الميزان الثابت لمعرفة الحق من الباطل في كل زمان .

عوائق على طريق الخل

١ . الهوى ، وهو الرغبة بأن تسير الأمور وتفسر النصوص حسب ما تهوى الأنفس .

٢ . التقليد الأعمى ، بحيث يتبنى الإنسان آراء بينه وبينها مدة طويلة ويرفض إجراء أي تعديل أو تبديل عليها .

٣ . الاستبداد بالرأي ، بحيث يعتقد كل مقلد أن رأيه هو الحق المبين ، وأن من يخالفه

الرأي هو من أنصار الشيطان ، فيضيق به ويقاومه ويعتبره العدو اللدود .

٤ . إلغاء الولاية الشرعية أو استبدالها بولاية ليست شرعية ، وذلك بأن يوالي المسلم

غير الولاية التي أراد الله فيوالي الغالب أو غيره .

القول الفصل في عدالة الصحابة

استذكار وتلخيص لوجهتي نظر السنة والشيعة

رأينا أن الصحابة لغة واصطلاحاً تعني كل الذين لقوا النبي وأمنوا به أو تظاهروا بهذا الإيمان وما توا وهم على هذا الإيمان أو التظاهر به ، وأن أهل السنة قد أجمعوا على أن كل هؤلاء عدول بلا استثناء ، ورأينا أن نظرية عدالة كل الصحابة تتعارض مع النصوص الواردة في السنة المطهرة القولية والفعالية والتقريرية ، وتتعارض مع النصوص الشرعية القاطعة الواردة في القرآن الكريم ، بل وتتعارض مع الغاية من الحياة ، ومع منطق الأشياء والروح العامة للإسلام. وقد أثبتنا هذا التعارض ، وحرصنا على سوق الأمثلة والتبسيط ، وتبين لنا أن الصحابة شرعاً وبالضرورة قسمان :

١ . الصادقون : وهم عدول بإجماع كل المسلمين من شيعة وسنة ، ولا خلاف بينهما في هذا الناحية.

٢ . غيرهم : وهم موضع الخلاف. في بينما يرى أهل السنة ان كل الصحابة بلا استثناء عدول لا فرق بين أول من أسلم وبين صبي رأى النبي أو رأاه النبي من حيث وصف العدالة ، فالكل عدول ولا يجوز التعرض لهم لا من قريب ولا من بعيد بأي دراسة تؤدي إلى نقدتهم أو إلى الانتقاد من أي واحد منهم ، ومن يفعل ذلك فهو زنديق أثيم لا تجوز مؤاكلته أو مشارطيه ولا الصلاة عليه. بينما يرى أهل الشيعة أن العدل من عدهم الله وعدله رسول الله. والحقيقة الشرعية المجردة هي ضالة المؤمن. وقد بين الشرع الحنيف وسائل استكشاف هذه الحقيقة ورشد حركة المسلم في هذا الاستكشاف وأعطاه الملوك العقلية التي تساعده على ذلك وتحقق غايته إن تحرد من الهوى ، فإذا كان سيد الخلق محمد بشراً يصيب ويخطئ . كما يقولون . مما الذي يمنع طفلاً رأى النبي أو رأاه النبي من أن يخطيء أو أن يكذب؟ وain هو الحكم الشرعي الذي يحجر على العقل البشري ويعنده من أن يتحرر الحقيقة عند هذا أو ذاك. فهناك من قتل الصحابة ، وهناك من سرق ، وهناك من كذب ، وهناك من زنى ، وهنا لك من أحيل للقضاء بعد انتقال

الرسول إلى الرفيق الأعلى . فكيف نتحرى الحقائق؟ وكيف يقام العدل؟ وكيف تستفيد الأمة من تجارب الماضي فتتجنب الخطأ وتنهج منهج الصواب؟ ومن هنا فإن الشيعة ترى وتومن بعدلة الصادقين من الصحابة وتدعوا لهم في كل صلاة ، اما غيرهم من الصحابة ، فالذى يعدله هو دينه وعمله بالموازين الشرعية . وهم يرون أن عدالة كل الصحابة بالمعنى الذي يطرحه أهل السنة هي نظرية سياسية تماماً نشأت في رعاية حكم الطلقاء ، أو تحت إشرافهم تكونت كل مقوماتها . وبوسائل إعلام دولة الطلقاء رسخت قواعد هذه النظرية ثم تلقفتها الأجيال اللاحقة تقليداً وبذوات مختلفة وبنوايا مختلفة.

وتقول الشيعة : أما العقوبة التي خصصها بعض الفقهاء تأييداً لنظرية عدالة كل الصحابة فهي عقوبة بغير نص ولا يملك أحد أن يعاقب مسلماً بغير نص شرعى . وأن العقوبة هي ظلم وهي باطلة بكل الموازين الشرعية وتؤدي بالنتيجة إلى تكريس حالة انقسام الأمة ومنعها من الاستفادة من دروس الماضي وعبره ، والتفكير في مآلات الاشياء وكيف آلت إلى ما آلت إليه ، وبالتالي إيجاد العوائق بطرق استشراق المستقبل وتوحيد الأمة على نور وعلى بصيرة .

خلط الأوراق

لو كان الصحابة كلهم عدواً لما حدثت الفتنة ، ولو كان الصحابة كلهم عدواً لما تفرّقت الأمة ، ولو كان الصحابة كلهم عدواً لما قتل الصحابي صحابياً مثله ، لأن العادل لا يقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولو كان الصحابة كلهم عدواً لما وسد الأمر لغير أهله ولما أصبحت الخلافة ملكاً وغنيمة يأخذها الغالب .

والقول بعدالة كل الصحابة خلط للأوراق ، وتعمية للناس وحجر على عقولهم ، لأن من يقتلون لا يمكن ان يكونوا جميعاً على الحق ، لأن الحق ضد القتل وضد الفتنة وينبع الفرقه وينبع من توسيد الأمر لغير أهله .

فتأتي الآن وبعد مضي ألف سنة لنقل تلك أمة قد خلت ولنبدأ من جديد دون أن نعرف من هو الحق ومن هو الذي اتبع الحق حتى نقتفي أثره . ومن هو المبطل ومن الذي اتبع هواه حتى نتجنب مسالكه ، ومعنى ذلك أننا نحمل الاستفادة من تجربة

دامت ألف عام ونيف ، ونبدأ بالحياة من الصفر كأننا بلا تقارب. هذا هو الخلط ، وقد كان بهذا الخلط مصلحة لهذا الحكم أو ذاك أو التستر على هذا الشخص أو ذاك. فما هي مصلحتنا الآن بهذا الخلط وهذا التستر؟ وما هي مصلحتنا بالغاء تجربة ألف وثلاثمائة وتسعين عاماً ، خاصة وأن هذا الخلط وهذا التستر وهذا الإلغاء يتم على حساب الدين الحنيف وينفذ تحت شعار مصلحة الإسلام.

واقعة للاستكشاف الشرعي

قامت جموع غاضبة فقتلت بعد تردد طويل الخليفة الثالث عثمان بن عفان بزعم أنه قد انحرف عن سيرة صاحبيه الصديق والفاروق ، فباع أهل المدينة علياً^٧ وتبعهم أهل الأمصار باستثناء أهل الشام وواليهم معاوية بن أبي سفيان الذي لم يباع لأنه حسب قوله يريد معاقبة قتلة عثمان. فقال له الخليفة : ادخل في الطاعة وسأقضى بالحق للجميع ، فرفض معاوية وتحصن في ولايته ، وأخذ يكيد للإمام ويعلن خروجه عليه ويزعزع قواحد استقرار الدولة وبهيء الأمة للانقسام ، مستغلًا أموال ولايته وصارفاً لها بغير الوجوه الشرعية المخصصة لها ، وما زال يكيد حتى انقسمت الأمة حقيقة وسالت الدماء ، ثم قتل الإمام ، واغتصب معاوية أمر الأمة بالقوة وتأمر عليها وفيها السابقون من الصحابة الذين قاتلوا وقاتلوا أباه على الإسلام ، ونسى معاقبة قتلة عثمان أو تناساهم ، وأوصى أن يكون الملك من بعده لابنه يزيد ، وهو سكير خمير صاحب قردة وطنابير على حد تعبير الحسن البصري ، ومن ذلك التاريخ صارت رئاسة الدولة غنية يختص بها من غالب. وبما أن القديم على قدمه ، فقد فقد صارت الغلبة وسيلة شرعية (نحن مع من غالب).

عدالة كل الصحابة

الذين وقعوا مع علي ، والذين وقفوا مع معاوية كلهم صحابة وكلهم عدول ولا يدخل أحد منهم النار ، وكلهم في الجنة وكلهم مجتهد وكلهم لم يخطيء ، ومن عاهم أو عاب أيًّا منهم فهو زنديق لا يؤكل ولا يشارب ولا يصلحى عليه حسب إجماع أهل السنة. امدحهم جميعاً كما يحل لك فهم أهل لهذا المدح ولكن إن قلت إن واحداً منهم أخطأ فأنت زنديق ... الخ. هذا التفكير الأعمى أصبح سنة حقيقة ،

وصورت هذه السنة كأنها إرادة الله وإرادة رسوله.

التكيفات المنطقية

وفق معايير العلمي للبحث فان أمامنا ثلاثة تصورات أو احتمالات :

- ١ . كلهم محق (علي ٧ ومن معه ، ومعاوية ومن معه) وهذا غير وارد لأنه يوجد للحق طريق يقيني واحد.
- ٢ . كلهم مبطل (علي ٧ ومن معه ومعاوية ومن معه) وهذا غير وارد لأن علياً ولـ الله بالنص ، وأنه مع الحق والحق معه ، يدور حيث دار بالنص الشرعي أيضاً كما سنين فيما بعد.
- ٣ . أحدهما محق والأخر مبطل .

تساؤل :

لو كانوا جميعاً على الحق لما قاتلوا ، ولما اختلفوا ، وإن اختلفوا فإن الاختلاف لن يصل إلى درجة التقاتل ، إنما سيحل بالوسائل الشرعية سلմياً . وبالتالي فلن يقتل مئات الآلاف الذين قتلوا .

استخلاص :

إذن بالضرورة أحدهما محق والأخر مبطل ، أحدهما على الحق والأخر على الباطل والقول بأنهم جميعاً عدول ، ولا يجوز عليهم الخطأ طيبة تصل إلى درجة السذاجة والغفلة ، لأن القتل لا يتم إلا باليقين الشرعي ، والقتل العمد جريمة ، وتفريق الأمة جريمة والخروج على الشرعية جريمة ... ومن يمارس القتل بالظنون أو استناداً إلى مصلحة أو هوى لا يمكن ان يكون عادلاً ، وبالتالي يجوز عليه الكذب والخطأ والمعصية . والإطار العام للصحبة لا يمنعه من ذلك ، لأن الصحابة ليست نبوة .

كيف نعرف العدول من الصحاة من غير العدول في هذه الواقعة كمثال للتبسيط؟

- ١ . وجود حق ووجود منظومة حقوقية لهذا الحق تعطي مساحة الأفعال والنوايا . والحق موجود والمنظومة الحقوقية موجودة وهي الإسلام (القرآن والسنة بفروعها الثلاثة : القول والفعل والتقرير) وهي مجتمعة تشكل المنظومة الحقوقية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، إنما دين الله التي ارتضاها لعباده وهي من صنعه ووحيه .
- ٢ . وجود إمام شرعي يسمع كل الآراء ويكون قوله الفصل عند اختلاف الاجتهادات ، وهو مرشد الحريات ومنسق الطاقات ووجه الجماعة إلى الحق ، وهو الولي . وكان النبي هو الولي وعَيْنَ عَلَيْهِ وَلَيْتَاً فَقَالَ : (إِنَّهُ وَلِيَكُمْ بَعْدِي ، إِنَّهُ وَلِيَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ بَعْدِي ، مَنْ كَنْتَ مُوَلَّاً فَهُنَّ عَلَيْكَ مُوَلَّاً ، اللَّهُمَّ وَاللَّهُمَّ وَاللَّهُمَّ وَعَادِ مِنْ عَادَهُ) تلك حقيقة لا يوجد في الدنيا كلها من يجرؤ على إنكارها ، حتى معاوية نفسه . وسأقوم بتوثيق هذه الحقيقة فيما بعد .
- ٣ . بحث الواقع بموضوعية وتجدد بحيث يكون هدف المسلم هو عين هدف الله تعالى .
- ٤ . العقل الذي يقوم بعملية استيعاب المنظومة الحقوقية وتكييفها على الواقع ، وعرض ثمرة هذه العملية على الولي .

الموالاة كمفتاح للعدالة

عليّ بن أبي طالب ٧ ، هو أول من أسلم بأرجح الأقوال ، وهو ولی الله وأخو رسوله ووالد سبطيه ، وزوج البتول وقائد العمليات العسكرية ضد الشرك ، وهو فارس الإسلام بغير منازع وقاتل أعدائه ، وهو الصديق الأكبر والفاروق الأعظم بالنص الشرعي ، كما سأثبت ذلك ، وهو ابن أبي طالب حامي النبي قبل

المهجرة وعميد البيت الهاشمي الذي حاصرته كل قبائل العرب مجتمعة ثلاثة سنين في شباب أبي طالب لغاية واحدة ، وهي أن يسلم الهاشميون النبي أو يخلوا بينه وبين قريش . أما معاوية ، فهو الطليق ابن الطليق ، ابن أبي سفيان ، قاد الأحزاب وحارب النبي في كل الواقع ، وحاول أن يقتل النبي ، وقد ضده موجة العداء وجيش الجيوش لحربته ، وهو ابن هند التي رتبت عملية الغدر بمحنة ، ولم تكتف بقتله إنما شقت بطنه وشوهت بجثمانه الطاهر ، وقاتل هو وأبوه الإسلام بكل فنون القتال حتى دخل النبي مكة فاتحاً وأحيط به وبأبيه ولم يجدا مفرّاً من إعلان إسلامهما ، وهو من المؤلفة قلوبهم ، كان يعطي من الصدقات .

الصحابة العدول

كل الذين وقفوا مع علي ووالوه هم صحابة عدول ، وهم بفضل الله ومنته الأكثرية الساحقة من صحابة النبي ، ومن عارضه منهم كالزبير وطلحة ندماً ولم يموتا حتى دخلا في طاعته بالرضى . ويكتفي الإسلام شرفاً أنه لم يقف مع معاوية من الأنصار إلا اثنان لا ثالث لهما ، ولو كان أبو بكر حياً لوقف معه ، ولو كان عمر حياً لوقف معه وهو القائل : إنه مولاي ومولاك ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، اللهم ارض عنهم واجزهم عنا وعن الإسلام ما هم أهله .

أما الذين وقفوا مع معاوية ووالده ، فهم موضوع البحث وبالوسائل الشرعية وهم أقلة الصحابة بالمعنىين اللغوي والاصطلاحي ، ومن أجلهم اخترعت نظرية (كل الصحابة عدول) لتبرير الواقع وإضفاء الشرعية عليه ، كما سنبين .

نماذج من غفلة أهل الشام والعراق

قال المسعودي : وذكر بعض الإخباريين أنه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم : ابن من أبو تراب هذا الذي يلعن الإمام على المنبر؟ فقال : أراه لصاً من لصوص الفتن .

وحكى الجاحظ قال : سمعت رجلاً من العامة وهو حاج ، وقد ذكر له البيت

يقول : إذا أتيته من يكلمني؟ وأنه أخبر صديقاً له انه قال له رجل منهم وقد سمعه يصلبي على محمد ٦ ما تقول في محمد؟ أرينا هو؟

وذكر ثامة بن أشرس قال : كنت مازأً في السوق ببغداد ، فإذا أنا برجل عليه الناس مجتمعون ، فنزلت عن بغلتي وقلت : لشيء ما هذا الاجتماع ، ودخلت بين الناس فإذا برجل يصف كحلاً معه أنه ينجح من كل داء يصيب العين ، فنظرت فإذا عينه الواحدة برشاء والأخرى مأسوكة ، فقلت له : يا هذا لو كان كحلك كما تقول نفع عينيك. فقال لي : يا جاهل أنها هنا اشتكت عيناي؟ إنما اشتكت بمصر فقال كلهم : صدق وذكر انه ما انفلت من عالم إلا بعد كد.

وأخبرني رجل من إخواننا من أهل العلم قال : كنّا نقعد نتناظر في أبي بكر وعمر وعلى معاوية ، ونذكر ما يذكره أهل العلم ، وكان قوم من العامة يأتون فيستمعون منا فقال لي ذات يوم أحدهم وكان من أعقالهم وأكابرهم لحية : كم تطبوون في علي ومعاوية وفلان وفلان؟ قلت : ما تقول انت في ذلك؟ قال : من تريد؟ قلت : علياً ما تقول فيه؟ قال : أليس هو أبو فاطمة؟ قلت : ومن كانت فاطمة؟ قال : امرأة النبي ٧ بنت عائشة أخت معاوية. قلت : فما كانت قصة علي؟ قال قتل في غزوة حنين مع النبي ^(١).

هؤلاء الذين أطاعوا معاوية

وقد بلغ من أمرهم في طاعته أنه صلى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء وأغاروه رؤوسهم عند القتال وحموه بها ورکنوا إلى قول عمرو بن العاص أن علياً هو الذي قتل عمّار بن ياسر حين أخرجه لنصرته ، ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا لعن علي ستة ينشأ عليها الصغير وبهلك عليها الكبير ^(٢).

هل هذا هو أسلوب الصحابة العدول ببيان الحقيقة؟ فالذي قتل عمّار بن ياسر هو علي بن أبي طالب!! وهذا هو أسلوب العدول بتفقيه الناس بأمور دينهم وتعريفهم

(١) لقد نقلت هذه الروايات حرفيًا عن مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٤١ - ٣٩ .

(٢) نقلت هذا المقطع حرفيًا عن مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٣٩ .

على صحابة محمد الأجلاء الذي قام الإسلام على أكتافهم !!

الباب الثاني
الجذور التاريخية لنظرية عدالة كل الصحابة

الفصل الأول

الجذور التاريخية لنظرية عدالة كل الصحابة

الجذر القبلي ، عدم جواز الجمع بين النبوة والخلافة

أ . بطون قريش

ت تكون قريش من خمسة وعشرين بطناً^(١) وأشرف هذه البطون على الإطلاق وأفضلها بالنص الشرعي بنو هاشم بن عبد مناف^(٢) ويليهم بالشرف بنو عبد المطلب بن عبد مناف ، و ... بنو الحارث بن عبد مناف و ... بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وبنو نوفل بن عبد مناف ، وبنو هاشم هم سادة قريش ، فقد سادوا بعد أبيهم ويقال لهم : المجبرون ، وهم أول من أخذ العصم لقريش ، فانتشروا من الحرم. فقد أخذ لهم هاشم حبلاً من ملوك الشام ، وأخذ عبد شمس حبلاً من النجاشي ، وأخذ نوفل حبلاً من الأكاسرة ، وأخذ عبد المطلب حبلاً من حمير ، فاختلت قريش بهذه الأسباب إلى بلاد العالم ، وكان يقال لهم : أقداح النصارى لفخرهم وسيادتهم على العرب^(٣).

ب . الصيغة السياسية

توصلت بطون قريش إلى صيغة سياسية قائمة على اقتسام مناصب الشرف فيما بينها . المناصب السياسية . من قيادة ولواء وندوة وسقاية ورفادة وسفارة ... الخ ،

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٢٩١.

(٢) راجع السيرة الحلبية ج ١ ص ٣ . ٤ لعلي برهان الدين الحلبي وراجع الجامع للأصول في أحاديث الرسول لعلي ناصيف مجلد ٣ ص ٤١٩ وما فوق وراجع الخطبة ١٨٥ ص ١٥٦ ج ٢ من شرح النهج لإبن أبي الحديد.

(٣) راجع الطبقات ج ١ ص ٧٥ وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ٩٣ .

والأسماء السياسية المحددة في هذه الصيغة أقصى ما استطاعت البطون أن تنتزعه ، ولاحق هذه البطون أنها أفضل صيغة سياسية على الإطلاق ، إذ ليس فيها غالب ولا مغلوب. فالملاصب السياسية قدر مشترك بين البطون ولا مصلحة لأي بطن بتغيير هذه الصيغة ، لأنه لو حاول التغيير فلا يعرف على وجه الجزم واليقين عواقب محاولته. فقد يفقد ما حققه ، ثم إن الأمور قد استقامت ونظمت أمور ولاية البيت الحرام ، فارتاحت كل البطون لهذه الصيغة ، ومع الأيام أصبحت عنوان عقيدة سياسية وأثراً مأثراً مما تركه الأولون ، ومن غير الجائز الخروج عليه من قبل أي كان.

ج . محاولات لزعزعة الصيغة

في السنين العجاف لم يكن ملكرة غير هاشم ، يطعم الناس ويشعدهم ، وقيل له : أبو البطحاء وسيد البطحاء ، ولم تزل مائته منصوبة في السراء والضراء ، وكان يحمل ابن السبيل وبئمن الخائف ^(١) فخشى أمية بن عبد شمس منه وحسده ، فتكلف أن يصنع ما يصنع هاشم ، فعجز عن ذلك ، فغيرته قريش فدعا هاشماً للمنافرة فأبى ، ثم تنافرا على خمسين ناقة وعلى الجلاء عن مكة عشر سنين ، فقضى الحكم بأن هاشماً أشرف من أمية ، فنحرت النوق وجلا أمية إلى الشام ، فكانت هذه بذرة العداء الأولى بين البيتين الهاشمي والأموي. ولعل الذي دفع أمية هو الحسد لهاشم والخشية من أن يشكل هاشم خطراً على هذه الصيغة ، لأن القيادة بيدبني عبد شمس ، وبروز نجم مثل هاشم قد يزعزع الصيغة كلها ويستخف الناس ^(٢).

د . إشاعة النبوة

أشيع في مكة أنّ نبياً سيبعث ، وأنه سيكون من سلالة عبد مناف ، ومن استقرت في أذهانهم هذه الإشاعة أبو سفيان ، فقد كان على علاقة وطيدة بأمية بن أبي الصلت. وأبو سفيان موقن أن هذا النبي سينسف الصيغة السياسية ، وسيأخذ منه

(١) راجع تاريخ الطبرى ج ٢ ص ١٨٠ والسيرة الخلبية ج ١ ص ٥ والطبقات لابن سعد ج ١ ص ٧٦.

(٢) راجع السيرة الخلبية ج ١ ص ١٥ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ١٧٢ - ١٧٠.

القيادة. وطالما أن القيادة لبني أمية فإن هذه النبوة من أكبر الأخطار ولكنه اطمأن بعد عذاب ومعاناة ، فالشائعة تقول (إن النبي من بنى عبد مناف) ولا يوجد . حسب رأيه . من هو جدير بالنبوة سواه ^(١) فمن المؤكد أنه سيكون النبي المرتقب.

هـ . إعلان النبوة

اعلن محمد الهاشمي أنه النبي المرتقب الذي اختاره الله لهداية العرب خاصة والجنس البشري عامة ، وأن برهانه على هذه النبوة هو كلام الله . واتبعه نفر قليل من عرفوا بالحصافة وبعد النظر ، ومن أولئك الذين مستهم البشرية مسأً أليماً.

و . احتضان الهاشميين للنبي

احتضن الهاشميون محمداً بكل قوة ، وهددت زعامة قريش بقتل محمد ، وأشيع أنه قتل ، فجمع أبو طالب بنى هاشم وأعطى كل واحد منهم حديدة صارمة وسار مع الهاشميين والمطليبيين ونادى : يا معاشر قريش هل تدرؤون ما همت به؟ قالوا : لا ، فأخبر الخبر وقال للفتيان : أكشفوا عما في أيديكم فكشفوا ، فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة . فقال أبو طالب : والله لو قتلتموه ما ابقيت منكم أحداً حتى نتفاني واياكم ، فانكسر القوم وكان أشدتهم انكساراً أبو جهل ^(٢).

ز . حفاظاً على الصيغة السياسية وحسداً لا حباً بالأصنام

قاومت بطون قريش بقيادة أبي سفيان محمدًا وبكل أساليب المقاومة ، ولم يشن ، وأمام إصرار ورفض بنى هاشم لفكرة تسليمها اتفقت بطون قريش بدون استثناء على ما يلي :

١ - مقاطعة بنى هاشم مقاطعة تامة ، فقاطعتهم قريش كلها بما فيهم بنى عدي وبنى تيم وحصروهم في شعاب أبي طالب ثلاث سنين واضطروهم أن يأكلوا ورق الشجر من الجوع ، واضطرب أطفالهم أن يمتصوا الرمان من العطش. تلك حقيقة

(١) السيرة الخلبية ج ١ ص ٨٠ .

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ج ١ ص ٢٠٣ - ٢٠٢ .

كالشمس لا يجادل بها أحد. ولم يركع الهاشميون ، وأبطل الله كيد بطون قريش وزعامتها ، وفشل الحصار بعد مقاطعة استمرت ثلاثة سنين.

٢ . عندما سمعت قريش أن محمدًا سيهاجر إلى يثرب بعد أن تمكّن من إيجاد قاعدة له قررت بطون مكة بالإجماع أن تقتل محمدًا ، فاختاروا من كل قبيلة رجلاً حتى يضره هؤلاء الرجال ضربة واحدة في熹ع دمه بين القبائل ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه ، لأنه إن ذهب إلى يثرب نجح وسلبهم القيادة والشرف.

وفي اللحظة التي أجمعوا بها أمرهم دخلوا فوجدوا علي بن أبي طالب نائماً في فراشه. وجن جنون القيادة المكية وخصصت الجوائز لم يقبض عليه حياً أو ميتاً.

وفي الطرف الآخر كان محمد وصاحبه ودليهما المشرك يشقون طريقهم سالمين بإذن الله. وتلك حقيقة ساطعة كالشمس لا تحتاج إلى دليل ^(١).

ح . حروب من أجل الصيغة السياسية وحسداً لا حباً بالأصنام

لم تيأس بطون قريش وقيادتها الأموية من هزيمة محمد وبني هاشم ودينهم ، ولم يتأس محمد والهاشميون وأصحابه من هزيمة الشرك وقيادته. وانقسم العرب أثلاثاً ، قسم مع قريش وقيادتها المشاركة ، وقسم قليل مع محمد ، والقسم الثالث تربص ليتبع الغالب. واشتغلت الحروب في بدر وأحد ، وجيشت زعامة قريش بالتحالف مع اليهود جيش الأحزاب ، وزحفت إلى المدينة المنورة عاصمة النبي ، وفشلت الأحزاب ، ثم فوجئت قريش وقيادة الشرك بجند الله يدخل مكة عاصمة الشرك ، وركعت زعامة مكة واضطربت للدخول في الإسلام. وبركتها رفع كل العرب ودانت الجزيرة لدولة النبي وأخذ العرب يدخلون في دين الله أفواجاً.

ط . النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه

رفضت بطون قريش بزعامتها الأموية الدين الحمدي ونبيه محمد الهاشمي

(١) راجع على سبيل المثال السيرة الحلبية ج ١ ص ٨٠ وج ١ ص ٣٣٢ .

بكل أصناف الرفض وألوانه ، وقاومت بكل فنون المقاومة ، لا وفاء للأصنام ، ولكنها تكره أن يأتي الدين عن طريق هاشمي ، وتكره أن تكون للهاشميين القيادة ، وأن تهتز الصيغة السياسية ، وأخيراً فوجيء أبو سفيان بجند الله قرب مكة ، ويوقفه العباس فيري جند الله ، فيدخل الرعب في قلبه ويتنزع منه قتيل المقاومة ويفصح قائد الحزب عن حقيقة تصوراته لدعوة محمد فيقول : ما رأيت ملكاً مثل هذا ، لا ملك كسرى ولا ملك قيصر ولا ملك بني الأصفر^(١) ويجره العباس إلى محمد ٦ فيقول له (ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟) فيقول أبو سفيان : لقد ظنت أنك لو كان مع الله إله غيره لما أغمى عني شيئاً . قال النبي ٦ (يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم إني رسول الله؟) قال أبو سفيان : أما والله فإن في النفس حتى الآن منها شيء . صاح العباس : ويحك يا أبا سفيان أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك ، هنا فقط بعد ذكر ضرب العنق وبعد الإحاطة وضعف الحيلة أسلم لينجو بنفسه . ودهش أبو سفيان وهو ينظر للنبي فقال في نفسه : ليت شعري بأي شيء غلبني؟ فأوحى الله إلى نبيه بما في صدر أبي سفيان ، فقال له الرسول : غلبتك بالله^(٢) .

وادركت بطون قريش أن النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه ولا محيد عنه ، ولا علاقة لها باختيارها ، ولو كان لها أي دور بهذا الاختيار لما قبلت أبداً أن يكون النبي من بني هاشم ، والنبوة ظاهرة لن تتكرر ، وأنه لن يلحق أي بطن من بطون قريش ببني هاشم ، فقد سبقوا تماماً ، وأدركت بطون قريش أن صيغتها السياسية قد اهتزت ونسفت تماماً وأضمرت العمل على وقف ما تعتبره زحفاً هاشمياً للجمع بين النبوة والملك وحيازة الشرف كله .

أكثر البطون اندفاعاً لوقف ما يسمى بالزحف الهاشمي

كل بطون قريش مجمعة على أن النبوة الهاشمية قد هرت هزاً عنيفاً الصيغة السياسية التي كانت قائمة على اقتسام مناصب الشرف بين القبائل المكية . وكل

(١) السيرة الخلبية ج ٣ ص ٧٩ وما فوق وراجعنا كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

(٢) السيرة الخلبية ج ٣ ص ٧٩ وما فوق وراجعنا كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

البطون رفضت هذه النبوة الهاشمية باستثناء بنى المطلب بن عبد مناف حيث وقفو مع الهاشميين. لكن أكثر البطون رفضاً واندفعاً لوقف الزحف الهاشمي والخيلولة بين جمع الهاشميين الملك والنبوة هم بنو أمية وذلك لعدة اسباب :

١ - ماض طويلاً من الشحناء والعداوة والحسد لبني هاشم قبل الإسلام.

٢ - بسبب النبوة الهاشمية فقد الأمويون القيادة.

٣ - الهاشميون قتلوا سادات بنى أمية فعتبة والوليد وشيبة قتلهم حمزة وعلي وعبيد الله ، فالأمويون لا يكرهون الهاشميين فحسب بل يقدرون عليهم. وهند أم معاوية وزوجة أبي سفيان عكست مقدار هذا الحقد. فهي لم تكتف بقتل حمزة ، إنما مثلت بجثمانه الطاهر. ولكن مع انتصار النبوة وشمول نور الإسلام وتأخر الأمويين عن دخوله ، وذكريات باعهم الطويلة في محاربته ، فإنه يتذرع عليهم الجهر والمناداة عليناً بمنع الهاشميين من أن يجمعوا مع النبوة الملك.

ي . التيار الغلاب

لقد تحولت مقوله لا ينبغي ان يجمع الهاشميون النبوة مع الملك إلى تيار غلاب ، ولكنه ساكن ومستقر في النفوس وملجم بوجوده ^٦ ، وبالشرعية وبوحدة الصحابة الصادقين تحت قيادته. فلو فقد عنصر من هذه العناصر الثلاثة فستهتز الشرعية ، وسيتحول الصحابة الصادقون إلى شعرة بيضاء في جلد ثور أسود. على حد تعبير معاوية . وسيأخذ الأمر من يغلب.

ك . القراءة الظاهرة الأساس الشرعي للخلافة الراسدة

عندما دخل المهاجرون الثلاثة إلى سقيفة بنى ساعدة احتجوا بما يلي :

قال أبو بكر : نحن عشيرة رسول الله ^٧ ، وأنتم وزراؤه ، ووزراؤنا في الدين. وقال عمر : لا يجتمع سيفان في غمد واحد ، والله لا ترضى العرب ان تؤمركم ونبيّها من غيركم ، ولكن العرب لا ينبغي أن توّلّي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم ... لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ينazuنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشائرته

إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هملة^(١).

قالت الأنصار كلها : لا نبایع إلا علیاً ، وعلی غائب. قال بعض الأنصار : لا نبایع إلا علیاً^(٢).

وسریعاً ، أبرم الأمر للصديق ٢ ، ودعی على لمبایعة أبي بکر فقال علي : (أنا أحق بهذا الامر منکم ، لا أبایعکم وأنتم أولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي ٦ وتأخذونه متنّاً غصباً أهل البيت؟ ألسنتم زعمتم للأنصار أنکم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منکم فأعطیکم المقادرة وسلموا إليکم الإمارة ، وأنا أحتاج عليکم ما احتججتم به على الأنصار ، نحن أولى برسول الله حیاً ومیتاً ...) الخ.

ل . الانقلاب وانفلات التيار الغلاب

وعمر على فراش الموت يتفکر بمستقبل أمة محمد ، ويقلب الأمر على وجوهه المختلفة قال : لو أدركت أبا عبيدة باقياً استخلفته ووليته ، ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفته ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته ولو أدركت سالماً مولی أبي حذيفة وليته ... وسالم من المولى ولا يعرف له نسب في العرب ، ومعاذ من الأنصار ، ويوم السقیفة لم يكن جائزًا تولیة الأنصار ! وخالد من بني مخزوم ومن الطبقية العاشرة من طبقات الصحابة حيث هاجر في الفترة الواقعة بين صلح الحدبیة وفتح مکة .

قال عمر لابن عباس أثناء خلافته : يا ابن عباس أتدري ما منع قومکم منکم بعد محمد ٦ ؟ قال ابن عباس : فكرت أن أجبيه ، فقلت : إن لم أكن أدری فإن أمیر المؤمنین يدری ، فقال عمر : كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة ، فتبجحوا على قومکم بجهحاً بجهحاً ، فاختارت قریش لأنفسها فأصابت ووافقت ، قال : فقلت : يا أمیر المؤمنین إن تأذن لي في الكلام وتحط عنی الغضب

(١) راجع الإمامة والسياسة ص ٦٧٠ - ٨٠ .

(٢) تاريخ الطبری ج ٣ ص ١٩٨ وراجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٦٦ .

تكلمت ، قال : تكلم . قال ابن عباس فقلت : أما قولك يا أمير المؤمنين (اختارت لأنفسها فأصابت ووقفت) فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها من حيث اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود ، وأما قولك (إنهم أبوا أن تكون لنا النبوة والخلافة) فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكراءفة فقال (ذلك بأنهم كرهوا ما انزل الله فأحيط أعمالهم) فقال عمر : هيهات يا ابن العباس قد كانت تبلغني عنك أشياء أكره أن أقرك عليها فتنزيل منزلتك مني ، فقلت : يا أمير المؤمنين فإن كان حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك ، وإن كان باطلًا فمثلي أماط الباطل عن نفسه . فقال عمر : بلغني أنك تقول : صرفوها عننا حسداً وبغيًا وظلماً ، قال ابن عباس : فقلت : أما قولك يا أمير المؤمنين ظلماً فقد تبين للجاهل والخليم ، وأما قولك حسداً فإن آدم حسد ونحن ولده المحسودون . فقال عمر : هيهات هيهات ، أبى والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً لا يزول . قال : فقلت يا أمير المؤمنين مهلاً لا تصف بهذا قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرون تطهيراً^(١) .

والواقعة التي يرويها المسعودي في كتابه مروج الذهب والتي جرت بين ابن عباس وبين الفاروق رضي الله عنهم ، تؤكد حدوث الانقلاب الفكري وانفلات التيار الغلاب الذي كان ساكناً في النفوس وملجوماً أثناء حياته **٦** قبل ان تتأسس دولة الخلافة الراشدة . وسؤال النص الحرفى لهذه الواقعة .

النص الحرفى للقصة

ذكر عبد الله بن عباس أن عمر أرسل إليه فقال : يا ابن عباس إن عامل حمص قد هلك وكان من أهل الخير ، وأهل الخير قليل ، وقد رجوت أن تكون منهم وفي نفسي منك شيء وأعياني ذلك فما رأيك في العمل؟ قال ابن عباس : لن أعمل حتى تخبرني بالذى في نفسك . قال عمر : وما تريد إلى ذلك؟ قال ابن عباس : أريدك ، فإن كان شيئاً أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت ، وان كنت بريئاً

(١) راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ٢٤ وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٠٧ اخرجه الإمام أحمد أبو الفضل بن أبي الطاهر في تاريخ بغداد راجع مجلد ٢ ص ٩٧ من شرح النهج وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ١٤١ .

من مثله علمت أني لست من أهله ، فقبلت عملك هنالك ، فإني قلما رأيتك طلبت شيئاً إلا عاجلته.

فقال : يا ابن عباس ، أني خشيت أن يأتي علي الذي هو آت (يعني موت عمر) وأنت في عملك فتقول هلم إلينا ، ولا هلم اليكم دون غيركم ، إبني رأيت رسول الله استعمل الناس وترككم . قال : والله قد رأيت من ذلك فلم تره فعل ذلك؟ قال عمر : والله ما أدرى أحسن بكم عن العمل فأهل ذلك أنت ، أم خشي أن تبايعوا بمنزلتكم منه فيقع العتاب ولا بد من عتاب ، وقد فرغت لك من ذلك بما رأيك؟ قال ابن عباس : أرى إلا أعمل لك . قال : ولم؟ قلت : إن عملت لك وفي نفسك ما فيها لم ابرح قذى في عينك ، قال : فأشر علي . قلت : إني أرى أن تستعمل صحيحاً منك صحيحاً لك ^(١).

من فرط حرصه على مصلحة المسلمين يريد حتى بعد موته أن يتأكد بأن الهاشميين لن يسلطوا على رقاب الناس ، ولن يحكموا أمة محمد.

وبالإجمال تحولت هذه المقوله إلى تيار غلاب أ瘋ح عن ذاته ، وفرض نفسه كقناعة عامة تومن بها السلطة وآمنت بها الأكثريه الساحقة على اعتبار أن هذه المقوله هي الوسيلة المثلث لمنع الإجحاف الهاشمي ، وإنصاف البطون القربيه لتناول الخلافه في ما بينها كرد على النبوة الهاشمية أو كتعويض لها عن الاختصاص الهاشمي بالنبوة ، وأخيراً على اعتبار أن هذه المقوله مظهر من مظاهر هداية قريش وتوفيقها ، على حد تعبير الفاروق .

وباستمالة أبي سفيان إلى جانب السلطة ، وترك ما بيده من الصدقات التي جمعها وتوليه ابنه يزيد قائداً على جيش الشام وتعيين ابنه الثاني معاوية قائداً من قواد يزيد ، ثم خلافته لأخيه يزيد كوال على الشام بعد وفاته ، كل هذا كون حلفاً حقيقياً بين السلطة وبين الطقاء لهم قناعة سياسية مشتركة تقوم على عدم تكين الهاشميين من أن يجمعوا مع النبوة الخلافة ، وبهذا التحالف قطع دابر المعارضة ، وحجمت وتم تكريس مبدأ عدم جواز جمع الهاشميين للنبوة والخلافة معاً.

(١) الإمامة والسياسة ص ١٥ .

وهكذا فقدت العترة الطاهرة حتى نصيتها من امتيازات الشرف التي كانت مخصصة لها بموجب الصيغة السياسية التي سادت مكة قبل الإسلام ، وعزلت تماماً وحجمت. انظر إلى قول الفاروق مخاطباً العباس وبني هاشم : (أي والله وأخرى إنما نأتكم حاجة منا إليكم ، ولكن كرهنا أن يكون الطعن منكم فيما اجتمع عليه العامة فيتفاقم الخطب بكم وبهم) وبلغت الاستهانة بهم حداً أنه حتى عبد الله بن الزبير هم بأن يحرق بيوت الهاشميين على من فيها لولا أن تدخل أهل الخير.

ومعنى ذلك أن أي قبيلة من القبائل التي حاصرت الهاشميين في شعبان أبي طالب ثلاث سنين وأرسلت مندوها للاشتراك بقتل النبي هي أسعد حظاً من الهاشميين ، والفرد منها أولى وأحق برئاسة الدولة من أي هاشمي. فالرئاسة والولاية حلال لكل الناس وحرام على أي هاشمي من الناحية العملية ، كل ذلك من أجل عدم تمكين الهاشميين من الجمع بين النبوة والخلافة ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟.

م . التكيف الشرعي مقوله لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة

هذه مقوله جأهل به من كل الوجوه ، وتعارض معارضه تامة مع النصوص الشرعية ومع النظم السياسية المشتقة من العقائد الإلهية. فداود النبي ، ورثه ابنه سليمان فجمع كل واحد منهم النبوة والخلافة معاً ، وأوتي الأنبياء وذرياتهم الحكم والنبوة والكتاب ، ولم يعترض عليهم أحد ، لأن الفصل بيد الله ، والخلافة منصب ديني وبالدرجة الأولى دينوي والخلفية قائمة مقام النبي ، ومن مهام البيان والحكم وعملية البيان والحكم عملية فنية تماماً واحتصاصاً. ومن هو على علم بالتقاطيع الأساسية للنظام السياسي الإسلامي يتبين له بأقل جهد ممكن ، أن هذه المقوله نسفت نسفاً تماماً النظام السياسي الإسلامي كنظام إلهي وفرغته تماماً من مضمونه وحولته من الناحية العملية إلى نظام وضعي لا يختلف عن الأنظمة الوضعية إلا بالشكل (سياسياً) ، بل والأهم من ذلك أن رئاسة الدولة صارت غنية وطعنة يأكلها الغالب والغالب وحده ، وبعد أن يغلب يجلس على كرسي النبي

(أو حصيرته) ، ويلبس جبة الإسلام فإذا هو خليفة ، فإن غلب الطليق الذي قاتل الإسلام بكل فنون القتال حتى أحيط به فأسلم رغبة أو رهبة ، فإنه يتأنّر على المهاجر الذي قاتل مع الإسلام كل معاركه ، ويصبح ولـي الله المخصوص شرعاً لرئاسة الدولة الإسلامية بمجرد مواطن عادي من رعاياه ، يتكلم الجاهل ، ويُسكت العالم ، يتقدم المهاصر . بالكسر . ويتأخر المهاصر . بالفتح . كل هذا من أجل إنصاف القبائل الأخرى ومنع الهاشميين من أن يجتمعوا مع النبوة الخلافة ، أو بتعبير أدق من أجل العودة عملياً إلى الصيغة السياسية التي كانت سائدة قبل الإسلام ، ولكن بثوبيها الجديد . فالصيغة السياسية الجاهلية كانت تقوم على اقتسام مناصب الشرف بحيث تأخذ كل قبيلة نصيبها من هذه المناصب ، وبتطبيق المقوله أصبحت القبائل تتداول رئاسة الدولة وبنفس الوقت تتشارك بالشرف والمناصبثناء عملية التداول ، أما الأحكام الإلهية المتعلقة بالنظام السياسي الإسلامي فهي موضوع آخر ، فهي لا تستجيب للصيغة السياسية التي وجدت قبل الإسلام في مكة.

ن . النتائج التي ترتبت على تكريس مبدأ عدم

جواز جمع الهاشميين النبوة والخلافة

النتيجة الأولى :

زوال الفوارق نهائياً بين الذين قاتلوا الإسلام بكل فنون القتال حتى أحيط بهم فأسلموا ، وبين أولئك الذين قاتلوا مع الإسلام كل معاركه حتى أعز الله دينه ونصر نبيه وأقام دولة الإيمان . فالكل مسلم لا فرق من الناحية السياسية بين هذا أو ذاك ، فكلهم مسلم وكله في الجنة ، فالهاشمي الذي حاصرته قريش ثلاث سنين هو تماماً مثل أي شخص كان على الشرك واشتراك بالحصار ، لم يسلم ذلك الشخص؟ أليس الإسلام يجب ما قبله؟ فلو أن حمزة سيد الشهداء رجع إلى الدنيا فهو تماماً كوحشي من الناحية العملية السياسية ، فالقاتل كالمقتول تماماً ، والمهاجر كالطليق ، والجاهل كالعالم ، ولو غلب الجاهل لكان لزاماً على العالم أن يطيعه سياسياً ، وأن يتبعه وينقاد إليه ، بل على العكس ، فلو كان هنالك هاشمي عالم كعلى بن أبي طالب ، وكان هنالك أنصاراً بدرجته أو أقل علمًا منه فالأنصارى العالم مقدم على الهاشمى . أنظر

إلى قول الفاروق ٢ بوجود علي بن أبي طالب وهو يقول : لو أدرك معاذ بن جبل لوليته ، ولو أدرك خالد بن الوليد لوليته . خالد قاتل الإسلام في أحد وفي أكثر من وقعة ، وعلى قاتل مع الإسلام في كل مواجهة ، ومع هذا فالأولى هو خالد . حتى أن الفاروق لو أدرك سالما مولى أبي حذيفة وهو من الموالى ولا يعرف له نسب في العرب لولاه الخلافة وأمّره على عليّ بن أبي طالب ، مع أن علياً هو مولى عمر ومولى أبي عبيدة ومولى كل مؤمن ومؤمنة باعتراف الفاروق وإقراره .

النتيجة الثانية . زرع بذرة الخلاف ونموها

طالماً أنه لا فرق بين المهاجر والطليق ، ولا بين القاتل والمقتول ، ولا بين المحاصر . بالفتح . والمحاصير . بالكسر . ومن حق كل واحد أن يفهم الإسلام وان يستقطب حول هذا الفهم ، فمعنى ذلك وجود مرجعيات متعددة وجود مفاهيم متعددة وقناعات متعددة وكل فريق يزعم أنه على الحق . ففريق يذهب إلى الشمال وآخر إلى اليمين ، وثالث إلى الشرق ورابع إلى الغرب وخامس إلى الشمال بزاوية كذا ... الخ . ولا يوجد مرجع يعتبر كلامه حجة يقينية شرعية يقر بها الجميع . بهذا الجور زرعت بذرة الخلاف ونمّت بأرض خصبة . فلو قال علي ٧ كلاماً وقال واحد من الطلقاء كلاماً آخر فالذي يزن القولين هو السامع ، لأنه عملياً لا فرق بين علي وأي طليق ، فكلامهما في الجنة وكلامهما مسلم فهم صحابة ، أي لا يقرؤن عملياً بأي ترجيح شرعي لقول علي ، فكيف يرجح بين المتساوين وكيف يفرق بين المتعادلين تماماً؟ فهذه قطعة ذهبية تتساوى حجماً وشكلًا ومقداراً وقيمة مع قطعة أخرى فخذ ما شئت واياك والتمييز . فالفارق الحاصل وفاق ظاهري وتحت هذا الظاهر ينسو الخلاف ويشب ثم يتتحول إلى سرطان عاجلاً أم آجلاً ، يمزق وحدة الأمة ويخرجها من إطار الشرعية إلى الغامض والجهول .

النتيجة الثالثة . رئاسة الدولة حق للجميع إلا هاشمي

معنى أنه لا شيء على الإطلاق يمنع أي مسلم من أن يتولى رئاسة الدولة الإسلامية شريطة أن يتمكن من الوصول إليها والاستحواذ عليها ، وانقياد الجميع له وتسليمهم له بالغلبة والسلطان ، شريطة أن لا يكون من بني هاشم لأنهم احتصروا

بالنبوة ، والنبوة تكفيهم.

هذا الحق حَوَّل الطمع برئاسة الدولة إلى كأبوس بغيض ، وإلى آلية مزعجة سلبت الأمة قرارها واستقرارها ، وحولتها إلى حقل تجارت لكل الطامعين بالرئاسة ، وعطلت نظامها السياسي الشرعي .

أما من أي قبيلة هذا الرئيس؟ ما هو عمله؟ ما هو دينه؟ ما هي سابقته؟ من الذين سيحكمهم؟ تلك أمور ثانوية لا قيمة لها من الناحية العملية ، ولا يعول عليها ، لأن الغالب غالب والحصول على رضوان المغلوب فن قائم بذاته .

ما الذي يمنع يزيد بن معاوية وهو المشهور بعهره وفجوره من أن يكون رئيساً للدولة الإسلامية لأنه ابن معاوية الرئيس ، ومن الذي يمنع الحسين بن علي بن أبي طالب سيد شباب أهل الجنة في النص وريحانة النبي من هذه الأمة بالنص والإمام الشرعي لهذه الأمة بالنص ، فما الذي يمنعه من أن يكون أحد رعايا يزيد ، وأحد الذين يتآمر عليهم؟ فكلاهما مسلم وكلاهما في الجنة. يزيد القاتل المجرم في الجنة ، والحسين الإمام المقتول في الجنة ، فكلاهما صحابي ! ومن ينقد هذا الرأي فهو زنديق لا يؤكل ولا يشارب ولا يصلى عليه.

النتيجة الرابعة . اختلاط الأوراق

اختلط الحابل بالنابل والحق بالباطل والخير بالشر والعلقم بالشهد ، وأصبح المتأخر كالمتقدم واللاحق كالسابق والمجاهد كالقاعد والقاتل كالمقتول والمحاصر كالمحاصر ، ومن وقف مع الإسلام تماماً مثل من وقف ضده ، ومن قاتل الإسلام تماماً كمن قاتل معه. لقد دخل الجميع بدین الله وشاهد النبي أو شاهدوه ، فكلهم صحابة وكلهم في الجنة !!
وضاع الصادقون وتفرقوا في الأمصار وأصبحوا . على حد تعبير معاوية . كالشارة البيضاء في جلد ثور أسود ، وانهار النظام السياسي الإسلامي وتأخر المتقدمون وتقدم المتأخرون ، والله عاقبة الأمور .

الفصل الثاني

المذور السياسية لنظرية عدالة كل الصحابة

النظام السياسي الإسلامي

أ. اختلاف الواقع عن المثال

النظام السياسي الذي تم تطبيقه في التاريخ السياسي الإسلامي بدءاً من وفاة الرسول ^٦ حتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان ، يختلف تماماً عن النظام السياسي الإسلامي الإلهي الذي أنزله الله تعالى على عبده محمد ليسوس المسلمين في كل الأزمان.

ومع الإصرار على الوجود المؤكّد لهذا الاختلاف فلا بد من التوضيح بأن حجم هذا الاختلاف متفاوت من شخص إلى شخص ومن عهد إلى عهد. ومن نافلة القول أن نؤكّد بأن هذا الاختلاف لا يخفى على ذي بصيرة لو تركنا التقليد الأعمى ، لأنّه لو طبق النظام السياسي الإسلامي بعد وفاة الرسول بالشكل والمضمون الإلهيين لما : ١ . اهارت دولة الإسلام ٢ . وما حدثت تلك الفتنة والمذابح . ٣ . وما تفرقت الأمة الإسلامية . ٤ . وما توقف المد الإسلامي المبارك عند هذا الحد ولعمّ الإسلام العالم كله ، فغير تغييرًا جذريةً مجرّد التاريخ البشري.

في كتاب « تجربة في التاريخ العام » يقول الفيلسوف الانجليزي ولز ، وهو أحد ابرز مفكري العصر الحديث : « لو ان الإسلام سار سيرته الأولى ولم تنشب الفتنة لفتح العالم أجمع » ^(١) وعلماء العالم العربي يعتقدون . وهذا مبلغهم من العلم . أن

(١) راجع كتاب شيخ المضيرة للأستاذ محمود أبو رية ص ١٧٣ .

نظام الخلافة هو عينه النظام السياسي الإسلامي ، وهو عينه الذي يطالبون بإعادة تطبيقه ، مع أن النظام السياسي الإسلامي تكون بصورته النهاية وطبق في زمن النبي ^٦ قبل أن يتكون نظام الخلافة ، لأن الخلافة تعني خلافة النبي. فإذا كان النظام السياسي الإسلامي هو نظام الخلافة ، فما هو النظام الذي طبقه النبي؟ إن النظام الذي طبقه النبي هو النظام السياسي الإلهي السابق لنظام الخلافة والذي طبق بمحاذيره قبل أن يعرف نظام الخلافة ، وهو الأصل وهو المثال ، وما سواه فروع وأشكال تمدد وتتكيف بحسب قرها أو بعدها من الأصل والمثال.

ب . النظام السياسي الإسلامي

هو النظام الذي طبقه النبي إبان الدعوة على علاقته بتابعيه ، ثم طبقه في عصره الراشد بعد ان تحولت الدعوة إلى دولة وخلال رئاسته المباركة للدولة والتي استمرت عشر سنين .

وقبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى أكمل الله الدين وأتم النعمة وبين كل شيء . كل شيء . على الإطلاق. وباستقراره تجد أنه نظام إلهي معد ومصاغ ليكون النظام العالمي الأمثل لعالم أمثل ، لأنه النظام الإلهي بصورته المثلث وبصياغته الأخيرة والنهاية.

ج . أركان النظام السياسي الإسلامي

يقوم النظام السياسي الإسلامي على أربعة أركان متصلة مع بعضها اتصالاً عضوياً يتذرع الفصل بينها. وإذا وقع الفصل بينها يفقد النظام صفتة الإسلامية بحجم مقدار هذا الفصل ، وعاجلاً أم آجلاً سيتداعى النظام ، لأن هذه الأركان هي التي تميزه عن غيره وتكاملها هو وحده الذي يعطي الثمرة المرجوة من تطبيق هذا النظام.

الركن الأول . القيادة السياسية

القيادة السياسية في العقائد الإلهية عامة ومنها الإسلام تعين ، أو إن شئت فقل : (ترشح) من قبل الله مباشرة ، كما حدث لداود وسليمان و محمد. فالله

سبحانه هو نفسه الذي اختارهم أنبياء ورؤساء لدول الإيمان ، وتبلغوا القرار الإلهي بالذات أو غير مباشر كاختياره تعالى لطالوت ليكون القائد السياسي لبني إسرائيل ، فقامنبي بنى إسرائيل بأخبار الإسرائيليين بأن الله قد اختار لكم طالوت ملكاً ، فاحتاج الإسرائيليون فرعموا أن طالوت غير جدير بالملك ، وبين الله أنه أهل لذلك لأسباب كثيرة منها : أن الله زاده بسطة في العلم والجسم ، ثم إن الفضل بيد الله وهو الأعلم من هو جدير بهذا الفضل ، وكاختياره تعالى لعلي بن أبي طالب ليكون ولياً للأمة بعد وفاة وليتها ، وتبلغه بهذا الاختيار بواسطة محمد على مرأى ومسمع من مئة ألف مسلم في حجة الوداع .

ما هي الغاية من الترشيح الإلهي للقيادة السياسية؟

لأن هدف الحكومين المقصى من الغرض والشهوة هو أن يتولى قيادتهم الأعلم والأفضل والأنسب على وجه الجزم واليقين ، وتلك أمور خافية عليهم ويتعذر وفق إمكاناتهم أن يجزموا جميعاً بأن هذا أو ذاك هو الأعلم والأفضل والأنسب على وجه الجزم واليقين . فرجمة من الله تعالى بخلق المؤمنين بين لهم بأن مرادهم هو فلان ... إذا كانوا حقيقة صادقين بالبحث عن الأفضل والأعلم والأنسب ، لأن القيادة عملية فنية وختصاص وهي في الغالب خلافة لنبوة ، ومن مهام النبوة القدوة والتلبيغ والبيان وسعة الصدر بالحكومين ، والقول الفصل ، بحيث يلتقي فهمه تماماً مع المقصود الإلهي من كل قاعدة من قواعد المنظومة الحقوقية الإلهية ... وتلك أمور لا يمكن أن تترك لأهواء الناس المتباعدة وأمزجتهم المختلفة .

وهذا الركن هو الفارق العملي الوحيد الذي يميز الأنظمة الوضعية عن النظام السياسي الإسلامي . فالأنظمة الوضعية ترك الأمر لأهواء الناس واجتها داهم لاختيار القيادة السياسية الأعلم والأفضل والأنسب على سبيل الفرض والتخمين لاعلى سبيل الجزم واليقين الذي يحصل باتباع النمط الإلهي .

الركن الثاني . الصلة العضوية بين العقيدة الإلهية وقيادتها

ما أنزل الله كتاباً إلا على عبد ، ولا خص البشرية بهداية إلا ومعها هاد ، ولا

أرسل رسالة إلا برسول . فالصلة عضوية بين الكتاب والمهدية والرسالة من جهة وبين العبد والمادي والرسول من جهة أخرى . فلا بد من بيان الكتاب وتوضيح المهدية والرسالة وسياسة الاتباع بمقتضاهما ، ولتكون الفسحة الواقعة بين البداية والت نتيجة محطة ترجمة ونقل للمضامين من النص إلى التطبيق ، وبالتالي تجربة غنية تشي بالرسالة والكتاب والمهدية وتبين ما فيها ولو كان مجدياً العكس لأرسل الله نسخاً من كتبه السماوية لكل واحد من المكلفين ، لكنها عملية فنية واحتياطية . فمحمد بالذات هو الفتى وهو المختص الأوحد ببيان الإسلام بياناً يقينياً يتتطابق مع المقصود الإلهي في كل نص من النصوص ، وهو بالذات الأعلم بالرسالة والكتاب والمهدية ، وهو أفضل أتباعها وهو الأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع سياسياً ، وسياستهم وفق أحكامها ومن ينسبه النبي لخلافته بناءً على أمر ربه هو بالذات المؤهل لإدامة هذه الصلة العضوية بين العقيدة الإلهية وبين قيادتها السياسية .

الركن الثالث . المنظومة الحقوقية الإلهية

الإمام أو القائد السياسي في النظام السياسي الإسلامي ليس حراً ليحكم برأيه إنما هو مقيد بالمنظومة الحقوقية الإلهية ، بحيث يكون حكمه في أي أمر من الأمور متطابقاً تماماً مع الإدارة الإلهية بحيث يكون التكيف هو عين التكيف الإلهي والمضمون عين الحكم الإلهي ، لأن المنظومة الحقوقية هي من صنع الله وهي بمثابة القانون النافذ الواجب تطبيقه على كل الداخلين في ولاية الإمام أو القيادة السياسية ، وهذه المنظومة الحقوقية ليست من صنع القائد ولا من صنع المحكومين ، إنما هي من صنع الله . وما يبدو لنا أنه من قول محمد ما هو في الحقيقة إلا ثمرة وحي إلهي وبيان لما أنزله الله . وهذا فارق آخر بين النظام السياسي الإسلامي وبين الأنظمة الوضعية . فالأنظمة تسن بنفسها قوانينها وتلزم المحكومين على اتباعها ، بينما في النظام الإسلامي الله هو الذي يضع المنظومة الحقوقية ويلزمه الحاكم والمحكوم باتباعها تحت إشراف الله . فالذين ينفذون القوانين ليسوا عبيداً للحاكم ، إنما الحكم والمحكومين عبيد الله ينفذون أوامره ، ويختضعون له وحده ولا لسواه .

الركن الرابع : موافقة المحكومين ورضاهם

الشعب يبحث عن منظومة حقوقية مثلٍ تحدد له الأهداف العامة والخاصة ، وتبين له وسائل بلوغ تلك الأهداف ويبحث عن قيادة سياسية تكون هي الأعلم بالمنظومة الحقوقية ، وهي الأفضل بين كل الموجودين ، وهي الأنسب لقيادته وهو حاضر بأمره. فجاءت العناية الإلهية لتنقذه من هذه الحيرة وتبين له أن المنظومة الحقوقية التي تتحقق ما يريد هي الإسلام بقرآنٍ وسنة نبيه قوله وفعله وتقريره. أما القائد الأعلم بهذه المنظومة والأفضل من بين الموجودين والأنسب لقيادة الشعب فهو محمد ، وبعد موته هو الذي ينسبه محمد بأمر من ربِّه ، ثم الذي يليه ثم يليه ... الخ.

فإن وافق الشعب على هذا التكليف الإلهي للمنظومة الحقوقية وللقيادة السياسية فقد اهتدى ، ودخل الخير من أوسع الأبواب بعد أن قبل بهذا التكليف الإلهي. وبالتالي يطبقون المنظومة ويتوالون القيادة. وإن أبي فان الله لن يجره جراً إلى الخير إنما يتركه ليجرب ويدوق وبالمعصية ، وليحيا حياة ضنكًا لأنَّه عبر عن رفضه للتوكيل الإلهي بموالاته لقيادة سياسية غير القيادة التي أرادها ورشحها.

بساطة النظام السياسي الإسلامي

كيف تعرف أنك سائر على الدرب الإلهي؟ من يوالي القيادة السياسية التي عينها الله تعالى هو مع الله. فالذين والواً مُحَمَّداً هم من حزب الله ، والذين عادوا مُحَمَّداً ووالواً غيره هم من حزب الشيطان حتى لو صلوا الليل كله وصاموا العُمر كله ، لأن الولاة والموالاة هي القول الفصل بعضوية الحزبين ، كذلك من يوالي وليه من بعده أو يعاديه يتحدد موقعه بأحد الحزبين وبحجم هذه الموالاة سلباً كانت أم إيجاباً.

لقد كانت الموالاة لِمُحَمَّد هي الميزان الحق بين الصادق والكاذب. فقد بنى أناس المساجد وصلوا وأنفقوا واعتذرُوا عن عدم خروجهم مع الرسول ، ولكنه تعالى وسمهم بالتفاق لأن ولاهُمْ لِمُحَمَّد لِيُسْ صَحِيحًا.

المناخ السياسي الذي نشأت فيه نظرية عدالة كل الصحابة

بعد مقتل الفاروق آلت الأمور إلى عثمان بن عفان ، وهو بطبيعة مولع بحب أقاربه. وبتولية عثمان بدأ بنو أمية ينزوون حوله واحداً بعد الآخر ، وبدأ هو بتجميعهم حتى أصبحوا رجال الخليفة ومستشاريه ، وأصبحت مقاليد الأمور عملياً بيد مروان بن الحكم ، حتى أن مروان أمر بقتل محمد بن أبي بكر وطائفته من الصحابة دون أن يستشير الخليفة حتى مجرد استشارة ، وختم الأمر بخاتم الخليفة وال الخليفة لا يدرى ، وبتعبير علي ٧ صار عثمان سيفه بيد مروان يسوقه حيث شاء بعد كبر السن وصحبته الرسول ^(١).

وما أدرك ما مروان؟ إنه طليق ، ومن المؤلفة قلوبهم ، وأبواه الحكم بن العاص كان محماً عليه أن يدخل المدينة في زمن الرسول ^٩ وفي زمن أبي بكر وعمر. وعندما تولى عثمان أدخله معززاً مكرماً وأعطاه مائة ألف درهم. وما ساعد حزب الطلقاء أيضاً على تكوين دولتهم عبد الله بن أبي سرح والي مصر بكل خيراتها. وما أدرك ما عبد الله بن أبي سرح؟ إنه الذي افترى على الله الكذب ، وأباح الرسول دمه حتى ولو تعلق بأستار الكعبة . كما يروي صاحب السيرة الحلبية في باب فتح مكة . وجاء به عثمان يوم الفتح يطلب الأمان له ، وسكت الرسول على أمل أن يقتل عبد الله خلال فترة سكوته ، ولما لم يقتل أعطاه الأمان. والغرة التي زرعت في زمن أبي بكر ، وهي معاوية ، ضربت جذورها في الأرض ، فقد ضل والياً على الشام عشرين عاماً يجمع كما يشاء عملياً ويعطي كما يشاء.

مروان الطليق ، ومعاوية الطليق ، وعبد الله بن أبي سرح الطليق ، والوليد بن عقبة الطليق أيضاً صلى الصبح أربعاءً ووالى الكوفة ، كلهم على مدرسة أبي سفيان حتى أن أبو سفيان حاول أن يخرج عثمان من مدرسته فقال يوماً لعثمان : روى الجوهري أنه لما بُويع لعثمان قال أبو سفيان : كان الأمر في تيم وأئني لتميم هذا الأمر ، ثم صارت لعدي فأبعد وأبعد ، ثم رجعت لمنازلها واستقر الأمر قراره فتلقوها تلقف

(١) راجع تاريخ ابن الأثير وراجع تاريخ الطبرى باب مقتل عثمان وراجع كتابنا النظام السياسى فى الإسلام ص ١٧٥ وما فوق.

الكرة . وقال لعثمان يوماً : بأبي أنت وأمي ، أنفق ولا تكن كأبي حجر وتدالوها يا بني أمية تداول الولدان الكرة ، فوالله ما من جنة ولأنار . وكان الزبير حاضراً فقال عثمان لأبي سفيان (اغرب) فقال أبو سفيان (يا بني أهاهنا أحداً؟) فقال الزبير (نعم والله لا كتمتها عليك) .^(١)

وبإيجاز قال مروان بن الحكم عملياً وبحق . كما يروي ابن الأثير في تاريخه الجزء الثالث قبيل مقتل عثمان . شاهت الوجوه تريدون أن تسربوا منا ملكتنا ، فقد أصبحت الخلافة في أواخر عهد عثمان ملكاً أموياً ، فلا تجد مصرًا إلا وواليه أموي طليق أو موالي بني أمية . فأي خليفة سيأتي بعد عثمان إما أن يصبح أدلة بيد الأمويين أو يدخل ليلاً مظلماً ويسيط على أرض مليئة بالعثرات والألغام .

ونتيجة الفتوحات كثُر عدد المسلمين الأحداث والمتتفعين من الدولة كدولة ، وقل عدد الصحابة الأجلاء الذين قامت الدولة الحمدية على أكتافهم ، وأصبح الصحابة السابقون كشارة بيضاء في جلد ثور أسود من حيث العدد ، ومن حيث المصائب المترتبة بهم أصبحوا كالغم المطيرة في الليلة الشاتية . على حد تعبير الإمام شرف الدين العاملي . وتلك أمور لم تكن خافية على معاوية الذكي ، فقال معاوية مهدداً قبل قتل عثمان (ما أنت في الناس إلا كالشامة السوداء في الثور الأبيض) .

كل الولايات أموية أو موالية لبني أمية ، ومعاوية بن أبي سفيان قائد الأحزاب ورضيع هند بنت عتبة أصبح قطب الرحي . فهو والي الشام كلها ، ومركز الدائرة ، وهو الوصي على بني أمية ، ومن أعطى نفسه الحق بالطالبة بدم عثمان أو إن شئت فقل : رفع شعار المطالبة بدم عثمان ليضمن استمرار الملك الأموي ، لأن القضية ليست قضية قتل عثمان ، فهذا عمر قتل وسارت الأمور من بعده ، إنما قضية الملك الأموي . هذا الملك الذي نشأ عملياً من الناحية الفعلية يوم ولّ أبو بكر يزيد بن أبي سفيان . وتوطد الأمر لمعاوية ولبني أمية وانقلب في آخر عهد عثمان إلى ملك

(١) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٠٧ و ٣٢٦ و ٣٢٧ و كتابنا النظام السياسي في الإسلام .

حقيقي. وهذا معنى قول مروان : شاهت الوجوه تريدون أن تسليوا منا ملكتنا !
 قتل عثمان ليس قضية ، ومعاقبة القتلة ليس هو المخور ، لأن معاوية أصبح الخليفة فيما بعد ولم يعاقب القتلة ، القضية هي الملك! قتل الروح المؤمنة ليس بذى قيمة ، ألم يصدر مروان بن الحكم أمراً بقتل محمد بن أبي بكر ومن معه من الصحابة بدون جريمة وذنب؟ أليس معاوية هو قاتل الحضرمي الذي كتب فيه ابن زياد أنه على دين علي؟ إلى معاوية هو قاتل عمرو بن الحمق الذي أخلقت العبادة وجهه؟ أليس معاوية هو قاتل حجر بن عدي واصحابه العابدين المختفين الأمراء بالمعروف والناهين عن المنكر؟ أو ليس معاوي هو الذي سلط ابن زياد الذي قتل عباد الله وصلبهم في جنوب النخل. المهم عند معاوية الملك بالدرجة الأولى والانتقام من قاتل جده وخاله وابن خاله وأخيه.

وقد انتهز معاوية فرصة حروب الجمل فأخذ يحرض طلحة والزبير وعائشة ويظاهرهم ، وكان يعد طلحة والزبير بالبصرة والكوفة بأن يحكم كل واحد منهما إحداهما ، حتى إذا انتهت الحرب بهزيمة من أثاروها أشعل الحرب بينه وبين علي ... ^(١).

يقول الأستاذ عباس العقاد في كتابه « معاوية في الميزان » : كانت معاوية حيلته التي كررها وأتقنها وبرع فيها واستخدمها مع خصومة في الدولة من المسلمين وغير المسلمين ، وكان قوم تلك الحيلة العلم الدائب على التفرقة والتخديل بين خصومة بالقاء الشبهات بينهم ، وإثارة الإحن فيهم ، ومنهم من كان من أهل بيته وذوي قرباه. كان لا يطيق أن يرى رجلين ذوي خلط على وفاق ، وكان التنافس الفطري بين ذوي الأخطار مما يعنيه على الإيقاع بينهم ^(٢).

ومضى معاوية على هذه الخطة التي لا تتطلب من صاحبها حظاً كبيراً من الحيلة والرؤية. فلو انه استطاع ان يجعل من كل رجل في دولته حزباً منابذاً لغيره من رجال

(١) راجع شيخ المضيرة للأستاذ محمود أبو رية ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(٢) راجع معاوية في الميزان لعباس محمود العقاد ص ٦٤ و ٦٦ .

الدولة كافة لفعل ، ولو حاسبه التاريخ الصحيح لما وصفه بغير مفرق الجماعات ، ولكن العبرة لقاريء التاريخ في زنة الأعمال والرجال أن نجد من المؤرخين من يسمى عامه حين انفرد بالدولة (عام الجماعة) لأنه فرق الأمة شيئاً ، فلا تعرف كيف تتفق إذا حاولت الاتفاق ، وما لبث أن تركها بعده مختلف في عهد كل خليفة شيئاً شيئاً بين ولادة العهود^(١). واستعمل معاوية بشر بن أرطأة وبعثه إلى المدينة وألقى الرعب في قلوب الصحابة وأذلم^(٢).

وباختصار حصل معاوية على البيعة بالتقدير والتدمير والتحريق والتفريق بين الناس ، وشتمه أنصار رسول الله وأصحابه ، واستغل أموال المسلمين التي جمعها خلال عشرين عاماً بولايته على الشام لتوظيف سلطانه بعد أن أخرج أموال المسلمين عن مصارفها الشرعية ، ورتب معاوية عطاء اسمه عطاء البيعة (رزق البيعة) يعطى للجند عند تعيين خليفة جديد.

تجاهل الهدف المعلن للخروج على الشرعية

لقد عصى معاوية الخليفة الشرعي مطالباً بمعاقبة قتلة عثمان ، وخرجت عائشة أم المؤمنين للمطالبة بمعاقبة قتلة عثمان ، وعندما استولى معاوية بالقوة على أمر المسلمين واغتصب رئاستهم ، لم يعاقب قتلة عثمان ولم تخرج عليه أم المؤمنين ولم تطالب بمعاقبة قتلة عثمان.

الصحوة من الغفلة

استقام الأمر معاوية واصبح هو القائم مقام النبي ، وهو خليفته على أمّة محمد ، مع أنه الطليق ابن الطليق ، وقاتل هو وأبوه الإسلام بكل فنون القتال ، حتى أحاط بهما ومن شاييعهما ، فأسلموا رغبة ورهبة.

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

(٢) راجع شيخ المضيرة للاستاذ محمود أبو رية ص ١٨٧ - ١٨٨ .

كيف حدث هذا الانقلاب؟ كيف هزم الحق؟ كيف أصبح المتأخر متقدماً والمتقدم متأخراً؟ كيف أصبح الطليق أفضل من المهاجر؟ كيف أصبح الذي حاصر الإسلام وأبناءه أفضل من الذي تحمل الحصار في سبيل الإسلام؟ ومن عجيب أن العام الذي هزمت فيه الشرعية وانتصرت فيه القوة سمى عام الجماعة!!! وأسقط بيد الصادقين ، وعمهم شعور عميق بالندم والإحباط ، وندموا لات مندم ، لكنهم كانوا في غفلة ثم استفاقوا على أثر حلم مرعب ، وما فتحوا أعينهم وصحوا ، تبين لهم أن الحلم المرعب حقيقة.

نظريات في خدمة الواقع

انشغل الناس بتحليل ما جرى ، وبرزت نظريات وأفكار ذهبت بأصحابها مذاهب شتى ، كفكرة التصوّف وفكرة الإرجاء وفكرة الجبر ونظرية عدالة كل الصحابة ، وكان الأمويون ومن والاهم وراء هذه النظريات والأفكار ، واعتبروها بمثابة أسلحة استغلوها بكفاءة عالية بما يخدم الملك الأموي ، ويشتت جهد خصومه ويوقع بينهم ، وبما يثبت دعائم الحكم الأموي ويبير شرعيته.

الفصل الثالث

ما هي الغاية من ابتداع نظرية كل الصحابة عدول

١ . التبرير

١ . تبرير غصب السلطة : معاوية طليق وابن طليق ومن المؤلفة قلوبهم ، وقد وجد نفسه رئيساً لدولة الإسلام أو إن شئت فقل ملكاً عليها ، والقائم بأعمال خليفة النبي بل هو رسمياً الخليفة لرسول الله. هذا غير معقول!! ولا يصدق!! وبكل الموازين العقلية والشرعية الإلهية والوضعية ، فأبوبه هو رأس الأحزاب ومرجعية الشرك في كل معاركه ضد الإسلام. وقاوم أبو سفيان وبنوه ومن شايعهم الإسلام ونبيه بكل فنون المقاومة حتى أحبط هم فأسلموا ، ثم ها هو معاوية ابنه يتقدم على كل السابقين له والذين قام مجد الإسلام على أكتافهم.

لا بد من مبرر يبرر هذا الانقلاب ، وأفضل وسيلة لتبريره هو القول بعدلة كل الصحابة ، وبما أن معاوية وشيعته هم صحابة بالمعنىين اللغوي والاصطلاحي ، وبما أن الصحابة كلهم عدول ، وكلهم في الجنة ، وأنه لن يدخل أحد منهم النار ، وأن لا فرق بينهم لأنهم كلهم عدول وكلهم صحابة ، فما الذي يمنع من أن يكون معاوية هو الخليفة وهو ولي أمر المسلمين. وما الذي يمنع شيعته وهم صحابة أيضاً بالمعنىين اللغوي والاصطلاحي من أن يكون بطانة لمعاوية ، طالما أنهم كلهم عدول وكلهم من أهل الجنة ولا يدخل أحد منهم النار؟ فنظريه عدالة الصحابة بثوبيها الفضفاض هي المبرر الأمثل لملك معاوية ، والجبا الفضفاضة التي ألبست لنظرية عدالة الصحابة تدل على أن معاوية منظر حقيقي في فن الوعيصة والدهاء.

٢ . تبرير أفعال معاوية وشيعته : لقد أنزل معاوية وشيعته أعظم النكبات

بإسلام المسلمين ، فبشر بن أرطأة ومسلم بن عقبة فعلا الأفاعيل التي ضجت منها السماء وأدمنت القلوب حتى ولو كانت من صلخد جلمود. فقد قتل في وقعة الحرة كل البدريين ولم يبق بعدها بدري واحد ، وقتل من قريش ومن الأنصار سبعمائة ، ومن سائر الناس من المولى والعرب عشرة آلاف ، ولا شيء يمنع من قتل الأطفال كما فعل بشر بن أرطأة بطفله عبيد الله بن عباس. ناهيك عن معارك معاوية مع الإمام علي . ومن الكبر الأعظم الذي تولاه معاوية وشييعته عندما حاولوا إبادة آل محمد إبادة تامة وأساليبه الملتوية بالقتل ، فقد سُمّ معاوية الحسن ^٧ ، وسم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد . كما ورد في ترجمته في الاستيعاب لابن عبد البر . وسم عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق . كما ورد في الاستيعاب أيضاً ، وسم مالك بن الاشترا ، ولذلك قال عمرو بن العاص في ذلك (ان الله جنوداً من عسل ...) وفرق معاوية الناس وجعلهم شيئاً . فلو حاولت امة محمد ان تتفق لما استطاعت . كما يقول العقاد . وشوه الحكم الإسلامي . يقول الدكتور أحمد أمين (فالحق أن الحكم الأموي لم يكون حكماً إسلامياً ... الخ) .

كيف يمكن تبرير هذه الأفعال بغير نظرية عدالة كل الصحابة؟ فطالما أن معاوية وشييعته من الصحابة ، وطالما أن الصحابة كلهم عدول وكلهم في الجنة ، فإن معاوية وشييعته لم يخطئوا ، فلو كانوا على خطأ لما قال النبي ^٦ (بزعمهم) (إن الصحابة كلهم في الجنة) والنبي صادق مصدق لا ينطق عن الهوى ، وبالتالي فإن معاوية كصحابي مجتهد وهو مأجور ، فإن قتل وهو على الحق فله أجران ، وإن قتل وهو على غير حق فله أجر واحد ، فمعاوية على الحق في حربه وسلمه ، في هجومه ودفاعه ، في أخذه وإعطائه ، لماذا؟ لأنه صاحبي والصحابي من العدول .

٢ . التحصن ضد النقد والسب والشتم والانتقاد

علاوة على أن نظرية عدالة الصحابة تبرر غصب معاوية للسلطة ، وتبرر أفعاله وأفعال شيعته من بني أمية ، فإنها أيضاً تمنحه الحصانة ضد أي نقد ولو كان بناء ، وال Hutchinson ضد السب والشتم والانتقاد من قدره لأنه صاحبي ومن العدول ، ومن يتنقص أو يسب أو يشتم أي صاحبي عادي ، فكيف برئيس دولة؟ من يفعل ذلك فهو زنديق لا يؤكل ولا يشارب ولا يصلّى عليه . كما يروي الذهبي في ميزانه . وليس في

الدنيا خطة يمكن أن تحصن معاوية مثل نظرية عدالة كل الصحابة.

٣ . مقارعة خصوم معاوية وشيعته

نظرية عدالة كل الصحابة تؤمّن فوز معاوية في أي مقارعة بينه وبين خصمه أو تؤمن على الأقل المساواة بينه وبين هؤلاء الخصوم. فلو قال آل محمد إنهم هم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، لأنّي معاوية وشيعته إلى الرد الفوري عليهم : نحن أصحاب محمد العدول لا يجوز علينا الكذب ، ولا يجوز علينا الخطأ لأننا في الجنة ولا يدخل أحد منا النار.

ولو قال آل محمد (من عادانا فقد عادى الله) لرد معاوية وشيعته (ونحن الصحابة أيضاً) قال النبي فينا (من آذى صاحبِي فقد إذا في ... الخ) ويختلط الحق بالباطل والعاصي بالمطيع والمحسن بالمسيء !

٤ . التفريق بين المسلمين

إذا تمكّن معاوية وشيعته من تأصيل هذه النظرية بشوّها الفوضاض هذا وإشاعتها بين المسلمين ، فستتبناها طائفة منهم وستعارضها طائفة أخرى ، وينشب الجدل أظافره في أفكار الطائفتين ، ويتعرّض كل فريق لرأيه ويختلفان وتندون آراء كل طائفة ويتبنّاها اللاحقون بحكم التقليد وبحكم الدفاع عن الحق أو وجهات النظر. فالذين يؤيدون النظرية لم يقصدوا تأييد معاوية ، إنما قصدوا تأييد الصحابة ، والذين يعارضون النظرية لم يقصدوا معاداة الصحابة إنما قصدوا كشف الاحابيل والألاعيب السياسية الخافية على الفريق الآخر. لكن عملياً كل فريق وقف وجهاً لوجه ضد الفريق الآخر وشغلوا عن معاوية بينما معاوية هانه يتفرّج على المتصارعين ، وهو مستعد ليكون حكماً بينهم.

هذا هو الفن الذي أشار إليه العقاد في كتابه الرائع (معاوية في الميزان).

نشوء نظرية عدالة كل الصحابة

روى ابن عرفة المعروف بنفطويه . وهو من أكابر المحدثين . أن أكثر الأحاديث

في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون أنوف بني هاشم. وقد صفت هذه الأحاديث بأسلوب يجعل من كل صحيبي (بالمعنىين اللغوي والاصطلاحي آنفي الذكر) قدوة صالحة لأهل الأرض وتصب اللعنات على كل من سبَ أحداً منهم أو اتهمه بسوء^(١). وقد أجمع الباحثون على أن نشأة الاختراع في الرواية ووضع الحديث على رسول الله ﷺ إنما كان في أواخر عهد عثمان وبعد الفتنة التي أودت بحياته ، ثم اتسع الاختراع واستفاض بعد مبايعة علي ، فإنه ما كاد المسلمون يبايعونه بيعة صحيحة حتى ذر قرن الشيطان الأموي ليغصب الحق من أصحابه ، و يجعلها أمومية وتتوالت الأحداث بعد ذلك ونقض بعض المبايعين للخليفة الرابع ما عقدوا ، وكانت حروب بين المسلمين انتهت فيها أمر السلطان إلى الأمويين. غير أن بناء الجماعة قد انصدع وانفصمت عرى الوحدة بينهم ، وتفرق المذاهب في الخلافة ، واخذت الأحزاب في تأييد آرائهم كل ينصر رأيه على رأي خصمه بالقول والعمل. وكانت نشأة الاختراع في الرواية والتأويل وغالباً كل قبيل فافترق الناس. ولم يزرا الإسلام بأعظم مما ابتدعه المنتسبون إليه ، وما أحدهم الغلاة من المفتريات عليه. فذلك ما جلب الفساد على عقول المسلمين وأساء ظنون غيرهم في ما يُنادي عليه الدين ، وإن عموم البلوى بالأكاذيب حق على الناس بلاه في دولة بني أمية ، فكثر الناقلون وقل الصادقون ، وامتنع كثير من أجياله الصحابة عن الحديث إلا من يثقون بمحفظه^(٢).

وأشار الإمام محمد عبده إلى ما صنعه معاوية لنفسه ، بأن وضع قوماً من الصحابة والتابعين على رواية أخبار قبيحة على علي[ؑ] تقضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله ، فاختلقو على ما أرضاه ، منهم أبو هريرة^(٣).

(١) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم ص ٨٥ للسيد مرتضى الرضوي.

(٢) مقدمة الإمام محمد عبده على رسالة التوحيد ص ٧ . ٨ وراجع شيخ المضير للأستاذ محمود أبو رية ص

. ٢٠٣ - ٢٠١

(٣) مقدمة الإمام محمد عبده على رسالة التوحيد ص ٧ . ٨ وراجع شيخ المضير للأستاذ محمود

ويقول الدكتور أحمد أمين في كتابه ضحي الإسلام : « ويسوقنا هذا إلى أن نذكر هنا أن الاميين فعلاً قد وضعوا أو وضعت لهم أحاديث تخدم سياستهم من نواحي متعددة »^(١) وقد بذل معاوية للصحابي أبي سمرة بن جنديب خمسماة ألف درهم ليروي له عن النبي ﷺ آية (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصم) ... نزلت في علي بن أبي طالب . وأن الآية (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد) نزلت في عبد الرحمن بن ملجم لأنه قتل علياً^(٢) .

رواية الأحاديث

أبو هريرة الدوسى ، أحد أصحاب معاوية وشيعته ، روى عن النبي خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً . روى منها البخاري أربعمائة وستة واربعين حديثاً ، وأبو هريرة هذا لم تتجاوز صحبته للنبي سنة وبضعة أشهر ، بينما كبار الصحابة الذين لازموا النبي من يوم بعثته إلى لحظة انتقاله للرفيق الأعلى لم يرووا عنه ما يزيد عن مائة حديث رواها البخاري ، وهؤلاء الكبار هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله ومعاذ بن جبل وسلمان وزيد بن ثابت وأبي بن كعب . إن في ذلك لعبرة !!!

فضائل معاوية

قال الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، وفيها تحقق على أنه لم يصح في فضائل معاوية حديث .

إن ابن الجوزي بعد أن أورد الأحاديث الواردة في معاوية في باب الموضوعات ساق عن إسحاق بن راهويه (شيخ البخاري) أنه قال (لم يصح في فضائل معاوية شيء) .

أبو رية ص ٢٠١ - ٢٠٣ .

(١) ضحي الإسلام ج ٢ ص ١٢٣ لأحمد أمين وراجع شيخ المضير للأستاذ أبو رية .

(٢) راجع آراء علماء المسلمين في التقبة والصحابة وصيانت القرآن الكريم للسيد مرتضى الرضوي ص ٨٥ - ٨٦ .

وللنمسائي قصة مشهورة في أمر فضائل معاوية. قال الدارقطني : خرج النمسائي حاجاً فامتحن بدمشق وأدرك الشهادة ، فقال : أحملوني إلى مكة وتوفي بالرملة ، وكان أصحابه في دمشق قد سأله عن فضائل معاوية فقال (ألا يرضى رأساً برأس لي حتى يفضل؟) فما زالوا يدفعونه حتى أخرج من المسجد ^(١).

رأي الشافعي في معاوية

روى أبو الفدا عن الشافعي أنه أسر إلى الربيع أن لا تقبل شهادة أربعة من الصحابة وهم : معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة وزياد ^(٢) وربما كان هذا هو السر الذي دفع ابن معين للقول عندما سُئل عن الشافعي قال : إنه ليس بشفقة.

قول الحسن البصري

روى الطبرى أن الحسن البصري كان يقول : أربع خصال كن في معاوية ولو لم يكن فيه منها إلا واحدة لكان موبقة.

- ١ . انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتنوها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقایا الصحابة وذوو الفضيلة.
- ٢ . استخلافه ابنه بعده سكريأ خيراً يلبس الحرير ويضرب الطنابير.
- ٣ . ادعاؤه زياذاً وقد قال رسول الله ﷺ الولد للفراش وللعاهر الحجر.
- ٤ . وقتلته حبراً وأصحابه ، ويل له من حجر وأصحابه ، ويل له من حجر وأصحابه.

نظرية عدالة كل الصحابة تحمل الطابع الأموي

مع أن كل الصحابة وفق هذه النظرية عدول ، فيفترض أن يكون آل محمد

(١) راجع شيخ المضير أبو هريرة للاستاذ أبو رية ص ١٨٣ .

(٢) راجع تاريخ الطبرى حوادث سنة ٥١ وابن الاثير ج ٣ ص ٢٠٢ - ٢٠٩ وابن عساكر ج ٢ ص ٣٧٩ وشيخ المضير للاستاذ أبو رية ص ١٨٥ .

بوصفهم صحابة عدولا ، وأن يكف الأمويين عن الانتهاك منهم والإساءة إليهم.

إلا أن معاوية زعيم الفئة الباغية وقف من الإمام على موقف أبي سفيان من النبي ، وجاء يزيد فوقف من الحسين موقف جده من النبي وموقف أبيه من علي. وقد كان أول عمل لمعاوية بعد أن استولى على الحكم أن كتب إلى عماله في جميع الأفاق بأن يلعنوا علياً في صلواتهم وعلى منابرهم ، ولم يقف الأمر عند ذلك بل كانت مجالس الوعاظ في الشام تختتم بشتم علي وأن لا يحيزنوا لأحد من شيعته وأهل بيته شهادة ، وأن يمحوا من الديوان كل من يظهر حبه لعليٍّ وأولاده وان يسقطوا عطاءهم ورزقهم ^(١).

يقول العقاد في كتاب معاوية بن أبي سفيان في الميزان (وإذا لم يرجح من أخبار هذه الفترة إلا الخبر الراجح عن لعن علي على المنابر بأمر من معاوية لكان فيه الكفاية لإثبات ما عداه ما يتم به الترجيح بين كفتى الميزان) ^(٢).

(١) راجع شيخ المضيرة للأستاذ أبو رية ص ١٨٠ وقد نقلها عن ابن عساكر ج ٣ ص ٤٠٧ .

(٢) معاوية بن أبي سفيان في الميزان لعباس محمود العقاد وراجع المرجع السابق.

الفصل الرابع

الجدور الفقهية لنظرية عدالة كل الصحابة

الذين أوجدوا نظرية عدالة كل الصحابة صاغوها ونظروها بصورة تضمن الحماية التامة لماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ، وتضفي على أحواهم في الأزمان الثلاثة رداء الشرعية والشرعية ، وفصلوا لها من الأثواب ما يضمن حضورها الفعال في كل أمر من الأمور يمكن

:

- ١ . أن يمسهم من قريب أو بعيد.
- ٢ . أو يؤثر على قرهم أو بعدهم من الشرعية.
- ٣ . أو يوصل ويجلدموقع الخلاف في معسكر خصومهم.
- ٤ . أو يفرق الخصوم في بحار من الشك والجيرة والاضطراب.

والمثير حقاً أن النظرية ترمز عند عشاقها ومؤيديها اليوم لحبهم لـ محمد وأصحابه ، وهم يتولون الدفاع عن هذا الرمز ويصارعون نيابة عن مخترعي هذه النظرية الذين وقفوا خارج الخلبة كأنهم لا علاقة لهم بما يجري.

أما الذين يطالبون بتعديل هذه النظرية فهم لا يقلون حباً لـ محمد وأصحابه المخلصين عن أولئك المؤيدin لنظرية عدالة كل الصحابة ، ولكنهم يطالبون باعتماد القواعد الشرعية والعقلية لترشيد هذا الحب ليقى دائمًا في إطار الإسلام ، وترك التقليد والتعصب الأعمى الذي يغسل العقل ونعمـة الحوار الـهدف الذي خصّ به الصـفـوة من عبـادـه الصـالـحـين.

المرجعية الفقهية

في فصل الجذور السياسية لنظرية عدالة الصحابة أثبتنا أن الأكثـرـية السـاحـقة من

الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون أنوف بني هاشم ، كما روى ابن عرفة وهو من أكابر المحدثين ، وتبين لنا أيضاً أن الباحثين قد أجمعوا على أن نشأة الاختراع في الرواية ووضع الحديث على رسول الله ، إنما كان في أواخر عهد عثمان وبعد الفتنة التي أودت بحياته ، ثم اتسع الاختراع واستفاض حتى مبادعة علي ^٧ ، فما كاد المسلمون يباعونه بيعة صحيحة حتى ذر قرن الشيطان الأموي ليغصب الحق من صاحبه ، وبأيوله الامر إلى بني أمية تشذب فن الاختراع ووضع الحديث ، حتى جعلت الدولة الاموية لمن يتبعاً طرفاً فن الاختراع ووضع الحديث جعلاً يرحب في مثله . على حد تعبير الإمام محمد عبده ^(١).

هذه المرويات من المخترعات والمواضيعات بقيت إلى جانب غيرها من مرويات عدول الصحابة مرجعاً للجمهور على اختلاف مذاهبهم ونزاعاتهم الفقهية في التشريع وغيره من الأمور ^(٢).

المراجعات

١. كل الصحابة مرجعية لأهل السنة

الذين اعتبروا كل الصحابة . بالمعنىين اللغوي والاصطلاحي . عدولاً ، أخذوا كافة مروياتهم عن الصحابة الصادقين العدول بالإضافة إلى المرويات الأخرى والتي وضعت في زمن الفتنة واخذت صورتها النهائية في العهد الأموي ، ولم يفرقوا بين صحابي وصحابي لأنهم كلهم عدول ، وكلهم في الجنة ومن الحال عقلاً أن يتمعد الكذب بمن أهل الجنة . فمرجعية هؤلاء هم الصحابة وقد غالب عليهم اسم أهل السنة ، فأهل السنة هؤلاء عرفوا الدين وفهموه عن طريق الصحابة بالمعنىين اللغوي والاصطلاحي .

(١) تاريخ محمد عبده ج ٢ ص ٣٤٧ راجع شيخ المصيرة للشيخ محمود أبو رية ص ٢٠١ - ٢٠٢.

(٢) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم للسيد مرتضى الرضوی ص ٨٦ .

والصحابة الذين نالوا حظوة في البلاط الأموي كانوا من أكثر الصحابة حديثاً. فقد ذكر أبو محمد بن حزم أن مسند أبي عبد الرحمن بن مخلد الاندلسي قد احتوى من حديث أبي هريرة على (٥٣٧٤) حديثاً ، روى البخاري منها (٤٤٦) حديثاً. وغنى عن البيان أن أبا هريرة من أقرب المقربين إلى معاوية ، وأن مدة صحبة أبي هريرة للنبي لا تتجاوز السنة وبضعة أشهر. والخلاصة أن أي حديث يرويه أي صحابي بالمعنى اللغوي والاصطلاحى محترم ومصان ، وهو جزء من الدين عند أهل السنة طالما ثبت أنه صحابي ، لأن الصحابة كلهم عدول وكلهم في الجنة ولا يجوز عليهم تعمد الكذب. وحتى يكون الرواوى أهل للثقة يجب أن لا يكون متهماً بالتشييع لعلي أو لأهل البيت ، فإذا ثبت ذلك فهو ليس بثقة من حيث المبدأ.

قال يحيى بن معين (وقيل له في سعيد بن خالد البجلي حين وثقه : هذا شيعي. قال شيعي وثقة!!! ولم يعرف الجمهور بهذا الوصف (أهل السنة) قبل أواخر القرن الأول لأن التسنن من الأحداث الطارئة) ^(١).

ما هو السنن الشرعي لأهل السنة بمراجعتهم للصحاباة؟

يقول أهل السنة : إن الرسول ﷺ قد قال : (أصحابي كالنجوم بأيهم اهتديتم) وفي رواية (فأيهم أخذتم بقوله ...).

يقول ابن تيمية شيخ الحنابلة ، ويلقب عند الجمهور بشيخ الإسلام (وحديث أصحابي كالنجوم ضعفه أئمة الحديث فلا حجة فيه. راجع ص ٥٥١ من كتاب حجة المنتقى للذهبي. وهذا الحديث باطل بالإجماع) ^(٢).

(١) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم ص ٩٢ وراجع أضواء على السنة الحمدية ص ٣٤١ . ٣٤٤ وص ٨٩.

(٢) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم ص ٩٢ وراجع أضواء على السنة الحمدية ص ٣٤١ . ٣٤٤ وص ٨٩.

٢ . أئمة أهل البيت وثقات الصحابة هم مرجعية أهل الشيعة

أهل السنة اخذوا مرجعاً فقهياً لهم الصحابة كلهم بالمعنى اللغوي والاصطلاحي في مقابل الشيعة الذين رجعوا إلى الأئمة من أهل البيت ، والى ما رواه ثقات الصحابة عن النبي ٦ بالإضافة إلى كتاب الله في جميع ما جاء به الإسلام من أصول وفروع. وقد ورثوا فقههم وأصولهم وجميع تعاليمهم في جميع مراحله وفصوله عن جدهم أمير المؤمنين الذي وصفه رسول الله بأنه باب مدينة العلم (أنا مدينة العلم وعلى باحها ومن أراد المدينة فليأت الباب). وكان لهذه المرجعية ضوابط ثابتة ، فقد كان الأئمة : يقولون (إنما إذا حدثنا لا نحدث إلا بما يوافق كتاب الله ، وكل حديث ينسب إلينا لا يوافق كتاب الله فاطرحوه) .

كما كان الإمام الصادق ٧ يقول « حديسي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي ، وحديث جدي حديث رسول الله ، وحديث رسول الله قول الله » ^(١) .

ما هو السند الشرعي لأهل الشيعة بمرجعيتهم لأئمة أهل البيت؟

السنن الشرعي هو النصوص الشرعية القاطعة الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة بفروعها الثلاثة ، وهي موضع اتفاق بين أهل السنة وأهل الشيعة. فأئمة أهل البيت الكرام هم من الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ^(٢) بالنص القرآني والقرآن هو الثقل الأكبر وهم الثقل الأصغر بالنطري ، والهدایة لا يمكن أن تدرك إلا بالتمسك بالثقلين ، والضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بالثقلين ^(٣) وهم لهذه الأمة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، بالنص الشرعي

(١) آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم ص ٨٩.

(٢) ارجع إلى آية التطهير واقرأ تفسيرها في تفسير فتح القدير للشوكاني وتفسير ابن كثير وتفسير الطبرى وتفسير الحازن واي تفسير ترغب به.

(٣) راجع صحيح الترمذى ج ٥ ص ٣٢٨ ونظم درر السمحان للزرندى الحنفى ص ٢٣٢ وبنابيع

أيضاً^(١) وهم أمان لأمة محمد ، من الاختلاف بالنص الشرعي أيضاً^(١) ونسوق بأدناه طائفة من الأدلة على كل نص ثم نوردها مجتمعة في باب الميزان.

دور المرجعيات

١ . دور المرجعية عند أهل السنة : قلنا إن مرجعية أهل السنة لفهم البيان القرآني هم الصحابة بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي ، كل الصحابة لا فرق بين واحد وآخر لأنهم كلهم عدول وكلهم في الجنة. وكانت روایاتهم في الدرجة الأولى لا تتعذر أقوال الرسول ٦ وأفعاله عند المقدمين. وعندما تعددت المذاهب وتوزعت في الأمصار شملت الروايات أقوال الرسول وأفعاله وأقوال الصحابي وأفعاله ، وأصبحت آراء الصحابة في الحوادث المصدر الثالث من مصادر التشريع : القرآن ، السنة ، رأي الصحابي. والمذاهب الثلاثة : الأحناف والمالكية والحنابلة أكثر تعصباً لآراء الصحابة من الشوافع. ومع أن أبي حنيفة كان متھمساً للقياس ، وبراه من أفضل المصادر بعد القرآن ، إلا أنه كان يقدم رأي الصحابة عليه إذا تعارضت في مورد من الموارد. وقد جاء عن أبي حنيفة (إن لم أجده نصاً في كتاب الله ولا في سنة رسوله ، أخذت بقول أصحابه ، فإن اختلفت آراؤهم في حكم

المودة للقندوزي الحنفي ص ٣٣ و ٤٥ و ٤٤ و وكنز العمال للمتقى الهندي ج ١ ص ١٥٣ و تفسيري ابن كثير ج ٤ ص ١١٣ ومصابيح السنة للبغوي ص ٢٠٦ وجامع الأصول لابن الأثير ص ١٣٧ ومشكاة المصابيح ج ٣ ص ٢٥٨ وإحياء الميت للسيوطى بهامش الإتحاف ص ١١٤ والفتح الكبير للنبهانى ج ١ ص ٥٠٣ وج ٣ ص ٣٨٥ والدر المنشور للسيوطى ج ٦ ص ٧ و ٣٠٦ والصواعق المحرقة ص ١٤٧ لابن حجر والمعجم الصغير للطبرانى ج ١ ص ١٣٥ ومنتخب تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٤٣٦ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ١٠٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٩٤ ... الخ.

(١) تلخيص المستدرك للذهبي والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٨٤ و ٢٣٤ وتاريخ الخلفاء للسيوطى وإسعاف الراغبين للصبان الشافعى ص ١٠٩ ونظم درر السمطين للزرندي الحنفى ص ٢٣٥ وكفاية الطالب للكنجي الشافعى ص ٣٧٨ ... الخ.

(٢) راجع الصواعق المحرقة ص ٩١ و ١٤٠ وإحياء الميت للسيوطى بهامش الإتحاف ص ١١٤ ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٩٣ ... الخ.

الواقعة آخذ بقول شئت وأدع من شئت ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم من التابعين)^(١).

وجاء في أعلام الموقعين لابن القيم (إن أصول الأحكام عند الإمام أحمد خمسة : الأول النص والثاني فتوى الصحابة ، وإن الأحناف والحنابلة قد ذهبا إلى تخصيص كتاب الله بعمل الصحابي ، لأن الصحابي العالم لا يترك العمل بعموم الكتاب إلا لدليل ، فيكون عمله على خلاف عموم الكتاب دليلاً على التخصيص وقوله منزلة عمله)^(٢).

فأنت تلاحظ أن أهل السنة قد أمعنوا بالغلو في تقديس الصحابة ، هذا التقديس الذي لا يختلف عن العصمة في شيء^(٣).

وعندما انتشرت المذاهب الفقية ، استغل هذا الغلو المفرط في محاربة التشيع لأئمة أهل البيت^(٤) وأقوال الصحابة تعامل كأنها وحي من السماء فيخصصون بها عموم الكتاب ويقيدون بها مطلقاته.

٢ . دور المرجعية عند أهل الشيعة : القرآن الكريم قد جاء تبياناً لكل شيء ، وما ثبت عن النبي ثبوتاً قطعياً لا يرقى إليه شك هو بمثابة النص ، وما عدا ذلك لا يجوز الاعتماد على السنة في مقام التشريع إلا إذا تأيدت بأية من القرآن لأنه فيه تبيان كل شيء ، وقد نزل بلغة العرب وبأسلوب يفهمه كل عربي ، وذلك لأن السنة رواها عن الرسول جماعة يجوز عليهم الخطأ والكذب ، وكانوا لا يقبلون مرويات بعضهم

(١) راجع أبي حنيفة لابي زهرة ص ٣٠٤ والإمام زيد ص ٤١٨ وراجع آراء علماء المسلمين ص ٨٧ و ٨٨ للسيد مرتضى الرضوي.

(٢) راجع المدخل إلى علم أصول الفقه لمعرف الدواليبي ص ٢١٧ وراجع كتاب السيد مرتضى الرضوي ص ٨٨.

(٣) راجع المدخل إلى علم أصول الفقه لمعرف الدواليبي ص ٢١٧ وراجع كتاب السيد مرتضى الرضوي ص ٨٨.

(٤) راجع المدخل إلى علم أصول الفقه لمعرف الدواليبي ص ٢١٧ وراجع كتاب السيد مرتضى الرضوي ص ٨٨.

أحياناً ويعمل كل واحد منهم بما يوحيه إليه اجتهاده. وقد تراشقوا بأسوء التهم واستحل بعضهم دماء البعض الآخر^(١).

وباختصار فإن القول الفصل عند الشيعة هو القرآن الكريم المبين لكل شيء ، وما ثبت من البيان (سنة الرسول القولية والفعلية والتقريرية) ثبوتاً يقينياً لا يرقى إليه الشك.

اختلاف المنطلقين يؤدي لاختلاف النتائج

١ . انطلق أهل السنة من منطلق مفاده أن الصحابة . كل الصحابة بالمعنى اللغوي والاصطلاحي بما فيه الأطفال الذين شاهدوا النبي أو شاهدتهم النبي . هؤلاء كلهم عدول ، لا يجوز عليهم الكذب ولا يجوز عليهم التزوير ، فهم جميعاً من أهل الجنة ، ولا يدخل أحد منهم النار كلهم بلا استثناء بما فيهم الحكم بن العاص طريد رسول الله وطريد صاحبيه ، وبما فيهم عبد الله بن أبي سرح الذي افترى على الله الكذب ، وبما فيهم معاوية . فكانت النتيجة من جنس المنطلق ، فما ي قوله الصحابي الذي ثبت صحبته صحيح لا يأتيه الباطل لأنه من العدول ، فإذا تعددت أقوال الصحابة في المسألة الواحدة فالمجتهد حر ليأخذ بقول أبي صحابي شاء ولا حرج عليه^(٢) فلو قال الحكم بن العاص قوله في مسألة ، وقال أبو هريرة قوله آخر في ذات المسألة ، وقال حذيفة بن اليمان قوله ثالثاً في ذات المسألة ، وقال أبو بكر قوله رابعاً في ذات المسألة ، فالمجتهد مخير ليأخذ بأي قول من هذه الأقوال ، لماذا؟ لأنهم صحابة ، وكل الصحابة عدول ، ولا يجوز جرهم أو الطعن فيهم كما يفعل أهل السنة بالرواية من غيرهم.

والأهم من ذلك أن الأحناف والحنابلة قد ذهبوا إلى تحصيص القرآن نفسه بعمل الصحابي قوله ، لأنـه . حسب رأيهـم . لا يمكن أن يترك الصحابي العمل بعموم

(١) انظر تاريخ الفقه الإسلامي للدكتور محمد يوسف موسى عن كتاب الأمة للشافعـي ص ٢٢٨ وراجع كتاب السيد مرتضـى الرضـوى ص ٨٨ .

(٢) انظر : أبا حنيفة لأبي زهرة ص ٤ . ٣٠٤

النص إلّا لدليل ، فيكون عمل الصحابي على خلاف عموم النص دليلاً على التخصيص
وقول الصحابي منزله عمله^(١).

وما يشير الدهشة حقاً هو أنهم يقصدون بالصحابي . أي صحابي . على الإطلاق
المعنيين اللغوي والاصطلاحي . وهذا مرتبة ترقى بالصحابي إلى درجة العصمة ، وتجعل منه
مشرعًا حقيقياً أو شريكاً بالتشريع.

٢ . أما أهل الشيعة فالأمر مختلف جداً عندهم من هذه الناحية ، فالشيعة يوالون
 أصحاب محمد الذين أبلوا البلاء الحسن في نصرة الدين ، وجاهدوا بأنفسهم وأموالهم .
والدعاء الذي تردد الشيعة لأصحاب محمد لهو دليل قاطع على حسن الولاء واحلاص
المودة ، وقد جاء فيه (... وأصحاب محمد خاصه الذين أحسنوا الصحبة ، والذين أبلوا
الباء الحسن في نصره ، وكاففوه وأسرعوا إلى قيادته ، وسابقوا إلى دعوته ، واستجابوا له
حيث أسعهم حجة رسالته ، وفارقوا الأرواح والأولاد في إظهار كلمته ، وقاتلوا الآباء في
تشييت نبوته ، والذين هجرتهم العشار إذ تعلقوا بعروته ، وانتفت منهم القرابات إذ سكروا في
ظل قرابته ، اللهم ما تركوا لك وفيك وارضهم من رضوانك وبما حاشوا الحق عليك ، وكانوا
من ذلك لك وإليك ، واشكرهم على هجرتهم فيك ...)^(٢).

هؤلاء هم أصحاب محمد الذين تعظّمهم شيعة آل محمد ويدينون بموالاتهم ،
ويخذلون تعاليم الإسلام فيما صح وروده عنهم^(٣).

والخلاصة : إن الشيعة لا يثبتون العدالة إلّا لمن اتصف بها ، وكانت فيه تلك الملكة .
وأصالحة العدالة لكل صحابي لا دليل عليه ولا يمكن إثباته . فالشيعة تناقش أعمال ذوي
الشذوذ منهم بحرية فكر ، وتزن كل واحد منهم بميزان عمله ، فلا يوادون

(١) وقد ورد دعاء طويل في الصحيفة السجادية وثقناه ، وراجع كتاب السيد المرتضى ص ٩٣ - ٩٤ .

(٢) وقد ورد دعاء طويل في الصحيفة السجادية وثقناه ، وراجع كتاب السيد المرتضى الرضوي ص ٩٣ - ٩٤ .

(٣) وقد ورد دعاء طويل في الصحيفة السجادية وثقناه ، وراجع كتاب السيد المرتضى الرضوي ص ٩٣ - ٩٤ .

من حاد الله ورسوله ، ويتبأون من اخذوا إيمانهم **جنةً** فصدوا عن سبيل الله. والشيعة بهذا لا يخالفون كتاب الله وسنة رسوله وعمل السلف الصالح في تمييز الصحابة ومن هو مصدق هذا الاسم حقيقة. ومن هنا فتحت على الشيعة باب الاتهامات الكاذبة^(١) ولأن الشيعة انطلقوا من هذا المنطلق المختلف عن منطلق أهل السنة ، فإنهم قد توصلوا لنتائج مختلفة عن النتائج التي توصل لها أهل السنة.

تعدد المراجعات

في زمن النبي ﷺ ، كثيراً ما كانت تختلف الآراء حول المسألة الواحدة وتتعدد ، فيسمعها النبي كلها ولا يضيق بها صدره ، ثم يبسط حكم الشرع في هذه المسألة سواء أكانت نصاً قرانياً أم سنة محمدية ، فيقبل الصادقون هذا الحكم فيوحدهم بعد اختلاف ، ويدخلهم حظيرة اليقين بعد شك في هذه المسألة. وتتكرر الحادثات ، وتتكرر أحكام الحلول مما يجعل الخلاف بوجهات النظر وتعدد هذه الوجهات مظهراً من مظاهر إثراء الفكر ، ولواناً من ألوانه ، لماذا؟ لأن للناس مرجعية واحدة قوله الفصل وحكمها العدل. فوحدة المرجعية هي الأساس الذي تقوم عليه وحدة المجتمع ووحدة العقيدة ، فإذا تعددت المراجعات يقع الخلاف المحظور. والاختلاف والوحدة نقىضان فيضطر الحاكم لمصادرة حق الناس بطرح أفكارهم ليضمن وحدتهم.

ونتيجة نظرية عدالة كل الصحابة تعددت من الناحية العلمية المراجع. فكان في المجتمع الإسلامي عشرات الألوف من المراجع ، كل مرجع له رأيه وتصوره وفهمه. وبتعدد هذه المراجع انقسمت هذه الأمة إلى شيع وأحزاب ، كل شيعة تؤيد مرجعها وتعتقد أنه المصيب والموصى إلى رضوان الله تعالى. ولكن عملياً ، وبما أن السلطة الحاكمة خاصة عندما تخرج من إطار الشرعية هي المسيطرة على وسائل الإعلام ، فإن بإمكانها أن تسلط الأضواء على المرجع أو تلك المراجع المتحدة وتصورها على أنها وحدها هي الفئة الناجية ، وأنها على الحق المبين ، فتنشر فتاوى هذه المرجعية وتحيطها بحالة من الانبهار ، وبعملها هذا تدعوا الناس بطريقة غير

(١) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم ص ١٠٠.

مباشرة للوثوق بهذه المرجعية بغض النظر عن أهلية تلك المرجعية أو عدم أهليتها. فأبو هريرة صحابي مغمور لم يكن له دور في عهد الخلفاء الراشدين ، وكان يخدم الناس مقابل قوت بطنه ، ولم تتجاوز صحبته للنبي ﷺ سنة وبضعة أشهر ، لكن نتيجة لقربه من البلاط الأموي وحظوظه فيه تحول إلى مرجعية هائلة ، وتحولت أقواله على كثراً إلى الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وروى من الأحاديث ما ينوف على سبعمائة ضعف ما رواه كبار الصحابة ، لماذا؟ لأن الدولة تبنته ورشحه ليكون مندوبها في مرجعية تستقطب كل المرجعيات.

حكم الشرع في تعدد المرجعيات

ما من دين على الاطلاق إِلَّا وله مرجعية. وما من عقيدة إِلَّا ولها مرجعية. فمحمد هو المرجعية الوحيدة لدين الإسلام ولعقيدته ، قوله الفصل ، وإذا وجدت مرجعية ثانية بأمر الله ، فإنها مرتقبة به بالدرجة الأولى بوصفه الأعلم والأفهم بالعقيدة ومرتبطة بالعقيدة. والديانة اليهودية لها مرجعية واحدة. فموسى ٧ هو المرجع ، وهارون تابع له ، وإذا انفرد موسى عن هارون فهو خليفته ، فإذا عاد موسى عادت تبعية هارون له. والديانة المسيحية لها مرجع وهو عيسى ٧ ، والخواريون مرتبطون به ومسخرون لخدمة الدين تحت إمرته. فإذا انتقل محمد وموسى وهارون وعيسى إلى الرفيق الأعلى ، فيستتبع بالضرورة وجود مرجعية واحدة لكل عقيدة من هذه العقائد الثلاث معينة من قبل المرجعية الأولى بأمر ربها ، وترك الدين والعقيدة بلا مرجعية ، تفريط تترفع عنه ملكات الأنبياء ، ويتناقض مع كمال الديانات.

وفي الإسلام ، فإن مرجعية المسلمين بالنصوص الشرعية القاطعة هم أهل بيته محمد ، وبالتحديد عميد هذا البيت الظاهر في كل زمان. أما لماذا أهل بيته؟ فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء ، ومن جهة ثانية فقد أعدهم الرسول إعداداً علمياً ، وقد احتضنوا الرسول واحتضنوا دعوته. وقد بين لنا الله أئمته هم الأفضل في كل زمان ،

وتلك من لوازم المرجعية. وكان واضحًا بعد وفاة النبي أن مرجعية المسلمين هو عميد أهل بيت النبوة وهو علي بن أبي طالب ⁷. فكل مسلم قد تبلغ بأن علياً هو مولاه ومولى كل مسلم ومسلمة. انظر إلى قول الفاروق (هذا مولاي ومولاك ومولى كل مؤمن ومؤمنة). تلك هي المرجعية الشرعية.

إلغاء المرجعية الشرعية يستتبع بالضرورة إيجاد مرجعية بديلة

تلاحظ أن المرجعية الشرعية في الإسلام قد عطلت بعد موت نبيه ، فصار المرجع الرسمي ، أو القائم مقام المرجع الشرعي هو الخليفة. ودارت الأيام ، فعاد المرجع الشرعي ليقوم بعمله ووظيفته كولي للأمة ومرجع شرعي لها. فقامت الدنيا ولم تقعد إلا بعد أن قتل ، وجاء الحسن فأدرك أن الدنيا ما زالت قائمة وأنها لن تقعد إلا بقتله ، فترك الأمر ، وأحيط بالحسين في كربلاء فُقتل وأيده من حضر معه من أهل بيته الطاهرين ، فأصبحت الأمة بغیر مرجعية شرعية. وبما أن المرجعية ضرورة من ضرورات وحدة المجتمع ، ركز الحاكمون الأمويون ليكونوا هم المرجعية وليقنعوا الأمة أنهم المرجعية الشرعية ، ومن الطبيعي أن يكون للكثير من طلاب الدنيا مصلحة بالتعاون معهم لتحقيق هذه الغاية.

نظيرية عدالة كل الصحابة هي الطريق الفرد لإيجاد المرجعية البديلة

فصلت نظيرية عدالة كل الصحابة لغة واصطلاحاً بحيث تتسع بالحاكمين والأمويين ، ثم أضيفت صفة العدالة على الصحابي . أي صحابي على الإطلاق . وبما أن المرجع الشرعي عادل ولا يجوز عليه الكذب ، وبما أن الصحابي عادل ولا يجوز عليه الكذب وهو من أهل الجنة ، فمعنى ذلك أن الحاكم الأموي عادل ومؤهل ليكون المرجع الشرعي لأمة محمد ، وهذا هو مفتاح سير الأحداث.

لو جاءت النظيرية عن طريق غير الحاكمين لفشلت

لو نادى بنظيرية عدالة كل الصحابة أشخاص عاديون لفشلت تماماً. ولكن نادى بها صحابة بتأييد مادي ومعنوي من الحكام ، فقد خصصوا جعلاً من يضع الأحاديث

للطعن بالمرجعية الشرعية بعد وفاة النبي ، وقربوا القائلين بنظرية عدالة كل الصحابة ، وبذلوا لهم المال والجاه ، وسخروا كل وسائل إعلام الدولة للترويج لهذه النظرية. ومن الطبيعي أن لا تخفي هذه الأساليب على ذوي البصيرة من الصحابة الكرام ، لكن أياديهم مغلولة ، والأمة متفرقة ، وقد غلت على أمرها ، فاستكراها كبار الصحابة بالقول والفعل ، لكن هذا الاستكثار كان يموت لحظة ولادته في زوايا البيوت ، بينما كان تأييد هذه النظرية يعمم بكل وسائل الإعلام ، وبدعم الدولة نفسها. فعمليات التنقيص من ولی الأمة ومرجعها الشرعي ولعنه وشتمه كانت أموراً يومية تمارسها الأمة بقوة السلاح ، وعنفاً عن إدارتها ، ومن يعارض ذلك فمصيره مصير حجر بن عدي ، وهو القتل وحرمانه من العطايا الشهرية أو لقمة العيش.

وبنفس الوقت ، كانت عملية ايجاد المرجعية البديلة تشق طريقها بريح ملائمة.

المرجعية البديلة أصبحت شرعية

مات جيل الصحابة الكرام ، ومات التابعون الصادقون ، وماتت المعارضة ، واختفت حجة هؤلاء جميعا ، ولم يبق منها إلا التذر اليسير. وبقيت كافة المعلومات الضرورية لإضفاء الشرعية على المرجعية المزيفة والبدالة موجودة بكامل تفاصيلها ، لأنها جزء من وثائق الدولة المحفوظة ، وبالتالي أصبحت شرعية حقيقة من حيث الظاهر بعد أن مات كل الذين يعرفون الحقيقة ، وأخفيت حجتهم ومعارضتهم ، ولم يبق منها إلا اليسير ، فاعتقد اللاحقون أن المرجعية الشرعية التي أمر الله بها وأوجدها هي عينها التي نقلت إليهم عن طريق الدولة من أسلافهم ، فأصبحت معارضة هذه النظرية معارضة للدين نفسه لا معارضة للذين أوجدوها ، وأصبحت تقليداً لا تقبل المناقشة ، ومن يناقشها أو يعارضها أو ينتقص من الدين وضعوها فهو زنديق لا يؤكل ولا يشارب ... اخ ، ولأن الشيعة بزعامة أهل البيت يعارضون ذلك ولا يقبلون به ، فمن الطبيعي أن تصب عليهم كل اللعنات وأن يصوروا كأنهم اعداء للدين وكفار مجرمون. وهذا ما استقر بذهن العامة ، وبذهن العلماء الذين تخرجوا من جامعات هذه النظرية ، ورووا التاريخ من خلالها.

الحل

إنه لا بديل عن الصبر ، ولا بديل عن الاقتداء بمحمد ﷺ ، فقد قاومه كل الناس ولم يرکع ، بل استطاع بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالأساليب الشرعية ، وبالحججة القاطعة والبراهين الساطعة أن يهتك حجب التقليد ، وأن يزكيح عن وجه الحقيقة كل ما علق بها. واقتتنع الناس في النهايه ، وتلك هي الوسيلة الوحيدة أمام عشاق الحقيقة الشرعية.

في غياب المرجعية الشرعية

انقسم الناس إلى شيع وأحزاب متناقضة متعارضة كل حزب يدّعى أنه على الحق ، وأن غيره على الباطل ، وهم جميعاً يعلمون أن الأمة في غياب المرجعية الشرعية ستنقسم إلى ثلات وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، وهم يعلمون أنه لا يوجد إلا حق واحد وهو الذي تسير عليه هذه الفرقة الناجية ، والفرقة الناجية هي التي تتبع المرجعية الشرعية ، وهذا الانقسام كان واحداً من الميراثات التي وجدت من أجلها نظرية عدالة كل الصحابة.

الانقسام الفقهي

في غياب المرجعية الشرعية المخصصة لبيان المقصود الشرعي من النص وتكليف النص على الواقع انقسم المسلمون إلى عشرات الشيع والأحزاب الفقهية والتي تحمل في ثناياها طابعاً سياسياً بالضرورة ، وتمركزت هذه الأقسام بخمسة قوى :

- ١ . مذهب أهل البيت الكرام : وهو أول المذاهب الإسلامية على الإطلاق ، وهو مذهب الفئة الناجية كما سنتثبت ذلك ، وقد أطلق عليه المذهب الجعفري نسبة إلى جعفر الصادق .^٧
- ٢ . المذهب الحنفي : نسبة إلى أبي حنيفة ، وقد أخذ أبو حنيفة عن الإمام جعفر ثم انفرد بمذهب خاص.

٣ . المذهب المالكي : نسبة إلى مالك ، وقد أخذ عن أبي حنيفة وانفرد بذهبه أيضاً.

٤ . المذهب الشافعي : نسبة إلى الشافعي ، وقد أخذ عن مالك وانفرد بذهبه

كذلك.

٥ . المذهب الحنفي : نسبة إلى أحمد ، وقد أخذ عن الشافعي وانفرد بذهبه.

وأنت تلاحظ أن الإمام جعفر الصادق هو أستاذ أصحاب المذاهب الأربع ، وهم

يفخرون بذلك. بينما يعتبر العوام أن أتباع المذهب الجعفري على الضلال ، وأن العوام على
الصواب.

جذور مطاردة أهل البيت

تمت مطاردة أهل البيت الطاهرين طوال التاريخ السياسي الإسلامي لغایات:

١ . إصرار المطاردين . بكسر حرف الراء . على إجبار أهل البيت للتخلّي عن
خصوصيتهم التي خصّهم الله بها من دون المسلمين .

٢ . وبنفس الوقت تأويلاً لهذه الخصوصية وإخراجها عن معانيها ووظائفها .

٣ . إيجاد خصوصيات وضعية منافسة للخصوصية الإلهية لسلب معاني ووظائف
خصوصية أهل البيت .

٤ . نظرية عدالة كل الصحابة جاءت كخصوصية وضعية أريد منها أن تقوم بسلب
خصوصية أهل البيت الكرام .

٥ . ولو أن أهل البيت الكرام عطّلوا خصوصيتهم وقبلوا الامر الواقع فإنهم لن يتركوا
وهم بحالة مطاردة مستمرة . لماذا؟

٦ . لأن السلطة فاتنة جميلة تزوجها الحكام بالإكراه وسلبوها من زوجها الشرعي ،
فملکوا الجسد ، أما قلب الزوجة وروحها ، فمع زوجها الشرعي تحلم بهذا الزوج عليناً وهي
بقبضة الحكم ، فشبت في قلوب الحكام طوال التاريخ غيرة

مجونة ، وقادتهم هذه الغيرة إلى افاعيل مخزية.

خصوصية القرابة الظاهرة

البطن الهاشمي خير بطون الناس عامة ، وخير بطون العرب خاصة بالنص الشرعي. وبيت عبد المطلب هو أيضاً خير بيوت الناس عامة ، وخير بيوت العرب خاصة ، وبالنص الشرعي أيضاً^(١) وهو هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب^(٢). آل محمد هم أفضل الآل ، وقد افترض الله مودتهم بالكتاب ، وجعل الصلاة عليهم ركناً من أركان الصلاة ، وهذا معنى قول الشافعى :

يا أهل بيته نبي الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الفخر أئكُمْ من لم يصلِّ عليكم لا صلاة له^(٣)
وأهل بيته محمد هم دسمة هذه الأمة ، وهم الشجرة التي يتداوى بها ، وهم العترة (وعترة الرجل هم نسله ور Hatch الأقربون)^(٤).

وقد طَهَرَ الله أهل بيته وأذهب عنهم الرجس ، وأية التطهير لا تخفي على أي مسلم ، وبفضله تعالى وجهادهم في سبيل الله تقدموا على ما سواهم ، فهم المرجعية الشرعية لل المسلمين وللدين ، ومنهم القيادة السياسية ، وهذا مجد لا يضاهيه مجد ، وشرف يقصر عنه كل شرف ، وخصوصية آل محمد.

(١) راجع الطبقات لابن سعد ، وراجع السيرة الحلبية ، وراجع كنز العمال ، وقد نقل عن الحاكم في مستدركه والبيهقي في سننه وعن الطبراني وعن ابن عساكر.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ج ١ ص ٧٥ ، وراجع السيرة الحلبية.

(٣) راجع ابن حجر في تفسير آية : (ان الله وملائكته يصلون على النبي) في صواعقه المحرقة ص ٨٨ ، وراجع النبهاني ص ٩٩ من الشرف المؤيد وهي مرحلة عن الشافعى ، إرسال المسلمين كما يقول الإمام شرف الدين.

(٤) راجع مختارات الصحاح ص ٣١ و ١٨٥ و ٧٠ و ٤١٠ و راجع المعجم الوسيط ص ٢١ ج ١ ص ٥٨٨

ما هي الغاية من هذه الخصوصية؟

الغاية الشرعية من خصوصية القرابة حقيقة أنها تشريف ، ولكنها بجوهرها تكليف لها معنى ولها وظائف.

فمعناها : أنها نقطة ارتكاز للمسلمين ، فبهم تكتمل الدائرة ويتحدد مركزها ، فيستقطبون الأمة كلما تفرقت ، فتقديم لهم الحل بالتأشير على نقطة الارتكاز الإلهية فلا يذهب المسلمون لا للشرق ولا للغرب ، ولا للشمال ولا للجنوب ، إنما يذهبون للقرابة الظاهرة ، ويتجمعون حولها فتجمعهم ، وهي بنفس الوقت مرجعية للدين ، ومرجعية للمسلمين ، فتبين الدين للمسلمين ولغير المسلمين ، وتسمع من المسلمين ثم تقدم الفهم الأمثل لهذا الدين والموافق تماماً للمقصود الإلهي.

وظائف القرابة الظاهرة

- ١ . نقطة ارتكاز واستقطاب.
- ٢ . مرجعية للدين لبيانه للناس عامة وللمسلمين خاصة.
- ٣ . ثقل أصغر ، والقرآن هو الثقل الأكبر ، والعترة هم الثقل الأصغر ، والهدایة لا تُدرك إلا بالثقلين ، والضلال لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بمحذن الثقلين معاً. فلو تمسكت الأمة بالقرآن الكريم وحده وتركت العترة الظاهرة فستضل حتماً. لماذا؟ لأن القرآن هو الدواء ، والعترة هي الطيب ، والطب عملية اختصاصية ^(١).

(١) راجع ج ١ ص ٤٤ من كنز العمال ، وقد نقله عن النسائي والترمذى عن جابر عن رسول الله وأخرجه الترمذى عن زيد بن ارقم ، وأخرجه الإمام أحمد من حديث زيد بطريقين صحيحين في أول ص ١٨٢ وفي آخر ص ١٨٩ ج ٥ من مستنته ، وأخرجه أيضاً عن ابن أبي شيبة وأبو يعلى ، وابن سعد عن أبي سعيد ، وراجع الحديث ٩٤٥ ج ١ ص ٤٧ ، من كنز العمال ، وأخرجه الحكم في مستدركه ج ٣ ص ١٤٨ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على طريق الشيختين ، ولم يخرجاه وأخرجه الذهبي معتبراً بصحته على شرط الشيختين ، راجع تلخيص المستدرك للذهبي.

٤ . قيادة سياسية للأمة. فعندما تكون القيادة السياسية بعترة محمد تطيب نفوسهم جميعاً بها لأنها الحل الجذري الذي يقطع دابر الخلاف ، ويجلب الاستقرار ، ويعيت الطمع والتنافس عليها. وقد تكفل الشرع الحنيف ببيان مل منهن تكون هذه القيادة ، وكيف تنتقل.

لماذا أعطيت القرابة الظاهرة هذه الخصوصية؟

لماذا اختار الله محمدًا للرسالة ولم يختار أبا سفيان؟ هذا فضل الله يؤتى به من يشاء. لماذا فضل الله بعض النبيين على بعض؟ هذا فضل الله. لماذا اختار محمدًا من بنى هاشم ولم يختاره من بنى عدي أو بنى تميم أو بنى أمية؟ هو الذي يبيده الفضل يؤتي فضله من يشاء. ولكن باستقرائنا العميق لتاريخ الإسلام يمكن ان نجد بعض التعليلات لهذا الاختيار.

تعليلات

- ١ . لقد بين الله سبحانه وتعالى أن قرابة محمد هم خير الناس وأفضلهم ، ومن مصلحة العباد ان يقودهم الأفضل والأحسن. وقد ثقنا هذه الناحية قبل قليل.
- ٢ . الإنذار الصادر عن بنى هاشم والموجه لبطون قريش كلها عندما همت بقتل محمد ، إذأندرهم أبو طالب قائلًا : (والله لو قتلتتموه ما أبقيت منكم أحداً حتى نتفاني وإياكم). وأثبتت لهم أنه قد هم بقتل زعماء قريش عندما أشيع بأن محمدًا قد قتل.
- ٣ . إن كل بطون قريش قررت مقاطعة بنى هاشم ، وكتبوا كتاباً بأن لا ينأوكحوم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم. وتم حصر الهاشميين في شعاب أبي طالب ثلاث سنوات ، وانحاز بنو عبد المطلب بن عبد مناف إلى أبي طالب في شعبه. وقطعت عنهم قريش الميرة والمادة ، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم ، وسمعت أصوات صبيانهم من وراء الشعب ، ولقريش مطلب واحد وهو أن يسلم الهاشميون محمدًا لقريش لقتله ، أو يخلّي الهاشميون بين قريش وبين محمد. ولكن الهاشميين أتوا ذلك ، ودافعوا عن محمد بأرواحهم وأموالهم

وأولادهم واستقرارهم.

٤ . لما فشل الحصار ، وخوفاً من القرابة الطاهرة اضطرت قبائل قريش أن تختار من كل قبيلة رجلاً تعبيراً عن اشتراكها بقتل محمد يضيع دمه بين القبائل ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه ، وتحرك مندوبي القبائل فعلاً ليقتلوا النبي ، ولكن الله نجاه.

٥ . والقرابة الطاهرة في الجاهلية هي ناصية قريش ولا تقطع الأمور دون مشورتهم.

٦ . وهم وسيلة النجاة بالنص الشرعي ، وهم الأمان بالنص الشرعي ، لهذه الأسباب مجتمعة ومنفردة بالإضافة إلى الفضل الإلهي أعطيت القرابة الطاهرة هذه الخصوصية بالإضافة إلى الإعداد الرباني لعمدائهم من الناحية العملية والتربوية.

تحولت هذه الخصوصية إلى حجة سياسية طوال التاريخ

قال أبو بكر الصديق مخاطباً الأنصار (الناس تبع لنا ، ونحن عشيرة رسول الله ﷺ)

(١)

وقال عمر الفاروق مخاطباً الأنصار (إنه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا ينبغي أن تولى هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم .. لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ينazuنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشائرته إلا مدل بباطل أو متجانف لاثم أو متورط في هلكة) (٢) .

قال بشير بن سعد مخاطباً الأنصار ومعقباً على قول الفاروق والصديق : « إن محمداً رسول الله ﷺ رجل من قريش ، وقومه أحق بميراثه وتولي سلطانه ، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً ، فاتقوا الله ولا تنازعوه ولا تخالفوهم » (٣) .

(١) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٨٤.

(٢) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٨٤.

(٣) راجع تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٩٧ - ١٩٨.

فسلم الأنصار وقالوا : لا نباع إلّا علياً ، وعلى غائب مشغول وأهل البيت بصابهم .
وباعت الأكثريّة الحاضرة في سقيفة بيي ساعدة أبا بكر الصديق وخرج ك الخليفة ، وخرج عمر
ك نائب لل الخليفة ، وخرج أبو عبيدة ك نائب ثان لل الخليفة ، وخرج الذين بايعوه ك جيش لل الخليفة
(١) .

فوجيء الإمام عليّ بما جرى ، وطلب منه نائب الخليفة وولي عهده عمر بن الخطاب
أن يباع أبا بكر ك الخليفة للمسلمين ، فقال علي مخاطباً أبا بكر وعمر : (إنّا أحق بهذا
الأمر منكم ، لا أبایعکم وأنتم أولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتجتم
عليهم بالقرابة من النبي ، وتأخذونه منا أهل البيت غصباً؟ ألستم زعتم للأنصار أنكم أولى
بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم ، فأعطيكم المقادمة وسلموا إليكم الإمارة . وأنا أحتاج
عليكم بمثل ما احتجتم به على الأنصار . نحن أولى برسول الله حياً وميتاً ، فأنصفونا إن
كتتم تؤمنون وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون) .

قال له عمر : إنك لست متزوكاً حتى تباع . فقال له علي (احلب حلياً له شطره ،
واشدد له اليوم أمره يرددك عليك غداً .. الله الله يا معاشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد
في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقبور بيوتكم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس
وحقه ، فو الله يا معاشر المهاجرين لنحن أحق الناس به ، لأنّا أهل البيت ونحن أحق بهذا
الأمر ما كان فينا القاريء لكتاب الله الفقيه في دين الله ، العالم بسنن رسول الله ، المضطلع
بأمر الرعية ، المدافع عنهم الأمور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية . والله إنه لفينا فلا تتبعوا
الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزادوا من الحق بعداً) . فقال بشير بن سعد الأنصاري : (لو
كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان)
(٢) .

ولما ماتت فاطمة ٣ أرسل علي إلى أبي بكر أن أقبل إلينا ، فاقبل أبو بكر حتى دخل
على علي وعنه بنو هاشم . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد

(١) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ١٢٠ وما فوق .

(٢) راجع الإمامة والسياسة ص ١٢٠ - ١١ .

يا أبا بكر ، فإنه لم يعننا أن نباعيك إنكاراً لفضيلتك ولا نفاسة عليك ، ولكننا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً ، فاستبددت به علينا ، ثم ذكر قرابته من رسول الله ، فلم يزل بذكر حتى بكى أبو بكر. فقال أبو بكر : لقرابة رسول الله أحب إليّ من قرابتي ^(١).

أتى المغيرة بن شعبة فقال : (الرأي يا أبا بكر أن تلقوا العباس فتجعلوا له في هذه الإمارة نصيباً ، وتكلون لكما الحجة على علي وبني هاشم). فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة إلى العباس. وما قاله أبو بكر للعباس (... وقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً ...) إلى أن قال : (على رسلكم يا بني عبد المطلب ، فإن رسول الله منا ومنكم). فأجابه العباس على كل النقاط التي أثارها إلى أن قال : (وأما قولك إن رسول الله منا ومنكم ، فإنه قد كان من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها) ^(٢).

وقد آلت الأمور إلى الفاروق ، لأن أبا بكر أوصى به ، ولأنه من قريش عشيرة النبي ، ثم آلت إلى عثمان لنفس الأسباب ، فقد أوصى له عمر عملياً ، ولأنه أيضاً من قريش. وآلت الأمور إلى علي لأنه الولي ، ولأن الناس بايعوه ، كذلك الحسن ^٧ ، وعندما غصب معاوية الأمر بالقوة كان من مبررات حكمه أنه من قريش ومن أقارب النبي ، فهاشم وعبد شمس إخوة ، فسنته الظاهري القربي والغضب ، وهكذا سند الحكم الأموي كله ، وجاء بنو العباس وقد تسلحوا بالقرابة ، وضرروا على وتر الآلام التي لحقت بأهل البيت كمقتل الأئمة علي والحسن والحسين والذرية الطاهرة ، ثم تسلموا بالقوة فغلبوا وحكموا.

فالحكم من بعد وفاة الرسول ^٦ وحتى سقوط آخر خلفاءبني العباس قام في جانب منه على قاعدة أن الأئمة من قريش ، وقريش هي قرابة النبي ، وأنت تلاحظ أن القرابة من النبي يحرم منها أهل البيت ، ويستفيد منها الأبعدون.

(١) راجع الإمامة والسياسة ص ١٤ - ١٦.

(٢) راجع الإمامة والسياسة ص ١٤ - ١٦.

معاملة الحكام للقرابة الطاهرة من الناحية السياسية

مشى عمر بن الخطاب ٢ في جماعة وأخرجوا علياً غير عادي غير عائين بكاء فاطمة الزهراء وجاء به إلى أبي بكر فقالوا له (بايع) فقال علي (إن لم أفعل فمه؟) قالوا (إذاً نضرب عنقك) قال علي (تقتلون عبد الله وأخا رسوله؟) فقال عمر لل الخليفة أبي بكر (ألا تأمر فيه بأمرك؟) فقال أبو بكر (لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جانبه) فلحق بقبر رسول الله يصيح ويكيي وينادي : (يا ابن أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) ونادت فاطمة بأعلى صوتها : (يا أبا ، يا رسول الله ، ماذا لقينا بعدك من الخطاب وابن أبي قحافة).

وتحلّف قومٌ عن بيعة أبي بكر ، وكانوا في بيت علي ، فبعث أبو بكر إليهم عمر فنادهم وهم في دار علي فأبوا أن يخرجوا ، فدعا بالخطب وقال : (والذي نفس عمر بيده لتخربُجَنْ أو لأحِرَقَ الدار على من فيها) ، فقيل : (يا أبا حفص ان فيها فاطمة) فقال : (وان) ^(١) وخرجوا ولم يحرق الفاروق بيت فاطمة ، وماتت فاطمة ودفنت ليلاً ، لأنها أوصت أن لا يصلّي عليها أبو بكر. وبعد موتها بايع علي أبا بكر وأوصى أبو بكر لعمر ، وخلال حياتهما كانا يقدمان أهل البيت عند توزيع العطايا. فقد بدأ عمر بمحمد وآلـه ، ثم أبو بكر وآلـه ، ثم عمر وآلـه ، كما يروى البلاذري في فتوح البلدان ، وكانا يستشيران الإمام علي ويرجعان إليه ^(٢) وعصر أبي بكر وعمر في جانب من جوانبه عصر ذهبي لأهل البيت.

وجاء الأمويون فحاربوا علياً ، وسموا الحسن ، وقتلوا الحسين ، وأبادوا ابادة

(١) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ١٢ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه المالكي ج ٤ ص ٢٥٩ و ٢٦٠ ، وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديـد ج ١ ص ١٣٤ وج ٢ ص ١٩ ، وراجع تاريخ الطبرـي ج ٣ ص ٢٠٢ ، وراجع أنساب الأشراف للبلاذري ج ١ ص ٥٨٦ ، وملحق المراجعات تحقيق حسين راضـي ص ٢٦١ .

(٢) راجع الاستيعاب بهامش الإصابة ج ٣ ص ٣٩ . وذخائر العقيـي ص ٨١ و ٨٢ ، وتنكرة الخواص للجوـزي الحنـفي ص ١٤٤ - ١٤٨ ، وكفاية الطالب للكتـجي الشافـعي ص ١٩٢ ، والمناقب للخوارزمـي ص ٣٨ .. الخ.

كاملة من حضر معه من أهل البيت ، ومنعوهم من أن يشربوا من ماء الفرات ، وتاريخ الأشرف للبلاذري يروي هذه الحنة ، وصباوا كل غضبهم على من يحب أهل بيت محمد ، وبعد أن استولى معاوية على الحكم كتب إلى جميع عماله في جميع الآفاق بأن يلعنوا علياً في صلواتهم وعلى منابرهم كما يقول العقاد في ميزانه ص ١٦ .

ولم يقف الأمر عند ذلك ، بل كانت مجالس الوعاظ في الشام تختتم بشتم علي ، كما يروي ابن عساكر (ج ٣ ص ٤٠٧) وبالتالي ، فلم يجيزوا لأحد من شيعته وأهل بيته شهادة ، ومحوا من الديوان كل من يظهر حبه لعلي وأولاده ، وأن يسقطوا عطاءه ورزقه ^(١) . وجاء بعدهم العباسيون. يقول أبو بكر الخوارزمي (والجملة أن هارون مات وقد حصد شجرة النبوة واقتلع غرس الإمامة) ^(٢) .

ثم ها هو المنصور في ثورة غضبه يقول وقد عزم على قتل الإمام جعفر الصادق : (قتلت من ذرية فاطمة ألفاً أو يزيدون ، وترك سيدهم ومولاهم جعفر بن محمد) ^(٣) ثم قال مشافهة للإمام الصادق (لاقتلنك ولاقتلن أهلك حتى لا أبقي على الأرض منك قامة سيف ، ولأضربي المدينة حتى لا ترك فيها جداراً قائماً) ^(٤) .

ويقول الطبرى في تاريخه : (إن المنصور هذا ترك خزانة رؤوس ميراثاً لولده المهدي كلها من العلويين ، وقد علق بكل رأس ورقة كتب فيها ما يستدل به على صاحبه ، ومن بينها رؤوس شيوخ وشبان وأطفال) ^(٥) والمنصور هو الذي كان يضع

(١) راجع معاوية بن أبي سفيان في الميزان لعباس العقاد ص ١٦ ، وراجع شيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية ص ١٨٠.

(٢) راجع معاوية بن أبي سفيان في الميزان لعباس العقاد ص ١٦ ، وراجع شيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية ص ١٨٠.

(٣) رسائل أبي بكر الخوارزمي ص ١٧٨ .

(٤) الحياة السياسية للإمام الرضا ص ٨٧ .

(٥) راجع مناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٥٧ ، والبحار ج ٤٧ ص ٤٧ .

العلويين في الأسطوانات ويسمّرهم في الحيطان ، كما ذكر اليعقوبي في تاريخه ، ويترکهم يموتون في المطبق جوعاً ، وقتلهم الروائح الكريهة ، حتى لم يكن لهم مكان يخرجون إليه لإزالة الضرورة. وكان يموت أحدهم ويترك حتى يلی من غير دفن ثم يهدم المطبق على من تبقى منهم أحياء وهم في أخلاقهم ^(١).

وأما الرشيد فقد أقسم على استصالهم وكل من تشيع لهم ، واستهرب عنه قوله (ح TAM أصبر على آل بني أبي طالب والله لأقتلنهم ولأقتلن شيعتهم ولأملقن ولأملغن) ^(٢) وكان شديد الوطأة على العلوين يتبع خطواتهم ويقتلهم ^(٣).

كتب المنصور يوماً إلى الإمام الصادق ٧ (لم لا تغشاني كما تغشاني الناس؟) فأجابه الصادق (ليس لنا ما نخالف من أجله ، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له ، ولا أنت في نعمة فنهنيك ، ولا تراها نعمة فتعزيك ، فما نصنع عندك؟) فكتب المنصور إليه ، (تصحبنا لتصحنا) فأجابه الإمام (من أراد الدنيا لا ينصحك ، ومن أراد الآخرة لا يصحبك) ^(٤).

نوع القرابة

١ . القرابة القريبة لحمد ٦ وهم فاطمة وعلي وحسن وحسين ونسائهم لاحقهم خصوصية القرابة ، جرت عليه كل الولاءات والآسي ، وتلك مكافأة على موقف أبي طالب نحو الإسلام ونبي الإسلام ، وعلى موقف علي في حروب الإسلام مع أعدائه ، فعليهم الغرم كله والغم لسوائهم.

(١) راجع تاريخ الطبرى ج ١٠ ص ٤٤٦ وراجع النزاع والتخاصم للمقرىزى ص ٥٢.

(٢) الحياة السياسية للإمام الرضا ص ٨٨.

(٣) الأغانى للإصفهانى ج ٥ ص ٢٢٥.

(٤) العقد الفريد ج ٢ ص ٨٠ وراجع كشف الغمة في أموال الصادق لابن حمدون ج ٢ ص ٢٠٨ وراجع المحاضرة التي ألقاها الشيخ محمد باقر بمناسبة مولد الإمام الصادق في المؤتمر الدولي المنعقد في دمشق بتاريخ ٢٦ / ٩ / ٢٨٠٩١ وقد نشرت البحوث في كتاب يقع على صفحة ٤٩٤.

٢ . القرابة البعيدة من رسول الله ، فقد حكموا لأنهم من عائلة النبي (قريش) فأخذوا الغنم كلها ، وخصوصا القرابة القريبة بالغنم كلها.

عزل العترة الطاهرة

النتيجة المنطقية أن عزل الإمام بعد وفاة فاطمة ، وبخلت رغبة عزل الإمام عن بني هاشم بمحاولة اجتذاب العباس إلى السلطة وإغرائه ببعض الأمر له ولعقبه. لكن العباس رفض ذلك رفضاً قاطعاً ، ورد رداً حاسماً على السلطة الراشدة. ومع الأيام عزلت القرابة القريبة الطاهرة عن بني هاشم وعن آل البيت وعن الناس لأنه وبالمعيار الموضوعي ، فإذا قدر للشخص العادي أن يختار بين السلطة وبين خصومها ، فإنه سيختار جانب السلطة لأنها هي الجانب القوي المالك لزمام الأمور. فكانت أغليبية الأمة مع الحكام. وأقليتها مع أهل البيت ، أو كما عبر الشاعر (القلوب مع أهل البيت والسيوف عليهم ومع أعدائهم). فعمرو بن سعد بن أبي وقاص الذي قاد جيش الخليفة ضد الحسين وأهل البيت في كربلاء صلّى الصبح وقال (اللهم صل على محمد وآل محمد) وبعد أن أنهى الصلاة قام بقتل الموجودين من أهل بيت محمد ، ولم يكتف بقتلهم بل قطع رؤوسهم كلهم ، كما يجمع على ذلك ثقات المؤرخين ، وسلبوا أهل البيت حتى لباسهم وهم أموات. وتحركت الخيول فوطئت جثة الحسين وجثة من معه من أهل البيت تقرباً إلى ابن زياد وإلى يزيد بن معاوية. والله في خلقه شؤون. وتلك ثمرة من ثمرات المقوله (لا ينبغي أن يجمع الماشفيون النبوة مع الملك).

تأويل الخصوصية

ما ثبته الله لن يهزم البشر ، وما وضعه الخالق لن يغيره المخلوق ، أدرك الحكم أن خصوصية أهل البيت لن تتغير مهما فعلوا بهم. فالصلاحة عليهم مفروضة وطهارتهم واردة في القرآن الكريم ، وولايتهم على الأمة ثابتة ، والنصوص بفضلهم آخذة بالأعناق. وحتى لو تم إبادة أهل البيت إبادة تامة فإن هذه الخصوصية ستبقى شبحاً يلاحق الحكم ليلاً نهاراً. ومن هنا لا بدile عن تأويل هذه الخصوصية.

الفصل الخامس

الأعمال التي علقت على نظرية الصحابة

الذين اخترعوا هذه النظرية علقوا عليها الآمال التالية :

- ١ . تأويل خصوصية أهل بيته تأويلاً يفرغها من مضمونها ووظيفتها.
- ٢ . إيجاد خصوصية بديلة تنافس خصوصية أهل البيت ، وتقوم بالتعاون مع الحكام بوظائف أهل البيت.
- ٣ . خلق الشبهات وإيجاد حالة من الحيرة والشك لتفريق المحكومين وإشغالهم عن الحكام بخلافات جانبية وتغذية هذه الخلافات لتحول إلى خلافات عميقة ودائمة.

التقابل بالصفات

أهل البيت الكرام أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . ومن أهل البيت . بكل الموازين . فاطمة وعلي وحسن وحسين على الأقل . لقد ظهر الله هؤلاء وبشرهم في الجنة قبل أن يبشر المبشرين في الجنة ، وهم سادات أهل الجنة بالنص ^(١) وغني عن البيان انهم عدول ، لأن من ملك الأكثر ملك الأقل ، ومن حاز الدائرة حاز ما في ضمنها .

الصحابة : أجيال الصحابة الذين أخلصوا لله قوم مكرمون عدهم الله ، ولكن الذين حكموا ليسوا من أجيال الصحابة ، بل هم في غالبيهم طلقاء أسلموا بعد أن

(١) يمكنك الرجوع إلى ج ١٢ ص ٩٣ وما فوق من كنوز العمال فقد روى عن أكثر أهل الحديث .

أحيط بهم. إنه لا يوجد طريقة في الدنيا يمكن أن تجعلهم في مرتبة أهل البيت إلا نظرية عدالة كل الصحابة بالمعنىين اللغوي والإصطلاحي. فهي تساوي بين من أسلم من قبل الفتح وقاتل ، وبين من أسلم بعد الفتح. تساوي بين القاتل والمقتول ، والمحاصر والمحاصر ، وبين المهاجر والطريق ، وبين المؤمن والمنافق ، وتعطيهم جميعاً نفس الصفة (العدالة). فعلي بن أبي طالب من أهل البيت وصحابي ، ومعاوية بن أبي سفيان صحيبي. هذا عادل وهذا عادل ، هذا مجتهد وهذا مجتهد ، هذا في الجنة ، وكلاهما منزه عن الكذب. عليّ أول من أسلم ، وولي الله بالنص ، وحامل لواء النبي في كل معاركه ، وبطل الإسلام في كل مواجهة ، هو تماماً كمعاوية الذي حارب وأبوه الإسلام في كل الواقع ، وأسلماً بعد ما أحيط بهما!!! العدالة الوضعية ترفض هذا التكيف ، ومن باب أولى أن ترفضه عدالة السماء ، الله فرق بين الاثنين ، ونبيه فرق بين الاثنين ، والأعمال فرقت بين الاثنين ، فمن أمرنا بمساواتهما؟ وما هو الدليل على ذلك غير نظرية عدالة الصحابة؟ تلك النظرية التي وجدت أساساً للقضاء على الفوارق بين المتقدمين والمتاخرين ، بين المجاهدين والقاعددين ، بين الأولين والآخرين. مما وجدت نظرية عدالة كل الصحابة وما خلصت صفة العدالة على الجميع إلا لغايات منافسة العدالة للطهارة التي اختص الله بها أهل بيته.

· مثال من الواقع

علي عميد أهل البيت بالنص ، وولي الأمة بالنص ، وأول من أسلم بالنص ، وبمحاراة للذين يكرهون أن يكون الأول هو ثانٍ من أسلم بالنص ، والحق معه يدور حيث دار بالنص ، وموالاته موالاة الله بالنص ، ومعاداته معاداة الله بالنص ، وهو صحابي باعتراف كل الذين أسسوا نظرية عدالة الصحابة ، وهو مبشر بالجنة. فإذا كان علي صحابياً ، فلماذا فرضتم لعنه فوق كل المنابر وفي كل الأمصار الإسلامية؟ ولماذا لعنتموه وشتمتموه فعلاً؟ ألمستم أنتم الذين حددتم عقوبة من يشتم الصحابي فقلتم : إنه زنديق ، لا يؤكل ولا يشارب ولا يصلى عليه؟ أم أن عدالة كل الصحابة

تعمل لصالح الجميع إلّا لصالح علي وأهل بيته؟ حيث تعطل عندهم ولا تعمل ولا تخلع عليهم صفة العدالة؟

مثال آخر من الواقع

الحسن بن علي والحسين بن علي سيدا شباب أهل الجنة في الجنة ، وريحانة النبي من هذه الأمة ، وما ابنا رسول الله بالنص ، فقد جعل الله ذرية كلّنبي من صلبه ، وجعل ذرية النبي من صلب علي ، وما صحابيان ومن العدول لأنهم صحابيان ، ومن غير الجائز الانتقاد من صحابي أو شتمه أو طعنه ، ومن يفعل ذلك فهو زنديق لا يؤكل ولا يشارب ولا يصلى عليه ... الخ.

فما لكم بن سُمو الصحابي الحسن بن علي؟ وما هو حكمكم بن قتل الحسين وحرمه عليه وعلى أهل بيته أن يشربوا من ماء الفرات وهو حلال للوحش والطير والحيوان وحتى للكلاب؟ ألا يعتبر القتل انتقاماً؟ ما رأيكم بن قتل ذرية محمد كلها ويسليها مداعها وهي ميتة ويسيي النساء وذرية محمد من الصحابة ونساء الذرية من الصحابة؟!

توضيح الصورة

الذين سموا الحسن صحابة بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي ، والذين قتلوا علياً صحابة ، والذين قتلوا الحسين صحابة ، والذين أبادوا ذرية النبي في كربلاء صحابة ، والذين لعنوا علياً وشتموه ومن والاه صحابة ، والذين لم يقبلوا شهادة من يحب علياً صحابة .

تساؤل واستغراب

الحسن بن علي المسموم من العدول ، لأنّه من الصحابة ، والذين سموه عدول ، لأنّهم من الصحابة ، والحسين بن علي من العدول لأنّه صحابي ، والذين قتلوا من العدول ، لأنّهم من الصحابة ، وذرية محمد التي قتلت في كربلاء عدول ، لأنّهم صحابة ، والذين قتلواهم عدول ، لأنّهم صحابة .

الستام (الذي ارتكب جريمة القتل بالسم) وهو الجاني ، والمسموم وهو

الضحية في الجنة ، لأنهم صحابة ، ولأنهم عدول ، والقاتل والمقتول في الجنة ، فكلاهما صحابي ومن العدول ، والطالب والمسلوب في الجنة ، وكلاهما صحابي ، وكلاهما من العدول.

هذه المساواة تشكل استهتاراً بالعقل البشري ومظهراً من مظاهر العبودية المخجلة للتقليل.

أدت الرسالة

ونظرية عدالة الصحابة أدت الرسالة تماماً. فعلى كمعاوية ، فكلاهما صحابي ، وهما من العدول ، وكلاهما في الجنة ، وكلاهما على الحق ، والمنتصر هو ولي الأمة ، والعام الذي انتصر أحدهما على الآخر هو عام الجمعة.

التقابل بالحماية

من آذى أهل البيت فقد آذى النبي ، ويقابلها : من آذى صحابياً فقد آذى النبي ، ومن أغضب أهل بيت محمد فهو في النار ، ومن أغضب صحابياً على الإطلاق فهو في النار. وزيادة على الحماية المخصصة لأهل البيت ، فإن من انتقص صحابياً فهو زنديق ، ويجب أن يعزل فلا يؤكل ولا يشارب ولا يصلّى عليه ، إنما ينبذ كجيفة ميتة. فنظرية عدالة الصحابة أعطت الصحابة الحماية المقررة لأهل البيت وزيادة.

في مجال البيان

القرآن هو الثقل الأكبر ، وأهل بيت محمد هم الثقل الأصغر ، والهدایة لا تدرك إلا بالتمسك بالثقلين. والضلال لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بهما. هذا بالنص الشرعي القاطع (١) وأهل البيت هم سفينه نوح من ركبها نجا ومن تحالف عنها غرق بالنص الشرعي القاطع وهو باب حطة ، من دخله غفر له بالنص الشرعي القاطع. وهم أمان لهذه الأمة. النجوم أمان لأهل الأرض ، وأهل بيته أمان لأمة محمد من الاختلاف ، بالنص

(١) في باب المرجعية والقيادة السياسية سأوثق كل كلمة قلتها.

الشرعى القاطع ، والأمة بدوئهم كالحمار إذا كسر صلبه ، وعميدهم يبين للناس ما اختلفوا فيه من بعد وفاة النبي بالنص الشرعي ^(١).

أمثلة ما تعطيه نظرية عدالة كل الصحابة للصحابة

(مثل أصحابي في أمتي كالملح في الطعام فلا يصلح الطعام إلا بالملح) ورد هذا الحديث في الاستيعاب على هامش الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (ج ١ ص ٧) وانظر إلى الحديث رقم ٣٣٧٩٢ (ج ١٢ ص ٢٢) من كنز العمال حيث جاء فيه بالحرف (قريش صلاح الناس ، ولا يصلح الناس إلا بضم ، ولا يعطى إلا عليهم ، كما أن الطعام لا يصلح إلا بالملح ...) نقله عن ابن عدي في الكامل عن عائشة . وانظر الحديث ٣٣٨٠٧ (ج ١٢ ص ٢٥) (أمان لأهل الأرض من الغرق القریش ، وأمان الأرض من الاختلاف المولاة لقریش ، قريش أهل الله ، فإذا خالفتها قبيلة من قبائل العرب صاروا حزب إبليس) . وقد نقله عن الطبراني في الكبير ، وعن الحاكم في مستدركه .

وقد روى الترمذى وابن حيان كما ذكر ابن حجر في الإصابة (ص ١٩) أن الرسول ٦ قد قال (الله الله في أصحابي لا تخذوههم عَرَضاً ، فمن أحبّهم فبحبي أحبّهم ، ومن أبغضهم فيبغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه) ^(٢) .

· نصوص للتدارك

أ. قال ٦ : (يا علي من فارقني فقد فارق الله ، ومن فارقك فقد فارقني) ^(٣) .

وقال : (من آذى عليا فقد إدا بي) ^(٤) .

وقال : (من احب عليا فقد احبني ، ومن أبغض عليا فقد أبغضني) ^(٥) .

(١) في باب المرجعية والقيادة السياسية سأوثق كل كلمة قلتها.

(٢) راجع الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ص ١٩ .

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه ص ١٢٤ ج ٣ وصححه على طريق الشيفين.

(٤) أخرجه الحاكم في ج ٣ ص ١٣٠ من المستدرك.

(٥) أخرجه الحاكم في ج ٣ ص ١٣٠ من المستدرك.

وقال لعلي مرة (حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله ، وعدوك عدوبي وعدوبي عدو الله والويل من أبغضك بعدي) ^(١).

وقال : (طوي لمن أحبك وصدق فيك ، ووويل من أبغضك وكذب فيك) ^(٢).

وقال : (أوصى من آمن بي وصدقني بولالية علي بن أبي طالب ، فمن تولاه فقد تولاني ، ومن تولاني فقد تولي الله ، ومن أحبه أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ، ومن أبغضه أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله) ^(٣).

ب . قال ٦ (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأمتى من الإختلاف ، فإذا خالفتها قبيلة من قبائل العرب ، واختلفوا فصاروا حزب إبليس) ^(٤) وانظر إلى قوله ٦ (النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي امان لأمتى) ^(٥).

تساؤلات

ماذا يكون الموقف لو أن صاحبهاً أبغض علياً أو آذاه ، أو أن علياً أبغض صاحبهاً أو آذاه فمن نتبع؟ ومن هو الحق ومن هو المبطل؟ ماذا يكون الموقف لو أن قريشاً قالت : نحن أمان لهذه الأمة ، وقال أهل البيت : نحن أمان لهذه الأمة؟ فمن نصدق؟ ماذا يكون الموقف لو أن قسماً من الأمة اتبعوا قريشاً ، وقسماً آخر اتبعوا أهل البيت؟ وكل فريق زعم أنه على الحق ، فمن هو الذي على الحق في الحق والحقيقة؟

انظر إلى الحديث المكذوب على رسول الله ٦ وهو (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) .

(١) أخرجه الحاكم ج ٣ ص ١٣٥ .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير وهو الحديث ٢٥٧١ ج ٣ ص ١٥٤ من الكنز ، وأخرجه ابن عساكر.

(٣) راجع الحديث ٢٥٧٦ ص ١٥٥ ج ٦ من الكنز ، وأخرجه الطبراني.

(٤) سأوثق ذلك في باب القيادة السياسية.

(٥) سأوثق ذلك في باب القيادة السياسية.

هذا حديث مكذوب. يقول ابن تيمية على الصفحة ٥٥١ من كتاب «المتنقى» للذهبي : (وحديث أصحابي كالنجوم ، ضعفه أئمة الحديث فلا حجة فيه). فلو أن مجموعة من الصحابة وقفوا مع علي ، ومجموعة أخرى وقفوا مع معاوية ، ومجموعة ثلاثة اعتزلت الفريقين ، ومجموعة رابعة تربصت لترى من يغلب فتفق معه ، فهل يعقل شرعاً وعقلاً أن من يتبع أي مجموعة من هذه المجموعات الأربع هو محق؟ فمن يكون المبطل إذًا؟!!

ماذا يكون الموقف لو أنّ صحيبياً قال : إن الحق عندي هنا في الشرق. وبينفس الوقت قال صحابي آخر : إن الحق عندي في الغرب ، ثم قال ثالث : إن الحق عندي هنا في الشمال ، وقال رابع : إن الحق عندي هنا في الجنوب ، وقال خامس : إن الحق عندي هنا في زاوية ٤٥ شمال ... الخ ، وانقسمت الأمة ٧٣ فرقة كما أخبرنا النبي ، وبيد كل فرقة ذريعة ، فهل يعقل بالشرع والعقل أن يكونوا كلهم على الحق؟ إنه لا يوجد إلا حق واحد!! إن الفرقة جريمة ، وإن الوحدة قربة من الله ، فهل يعقل أن يفرق النبي أمته؟

• تلقين الحجة بالواسطة

قال النبي لعلي : (أنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي) ^(١).

مع أن أبي حنيفة كان متھمساً للعباس ، فقد كان يقدم رأي الصحابي عليه إذا تعارضًا في مورد من الموارد ^(٢) وجاء عنه أنه كان يقول (إن لم أجده في كتاب الله ولا في سنة رسول الله اخذت بقول أصحابه ، فإن اختلفت آراؤهم في حكم الواقعه أخذت بقول من شئت وأدع من شئت ، ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم من التابعين) ^(٣).

(١) راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ، وأورده أبو نعيم في حلية الأولياء.

(٢) المستصفى للغزالى ص ٣٥ - ١٣٦ وآراء علماء المسلمين في التقى ، والصحابة للسيد الرضوى.

(٣) راجع أبي حنيفة لأبي زهرة ص ٣٠٤.

وجاء في أعلام الموقعين لابن القيم : (إن أصول الأحكام عند الإمام أحمد خمسة : الأول : النص ، والثاني : فتوى الصحابة ، وإن الأحناف والحنابلة قد ذهبو إلى تخصيص الكتاب بعمل الصحافي ، لأن الصحافي العالم لا يترك العمل بعموم الكتاب إلّا لدليل ، فيكون عمله على خلاف عموم الكتاب دليلاً على التخصيص ، وقوله منزلة عمله)^(١). ونذكر بالمناسبة بأن سنة الرسول تعني : القول والفعل والتقرير. ولا حظ (وقوله عن الصحافي منزلة عمله). فقول الصحافي على الإطلاق بالمعنىين اللغوي والاصطلاحي يخص عموم القرآن ويقييد مطلقاته ، كأن قول الصحافي وهي من السماء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والمشكلة أي صحافي بالمعنىين اللغوي والاصطلاحي. إن نظرية عدالة الصحابة أعطت الصحابة ما لم يعطه الشرع لأئمّة أهل البيت.

قال ابن خلدون (إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميـعـهـمـ ، وإنـاـ كانـ مـخـصـاـ بـالـحـامـلـيـنـ لـلـقـرـآنـ ، العـارـفـيـنـ بـنـاسـخـهـ وـمـنـسـخـوـخـهـ ، وـمـتـشـابـهـةـ وـمـحـكـمـهـ ، وـسـائـرـ أـدـلـتـهـ بـمـاـ تـلـقـوـهـ مـنـ النـبـيـ ٦ـ أوـ مـنـ سـمعـهـ مـنـهـمـ وـعـنـ عـلـيـتـهـمـ ، وـكـانـوـ يـسـمـونـ لـذـلـكـ «ـالـقـرـاءـ»ـ أـيـ الـدـيـنـ يـقـرـؤـنـ الـكـتـابـ ، لأنـ الـعـرـبـ كـانـوـ أـمـةـ أـمـيـةـ ، فـاخـتـصـ مـنـ كـانـ فـارـئـاـ لـلـكـتـابـ بـهـذـاـ الـاسـمـ لـقـرـابـتـهـ يـؤـمـنـدـ ، وـبـقـيـ الـأـمـرـ كـذـلـكـ صـدـرـ الـلـلـهـ)ـ .

وعن محمد بن أبي سهل بن أبي خيثمة عن أبيه قال : (كان الذين يفتون على عهد رسول الله ثلاثة نفر من المهاجرين وثلاثة نفر من الأنصار : عمر وعثمان وعلي ، وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت).

وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن أبا بكر الصديق كان إذا نزل به أمر يريد مشاورة أهل الرأي دعا رجالاً من المهاجرين والأنصار. دعا عمر وعثمان وعلياً وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ، وكل هؤلاء

(١) راجع المدخل إلى علم اصول الفقه لمعرف الدوالبي.

كان يفتى في خلافة أبي بكر ، وإنما تصير فتوى الناس إلى هؤلاء ، فمضى أبو بكر على ذلك ، ثم ول عمر فكان يدعو هؤلاء النفر)^(١).

التوسيعة في التفقة

أنت تلاحظ أن نظرية عدالة كل الصحابة نسقت كل الأعراف التي اعتمدت زمن أبي بكر وعمر وخرجت عن كل المفاهيم المألوفة في عهده ٦ ، وأعطت الفرصة لكل صحابي على الإطلاق وبالمعنيين اللغوي والاصطلاحي ليدلي بدلوه في كل مسألة من المسائل. ومن حق المجتهد والباحث عن الجواب للسؤال المطروح أن يأخذ برأي أبي واحد من هؤلاء الصحابة. كيف لا وكلهم عدول ، وكلهم من أهل الجنة ، ولا يجوز عليهم الكذب ، فاختلطت الأمور ، فلم تقدم كالمتأخر ، والطريق كالمهاجر ، فكلهم ينعم بصفة العدالة ، ولا تزيف عليه ، ولا معقب لقوله حسب الإطار العام لنظرية عدالة كل الصحابة وما يروي عنهم. وتثبت صحة نسبته إليهم ، فهو الحق الذي لا يأتيه الباطل ، لأنه قد صدر عن عدول بإمكانهم أن يخصصوا العام من القرآن ، وأن يقيدوا المطلق منه. ومن هنا فقد كانت المجهود منصبة بالدرجة الأولى على درس حياة أولئك الذين ينقلون هذه الأحاديث والتحقق من حسن سيرتهم ، وصدق إيمانهم ، وصدق أقوالهم. فإذا توافت هذه الصفات بالراوي ، وتحققت نسبة النص إلى الصحابي ، فهذا النص حق لأنه صادر عن صحابي من العدول.

قيد على الرواية من حيث المبدأ

يمكن لأحد الرواية أن يتضليل لأبي بكر أو لعمر أو لعثمان أو لسعد أو لأبي صحابي على الإطلاق ، فهذا لا يخدش بصدقه وأمانته ، ولا يكون محلًا للشبهة ، إنما الشبهة تقع على من يوالي علياً وأهل البيت ويتشيع لهم ، فمن الحال أن يكون ثقةً وتقبل روايته ، وإذا اجتمع عدة رواة كلهم ثقات وبينهم رجل يحب أهل البيت ، ويتشيع لهم فيترك الحديث كله ، لأنهم لا يقبلون إلا رواية الثقة ، والثقة

(١) راجع طبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٦٨ ، وراجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم ص ٥٠ وما فوق.

والتشييع لأهل بيته محمد لا يجتمعان.

قال أبو عمرو بن عبد البر : رويانا عن محمد بن وضاح قال : سألت يحيى بن معين عن الشافعي (محمد بن إدريس الشافعي) فقال : ليس بثقة. ويحيى بن معين هذا من كبار أئمة الجرح والتعديل الذين جعلوا قولهم في الرجال حجة قاطعة. فتصور أن الشافعي صاحب المذهب ليس بثقة بنظر ابن معين ، لأن فيه بعض التشييع لأهل البيت. وقد أدرك الذهبي أن هذا غير معقول فقال : وكلام ابن معين في الشافعي إنما كان من فلتات اللسان بالهوى والعصبية. والإمام جعفر بن محمد الصادق أستاذ أصحاب المذهب الأربعة ، وصاحب مدرسة تخرج منها أربعة آلاف فقيه ومحدث ، وهو صاحب مذهب أهل البيت الكرام ، وعلم شامخ من أعلام النبوة ، وثقة أبو حاتم والنسائي ، إلا ان البخاري لم يحتاج به كأنه ليس ثقة ، مع ان البخاري روى لمروان بن الحكم !

قال يحيى بن معين : وقيل له في سعيد بن خالد العجلبي حين وثقه (شيعي) قال : وشيعي ثقة؟ إنه يستغرب أن يتشييع رجل لأهل بيته ويكون ثقة.

ومن لا يواليهم ولا يشاعرهم فهو ثقة. قال العجلبي في عمر بن سعد بن أبي وقاص قائد الجيش الذي قتل الحسين وأهل بيته في كربلاء : هوتابع ثقة روى عنه الناس. وقال العجلبي كذلك في عمران بن حطان : ثقة ، وعمران هذا مدح ابن ملجم لعن الله ، وابن ملجم هو قاتل الإمام علي . يقول عمران في مدح ابن ملجم :

يا ضربة من تقى ما أراد بها إلا ليبلغ عن دالله رضوانا

الباب الثالث

المرجعية

الفصل الأول

المرجعية

يبدو واضحًا أن نظرية عدالة كل الصحابة قد أوجدت مرجعية واقعية تركت بصماتها على الحياة الفقهية والسياسية الإسلامية ، وصارت بحكم النقل والتقليد كأنها هي المرجعية الشرعية التي حددتها الله وبيّنها رسوله. أما المرجعية الشرعية نفسها فأصبحت غريبة لكتلة تناسيها وإبراز المرجعية البديلة لها ، وظن بعض الناس . وإن بعض الظن إثم . أن المرجعية الشرعية هي غير شرعية ، وأن المرجعية البديلة هي نفسها الشرعية. وفي سبيل بيان الحقائق الشرعية المجردة لا بد من إفراد باب خاص لهذه الناحية.

ما معنى المرجعية

تعني المرجعية تلك الجهة المختصة ببيان أحكام وقواعد العقيدة الإسلامية لا على سبيل الافتراض والتخمين ، إنما على سبيل الجزم واليقين ، بحيث يكون بيانها هذا هو عين المقصود الإلهي من هذه الأحكام ، وبالتالي يتقبل الإنسان المؤمن بهذه العقيدة بيان تلك المرجعية على أنه حقيقة إيمانية أو عقلية تصلح كمنطلق فكري أو كقاعدة يبني فوقها أو كطريق يسار عليها. فالنبي ، هو المرجع لكل المسلمين خلال حياته ، يرجعون إليه في أمور عقيدتهم ، وقوله الفصل لأنه هو الأعلم بأحكام العقيدة ، وعميد أهل بيت النبوة . الإمام . بعد وفاة النبي هو المرجع لأنه الأعلم بأحكام العقيدة . حسب رأي الشيعة . والصحابة مجتمعين ومنفردین هم المرجع أو المراجع لبيان أحكام العقيدة بعد وفاة النبي ، فهم مجتمعين عدول كلهم ، وكل واحد منهم من العدول وهم من أهل الجنة وهم الشهداء الذين نقلوا لنا هذا

الدين ^(١) لذلك فهم المرجعية الشرعية. فالاقتداء بأي منهم يقود للهداية حتماً. وبموجب الصحابة فالمرجع هو الحاكم بنظر الآراء والاجتهادات المطروحة أمامه ثم يختار منها ما يريد وهذه الاجتهدات المعروضة هي أقوال سابقة للصحابة في مسائل طرحت في أزمانهم. والحاكم المرجع أي حاكم لأن المسلمين مع من غالب ^(٢) نحن مع من غالب ^(٣) وهذا قول مشهور للصحابي عبد الله بن عمر وهذا رأي أهل السنة ، فالغالب هو المرجع يجتهد بنفسه حتى ولو لم يكن مجتهداً أو يأخذ برأي من شاء من المجتهدين ، حتى لو لم يكونوا مجتهدين بالحق والحقيقة كما سنرى.

تلازم المرجعية مع العقيدة

تلازم المرجعية مع العقيدة وترتبط معها ارتباطاً عضوياً. فالمرجعية تنهل من العقيدة ، فلا عقيدة بدون مرجعية ولا مرجعية إلا في عقيدة ، لأن المهمة الأساسية للمرجعية هي بيان العقيدة الإلهية. فالنبي يبين هذه العقيدة عين البيان الذي يريد الله تعالى ، والرجوع بعد النبي بين هذه العقيدة عين البيان الذي أراده الله وبينه النبي فالعقيدة الإلهية حددت معانى الأقوال والأفعال ، وحددت الأهداف ووسائل بلوغها ، ونظمت العلاقات بين المؤمنين بها وعلى كل الاصعدة. فيكون دور المرجع منحصراً ببيان العقيدة بياناً كاملاً وتكييفها على الواقع المستجدة.

فالمرجع هو المسؤول عن ترجمة نصوص وقواعد وغايات تلك العقيدة من النظر إلى التطبيق ، ومن الكلمة إلى الحركة على صعيدي الدعوة والدولة معاً. في بيان النبي للعقيدة الإلهية هو جزء منها ويحسب من جملة مضامين العقيدة لأنه النبي ، ولكن بيان علي أو الحسن أو الحسين أو زين العابدين أو جعفر الصادق ، أو أي إمام لا يعتبر جزءاً من العقيدة إنما يعتبر سوابق دستورية وضرورية لمن يريد أن يتلقى عمله مع

(١) راجع الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني وبحامشها الاستيعاب لابن عبد البر ص ٥ وما فوق.

(٢) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ٢٤٤ . ٢٤٥ .

(٣) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ٢٤٤ . ٢٤٥ .

المقصود الإلهي ، ولكن بيانه يلزم كل المؤمنين بمرجعيته ولا يجوز مخالفته شرعا لأنه الإمام الشرعي القائم مقام النبي وطاعته هي طاعة للنبي.

المرجعية اختصاص وعمل في تماماً

فالعقيدة هي السفينة ، وال المرجع بمثابة القبطان لهذه السفينة. والعقيدة هي المخططات الالازمة لمشروع الإنقاذ الإلهي ، والمرجع هو المهندس الذي يتولى عملية توضيح وشرح هذه المخططات وبيانها وترجمتها مرحلياً إلى واقع مادي ملموس ومحسوس. فالمرجع هو معلم البناء ، ومن الجنون تحضير المواد الأولية الالازمة للبناء والمشروع بالبناء دون مشورة وعلم المهندس أو معلم البناء. وعلى صعيد العقيدة الإسلامية يجب أن يكون المرجع أعلم أهل زمانه بهذه العقيدة ، وأكثر أهل زمانه إخلاصاً لها ، وأكثراهم انتصاماً بالله وأفضل الموجودين وأنسبهم للقيادة والرجوعية لأن المرجع هو الحكم (بفتح الحاء والكاف) وهو الناطق بالحكم الإلهي. ويفترض ان ما تتبناه هذه الرجوعية هو عين المقصود الإلهي.

تعددية المراجع

لا يوجد في العقيدة الإلهية الواحدة إلا مرجع واحد ، فالنبي هو المرجع الأعلى لكل ما يتعلق بالإسلام. وموسى هو المرجع الأعلى في زمانه ، فإذا افترق عن هارون يصبح هارون مرجعاً مرتبطاً بموسى وتبعاً له ، وإذا اجتمعا فالمرجع هو موسى. وهكذا عيسى فهو المرجع في كل الأمور المتعلقة بالديانة المسيحية ، لأن تعدد المراجع في العقيدة الواحدة يؤدي بصورة حتمية لنفسخ العقيدة وتفرق أتباعها ، واستنباط عقائد جديدة من الناحية الواقعية.

فالمرجعية في الإسلام هي مرجعية واحدة وهي اختصاص من أعظم ضرورات الدين. فإذا انعدمت المرجعية الشرعية يركب كل مسلم رأسه ، أو تركب كل مجموعة من المسلمين رأسها ، وتعتقد لكثرة ممارستها للخطأ ان الحق معها ، وتتفرق الكلمة ، ويتشتت شمل الأمة ولا يلهمها ثانية إلا وجود مرجع واحد تعتبر كلمته حقيقة عقلية وإيمانية يتقبلها المسلمون عن رضى خاطر. وهذه هي السبيل الوحيد لتوحيد المسلمين.

الفارق بين العقيدة والمرجعية

هو الفارق بين الدعوة وبين الداعية ، فالدعوة الحمدية تقوم على أساسين : القرآن الكريم والسنة المطهرة بفروعها الثلاثة : القول والفعل والتقرير ، وهذه خاصية لحمد ٩ . فالعقيدة هي القرآن الكريم ، وبيان هذا القرآن المتمثل بقول الرسول ٦ فعله وتقريره على اعتبار أن الشخص المبين وهو الرسول جزء لا يتجزأ من العقيدة والوثوق به وموالاته والتسليم بصحة فهمه للدين جزء لا يتجزأ من الدين. لذلك فقوله فصل في كل أمر من الأمور لأنه الأعلم والأفهم بالعقيدة والأفضل والأنسب لقيادة أتباعها.

ثم اكتمل الدين وتمت النعمة الإلهية ، وبين القرآن كل شيء ، وانتقل الرسول إلى جوار ربه ، فترك العقيدة ، وهي القرآن الكريم ، والبيان وهو قول الرسول وفعله وتقريره. أما المرجعية بعده فموضوع آخر حيث تكون مهمتها بيان العقيدة الإلهية وتكيفها على الواقع الحياتية في زمن ذلك المرجع.

وللتوضيح نقول : إن العقيدة هي بمثابة السفينة ، وإن المرجع هو بمثابة القبطان ، وإن العقيدة هي بمثابة المخططات العامة والتفصيلية ، وإن المرجع هو بمثابة المهندس المختص بفهم هذه المخططات. إن العقيدة هي المواد الأولية الالزمة لبناء الصرح المنشود ، وإن المرجع هو معلم البناء. إن العقيدة بناء فكري ، أو إن شئت فقل شخص اعتباري قائم بذاته ، وإن المرجع هو المعبر عن موقف هذا الشخص الاعتباري من القضايا المطروحة. ولذلك أن تقول : إن العقيدة هي الصيدلية الكبرى التي تحوي العلاج الشافي من كل داء ، وإن المرجع هو الطبيب والصيدلاني الذي يشخص المرض ويصرف العلاج اللازم المناسب تماماً لهذا المرض من الصيدلية الكبرى ، وهي العقيدة.

تجذير الحكم من وجود المرجعية

إذا أوحى الله تبارك وتعالى لكل إنسان وجراه إلى الخير جرأ ، وخصص له ملكاً من السماء يرافقه ويقومه ، فإن هذا الإنسان لا يستحق الأجر لأنه مكره على الفعل أو

مكره على الامتناع عنه. والأمر الذي يتناسب مع نظرية الابتلاء الإلهية هو أن يرزق الإنسان القدرة على التمييز بين الحق والباطل بعد أن بين له الله الحق من الباطل ويعطيه القدرة على فعل الحق وفعل الباطل. ثم يبين له الله الحق من الباطل والماباح والحلال والحرام ، ثم يعطي الإنسان بعد ذلك الحرية ليعمل الحق بإرادته وحرفيته ورضاه أو يأتي الباطل بحرفيته ورضاه وإرادته. هنا فقط يستحق الإنسان المكلف الثواب إذا أصاب والعقاب إذا أخطأ.

تلك هي الأرضية التي انطلقت منها فكرة الرسالات الإلهية إلى بني البشر ، وانطلقت منها فكرة المرجعية كضرورة من ضرورات بيان الرسالات الإلهية ، فدارت فكرة الرسالة الإلهية حول محورين :

١ - رسول يبلغ الرسالة وهي مرجعها الأرضي.

٢ . رسالة لها مضمون يتذرع بتلبيتها بدون رسول أو مرجع. وهذه الرسالة معدة من قبل الله وهي مشروع هداية إلهية. فالله تعالى هو المرجع الأعلى للرسول في كل ما يتعلق بالرسالة ومضمونها وبيانها.

فالمخطوة الأولى هي اختيار الرسول أو المرجع.

والمخطوة الثانية هي إفهام الرسول مضمون هذه الرسالة الإلهية (العقيدة) .

والمخطوة الثالثة هي قيام الرسول بتلبيغ هذه الرسالة لأصحابها وبيانها كاملاً ، ورصد ردة فعلهم عليها ليكون هو الشاهد. الناس يرجعون إلى الرسول بوصفه المرجع الذي يفهم الرسالة فهماً يقينياً ، وما أشكل على الرسول من أمور الرسالة يرجع به إلى الله. تلك حقيقة لا يجادل بها إلا جاهل.

كان الرسول . أي رسول . هو المرجع من اتبعه ليوضح ولبيّن للأتباع ومن بلغ مضمون الرسالة وكيف تتحوّل هذه المضامين الإلهية من النصوص النظرية إلى التطبيق العملي ، وكيف تنفذ على الوجه الذي يرضى الله تعالى .

فإذا مات الرسول . أي رسول . فإن العقيدة باقية بالضرورة ما دام لها أتباع ، ويستدعي بالضرورة وجود مرجع ليقوم بدور البيان والشهادة. وهذا من ضرورات الرسالة ، وعملية الابتلاء أن يكون للعقيدة الواحدة مرجع واحد ليقوم بقيادة مسيرة

قافلة الإيمان ، سواء أكانت على مستوى الدعوى أو مستوى الدولة إن نجحت المرجعية بتحويل الدعوة إلى دولته.

المرجعية أكبر من أن تذكر

قلت في مقال نشر في عدد جريدة اللواء الأردنية رقم ٩٥٥ تاريخ ١٧ صفر عام ١٤١٢ هـ ما يلي : الأحزاب الدينية العربية لا تحمل أن الرسالات الإلهية لبني البشر لم تتوقف طوال تاريخ الجنس البشري على الأرض. فهل تتفضّل الأحزاب الدينية العربية مشكورة ومؤجورة فتبين لل المسلمين متى أرسل الله رسالة بدون رسول؟ ومتى خصهم بعقيدة من دون مرجع؟ معكم الدنيا طولاً وعرضأً ، فوقاً وتحتاً من لدن آدم حتى محمد ﷺ ، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا بإذن الله فقد آن الأوان أن تتركوا التقليد الأعمى وأن تتقوا الله في دينكم وأنفسكم ، وفي أمتك وفي الجنس البشري الذي يعلق ضميره كبير الآمال على دينكم لينقذه والعالم من براثن المادية المقرفة إلى رحابة التكثيف الإلهي للأحداث والأحكام.

فالعقيدة الإسلامية لها مرجع وهو رسول الله ، وبعد موته بنيت هذه العقيدة المرجعية من بعده ، لأن المرجعية ضرورة من ضرورات الحياة.

فالأسرة لها مرجع ، والدولة لها مرجع ، والنظام له مرجع. وكل عقيدة إلهية أو وضعية لها مرجع بالضرورة ، لأن المرجع عنصر أساسي لكل دعوة وكل تجمع بشري وكل عقيدة وكل دولة. وسبب المصائب التي حلت بال المسلمين يعود في جوهره إلى استبعاد المرجعية الشرعية التي عينها الله ، والتمسك بالمرجعية البديلة التي فرضتها الغلبة واستكان الناس لها بحكم التقليد.

الفصل الثاني

العقيدة

الرابطة بين العقيدة وبين المرجعية رابطة عضوية. فحيثما وجدت العقيدة يستتبع بالضرورة وجود مرجعية لأن التلازم والتكامل حاصل وبالضرورة بين العقيدة والمرجعية ، وللتوسيح المرجعية توضيحاً كافياً لا بد من بحث موضوع العقيدة اذ يتعدى فهم احدهما دون فهم الآخر.

ما معنى العقيدة؟

تعني العقيدة عموماً مجموعة الأفكار والقواعد والمبادئ والقيم المتراابطة والمتكمالة والتي تقدم تصوراً للوجود لما هو كائن ، وما ينبغي أن يكون أو تصوراً للحال وللماäl بعض النظر عن صحة هذا التصور أو فساده ، عن شموليته أو محدوديته ، عن كماله أو قصوره. فتجتب هذه العقيدة جماعة معينة تقنع بهذا التصور ، فتحدد هذه الجماعة قناعتها وأهدافها وطرق بلوغ تلك الأهداف وفق مقاييس تلك العقيدة ، ف تكون هذه العقيدة هي القائدة وهي الموجهة ومنبع الشرعية والمشروعية في حياة تلك الجماعة وهي منبع خيرها العام.

ومن الطبيعي أن كل عقيدة بهذا المفهوم تدعي القدرة على سياسة حياة معتنقها ، والقدرة على تقديم الحلول الناجعة لمشكلاتهم ، واستشراق المستقبل الأفضل لهم ، وتزعم أنها تمتلك الوسيلة لتحقيق الخير العام لهذه الجماعة. وما تزال تلك العقيدة تعتمل في نفوس معتنقها وتحرك إرادتهم حتى يقدموها كمدّهب سياسي له الجاهزية على إثبات دعوى القدرة تلك ، أو عدم اثباتها من خلال سلطة تسوس الجماعة وفق تصورات تلك العقيدة ، لأن المذهب السياسي هو بمثابة

البرنامج السياسي المتكامل الذي تقدمه تلك العقيدة ، وهو بمثابة الإعلان عن جاهزية فكر وفلسفة ومبادئ هذه العقيدة لتوسيع كلها موضع الحكم والتطبيق ، وهو يتناول الأهداف والوسائل الالزمة لتحقيق تلك الأهداف ، وكل ذلك يرتبط عمليا بوجود سلطة دولة أو حكم لينقل هذا البرنامج من عالم النظر القانوني إلى عالم الواقع القانوني. وهذا المفهوم فإن الرأسمالية التحررية عقيدة وإن الماركسية الشيوعية عقيدة.

نوعا العقائد

عرفت البشرية نوعين من العقائد : ١ . عقائد إلهية من صنع الله. ٢ . عقائد وضعية من صنع فرد أو مجموعة من الأفراد أو إن شئت فقل من تجميع فرد أو مجموعة من الأفراد.

صناعة العقائد ولوازم إيجادها

ومن يتعمق بالموضوع يكتشف أن بإمكان الإنسان أن يفهم عقيدة . أي عقيدة صالحة كانت أم طالحة ، ولكن الإنسان عاجز عن صنع وإيجاد عقيدة صحيحة ، وهو بطبيعة غير مؤهل لإيجادها ، بل ويعكّنك القول بكل ارتياح أن الجنس البشري لو اجتمع كله على صعيد واحد لما استطاع أن يصنع عقيدة صحيحة ويقينية ، مع أن اجتماع الجنس البشري كله على صعيد واحد غير وارد وغير ممكن ، وبالتالي فإيجاد العقيدة الصحيحة أمر فوق مستوى البشر ، وفوق طاقتهم لأن هذا يتطلب معرفة يقينية بماضي الجنس البشري وبتفاصيل تجاريته ، وهذا ركن أساسى يبني فوقه ، ويتطّلّب إيجاد العقيدة الصحيحة معرفة يقينية بالفطرة الإنسانية وحاجات الإنسان ودواجهه وميوله ، بالإضافة إلى معرفة يقينية بالمستقبل لأنه هو الذي سيشهد زمنياً نجاح أو فشل هذه العقيدة أو تلك ، ويتطّلّب اخيراً معرفة بالكون الحيط بالإنسان معرفة يقينية وهذه المعرفة لا يدعها فرد ولا تدعها جماعة ولا يدعها الجنس البشري كله .

فالعقيدة التي يضعها بشر ستنهار عاجلاً أم آجلاً لسبب بسيط هو أن الإنسان غير مؤهل بطبيعة لإيجاد عقيدة . والعقيدة اليقينية التي تصلح أن تكون أساساً دائماً للسلطة

هي العقيدة التي وضعها الله الخالق وهي عقيدة الإسلام التي كانت بالفعل هي أساس السلطة لدولة الرسول محمد ٦.

لامح عقيدة الإسلام

١ . على الصعيد العملي : الإسلام هو الانقياد التام لله جل وعلا في كل شأن من شؤون الحياتين الدنيا والآخرة ، بحيث يكون عمل الإنسان وعمل الجماعة المسلمة وعمل الدولة المسلمة . وعلى كافة الأصعدة . خاضعاً لموازين الأوامر والنواهي الإلهية المحددة بالرسالة الإلهية (العقيدة) النافذة المفعول وهي رسالة الإسلام ، ومتوجهًا لتحقيق غاياتها الشرعية ، وعني بالعمل : الحركة المضبوطة بالفكرة الشرعية والنية الشرعية .

٢ . على الصعيد النظري : تعني العقيدة الإسلامية مجموعة القواعد والأحكام والمبادئ والأوامر والنواهي والمعلومات العامة والتفصيلية التي أنزلها الله تبارك وتعالى على نبيه محمد ٦ ، وقام هذا النبي ببيانها للناس نظرياً عبر دعوة وعبر دولة . ثم وضعها موضع التطبيق من خلال دعوة قادها بنفسه ومن خلال دولة ترأسها بنفسه .

فالعقيدة تشمل ما أنزله الله وأوحاه إلى نبيه ، وتشمل قول النبي و فعله و تقريره . وهذه العقيدة بمجموعها تبين كيف وجدت الحياة؟ ولماذا؟ وكيف تنتهي؟ ومتى؟ وما هي مآلاتها؟ وتنظم العلاقات بين الأحياء على الإطلاق ، علاقات الكائنات الحية مع الخالق ومع بعضها ومع الكون الضروري لوجودها والمسخر لخدمتها ، وتبيّن كيفية انتهاء دورة الحياة كلّها ، وكيف تنتهي الدورة الحياتية لكل كائن حي مخلوق ، وتكشف عن وجود حياة أخرى هي بمثابة قاعة محكمة لكل الذين مرروا بدورة الحياة الدنيا على ما قدموه ، وهي بمثابة نتيجة فيأخذ المصيب اجره كاماً ويلقى المخطيء عقابه .

وهذه العقيدة سجل حافل لتاريخخلق عامة والجنس البشري خاصة حفظت بمحاربهم بصدق وموضوعية تصل إلى درجة التصوير الفني المشاهد صوتاً وشكلاً وحركة ، ظاهراً وباطناً .

وهي نظام للفرد كفرد ، وللمجتمع كمجتمع ، وللسلطة كسلطة ، وللجنسيات البشرية كلها ، تنظم حياة كل واحد منهم على انفراد ، وتنظم علاقاتهم مع بعضهم وعلاقاتهم مع خالقهم ، وعلاقاتهم مع العالم المحيط بهم ، وترفدهم جميعاً بدعوة ، وتعزز الدعوة بدولة ، وتعزز الدولة بأهداف ومثل عليها.

وهذه العقيدة غائية ، بمعنى أنها تحدد الأهداف. فكل قاعدة من قواعدها هدف وجدت من أجله ورصده عليه ، وللفرد هدف وللمجتمع هدف ، وللسلطة هدف ، وللجنسيات البشرية هدف. وهذه الأهداف كلها تصب في مكان واحد هو نفس الهدف العالمي للإسلام. وهذه الأهداف محددة و (معيرة) بشكل تعكس طوعياً كاملاً الطاقة الكامنة في ذات الفرد وذات الجماعة وذات السلطة وذات الجنس البشري وذات الكائنات المحيطة بهم والمسخرة لخدمتهم ، كاملاً الطاقة لا زيادة ولا نقصان ، لأن الشيء لا يملك إلا طاقته ولم تك足 العقيدة الإسلامية بتحديد الأهداف ، إنما حددت الوسائل والسبل والطرق الازمة لتحقيق هذه الأهداف وبينتها على وجه يزيل كل غموض.

التصور اليقياني

يعني أن الإسلام كعقيدة يقدم تصوراً يقينياً شاملاً وكاملاً ويقيناً يقوم على الجزم واليقين. وهذا التصور اليقياني يغطي بالكامل ساحة الأهداف والوسائل العامة والخاصة وفي كافة نواحي الحياة وعلى كافة الأصعدة الفردية والجماعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدولية ... الخ. وهذا التصور اليقياني هو بمثابة مخطوطات عامة وتفصيلية دقيقة الواقع ما هو كائن ومستقبل هذا الكائن في دائرة الواقع ، وما ينبغي أن يكون عليه هذا الكائن في دائرة المني الذي سيتحول إلى الواقع بحيث تقويك هذه المخطوطات درجة درجة وخطوة خطوة حتى تصل بك إلى الغاية الشرعية من أقصر الطرق وبأقل التكاليف ، وفي كل أمر من الأمور. عندئذ تكون العقيدة هي القائدة والموجهة ، وهي منبع الشرعية ، وتستقر كبنية فكرية كاملة ، وتندفع هذا الاستقرار القناعة الذاتية والرضا بهذه العقيدة القائمة على الجزم واليقين ، يعكس العقائد الوضعية التي تقوم على الافتراض والتخيّل والتي ستنهار في النهاية عاجلاً أم آجلاً.

المنظومة الحقوقية الإلهية

معنى أن العقيدة الإسلامية هي مجموعة القواعد والأحكام والمبادئ والأوامر والنواهي والمعلومات العامة والتفصيلية التي أنزلها الله تبارك وتعالى على عبده محمد ﷺ ، وقام هذا النبي ببيانها للناس عبر دعوة قادها بنفسه ، وعبر دولة ترأسها بنفسه . فالميزة من عند الله والمبين من رسول الله بالقول والفعل والتقرير يشكل منظومة حقوقية إلهية هي بمثابة القانون النافذ ، الصالح لكل زمان . ومنظر هذه المجموعة ومبينها بعد وفاة النبي هو المرجع الشرعي .

الفصل الثالث

من هو المختص بتعيين المرجعية

قلنا : إن كل عقيدة إلهية على الإطلاق لا بد لها بالضرورة من مرجعية شرعية تتلازم معها وتنكمش. ومن المستحيل أن تكون هنالك عقيدة إلهية بدون مرجعية تتوافق معها هذه العقيدة الإلهية. وهذا المرجع يجب أن يكون بالضرورة هو الأعلم في هذه العقيدة ، والأكثر فهماً لها ، والأكثر إخلاصاً لها ، وخير الموجودين وأفضليهم وأنسبهم لا على سبيل الافتراض والتتخمين ، إنما على سبيل الجزم واليقين. وتلك أمور خفية لا يعلمهما العلم اليقيني إلا الله العالم بالسر وأخفى. ومن هنا اختص تعالى بتعيين هذه المرجعية واختيارها ، تلك حقيقة لا يجادل فيها إلا جاهل.

وهذه الصفات مجتمعة اعلنت العناية الإلهية أنها متوفرة في كل الأنبياء الذين اختارهم الله وحده عبر التاريخ البشري لتبلغ رسالات رحمة. ولم يحفل باعترضات المعارضين (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القربيين عظيم) (هذا الذي هو مهين ولا يكاد ي BIN) لأن هذه الاعتراضات على الحكم الإلهي تتبع من الافتراض والتتخمين ، بينما الحكم الإلهي باختيار هؤلاء الأنبياء وتعيينهم مراجع قائم على الجزم واليقين بأنهم الأعلم والأفهم والأكثر إخلاصاً ، والأخير والأفضل والأنسب لبيان العقيدة الإلهية وقيادة سفينة الإسلام والولاية على الأتباع.

والخلاصة أن الله جلت قدرته هو الذي اختص بتعيين المراجع التي تولت بيان العقائد الإلهية طوال التاريخ ، لأنه هو وحده الذي يعلم من هو المؤهل لبيان هذه العقائد. ولم يصدق في التاريخ البشري كله أن ترك أمر تعيينهم و اختيارهم إلى أهواء الناس أو آرائهم.

ما هي المهام والوظائف المناطة بالمرجع الذي عينه الله؟

لا خلاف بأن الأنبياء الكرام مراجع عيّنهم الله كلهم بلا استثناء ، واختارهم بنفسه وأعلن هذا الاختيار. والسؤال : ما هي المهام والوظائف المناطة بمؤلء المراجع الكرام؟

١ . البيان : من المهام المشتركة بين كل الأنبياء والموكولة لكل الأنبياء كمراجع بيان قواعد العقيدة الإلهية ، ومن صميم مهمتها كل مرجع توضيح كامل العقيدة الإلهية ، توضيحاً كاملاً على الصعيدين النظري والعملي من خلال دعوة بالضرورة تتمحض عن دولة ، كما حدث لمحمد ولدعوة الإسلام. وقد لا تتمحض هذه الدعوة عن دولة كما حدث للكثير من الأنبياء ، فالمرجع بين القاعدة الإلهية نظرياً كما تلقاها من الله بالضبط لا زيادة ولا نقصان ، ثم يقوم بترجمة هذه القاعدة من عالم النظر إلى الحركة والتطبيق. فيكون البيان كاملاً من الوجهتين النظرية والتطبيقية. فهو الذي يكيف النص على الواقعه بنفس التكييف الإلهي ، وهو الذي يتأكد أن النص الإلهي قد حقق الغاية من وجوده على هذه الواقعه وعلى كل واقعة.

٢ . تحديد دائرة الشرعية والمشروعية : يختص النبي المرجع بيّان حدود دائرة الشرعية والمشروعية ، وقد حددتها كل نبي مرجع به :

١ . عقيدة الهيبة تشكل مركز دائرة الشرعية والمشروعية ، وهي ما أنزله الله على المرجع سواء باللفظ والمعنى معاً كالتوراة والإنجيل والقرآن ، أو بالمعنى كالحديث القدسي.

٢ . بيان النبي المرجع لهذه العقيدة الإلهية بشقيّه النظري والعملي.

٣ . وحدة العقيدة مع بيان المرجع ، إذ يتعدّر الفصل بينهما. فالعقيدة الإلهية والبيان وجهان لعملة واحدة ، إذ يتعدّر فهم العقيدة بدون بيان ، ويتعذر استيعاب البيان دون الرجوع لأساسه. فما أنزل الله هو الأساس وبناء الهدى والبيان هو أبواب هذا البناء.

٤ . الولاية على الأتباع : ومن مهام النبي المرجع أن يكون الولي والإمام على أتباع

العقيدة يصرف أمرهم ويسوسمهم وفق أحكام وقواعد العقيدة الإلهية. وهذا ما تأكّد بالنسبة العملية. فمُحَمَّد ٦ هو المرجع الديني لأتباعه وهو الولي والإمام الزمني لهؤلاء الأتباع. فولاية المرجع دينية زمنية معاً بالشرع والعقل معاً. فهو نفسه الذي قاد الدعوة ، وهو نفسه الذي ترأّس الدولة ، وهو نفسه الذي انزل عليه الذكر ، وهو نفسه الذي بين هذا الذكر وطبقه.

٤ . منع حدوث الضلال : في عهد النبي المرجع يتحقق الهدى وتحتفي الضلالة بتوفّر

ركنین :

١ - ركن عقائدي حقوقی وهو اتباع قواعد العقيدة الإلهية (المنظومة الحقوقية الإلهية)
وبيان النبي المرجع لهذه المنظومة.

٢ - ركن شخصي وهو الولاية والإمامية للنبي المرجع بحيث يسوس هذا النبي المرجع اتباعه ويطبق عليهم العقيدة الإلهية بنفس الفهم والكيفية التي يتلقاها من الله ، والمحافظة على وحدة هذين الركين ضمانة لسيادة الهدى والشرعية ، وأي خلل تطبيقي فيهما أو بأحدما يؤدي حتماً إلى الضلالة ، لأن الركن الشخصي تماماً كالركن العقائدي ، وهما معاً صفة واحدة. غير ممكن لشخص أن يؤمن بالعقيدة الإلهية ويرفض ولاية محمد ، لأن الولاية جزء لا يتجزأ من العقيدة ، وأي محاولة للتجزئة تدخل صاحبها بالضلالة بحجم تلك المحاولة.

٥ . سفينة نجا : النبي المرجع سفينة نجا ، من يركب معه فقد نجا ومن يتخلّف عنه أو يركب بأي سفينة أخرى يغرق لا محالة.

٦ . النبي المرجع باب للمغفرة : من دخله غفر الله له ، ومن أبي دخول هذا الباب يقي حاماً لأوزاره.

٧ . النبي المرجع يقود أتباعه للهدى : فمن يتبع النبي ويطّعه فكأنما أطاع الله ، لأن طاعة النبي طاعة الله ، وطاعة الله هي الهدى ، ومن يعص الله ويُتّبع سواه فقد عصى الله ، ومن عصى الله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً.

٨ . النبي المرجع أمان للأمة المؤمنة ومانع للخلاف : فعندما تتبع الأمة المؤمنة النبي

المرجع فإنها سلك طريق الأمان ، لأنها تسير على طريق واحد فهمه النبي ووعاه قبل أن يسلكه . فالطريق التي يسلكها مؤمنة تماماً ولا يتغىّر بها أحد . وبغياب هذه المرجعية يقع الخلاف ويختفي الأمان ويضيع الناس فيتبعون (كل ناعق) ، وينغلبون مع الريح . فوجود مرجع واحد للأمة يفهم فهماً مثالياً القواعد الإلهية عصمة للأمة من الاختلاف وتذكرة أمان للجميع .

٩ - المرجع ثقل لأتباعه يتمسكون به فلا يسقطون ولا يضيّعون .

١٠ - المرجع هو القدوة في العلم والتقوى والالتزام والحكم ، وهو النموذج المتحرك للرباني المتمسك بالعقيدة الإلهية .

١١ - تكثيف الجهد وتنسيق الطاقات المؤمنة لعمم الهدایة على الجنس البشري كله .

المرجعية خلال حياة النبي

طاعة الله تتمثل باتباع أوامره واجتناب نواهيه . والذي يعرف كنه الأوامر والنواهي هو رسول الله ﷺ ، فطاعة الرسول عملياً هي طاعة الله ، ومعصية الرسول عملياً هي معصية الله . وقد تأكّدت هذه الحقيقة في القرآن الكريم تسعة مرات ، لأن الرسول هو القائم على هذا الدين ، وهو العالم بأسراره ، المطلع على خفاياه ، والقادر على تحصيص العام من أحكامه وبيان المعنى المطلوب إن تعددت المعانى في النص الواحد ، وبالتالي فإن المرجعية أثناء حياة الرسول مقصورة به وبه وحده ، لأن الله عصمه واصطفاه لهذه الغاية ، ولا يمكن لأحد من أتباعه أن يفهم أوامر الله ونواهيه كما فهمها الرسول بالتمام ، لأن الرسول مميز و يجب أن يكون الأعلم والأفهم والأفضل ليرجع إليه أتباعه . فخلال حياته هو المرجع المختص ببيان الإسلام وبقيادة المسلمين بالإجماع ، ولا أحد يخالف هذه الحقيقة لأنها إيمانية وعقلية معاً .

المرجعية بعد وفاة النبي . قراءة اولية للواقع

حقيقة أنه قبل أن ينتقل الرسول إلى جوار ربه . أكمل الدين وتمت النعمة ،

وترسخت العقيدة ، وطبعت الأحكام ، وقام نظام الدولة وترأسها النبي ﷺ مدة عشر سنوات.

لكن طبيعة الإسلام كآخر دين ، وطبيعة قواعده المتعمقة بالعلوم والشمول ، وطبيعة المهمة الملقاة على عاتق المسلمين والمتمثلة بتقليل رقعة الكفر ، وهداية الجنس البشري تقتضي بالضرورة وجود مرجعية بعد وفاة الرسول ﷺ ، وهذا أمر من البداوة بحيث أنه لا يحتاج إلى دليل لولا التقليد الأعمى ، والتسليم بالواقع ، وفطرة أغلبية الناس بإطاعة الغالب.

سيقول البعض . وخاصة الأحزاب الدينية العربية . إن علماء المسلمين هم المرجع بالمعنى الذي تقصده . والخليفة هو مرجع المراجع أيضاً . ونحن نحبيهم بأن قولكم الأول غير عملي ، فماذا يكون الموقف لو أن علماء المسلمين . على فرض إمكانية جمعهم في مكان واحد . قد افترقوا على فرقتين أو ثلاثة أو أكثر ، وكل مجموعة لها وجهة نظر مستندة إلى ظاهر من الشرعية ، وكلهم عمالقة بفقههم ، وأصر كل فريق على رأيه ، فأي فريق تتبع؟ وأي رأي ننفذ؟ ستقول الأحزاب الدينية العربية : إن الحاكم يتبنى الرأي الذي يراه مناسباً من هذه الآراء خلال فترة حكمه !! إذن هم يعترفون أن الحاكم هو المرجع أو هو الذي يقوم بدور المرجع بوصفه خليفة النبي ، ولكنكم تعلمون أنه قد توالى على رئاسة الدولة أعداد لا حصر لها من الخلفاء منهم التقي كعلي وأبي بكر ، ومنهم أيضاً مروان بن الحكم ومعاوية بن أبي سفيان ويزيد ابنه ، ومنهم ترأس الدولة بالطريقة الشرعية ، ومنهم ترأس الدولة ودانت له الناس لأنه الغالب وبحكم الحال والاضطرار . فمروان ليس عالماً وغير مؤهل لاختيار الحكم الأمثل .

الحاجة لمرجعية بعد وفاة النبي

رأينا أن كلنبي على الإطلاق مرجع بالضرورة ، كله الله تعالى بهمام ووظائف وسيد الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ قاد الدعوة إلى الله فنجحت دعوته ، وأسفرت عن دولة طبقت قواعد العقيدة الإسلامية بياناً كاملاً نظرياً وعملياً ، وأعلن الله أنه قد أكمل للمسلمين دينهم وأتم عليهم نعمته . وخير النبي

فاختار ما عند الله . ولم يفاجئه الموت ، إنما مرض ثم انتقل إلى جوار ربه تاركاً دعوة قائمة ودولة مائلة ، وديننا يباهي به الدنيا ، إنه تبيان لكل شيء (**بياناً لكل شيء**) على الإطلاق . من هو المرجع من بعده؟ ومن الذي سيقوم بالوظائف التي كان يقوم بها؟ من الذي يبين للناس أحكام العقيدة الإلهية؟ ومن الذي يحدد دائرة الشرعية والمشروعية؟ من هو ولي الأمة وركن مجدها القائم مقامه؟ من هو سفينة النجاة؟ من هو باب المغفرة؟ من هو الأمان المخلص لهذه الأمة؟ من هو ثقلها؟ من هو مثلها الأعلى بعده؟ من الذي يقود موكب المؤمنين لتحرير سكان العالم وانتشالهم من الظلمات إلى النور؟

تساؤلات تحتاج إلى أجوبة

فإذا قال المسلمون إنه لم يعين المرجع من بعده ، ولم يحدد من الذي سيقوم بوظائفه ، ولا حدد من سيبين للناس أحكام العقيدة ، ولا من الذي يحدد لهم دائرة الشرعية والمشروعية ولا بين من هو ولي الأمة من بعده ، ولا من هو ركن مجدها القائم مقامه ، ولا من هو ثقلها؟ ولا من مثلها الأعلى : ولا من هو الذي سيقود معركة تحرير البشرية وإنقاذها.

فإذا قال المسلمون ذلك ، فإن قولهم هذا ينافق كمال الدين وتمام النعمة ، لأن هذه الأمور من صلب الدين ومن صميم النعمة؟ ومن الحال أن تغفلها العقيدة الإلهية ، ثم إنهم لو أصرروا على ذلك لوجدوا أن العقيدة الإلهية تتحدى إصرارهم هذه وتعييه ولا تقره ، وأن هذا الإصرار يتعارض مع المنطق والعقل وأساسيات الحياة فضلاً عن تناقضه الصارخ مع قواعد العقيدة الإلهية.

الفصل الرابع

مواقف المسلمين من المرجعية بعد وفاة النبي ٦

و حول المرجعية بعد وفاة النبي انقسم المسلمون إلى قسمين رئيسيين ، وكل قسم من هذين القسمين يزعم أنه على الحق المبين :

١ . **التاريخيون** : وهم الذين سوغوا ما جرى في التاريخ السياسي الإسلامي واعتبروه شرعياً من كل الوجوه ، وبشكل خاص عهد الخلفاء الراشدين ، ويعرفون بأهل السنة ، واصطلاح التسنن وأهل السنة نشأ في العهد الأموي ، وبالتحديد في زمن معاوية حيث انتصرت القوة على الشرعية ، واستقر الأمر نهائياً لمن غالب ، ودانت الأكثريّة الساحقة لهذا الغالب . ومن هنا سمي ذلك العام بعام الجماعة ، وسمى الذين دانوا لمن غالب بالجماعة وهم حزب الدولة ، فهم وإن اختلفوا معها في بعض المواقف إلا أن السمة الغالبة هي موalaة الدولة ، لأن بيدها الأرزاق ، فهي تعطيها لهم وتنزعها عنمن يوالى غيرها ، ومن جهة ثانية فإنهم قد اعتبروا الدولة رمزاً لوحدة المسلمين .

٢ . **الشرعيون** : وهم الذين عارضوا ما جرى في التاريخ واعتبروه غير شرعي مع اختلاف بحجم المعارضة ونسبة الخروج على الشرعية . فعصر الخلفاء الراشدين عصرٌ ذهبي بالنسبة لعصر بني أمية ، ولا مجال للمقارنة بين العصورين . وعصر بني العباس أكثر سوءاً من العصر الأموي ، وهم يعتقدون أن العقيدة الإلهية عينَت المرجع بعد وفاة النبي ، وأن الله لم يترك الأمر سدى ، إنما رشح المرجعية للناس وحوّلها صلاحية الجمع بين الحكم والمرجعية ، وأن المرجع المعين شرعاً بعد وفاة النبي هو علي بن أبي طالب ^٧ . وقد رتب الشعّ طريقة تعيين المرجعية بنص كل مرجع على الذي يليه ، ويعرفون بالشيعة . وقد نشأ التشيع في

زمن النبي ، والشيعة هم حزب المعارضة طوال التاريخ ، وقد طوردوا من قبل الحكم طوال العهدين الأموي والعباسي خاصة ، وحرموا من كافة حقوقهم ، ولم تقبل شهادتهم ، وشطبوا أسماؤهم من دواوين العطاء ، ولاحقتهم لعنة الحكم طوال التاريخ .
وسنقوم ببيان رأي الفريقين بالمرجعية بعد وفاة النبي وإبراد حجة كل واحد منها تباعاً.

من هو المرجع بعد وفاة النبي؟

. رأي أهل السنة

زعم ترك النبي الأمة بدون خلف ولا مرجعية

يقول أهل السنة أن النبي قد ترك الأمة بدون خلف ولا مرجعية ، وأنه لم يبين لل المسلمين الإمام أو الولي الذي سيخلفه من بعده ويقوم بوظائفه الدنيوية والأخروية ، ومنها المرجعية من بعده . وقد استدلوا على ذلك برد الخليفة عمر بن الخطاب على الذين أشاروا عليه أن يستخلف من بعده على المسلمين فقال : (إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني) يعني أبا بكر (وإن أدع فقد ودع من هو خير مني) يعني النبي ٦^(١) .

ثم إن النبي برأيهم لم يوص لأحد قط بأن يقوم بوظائفه الدنيوية والأخروية ، ومنها المرجعية من بعده ، ويستدلون على ذلك بقول السيدة أم المؤمنين عائشة (بأن النبي مات بين سحرها ونحرها ورأسه على فخذها ، ولو أنه قد أوصى لسمعته) ومن هنا فقد أنكر بخاري ومسلم الوصية بهذا الشأن مستندين إلى قول أم المؤمنين .

ومن المؤكد حسب رأيهم أن النبي إذا بين هذا الإمام والولي والمرجعية من بعده فإنه قطعاً ليس علياً بن أبي طالب كما تزعم الشيعة ، لأنه لو كان علياً لما كان من المعقول أن يتتجاهل الصحابة الكرام بيان النبي هذا ويولوا وبوا على غيره ، لماذا؟

(١) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٢٣ وراجع تاريخ الطبرى مجلد ٣ ص ٣٤ وراجع مروج الذهب للمسعودى ج ٢ ص ٣٥٣ .

لأنهم عدول ومن أهل الجنة ومن يشك بترتيب الخلفاء (أبا بكر وعمر وعثمان وعلي) فقد أزري على ١٢ ألف صحابي^(١).

والخلاصة أن النبي ترك ولاية وإمامية المسلمين ومرجعية الدين للMuslimين أنفسهم على اعتبار أن خلافة النبي شأن من شؤون المسلمين ، والإمامية والمرجعية تتبعان بالضرورة لرئاسة الدولة.

تلاشي عملية ترك الأمة بدون مرجع

وقد اكتشف أهل السنة أن ترك الإمام القائم الأمة دون أن يسمى ولیاً للعهد من بعده خطير ما حق ما بعده خطر ، وأن من مصلحة المسلمين ومصلحة الإسلام أن يقوم الحاكم باختيار ولی عهده ليخلفه من بعده.

انظر إلى قول السيدة عائشة مخاطبة عبد الله بن عمر : (يا بنی أبلغ عمر سلامي وقل له : لا تدع أمة محمد بلا راع ، استخلف عليهم ، ولا تدعهم بعده هملاً ، فإني أخشى عليهم الفتنة) . فأتى عبد الله فأعلم الخليفة بما قالـت أم المؤمنين^(٢) لقد أصابت أم المؤمنين لأن ترك الأمة بدون راع ولا مرجعية يؤدي للفتنة ويترك الناس هملاً.

وقد انتبه لهذه الناحية ابنه عبد الله بن عمر فدخل عليه وهو يجود بنفسه ، فقال : (يا أمير المؤمنين ، استخلف على أمة محمد ، فإنه لو جاءك راعي إبلك أو غنمك وترك إبله وغنمك لا راعي لها للمرتبة وقلت له : كيف تركت أمانتك ضائعة؟ فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد؟) فأجابه الفاروق بمقالته السابقة (إن أدع فقد ودع من هو خير مني ... الخ)^(٣).

وأمکن تلاشي عملية ترك النبي للأمة بدون مرجع عن طريق ما عرف بولاية

(١) راجع الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ ص ٨ وما فوق وبما مشها الاستيعاب لإبن عبد البر.

(٢) راجع الإمامة والسياسة ص ٢٣.

(٣) راجع مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٣٥٣ وراجع الإمامة والسياسة ص ٢٣ وتاريخ الطبرى ص ٣٤.

العهد ، وذلك بأن يقوم الخليفة أو الإمام أو رئيس الدولة القائم كائناً من كان بتعيين من يتولى أمور المسلمين من بعده ، لأن الإمام أو الخليفة أو رئيس الدولة الإسلامية القائم كائناً من كان هو ولي الأمة والأمين عليها ، ينظر للأمة في حال حياته ، ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ، ويقيم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو يتولاها ، ويتحققون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به في ما قبل ، وقد عرف ذلك من الشعير بإجماع الأمة على جوازه وانعقاده. إذ وقع بعهد أبي بكر ٢ لعمر. وكذلك عهد عمر في الشورى إلى السنة ...^(١).

وقد شرعت ولاية العهد بسبب فعل أبي بكر وعمر وعدم معارضته الصحابة لهم مما جعلها وليدة الإجماع ، والإجماع سند شرعي كما يرى ابن خلدون ، وذلك حرصا على وحدة المسلمين ومصلحتهم وهروبًا من الفتنة ، وحتى لا تبقى أمة محمد هملاً بغير راع على حد تعبير السيدة العائشة أم المؤمنين^(٢) وتجنباً لللوم على حد تعبير عبد الله بن عمر بن الخطاب^(٣).

ويبدو أن الإمام الوحيد برأي أهل السنة الذي لم يسم خليفته ، ولم يتخذ وليناً للعهد هو رسول الله ٦. فهو بالمفهوم عند ابن خلدون : ينظر للناس عند حياته ، ويتابع ذلك أن لا ينظر لهم بعد وفاته ، بعكس بقية الخلفاء ، أو رؤساء الدول الإسلامية حيث ينظر الواحد منهم عند حياته ويتابع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته^(٤).

والخلاصة أن الصحابة الكرام اكتشفوا بعد طول معاناة أن ترك الأمة دون بيان المرجع والإمام وولي العهد دمار محقق ، وأن الوصية والتسمية أفضل لمصلحة المسلمين فشرعواها ، أو هكذا صور.

والأهم من ذلك أن الشريعة الإسلامية شريعة سماوية ، وقد بينت كل شيء

(١) راجع مقدمة ابن خلدون ص ٢١٠ دار الفكر.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٢٣.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٣٥٣.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٢١٠ دار الفكر.

أجمله القرآن الكريم أو فضله ، وبينه الرسول ودعمه ، وخلوّ الدين من هذا الأمر الجوهرى ينافق كمال الدين و تمام النعمة ، خاصة وأن الرسول قد خير و اختار الموت ، ومرض قبل الموت ، وعرف أنه ميت في مرضه ذاك. ثم إن الله قد قذف في قلبه محبة هذه الأمة ، وجعله بالمؤمنين رؤوفاً رحيمًا ، وأطلاعه على مستقبل هذه الأمة ، فهل من الممكن عقلاً أن يموت الرسول دون أن يبين للناس من هو المرجع من بعده؟ ومن هو خليفته؟ كيف تفوته هكذا أمور فيتلاشها أبو بكر وهو ليس نبياً ، وعمر وهو ليس نبياً؟ وتحس بخنطورها عائشة أم المؤمنين وهي امرأة وليس نبياً ، فتحضر عمر على الاستخلاف وتقول (استخلف عليهم ولا تدعهم بعدي هملاً!!) هذا أمر غير وارد قطعاً ، تدحضيه النصوص الشرعية القاطعة وتكذبه ، بالرغم من تقديرنا للواقع التاريخي الذي ساد.

فأهل السنة تشتبوا بكل شيء ليبرروا هذا الواقع الذي حدث. تشتبوا بالنص ، وعندما خذلهم النص تشتبوا بالافتراض ، وعندما انحراف الافتراض تشتبوا بالشوري وعندما انحرفت الشوري تشتبوا بالرأفة بال المسلمين والحرص على مصلحتهم ووحدتهم ومستقبلهم حتى لا يتركوا هملاً وبلا راع. واستقرروا بعد طول ترحال على مبدأ أن الإمام القائم أو الخليفة القائم هو الذي يسمى من يليه ، أي يحدد لlama الشخص الذي عليها أن تباعه ^(١).

المراجع بعد وفاة النبي ٦ عند أهل السنة

الخليفة أو الإمام أو رئيس الدولة الإسلامية ، القائم مقام النبي هو المرجع الديني والديني معاً ، كيف لا وهو الخليفة رسول الله. فما كان الرسول يقوم به يقوم به الخليفة. فهو ينظر في مصالح الأمة لدينهم ودنياهם ، وهو ولهم والأمين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته ويتابع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ، ويقيم لهم من يتولى أمورهم كما كان يتولاها ، ويثقون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل ^(٢) فهو

(١) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام فقد استعرضنا فيه كافة النظريات التي تشتبث بما أهل السنة ونقدناها نقدا علميا ص ٨ وما فوق.

(٢) راجع مقدمة ابن خلدون دار الفكر ص ٢١٠.

يملك كافة الاختصاصات التي كان يختص بها النبي وكافة الصالحيات المخولة للنبي كإمام وكولي للأمة. وقد أفردنا فصلاً في كتاب النظام السياسي لهذه الاختصاصات^(١) ونقلنا قول صاحب كتاب نظام الحكم المرحوم ظافر القاسمي حيث قال (إن اختصاصات الخليفة تشمل جميع الشؤون الداخلية والخارجية والعسكرية ، وإن أعباءه تقع عليه وحده ، وأنه إذا فوض شيئاً منها فإن ذلك لا يسقط حقه الأصيل بممارستها)^(٢).

ولقد حاول الإمام الماوردي أن يكشف ويحدد هذه الاختصاصات على الصفحتين ١٥ و ١٦ من الأحكام ، وكذلك الفراغ على الصفحة ١١ . ولقد لخصنا هذه المحاولة في كتابنا النظام السياسي ص ١٩٤ . والمرجعية الدينية تابعة بالضرورة لرئيس الدولة ، لأن رئيس الدولة هو خليفة النبي ، والنبي كان هو المرجع الديني والدليلي معاً. فما كان يمارسه النبي يمارسه الخليفة ، لأنه هو القائم مقام النبي في كل أمر من الأمور عدا النبوة ، بل إن هنالك أمور دخلت باختصاصهم وقالوا بأن النبي نفسه لم يمارسها وهي ولادة العهد. فالنبي ترك الأمة بدون راعٍ وبدون ولٍ وبدون مرجع وبدون إمام برأيهما ، ثم قام أبو بكر بمبادهته منه وتشجيع من أكابر الصحابة بالتخاذل عمر ولِيَا لعنهه وتوليته خليفة من بعده. ثم جاء عمر فعهد لستة ، ومن يدقق بالعهد يكتشف أنه عهد عملياً لعثمان ، لأن عثمان كان يعرف بالرديف ، والرديف بلسان العرب هو الرجل الذي بعد الرجل ، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد زعيمه^(٣) ومن جهة ثانية فإن طلحة كان غائباً ، فلو وقف الزبير وطلحة وعلى في صف ، ووقف الثلاثة الآخرون في صف عثمان لكن عثمان هو الخليفة لأن التنفيذ الحري لوصية الفاروق يؤدي حتماً لاستخلاف عثمان . دقيق بكل المصادر ستصل إلى هذه النتيجة ..

وفي خلافةبني أمية كان رئيس الدولة هو الذي يسمى خليفته على الغالب ، أو كان الغالب هو الخليفة وهو المرجع وهو الذي يعين المرجع من بعده. وفي خلافة

(١) النظام السياسي ص ١٨٧ .

(٢) راجع نظام الحكم للاستاذ ظافر القاسمي ص ٣٥٣ .

(٣) راجع نظام الحكم للاستاذ ظافر القاسمي وقد نقلها عن الطبرى ص ١٩٧ - ١٩٨ .

بني العباس كان الأمر كذلك ، وفي خلافة بني عثمان كان الأمر كذلك.

وهذا المبدأ . أي أن الخليفة هو المرجع وأنه هو صاحب الحق بتولية الخليفة الذي يليه ليكون خليفة من بعده ومرجعاً . سنة أبو بكر وعمر رضي الله عنهم ، ونسج الخلفاء على منواههما . والفرق أن أبي بكر وعمر كانوا يتوكيان أن لا يسند هذا الأمر لقريب لهما ، بينما كانت الأمور فيما بعد عكس ذلك ، وقد جرت العادة فيما بعد واستقرت على أن يسمى رئيس الدولة الحالي خليفته من بعده ويرشحه للأمة . وقد صرّح هذا الأمر كأنه حق للخليفة القائم ، وقد فهم كثير من علماء أهل السنة ذلك ومنهم ابن خلدون إذ يقول بالحرف : إن الإمام ينظر للناس في حال حياته ويتبّع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته ^(١) .

الحاكم القائم هو المرجع عند أهل السنة

أهل السنة يعتبرون الخليفة الذي يتولى رئاسة الدولة ويمارسها بالفعل هو المرجع بالذات في كل الأمور الدينية والدنيوية . فأبو بكر هو المرجع الأعلى في زمانه ، وعمر هو المرجع الأعلى في زمانه ، وعثمان ومعاوية ويزيد ومروان بن الحكم ... الخ كل واحد منهم يقوم بدور ومهمة المرجعية في زمانه . وينطبق هذا الوصف على خلفاء بني العباس وبني عثمان . فكل واحد منهم مرجع في زمانه ، هو بالذات أو من يوكل له هذه المهمة . فالعبرة بالمرجعية الفعلية هو الغلبة . فالحاكم الغالب على الأمة هو وليها وامامها ومرجعها في كافة الشؤون الدينية والدنوية .

ذكر أبو يعلى العز فقال : روی عن الإمام أحمد مادل على أن الخلافة تثبت بالغلبة والقهر ، ولا تفتر إلى العقد . فقال في رواية عبدوس بن مالك العطار : ومن غلب بالسيف حتى صار خليفة وسيّي أمير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمّن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً برأً كان أم فاجراً . وقال في رواية أبي الحارث في الإمام يخرج عليه : من يطلب الملك فيكون مع هؤلاء قوم ومع هذا قوم (تكون الجماعة مع من غالب) وذلك إعمالاً للقاعدة الشرعية التي وضعها عبد الله بن عمر بن الخطاب عندما صلّى بأهل المدينة يوم الحرة وقال للناس : نحن مع من غالب والناس بياعون

(١) المقدمة لابن خلدون.

الغالب)^(١).

ألا ترى كيف انتهت الأمور واقعياً بالنظام السياسي الإسلامي. فعلى الأمة أن تبادع الغالب بغض النظر عن دينه وصفاته ، وبغض النظر عن موقف الشرع منه ، بل أصبحت تلك المقولات جزءاً من الشريعة السياسية.
والخلاصة أن الحاكم القائم الغالب هو المرجع في كافة شؤون الأمة عند أهل السنة.

من الذي يقوم مقام الحاكم في المرجعية

مادام الحاكم حياً وغالباً فهو المرجع الأعلى للأمة في كافة شؤونها الدينية والدنيوية. وقبل أن يتنتقل هذا الحاكم إلى جوار ربه ولو كان في النزع الأخير يعين للأمة أماماً وولياً ومرجعاً لها من بعده ، وهو أهل لذلك ومحول بذلك. ولم لا؟ فهو ولهم والأمين عليهم ينظر لهم في ذلك في حياته ، ويتابع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته ، ويقيم لهم من يتولى أمرهم كما كان هو يتولاها ويتقون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل. وقد عرف ذلك من الشرع بإجماع الأمة اذ وقع بعهد أبي بكر لعمر بحضور من الصحابة فأجازوه وأوجبوا على أنفسهم به طاعة عمر^(٢).

ونضيف : إن تولية معاوية ليزيد تمت بحضور من بقي من الصحابة. فإذا عين الحاكم القائم خليفة ومرجعية الأمة من بعده تقوم الأمة عملياً بـمبايعته ، ومن يعارض الأمة فهو مفسد في الأرض.

وصلاحيات الخليفة القائم بتعيين من يخلفه صلاحيات مطلقة لا راد لها ومعللة بكونه موضع الثقة على حد تعبير ابن خلدون (أبو بكر على فراش الموت عهد إلى عمر وقال لكاتب عهده عثمان : لو كتبت لك لكتت أهلاً لها)^(٣).

ثم ها هو عمر وهو على فراش الموت أيضاً يفكر بأمر المسلمين ويقلب الأمر

(١) نظام الحكم للقاسمي.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٢١٠ دار الفكر.

(٣) راجع ص ٤٢٩ ج ٣ من تاريخ الطبرى وص ٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي.

على وجوهه المختلفة ، ويبحث عن الرجل الذي يستطيع أن يقوم مقامه فيقول (لو كان أبو عبيدة حياً وليته واستخلفته ، ولو أدرك خالد بن الوليد استخلفته ووليه ، ولو أدرك سالماً مولى أبي حذيفة لاستخلفته)^(١) ومعنى هذا أن سالماً مولى أبي حذيفة لو كان حياً لكان بامكانه أن يتسلم الخلافة مع أن سالماً ليس قريشاً ولا يعرف له نسب في العرب ، ومع هذا كان يوم المهاجرين والأنصار في مسجد قباء ، كما يروي البخاري . وبالمقابل إذا كانت خلافة سالم جائزة وهو الذي لم يعرف له نسب في العرب ، فكيف لا تكون جائزة خلافة الأنصار ، أليسوا أقرب عرقاً لرسول الله؟ ثم ألم يحتاج الثلاثة الذين حضروا السقيفة بأنهم أولى من الأنصار لأنهم أهل النبي وعشيرته . ثم ماذا تبقى من قاعدة : الأئمة من قريش؟ ثم كيف أن معاذ بن جبل من الأنصار وكان لا يجوز تولية الأنصار يوم السقيفة ، فكيف جازت فكرة تولية معاذ فيما بعد؟ ثم إن خالداً قاتل الإسلام بكل فنون القتال حتى أسلم ، وعلى قاتل مع الإسلام بكل فنون القتال ، فبأي مبدأ يقدم خالداً على علي؟!

وقيل لعمر (استخلف عبد الله بن عمر) ورفض عمر ذلك لسبب بسيط جداً وهو أن عبد الله بن عمر عجز عن طلاق امرأته كما قال عمر^(٢).

وتصور بربك أن عمر ٢ فكر أخيراً بأن يعتمد بالخلافة لعلي بن أبي طالب ٧ ولكن رهقته غشية^(٣) ألا ترى أن صلاحيات الخليفة القائم بتسميةولي عهده أو إمام المستقبل من بعده في نظر أهل السنة صلاحيات مطلقة . ويجد بالذكر ان ولاية العهد أصبحت جائزة ومشروعة في نظر علماء أهل السنة بسبب عهد أبي بكر لعمر وعهد عمر للستة أو عملياً لعثمان . وبعد أن توالي الأمويون رئاسة الدولة أصبح العهد هو الطريقة المتبعة على الأغلب في تولية الخليفة

(١) راجع مرض عمر وموته في تاريخ الطبرى وفي طبقات ابن سعد وراجع ص ١٥ من الإمامة والسياسة.

(٢) راجع على سبيل المثال شرح النهج ج ١ ص ٦٤ لعلامة المعتزلة راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

(٣) راجع على سبيل المثال شرح النهج ج ١ ص ٦٤ لعلامة المعتزلة راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

وتعيين مرجع المستقبل ، وهكذا الحالة في عهد العباسيين والثمانين ، فإما عهد إلى الولد أو عهد لأحد أفراد الأسرة المالكة ^(١) .

وأصبحت التسمية أو ولاية العهد أو مرجعية المستقبل أمراً شرعاً وذلك حرصاً على مصلحة المسلمين. أنظر لقول أم المؤمنين : (استخلف عليهم ولا تدعهم بعده هملاً) ثم انظر إلى رد عمر عليها (ومن تأمرني أن استخلف؟) فلو أمرته أم المؤمنين أن يستخلف أي شخص لفعل .

المرجعية الجماعية عند أهل السنة

قال ابن خلدون : (إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ، وإنما كان مختصا بالحاملين للقرآن العارفين بنسخه ومتناصخه ومتتشابهه ومحكمه وسائر أداته ، بما تلقوه من النبي ﷺ أو من سمعه منهم وعن عليتهم ، وكانوا يسمون « القراء » أي الذين يقرأون الكتاب لأن العرب كانوا أمة أمية ، فاختص من كان قارئاً للكتاب بهذا الاسم لغراحته يومئذ وبقي الأمر كذلك صدر الملة) ^(٢) .

وبخلول العهد الأموي تكونت المقاطع الأساسية لنظرية عدالة كل الصحابة بالمعنىين اللغوي والاصطلاحي ، فأصبح الصحابة جمِيعاً وبدون استثناء وبدون مقدمات كلهم عدولأ ، وكلهم من أهل الجنة ولا يدخل أحد منهم النار ^(٣) ولا يجوز عليهم الكذب ، وتحولوا لمراجع دينية كل واحد منهم مرجع قائم بذاته ومستقل عن سواه ، وإنأخذت من أي واحد منهم جاز .

فرأى أبي بكر شرع لأنه صحابي بالدرجة الأولى ، شأنه شأن كل الصحابة ، فهو من العدول وكذلك رأى عمر ، وكذلك رأى أبي صحابي على الإطلاق .

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ١٩٧ - ١٩٨.

(٢) راجع طبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٦٨ وراجع آراء علماء المسلمين ص ٥٠ وما فوق .

(٣) وقد نقلنا تعريف ابن حجر الذي اجمع عليه أهل السنة وحللناه في الباب الأول من هذا البحث .

يقول أبو حنيفة : إذا لم أجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه ، فإذا اختلفت آراؤهم في حكم الواقعة الواحدة أخذت بقول من شئت وأدع من شئت)^(١).

وجاء في « أعلام الموقعين » لابن القيم : إن أصول الأحكام عند الإمام أحمد خمسة : الأول النص ، والثاني فتوى الصحابة ، فعمل الصحابي على خلاف عموم القرآن دليل على التخصيص وقول الصحابي منزلة عمله^(٢).

وبالمناسبة نذكر ثانية بأن سنة الرسول ^ﷺ تعني القول والفعل والتقرير. وأنك تلاحظ أن لكل صحابي سنة قول وفعل وتقرير. أنظر إلى قوله (وقول الصحابي منزلة عمله) فقول الصحابي يخصص عموم الكتاب (القرآن) ويقييد مطلقاته ، وعمل الصحابي يخصص عموم الكتاب ويقييد مطلقاته. فأنت تلاحظ أن قول الصحابي يعامل كأنه وحي من السماء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. والكارثة أي صحابي بالمعنى اللغوي والاصطلاحي .. فأبُو بكر صحابي ومعاوية صحابي ومروان بن الحكم صحابي وعبد الله بن أبي سرح صحابي ، والأربعة كما يتصور أهل السنة مراجع ونجوم ، وبأي واحد منهم يجوز الاقتداء به والاهتداء.

والخلاصة أن لدى أهل السنة مرجعية جماعية. فكل واحد من الصحابة بلا استثناء مرجع قائم بذاته منه ، يمتنع عليه الكذب ، ينطق بالحق المبين لأنّه من أهل الجنة. ومن يشك بهؤلاء المراجع جميعاً أو بأي واحد منهم فهو زنديق لا ينبغي أن يؤكل أو يشارب أو يصلى عليه. وبعد أن انتقل الصحابة كلهم إلى جوار رحمة حل محلهم التابعون ، وبانتقال التابعين إلى جوار رحمة حل محلهم العلماء من أهل السنة ، والأحزاب التي تكونت عندهم.

(١) راجع المستصفى للغزالى ص ١٣٥ - ١٣٦ وراجع آراء علماء المسلمين للسيد الرضوى ص ٨٨.

(٢) راجع المدخل إلى علم أصول الفقه لمعرف الدوالى وراجع ص ٨٧ من آراء علماء المسلمين للسيد مرتضى الرضوى.

كيف تعلم المراجع عند أهل السنة

بعد وفاة النبي وفي زمن الخلفاء الراشدين كان الخليفة هو المرجع الأعلى للMuslimين ، فهو صحابي ومن العدول حقيقة وبنفس الوقت هو الخليفة ، يسأل من يشاء من الصحابة ويأخذ برأيه أو برأي من يشاء . غالباً ما كان يسأل أبو بكر وعمر القراء كعلي ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت ... ولا تثريب عليه لو أخذ برأيه لأن المطلوب هو معرفة الحكم الشرعي . فكرة عدالة الصحابة بالمعنى الذي طرحته الأمويون وروجوا له وأقروه لم تكن موجودة ، والأكثريّة الساحقة من الصحابة كانت أدوارهم بالمرجعية محدودة جداً بمعنى أنهم لم يكونوا مراجع.

ولم يختلف الأمر كثيراً في العهد الأموي ، فمعاوية بوصفه صحابي ومن العدول بعد أن تكررت نظرية عدالة الصحابة أصبح هو المرجع الأعلى للMuslimين ، ويمارس مرجعيته كما مارسها من سبقه بالخلافة ، فله أن يسأل من يشاء ويأخذ برأي من يشاء وقد أفادته فكرة عدالة كل الصحابة لأنها جعلته من أهل الجنة وبررت له الجلوس محل أبي بكر وعمر وعثمان علي مع أنه الطلاق ابن الطلاق ، وبررت له أن يتمتع بنفس الصالحيات بوصفه خليفة . وإذا تعددت آراء الذين سألهم معاوية أو الذين عرضوا عليه آراءهم ، فلمعاوية الحق بأن يأخذ ما يشاء من يشاء .

أما بالنسبة لطلاب العلوم فهم أحجار بقبول ما يرون من آراء الصحابة في المسألة الواحدة إذا تعددت . وتتكرر الحالة مع التابعين ، وتتكرر الحالة مع علماء المسلمين بعد التابعين ، وتتكرر فيما يتصل بالأحزاب . وبعد زوال الخلافة الإسلامية أصبح كل عالم من علماء أهل السنة مرجعاً قائماً بذاته يفتى لنفسه ولأتباعه ، وأصبح كل حزب من الأحزاب العربية خاصة مرجعاً قائماً بذاته ومهمته منصبة على إثبات أنه على الحق ، وتكثيف الجهد ليستحوذ وحده على السلطة في أي مصر يتواجد فيه .

الفصل الخامس

المرجعية البديلة

اجتهد البعض في مورد النصوص الشرعية (مع أنه لا اجتهاد في مورد النص) وقادهم هذا الاجتهاد إلى نتيجة أن المرجعية الشرعية التي عيّتها وحدّتها العقيدة الإلهية ليست في مصلحة الإسلام ولا في مصلحة المسلمين ، لاعتقادهم ان النصوص المتعلقة بتحديد وتعيين المرجعية الإلهية هي من التحليل العقلي للنبي وليس أوامر إلهية ، وأن النبي عندما وضع مرتکزات هذا التحليل كان لا يعرف توجهات الرأي العام الإسلامي ، وأنه يرفض رضًا قاطعاً أن يجمع لبني هاشم النبوة والخلافة ، وعزّ على هذا البعض أن يواجهوا النبي صراحة بما في نفوسهم. وتلاحت الأحداث سريعاً ، ووضعت المرجعية البديلة على عجل ، وتصور الذين وضعوها أنهم يحسّنون صنعاً ، ويخدمون الإسلام والنبي بفعلتهم هذه ، وتصوروا أنهم وحدّهم الذين أناظط بهم العناية الإلهية أمر التخطيط لبناء مستقبل الإسلام ، لأنه برأيهم لا يوجد في صفوف المسلمين من هو أكثر أهلية منهم للقيام بهذا العمل الخطير ، فحزموا أمرهم وشرعوا بترجمة ما بيته.

الشروع بوضع معلم المرجعية البديلة

النبي على فراش الموت ، وجبريل الأمين لا ينقطع عن زيارته ، وأكثر ما كان يأتيه جبريل في مرضه ، النبي على علم بمستقبل هذه الأمة ، وقد أدى النبي دوره كاملاً وبلغ رسالات ربه ، وبين لهم كل شيء على الاطلاق ، وهو على علم تام بما يجري حوله ، ومدرك أنه السكون الذي يسبق الانفجار فينسف الشرعية السياسية والمرجعية ، وبنسف الشرعية السياسية والمرجعية يتجرّد الإسلام من سلاحه الجبار ويتغطّل المؤلّد الأساسي للدعوة والدولة.

ولكن مثل النبي لا ينحني أمام العاصفة ، ولا يقعده شيء عن متابعة إحساسه العميق بالرقة والرحمة لهذه الأمة ، وبالرغم من كمال الدين وتمام النعمة الإلهية والبيان الإلهي الشامل لكل شيء تحتاجه الأمة بما فيه كيف يتبول وكيف يتغوط أفرادها ، إلا أنه أراد أن يلخص الموقف لأمته حتى تختدي وحتى لا تضل ، وحتى تخرج بسلام من المفاجآت التي تتربص بها وتنتظر موت النبي لتفتح أشداقها فتعكر صفو الإسلام وتعيق حركته وتغير مساره.

المواجهة الصاخبة

النبي على فراش المرض ، وبيته المبارك يغضب بأكابر الصحابة ، وقد أصرّ النبي على تلخيص الموقف والتذكير بالخطأ المستقبلي لمسيرة الإسلام فقال النبي (قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً) ما هو الخطأ بهذا العرض النبوى؟ من يرفض التأمين ضد الضلال؟ ولماذا؟ ولمصلحة من؟ ثم إن من حق أي مسلم أن يوصي ، ومن حق أي مسلم أن يقول ما يشاء قبل موته ، والذين يسمعون قوله أحرار في ما بعد بإعمال هذا القول أو إبطاله ، هذا إذا افترضنا أن محمداً مجرد مسلم عادي وليس نبياً وقائداً للأمة.

فتتصدى الفاروق عمر بن الخطاب ووجه كلامه للحضور وقال (إن النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله) فاختلف أهل البيت فاختصموا ، منهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لا تضلوا بعده أبداً ، ومنهم من يقول ما قال عمر . فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم رسول الله : قوموا عنِي ^(١). وفي رواية ثانية أن الرسول عندما قال : ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً تنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع ، فقالوا هجر رسول الله . قال النبي :

(١) صحيح بخاري كتاب المرضى باب قول المريض : قوموا عنِي ج ٧ ص ٩ وراجع صحيح مسلم في آخر كتاب الوصية ج ٥ ص ٧٥ وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٩٥ ومستند الإمام أحمد ج ٤ ص ٣٥٦ ح ٢٩٩٢ وشرح النهج لابن أبي الحميد ج ٦ ص ٥١.

دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه^(١).

وفي رواية ثالثة قال النبي ﷺ (ائتوني بالكتف والدواء أو اللوح والدواء أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً) فقالوا (إن رسول الله يهجر)^(٢).

وفي رواية رابعة للبخاري : أن النبي قال : ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده) قال عمر بن الخطاب : إن النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا ، فاختلفوا وأكثروا اللغط . قال النبي : قوموا عنِّي ولا ينبغي عندي التنازع^(٣).

رواية بلفظ خامس للبخاري : قال النبي : ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع ، فقالوا : ما شأنه أهجر؟ أستفهموه فذهبوا يرددون عليه ، فقال : دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه^(٤).

رواية بلفظ سادس للبخاري : قال النبي : ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً ، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا : ما له أهجر استفهموه ، فقال النبي ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه^(٥).

رواية بلفظ سابع للبخاري قال النبي : هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده قال عمر : إن النبي غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند النبي قال : قوموا عنِّي^(٦).

(١) راجع صحيح البخاري ج ٤ ص ٣١ و صحيح مسلم ج ٣ ص ١٦ و مسنن الإمام أحمد ج ١ ص ٢٢٢ و ج ٣ ص ٢٨٦.

(٢) راجع صحيح مسلم ج ٢ ص ١٦ و ج ١١ ص ٩٤ - ٩٥ و شرح النووي و مسنن الإمام أحمد ج ١ ص ٣٥٥ و تاريخ الطبرى ج ٢ ص ١٩٣ و الكامل لابن الأثير ص ٣٢٠.

(٣) راجع صحيح البخاري ج ١ ص ٣٧.

(٤) راجع صحيح البخاري ج ٥ ص ١٣٧ و تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٥) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٣٢ و ج ٤ ص ٦٥ - ٦٦ .

(٦) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٦١ .

وفي رواية أن عمر بن الخطاب قال : إن النبي يهجر ...^(١) وقد اعترف الفاروق أنه صدّ النبي عن كتابة الكتاب حتى لا يجعل الأمر لعلي^(٢).

تحليل المواجهة

أطراف المواجهة

الطرف الأول : هو محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ وإمام الدولة الإسلامية (رئيسها).

الطرف الثاني : هو عمر بن الخطاب أحد كبار الصحابة ووزير من أبرز وزراء دولة النبي وال الخليفة الثاني من خلفاء النبي فيما بعد.
مكان المواجهة : بيت النبي.

شهود المواجهة : كبار الصحابة رضوان الله عليهم.

النتائج الأولية للمواجهة

١ . الانقسام

إن الحاضرين قد انقسموا إلى قسمين :

القسم الأول : يؤيد الفاروق فيما ذهب إليه من الحيلولة بين الرسول ﷺ وبين كتابة ما يريده. وحجّة هذا الفريق أن الفاروق من كبار الصحابة وأحد وزراء النبي ومشفق على الإسلام ، وأن النبي مريض وبالتالي فلا داعي

(١) راجع تذكرة الخواص للسبط الجوزي المخفي ص ٦٢ وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالى ص ٢١ .

(٢) راجع شرح نوح البلاعنة لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١١٣ سطر ٢٧ طبعة أولى مصر وافتست بيروت وج ١٢ ص ٧٩ سطر ٣ بتحقيق محمد أبي الفضل وج ٣ ص ٨٠٣ دار مكتبة الحياة وج ٣ ص ١٦٧ دار الفكر .

لإزعاجه بكتابه هذا الكتاب. ثم إن القرآن وحده يكفي ، فهو التأمين ضد الضلاله ولا داعي لأي كتاب آخر يكتبه النبي.

القسم الثاني : يرفض المواجهة أصلًا بين التابع والمتبوع ، وبين النبي ومصدق به وبين رسول يتلقى تعليماته من الله ، وبين مجتهد يعمل بما يوحيه له اجتهاده ، وبين رئيس دولة ونبي بنفس الوقت ، وبين واحد من وزرائه.ويرى هذا القسم أن تناح الفرصة للنبي ليقول ما يريد ، ولكتابه ما يريد ، لأنه النبي وما زال نبياً حتى يتوفاه الله ، وأنه رئيس الدولة وما زال رئيساً للدولة حتى يتوفاه الله ويحل رئيس آخر محله. ثم على الأقل لأنه مسلم يتمتع بالحرية كما يتمتع بها غيره ، ومن حقه أن يقول ما يشاء وان يكتب ما يشاء. ثم أن الأحداث والمواجهة تجري في بيته ، فهو صاحب البيت ، ومن حق أي إنسان أن يقول ما يشاء في بيته.

٢ . بروز قوة هائلة جديدة

برز الفاروق كقوة جديدة هائلة استطاعت أن تحول بين النبي وبين كتابه ما يريد ، واستطاعت أن تستقطب لرأيها عدداً كبيراً من المؤيدين بمواجهة مع النبي نفسه وبحضور النبي نفسه ^(١) واستطاع أن يحرك الأحداث وأن يقودها بكفاءة. ولحد الآن : لا أحد يدرى على وجه اليقين من الذي أوصى للأنصار بفكرة الاجتماع بسقيفة بنى ساعدة ، ولا كيف التم شمل هذا الاجتماع ولا من الذي دعا إليه. ولا أحد يدرى كيف علم به عمر من دون كل المهاجرين. فالثابت ان الذين حضروا هذا الاجتماع من المهاجرين ثلاثة فقط هم : أبو بكر الصديق وعمر وأبو عبيدة. والثابت أيضاً ان أبو بكر ٢ كان يساعد العترة الطاهرة بتجهيز النبي. والثابت أيضاً ان عمر ٢ هو الذي دعا أبو بكر وآخربه بحادث اجتماع السقيفة. والثابت أيضاً ان أبو بكر وعمر وجدا وهم في طريقهما إلى السقيفة أبو عبيدة بالصدفة ^(٢).

(١) راجع مراجع يوم الرزبة وكيف اجمعت على ان الفاروق هو الذي قال حسبنا كتاب الله.

(٢) راجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٥ وما فوق.

فالفاروق كان يعيش في صميم الأحداث ويتبعها متابعة دقيقة ، دقيقة بدقيقة. وفي داخل السقيفة كان له الدور الأعظم ، فلو أراد لكان هو الخليفة. وبعد الخروج من السقiffe ومباعدة الأكثريّة الحاضرة لأبي بكر الصديق ، هو بنفسه الذي قاد عملية إتمام البيعة وهو الذي صاح بالمهاجرين أنه قد بايع الصديق وبابيعه الأنصار وأن عليهم أن يقوموا فببايعوا ، فنهض عثمان ومن معه من بنى أمية فببايعوا الصديق. وعثمان والأمويون بأغلبائهم هم أول من بايع الصديق ، وعمر بن الخطاب نفسه هو الذي نظم الذين بايعوا أبي بكر في السقiffe وجهز منهم سرية ، وأخرجت علياً ومن معه من بيت فاطمة الزهراء ليبايعوا الصديق^(١) وهو نفسه الذي حضر الخطب وهم باحرق بيته فاطمة إن لم يخرج المعتصمون به^(٢) وهو نفسه الذي هدد علياً بالقتل إن لم ببايع^(٣) وهو نفسه الذي أشار على أبي بكر الصديق بأن يترك لأبي سفيان ما بيده من الصدقات ليضمن ولاءه^(٤) وأشار عليه بأن يعين يزيد بن أبي سفيان قائداً لجيش الشام^(٥) وهو القوة الهائلة التي صنعت الاستقرار لدولة أبي بكر ، ولم يطل بقاء الصديق في الحكم طويلاً فانتقل إلى جوار ربه وورث عمر دولة آمنة مستقرة ، وانتقلت إليه السلطة بيسر وسهولة وبدون معارضة ، وكأن الانتقال خطوة طبيعية تتبع خطوة ، وعاجلاً أم آجلاً سيكتشف الباحثون ان للفارق قدرة هائلة على التخطيط والتنظير ما توفرت لأحد قط من اقرانه^(٦) فقد قام بدور الهيئة التأسيسية لعصر ما بعد النبوة ، ورتب كل شيء لمستقبل الحكم في الإسلام ، فلن يجمع الهاشميون الخلافة والنبوة أبداً ، وستكون الخلافة تداولًا في غيرهم ، وحقاً خالصاً لمن غلب بغض النظر عن شرعية أو عدم شرعية وسائل الغلبة.

(١) راجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٥ وما فوق.

(٢) راجع مراجع التحريق الذي ذكرناها أكثر من مرة.

(٣) الإمامة والسياسة ص ١٣ .

(٤) راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحميد ج ١ ص ٣٠٦ - ٣٠٧ تحقيق حسن نعيم مكتبة الحياة.

(٥) راجع تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٠٩ - ٢١٠ وتاريخ الحكم للقاسمي ص ١٥٢ .

(٦) راجع الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ٣ ص ٢٤ وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحميد مجلد ٣

ص ١٠٧ .

٣ . بروز فكرة التغلب وترجيح التابع على المتبوع

نبتَت بهذه المواجهة فكرة التغلب وترجح التابع على المتبوع ، أو المساواة بين التابع والمتبوع وخلق حالة من الشبهات والحقيقة مع من يكون الصواب هل هو مع التابع أو مع المتبوع؟

فحججة الفاروق ان النبي قد اشتد به الوجع ، وكتابة الكتاب بمثل هذه الحالة قد تشكل خطراً. وشاعر الفاروق بذلك مجموعة من الصحابة ، وهذا شك .
وحجة الطرف الآخر ان مخدداً ما زال نبياً وسيبقى نبياً حتى تصعد روحه الطاهرة إلى بارئها ، وأنه لا ينطق عن الهوى وهذا يقين . فترك اليقين إلى الشك غير معقول والمرض ليس مانعاً من القول .

حادي ثان مشابهتان

الأولى : لقد مرض الصديق واشتد به الوجع كما يجمع على ذلك كل أتباع الملة . فلما تم لأبي بكر ما أراد من المشورة دعا عثمان خالياً . أي وحده . وقال له : اكتب أما بعد ، ثم أغمي عليه من شدة الوجع ، فكتب عثمان : فإني استخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً . فلما أفاق أبو بكر من إغمائه قال لعثمان : اقرأ علىي فقرأ عليه ما كتب ، فقال أبو بكر : أراك خفت أن يختلف الناس إن اقتلت نفسي في غحيتي؟ قال عثمان : نعم . قال أبو بكر : جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله) واقرها أبو بكر (١) تلك حقيقة بالاجماع .

الثانية : مرض عمر نفسه . قال طبيبه : لا أرى أن تمسي ، مما كتبت فاعلاً؟ فقال لابنه عبد الله : عبد الله ناولني الكتف فمحاه ، وقال من شدة الوجع . « والله لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع »

(١) راجع تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٤٢٩ وص ١٧٦ من نظام الحكم للقاسمي وص ٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي وج ٢ ص ٨٥ من تاريخ ابن خلدون وص ١٢٠ من كتابنا النظام السياسي في الإسلام .

وكان رأسه في حجر ابنته عبد الله فقال لابنه (ضع خدي بالأرض) فلم يفعل فلحظه وقال (ضع خدي بالأرض لا ألم لك الويل لعمر ولأم عمر إن لم يغفر الله لعمر)^(١).
وبالرغم من شدة وجع أبي بكر فقد أوصى وكتب ما أراد ، وبالرغم من شدة وجع عمر فقد أوصى وكتب ما أراد ورتب أمر الشورى واطمأن أن عثمان سيكون الخليفة ، واطمأن أنه لا يسلط هاشمي على رقاب الناس حتى ولو كان ذا قوة وذا أمانة. ونفذت بدقة وصية الاثنين وسمح لهم بقولها وسمح لهم بالتوجيه بالرغم من اشتداد الوجع بكل واحد منهمما. فعندما كتب كل واحد وصيته كان ما زال رسمياً على رأس عمله (خليفة للمسلمين) ومن حقه أن يمارس عمله ما دام حياً أو لم يعزل.

تلك حقيقة مسلم بها بالاجماع وقولاً واحداً لا خلاف عليه. فكيف يسمح لأبي بكر ولعمر بالتوصية وكتابة ما أرادا ، مع أن المرض قد اشتد بكل واحد منهمما أكثر من اشتداده برسول الله ، ويحال بين الرسول ٦ وبين كتابة ما أراد.

ألا يحق لحمد ٦ ما يحق لأبي بكر وعمر رضي الله عنهم؟ هذا مع الافتراض أن محمداً على قدم المساواه مع أبي بكر وعمر ، وهذا افتراض مرفوض شكلاً وموضوعاً ، لأن محمداً نبي مرسلاً من الله واماً بينما أبو بكر وعمر من الأتباع ، ومحمد يوحى إليه ، وقد أكد وقال أكثر من مرة أن أكثر ما كان يأتيه الوحي كان يأتيه وهو مريض^(٢) والله يقول (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاك عنده فانتهوا) ويقول (وما صاحبكم بمحنون) (ما ضل صاحبكم وما غوى) (إن هو إلا وحي يوحى) فكيف يتحول بظرفه عين من كانت هذه صفاته وملكاته إلى رجل حاشا له أن يهجر؟! ولا يؤمن على كتابة وصية!!
ومع أن هذه حقائق دامغة لا قوة في الأرض تستطيع أن تنكرها أو تدافع عنها ،

(١) راجع الإمامة والسياسة ص ٢٢٠ - ٢١ والطبقات لابن سعد وص ١٢٠ - ١٢١ من كتابنا النظام السياسي على سبيل المثال.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ١٩٣ .

ومع أن هذه الواقعة نسفت مستقبل الإسلام كله ، وكانت هي البذرة التي انطلقت منها كل المآسي والنكبات التي حلّت بال المسلمين ، إلا أن أهل السنة يتجاهلونها تماماً ولا يفكرون بها إلا أنها مجرد قصة.

وهكذا وعملياً رجح قول التابع على قول المتبع ، فأصبح التابع مرجعاً للمتبوع متفرجاً ، وتم للتابع ما أراد ، وغلبت مشيئته ، واستقطب الناس لها ، فوُجِدَت واقعياً فكرة الغلبة وأثُرَت واعتبرت الغلبة فيما بعد مبدأ شرعياً ، وأجيزة للأمة أن تتفرج على الصراع بين متغاليين ثم تقف في النهاية مع الغالب مهما كانت صفاتيه ومهما كان دينه^(١) فطمع المتبع بالتابع ، وتقدم المفضول على الأفضل.

ومن هنا فلا ينبغي أن ندهش إذا رأينا معاوية بن أبي سفيان يعتلي سدة الخلافة ، وهو الطليق ابن الطليق ومن المؤلفة قلوبهم ، وينازع بالخلافة أول من أسلم وولي الله بالنص ، ومولى كل مؤمن ومؤمنة بالنص ، ويحاول أن يقنع المسلمين بأنه أفضل من علي وأصلح للأمة منه. ولا ينبغي أن ندهش إذا وجدنا في عصور الإسلام من يقول هذا مجتهد وهذا مجتهد وكلاهما في الجنة.

ولا ينبغي أن ندهش عندما يطالب مروان بن الحكم بالخلافة ، وهو ابن الحكم بن العاص الذي كان محظوراً عليه أن يدخل المدينة في زمن الرسول وأبي بكر وعمر حتى تولى الخلافة عثمان فأدخله معززاً مكرماً ، واتخذ ابنته مروان رئيساً لوزرائه وزوجاً لابنته.

لقد تداعت الفوارق بين التابع والمتبوع ، وبين المتقدم عند الله وفي الإسلام والمتأخر في موازين الله والإسلام. فالوليد بن عقبة يتأمر على الحسين بن علي والوليد يعظ وعلى الحسين أن يسمع وعظ هذا الواقع ، والوليد يصلّي بالناس صلاة الصبح أربعاءً وهو سكران ويسأل المأمومين إن كانوا يرغبون بالزيادة ، وبعد ذلك فإنه لا حرج أن يكون هذا الرجل إماماً للحسين بن علي بن أبي طالب وأميرًا عليه ، ومرجعاً يمكن للحسين إذا أراد أن يسأله في أمور دينه ودنياه!!!

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي ص ٣٤٤ . ٣٤٥ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ١٥٣ .

٤ . ظفر الغالب ونجاجه

أصبح الغالب . أي غالب وأيا كان . هو الظافر ، وهو سيد الموقف ، وهو إمام المسلمين ورئيس دولتهم ، وهو مرجعهم في كل الأمور الدينية والدنيوية ، وهو الحائز لكل وسائل القوة ، بيده السيطرة الكاملة على كل موارد الدولة يعطي لمن يشاء وينع العطاء عنمن يشاء ، لا رقيب عليه إلا الله ومقدار دينه ، وهو القائد العام لجيوش الإسلام يستعملها لتحقيق الأمانين الخارجي والداخلي ولتطهير الرعية رغبة ورهبة ، وهو المسيطر سيطرة تامة على وسائل الإعلام ، فلو شاء جعل الأبيض أسود ، ولو شاء جعل الأسود أبيض ، ويمكنه بسيطرته على وسائل الإعلام أن يجعل القزم عملاقاً وأن يجعل العملاق إلى قزم ، وتحول مؤيديه إلى واجهة له يبيدهم الحل والعقد ، ومع الأيام أصبحوا مراجع . فهم يتبنون وجهة نظر الغالب ويستعملون وسائله بالمرجعية ، فهم سادات المجتمع ، وهم الفرائد المتألقة ، وإذا سار معهم أي واحد قادوه إلى نقطة الارتكاز ومحور الهدایة . أي عين ما يراه الغالب . وعرف العامة على ذات الوتر وتحدت الأمة على هذه الشاكلة ، وكلما مضت سنة ترسخت هذه السنة وتوطدت ، وكلما مر عقد ضربت جذورها في الأرض وأصبحت رأيا عاماً وقناعة وعقيدة سياسية .

٥ . عزل العترة الطاهرة

بحذا المناخ نادت العترة الطاهرة بالشرعية ، وقالت إن لها حقاً وطالبت به ، ولكن الناس يحولون بينها وبين حقها الشرعي . كانت معارضة أبي الحسن لأبي بكر معارضة متحضرة وشرعية ومنطقية جداً بشهادة بشير بن سعد أول من بايع أبي بكر حيث قال عندما سمع حجة الإمام : « لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان » (١) .

ولكن تبقى السلطة سلطة ، وتبقي المعارضة معارضة ، ولا يمكن بالفطرة للقائمين على السلطة أو للسلطة بأي مقياس أن تثق سياسياً بالمعارضة ولا ان تسلم للمعارضة مكتسباتها . ولكن لأن فاطمة بنت محمد بجانب الإمام علي ، فقد رؤي

(١) الإمامة والسياسة ص ١٢ على سبيل المثال .

عدم قتله بالرغم من أنه هدد بالقتل إن لم يسأع ، ورئي عدم إكرابه على البيعة تقديرًا لفاطمة.

ولم تتخذ أية إجراءات فعالة ضد الإمام وزوجته الزهراء عندما كانا يطوفان ليلاً في مجالس الأنصار ويسألان النصرة ، فكان الأنصار يقولون (يا بنت رسول الله قد مضت بيعتمنا لهذا الرجل ، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به) ، فيقول علي (أفكنت أدع رسول الله في بيته لم أدفعه وأخرج أنازع الناس سلطانه؟) فتقول فاطمة (ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم عليه وطالبهم ^(١) .

ومع هذا فالنتجية المنطقية كانت عزل الإمام بعد وفاة فاطمة وعزل شيعته. وتجلت الرغبة بعزل الإمام عنبني هاشم خاصة بمحاولة السلطة اجتذاب العباس إليها باغرائه ببعض الامر له ولعقبه. ولكن العباس رفض ذلك رفضا قاطعاً ورد ردًا حاسماً على السلطة ^(٢).

وبالمعيار الموضوعي ، فإنه إذا قدر للشخص العادي أن يختار بين السلطة وبين خصومها ، فإنه سيختار جانب السلطة لأنها هي الجانب الأقوى ، خاصة وأن معارضات أهل البيت تتبع ، وكاد جبل الود أن ينقطع نهائياً بينهم وبين السلطة عندما هم عمر بإحرق بيته فاطمة على من فيه ، ولكن الله سلم ^(٣) .

ولقد بلغ من حجم القناعة لدى السلطة أنها اقتنعت بأنه لا يجوز لبني هاشم أن يجمعوا مع النبوة الخلافة كوسيلة لمنع الإجحاف الماشمي ، وآمنت السلطة أن قريش قد اهتدت عندما اخذت بهذا المبدأ ^(٤) والأهم من ذلك أنه قد وضع شرط بأنه لا

(١) الإمامة والسياسة ص ١٢ على سبيل المثال.

(٢) الإمامة والسياسة ص ١٥ - ١٦.

(٣) راجع مراجع التmeric.

(٤) راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ٢٤ آخر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣ وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ١٤٩ وما فوق.

يجوز أن يسلط هاشمي على رقاب الناس حتى ولو كان ذا قوة وأمانة ، وقد نفذ هذا الشرط بدقة في عهدي أبي بكر وعمر ، وكان عمر يحرص على أن يتولى أعماله أي مؤيد لهم ^(١). فعزل علي وعزل شيعته وتعايش الإمام مع الشيختين وتعايشت شيعته ، وقدم أهل البيت في زمتهما على الجميع في العطايا ، فكانوا يبدأون بال محمد ثم بقية الناس ، وأمن الإمام وأهل البيت وشيعتهم على أرواحهم وأموالهم ، وكانا يستشيران الإمام ويرجعان إليه في كثير من الأمور ، واستقرت الأحوال وساعدت على استقرارها فتوح البلدان وعدم تدنس الشيختين بشهوده.

وبعد فترة من استلام عثمان للخلافة ، بدأ الصحابة يتراجعون من حوله ، وبدأ الأمويون ينزوون في بلاطه ، فانفض الصحابة جيئاً من حوله ، والتف الأمويون عليه ، وغضّ بهم بلاطه.

ولم يأت الأمويون بجديد ، فالبيت وشيعتهم الذين حرموا الأعمال في زمن الشيختين غير وارد أن يتولوها في زمن عثمان ، ولأن الإمام وشيعته لا يمكن أن يسكنوا على أخطاء بنى أمية وهم حاشية عثمان وعماليه ، اعتبروا أن أمر أهل البيت بالمعروف ونفيهم عن المنكر معارضة للأمويين لأنهم أمويون. فلذلك ضاقوا ذرعاً بعلي وبشعنته ، وتراءكت هذه المعارضة مع تركات الماضي بين الهاشميين والأمويين وما زالت تكبر وتتكبر حتى حدثت المواجهة المسلحة بين الأمويين برئاسة معاوية وإلي الشام وبين الأمة برئاسة إمامها ووليها علي ، وانتصرت القوة على الشرعية وتوج معاوية ملكاً حقيقياً على الأمة وسي العام بعام الجماعة. وبدأ عهد جديد لمطاردة آل محمد مليء بالدم والدم ، فأيدوا إلا من كتب له الحياة ، وفرضت مسبتهم وشتمهم في الأمسار ، ورددت الأمة المسبات والشتائم وراء الحكم ، وطوردت شيعة آل محمد ، ولم يجيزوا لأحد من أهل البيت أو لأحد من شيعتهم شهادة ، ومحوا من الديوان كل من يظهر حبه لعلي وأولاده وأسقطوا عطاءهم ورزقهم ^(٢).

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٥٣ للمسعودي.

(٢) راجع تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٤٠٧ وراجع معاوية في الميزان للعقاد ص ١٦ وراجع شيخ المصيرة للشيخ محمود أبو رية ص ١٨٠.

طاقم المرجعية الجديد

ال الخليفة الغالب . كائناً من كان . هو المرجع للأمة في كل شؤونها الدنيوية والأخروية بدلاً من ولی الأمة وعميد أهل بيت النبوة .

والصحابة الكرام كلهم وبلا استثناء هم المرجعية الجماعية للأمة لأنهم عدول ومن أهل الجنة ، وهم البديل لأهل بيت النبوة المطهرين بالنص ، فأهل البيت عارضوا ، والصحابة والروا .

وإذا انقرض جيل الصحابة يأتي التابعون فيكونوا هم المرجعية الجماعية التي تساعد الخليفة مرجع الأمة الأعلى ، فإذا انقرض جيلهم يأتي تابعوا التابعين .

ثم يأتي بعدهم العلماء ، فالعلماء ورثة الأنبياء وهم يقومون بدور المرجعية بالتعاون مع الحكام ، وبالتالي فإن وجود أهل البيت ثانوي جداً أمام هذا الطاقم .

أثر المعارضة

تحولت توجهات الأكثريّة وأفعالها إلى قناعات عامة ترسخت في الأذهان واستقرت نهائياً ، وضاق صدرها بمن يعارض هذه القناعات وتم عزله والتضييق عليه ، والتقليل من شأنه ، والتشهير به ، واعتباره خارجاً على الجماعة ، ومتولياً غير سبيل المؤمنين ، وشوهدت سمعة المعارضين ، وحرفت وجهات نظرهم حتى أصبحت ثمة الكفر أخف من ثمة التشيع لأهل البيت ، فمن يكفر بالله ويرتد عن دينه يستتاب ، فإذا عاد عن كفره ولو بلسانه قابلوه بالترحاب ، أما التشيع لأهل البيت فلا توبية له ، وموالاة الكافرين أهون من موالاة آل محمد ، وتحولت هذه القناعات إلى ترکة ترثها الأمة كما ترث المتابع ، فقد ورثت . كما أرث المتابع عن آبائي وأجدادي . أن الشيعة كفار ، لأنهم يؤطرون علياً ، وأنهم يطعنون بالصحابيّة الكرام ولأنهم ... الخ وأنا ورثت هذه الأفكار لأوليادي ، لكن لا أنا ولا أجدادي ولا آبائي ولا أولادي قد سمعوا وجهاً نظر الشيعة بهذه التهم ، ولا تأكينا من صحة هذه الاتهامات ، وليس بآيدينا أي دليل على صحتها سوى التقليد ، وكل ما نعرفه بالتقليد أن الشيعة هم أعداء الأمة ، وحتى علماء أهل السنة المعاصرین الذين يدرسون علماء

الغد في الجامعات لا يعرفون معنى التشيع ولا متى نشأ ، ولا كيف ، وإن عرضوا وجهة نظر الشيعة ، فإنكم ينقلون بالحرف وجهات نظر أعداء الشيعة بالشيعة كما هي بالرغم من مرور ١٤٠٠ عام عليها وكما ذكرها خصوم الشيعة ، فالخصم هو الراوي وهو الحكم وهو القاضي ، مع أن الخلاف في حقيقته وجوهره هو خلاف سياسي ، ومع أن الشيعة تعلموا الإسلام وفهموه عن طريق أهل البيت ، ومذهب أهل البيت هو مذهب محمد ﷺ . والفئة الناجية هي الفئة التي تهتدي بهداهم.

الفصل السادس

من هو المرجع بعد وفاة النبي ﷺ؟

رأي الشيعة

أ. ضرورة المرجعية

هم يقولون : ليس صحيحاً أن النبي ﷺ قد ترك هذه الأمة بدون ولی ولا مرجع ، لأن الولاية والمرجعية أمران جوهريان لا غنى للأمة عنهما وفي كل زمان ، والقول بترك الأمة بدون ولی ولا مرجع ينافي كمال الدين وقامت النعمة ، وتغطية البيان لكل شيء « تبياناً لكل شيء » فكيف يكون التبoul شيئاً ويبين النبي للناس كيف يتبولون ، ولا تكون الولاية والمرجعية شيئاً ويتركها الرسول ﷺ دون بيان؟ وبالتالي ، فإن عدم بيان الولاية والمرجعية من بعده ينافي رحمة النبي ورأفته بهذه الأمة وحرصه على مستقبلها ، لأن الله قذف في قلبه الكبير الحبة والرحمة والرأفة بهذه الأمة كما هو ثابت في القرآن الكريم. ثم من يقوم بوظائفه الدينية والدنيوية من بعده؟ فمن يبين القرآن؟ ومن يحدد دائرة الشرعية؟ ومن سيكون سفينه النجاة للأمة؟ ومن يقود الناس للهداى؟ ومن يكون أماناً لها؟ هذه اختصاصات فنية كالطلب والهندسة وعلم الذرة ، وهذه أمور لا يعلمها على وجه الجزم واليقين إلا الأعلم بالعقيدة والأفضل والأنساب بجمع الولاية مع المرجعية ، وهذه صفات لا يعلمها على وجه الجزم واليقين إلا الله ، ومن الحال بالشرع والعقل أن يتركها لأهواه الناس ، ثم أنها من ضرورات الدين ومن المستلزمات الأساسية للدعوة وللدولة وللأمة معاً. وأكبر دليل على ضرورتها أن الذين أنكروها وأنكروا أن يكون النبي قد بينها عادوا وأوجدوا ولادة وضعية ، واستقرت هذه الولاية الوضعية لمن غالب بعد أن قتل مئات الآلاف من أبناء الأمة في سبيل تحقيق الغلبة

للغالب الذي

يجمع الأمة تحت إمرته بالقوة. وبغياب الفارس الغالب ركبت كل مجموعة من الناس رأسها ، وكونت ولاية وضعية ومرجعية خاصة بها.

ب . البيان الإلهي للمرجعية

الله تبارك وتعالى هو الذي أنزل القرآن كرسالة إلهية لبني البشر ، وكتبة إلهية تقدم لهم تصوراً يقينياً لحركة كل شيء وتنظم أمور دينهم ودنياهم في الحياة الدنيا ، وتستكشف لهم المعلم الأساسية للحياة الآخرة ، وترتبط الحياتين برباط عضوي محكم ، وكضرورة من ضرورات الكتاب أنزله على عبده محمد ليبينه للناس بياناً نظرياً وعملياً على صعيدي الدعوة والدولة معاً ، فقد النبي الدعوة بنفسه وترأس الدولة بنفسه عند ما تخضت الدعوة عن دولة وخلاف مرحلتي الدعوة والدولة بين العقيدة بياناً كاملاً ، وبين العقيدة كل شيء للذين تلقوا الذكر. فمحمد هو المرجع ببيان العقيدة لأنه الأعلم بها ، والأفهم لأحكامها ، والأفضل بين أتباعها ، والأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع وتطبيق أحكام العقيدة عليهم. فلا أحد في الدنيا ينوب عن محمد بهذه المهمة ، ولا أحد يغنى ويسد مسده أثناء حياته المباركة ، وصاحب الاختصاص بانتداب محمد لهذه المهمة هو الله ، لأنه لا أحد يعرف على وجه الجزم واليقين الأعلم بالعقيدة ، والأفهم لأحكامها ، والأفضل بين أتباعها ، والأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع ، وتطبيق أحكام العقيدة عليهم إلا الله ، لذلك حصر نفسه حق اختيار هذا المرجع والولي ، وطرحه أمام البشر وشهاد له بأنه الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب ، وخلوه صلاحية بيان العقيدة للناس ، وصلاحية المرجعية وصلاحية الجمع بين الولاية على الأتباع ، والمرجعية في الدين ، والحكم بين الناس على ضوء أحكام هذا الدين.

فإذا قبلت الأمة المرجعية والولاية التي طرحها الله قدمها لهم وبأيقت بالرضا يصبح المرجع والولي هو محمد.

ولأن الدعوة مستمرة إلى يوم الدين ، والدولة المؤمنة تدعم دعوة الإيمان ، ولأن الغاية هداية البشرية كلها ، ولأن محمداً بشر وميت لا محالة ، ولأن الله وحده هو الذي يعلم على وجه الجزم واليقين من هو من أتباع محمد الأعلم والأفهم بالعقيدة ، والأفضل بين الأتباع في ذلك الزمان ، والأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع ، فإنه أيضاً قد

اختص بتقديم الولي والمرجع بعد وفاة محمد ، فإذا بايعت الأمة وقبلت بن قدمه الله ولیاً ومرجعاً لها فقد اهتدت ، وإذا لم تبايعه الأمة تحدث عملية انفكاك بين الولاية وبني المرجعية ، فيكون الحاكم شخصاً والمرجع شخصاً آخر ، ومع الأيام يستحوذ الحاكم على الحكم والمرجعية .

فالحسين بن علي بن أبي طالب ^٨ هو إمام بالنص ، وولي بالنص ، ومرجع بالنص وهو القدوة في زمانه بالنص .

ولكن الأمة رغبة أو رهبة بايعت يزيد بن معاوية ، فأصبح يزيد هو الحاكم والحسين هو المرجع ، والأصل أن يكون الحسين هو الإمام (الحاكم) وهو المرجع معاً ، ولكن لأن الأمة بايعت يزيداً تم الفصل بين الولاية (الحكم) وبين المرجعية فأصبح يزيد هو الحاكم الواقعي ، وأن المرجعية تابعة للولاية ، فلن يهنا الحاكم قبل أن يجرد المرجع من اختصاصاته المرجعية ليجمع بيده الولاية والمرجعية ، وهذا ما حدث فلا وسيلة لتجريد الحسين من مرجعيته تبعاً لتجريده من الولاية إلا بقتله ، فقتله يزيد .

وتقول الشيعة إن حالة المسلمين ومستقبلهم يتوقف على توحيد المرجعية مع الحكم أو الولاية بحيث يكون الولي هو المرجع ، وبحيث يكون الولي والمرجع هو بنفسه المعين من قبل الله .

والخلاصة أن المختص ببيان الإمام أو الولي والمرجع هو الله ، لأنه وحده يعلم من هو الأعلم والأفهم بأحكام العقيدة ، ومن هو الأفضل والأنسب من الأتباع للقيادة وفق أحكام الإسلام ، وأنه تعالى قد اختار للأمة الإسلامية ولبيها ومرجعها قبل أن ينتقل الرسول ^٦ إلى الرفيق الأعلى ، وأن الله قد أمر النبي بإعلان ذلك ، فأعلن أمام مائة الف مسلم في حجة الوداع ، وتكرر إعلان النبي لهذا الأمر الإلهي عشرات المرات ، ولكن الأمة بايعت غير هذا الولي والمرجع ، فحدثت عملية الانفكاك بين الولاية (الحكم) وبين المرجعية ، ثم زحف الحكام وجردوا الولي في كل زمان من المرجعية ، وجمعوا بأيديهم (كحكام) الولاية والمرجعية معاً بسند الغلبة .

من هو هذا الولي والمرجع الذي عينه الله؟

تقول الشيعة إنه الإمام علي بن أبي طالب ٧ فقد اختاره الله ليخلف نبيه بالولاية والمرجعية ، وكلف الله نبيه بأن يعلن هذا الاختيار الإلهي فأعلنه النبي أمام مائة ألف مسلم في حجة الوداع ، وإنه تعالى أعلن إماماً الحسن من بعده ، وإماماً الحسين من بعد الحسن ، ورتب الأمور بحيث يتعين كل واحد من الأئمة بنص من سبقه عليه ووصلوا إلى اثنى عشر إماماً ، والإمام الثاني عشر هو المهدى عجل الله فرجه ، وهو الحاكم الشرعي للجمهورية الإيرانية الإسلامية حسب منطوق المادة الخامسة من الدستور الإيراني ، والإمام الفعلى في إيران ما هو إلا نائب للإمام الشرعي ، يمارس أعمال الإمام والمرجعية نيابة عن صاحبها الشرعي حتى يظهره الله .

وكقاعدة ، فإن عميد أهل بيته في كل زمان هو الإمام وهو الولي وهو المرجع حسب الشرع ، وعمادة أهل البيت قائمة إلى يوم الدين ، ولا تنقطع الذرية المباركة بالرغم من محاولات الحكم طوال التاريخ لإبادة هذه الذرية الطاهرة.

ما هو سبب عداء أهل السنة للشيعة؟

طالما أن أهل الشيعة على حق ، فلماذا عادهم أهل السنة؟ لأن ما تقول به الشيعة يسحب البساط من تحت أقدام الحكم ، ويزييل مبرر وجودهم ويخلق المبرر لأعداء الحكم بأن يخلو ملهم ، ولأن الحكم لهم السيطرة الكاملة واقعياً على موارد الدولة وتتصرف بهذه الموارد كما تشاء من الناحية العملية ، ولأن الحكم تحت إمرتهم جيوش تقاضى رواتبها من الناحية العملية من الحكم وتتبع إرادة هذه الجيوش لإرادة الحكم ، ولأن الحكم يملكون فعلاً السيطرة على وسائل الإعلام ، ولأن الشيعة كانوا حزب معارض طوال التاريخ ، لذلك نقم منهم الحكم وطاردهم وصورهم كأئم شياطين وعصاة وخارجون على إجماع الأمة ، ولم يكن أئم الأكثريّة الساحقة من الأمة بديل سوى مجاهدة الحكم ، ولأن الشيعة لم تتح لهم الفرصة لعرض وجهة نظرهم بحرية ، فقد قام الحكم بعرض وجهات نظر الشيعة بشكل محرف ومزور ، وتناقلت الأمة وجهات النظر التي ذكرها أعداء الشيعة نيابة عنهم ولغايات تنفير الناس من الشيعة جيلاً بعد جيل . واستقرت مزاعم الحكم عن

الشيعة وكأن هذه المزاعم حقيقة ، وأكثر الناس يعتبرونها حقيقة لكثره ما نقلت إليهم وما تم تداولها.

عجلة أهل السنة

يتصاين أهل السنة من كل حدب وصوب وهم يرددون : لا تصدق الشيعة فقد مهروا بعدها الأمة واطمأنوا للخروج من الجماعة ، طالبهم بالدليل على ما يزعمون.

الرد على العجلة

تقول الشيعة : إن العام الذي انتصرت فيه القوة على الشرعية هو عام الجماعة عند أهل السنة ، وإن فكرة التنسن التي أخذ أهل السنة منها اسمهم نشأت في الزمن الذي انتصرت فيه القوة على الشرعية ، وليس كما يتصور العامة بأن أهل السنة هم أهل سنة الرسول ^٦ فالشيعة هم أحقر الناس على ما صدر من الرسول من قول أو فعل ، ولو تركنا التقليد الأعمى لتبيين أنا لا نلقي القول على عواهنه ، ويا مكانتكم أن تتأكدوا من صحة ما ذكرناه ، فان كان حقنا كففتكم لومكم عنا ، وان كان باطلًا رجعنا عنه (ان الباطل كان زهوقاً) ونزولاً عند رغبة عشاق الحقيقة نقدم الدليل القاطع على ما قلناه.

المراجعitan

لدى الإسلام برأي الشيعة مرجعيتان بعد وفاة النبي :

المرجعية الأولى فردية : عميد أهل بيته وأول العمداء علي ^٧ ، وهي تقابل فردية الحكم الغالب عند أهل السنة.

المرجعية الثانية جماعية : وهي عترة النبي وأهل بيته ، وهم يوالون عميمهم وي ساعدوه بحفظ الدين على أصوله المستقرة.

الله هو الذي عين المرجعيتين

ويقول أهل الشيعة بأن الله تعالى هو الذي عين المرجعيتين بالنص ، وأمر نبيه أن

يعلن لل المسلمين هذا التعيين الإلهي فأعلنه بأكثر من مناسبة.

الدليل الشرعي على تعيين الله للمرجعية الفردية

الاول : آية الولاية وهي الآية ٥٥ من سورة المائدة (إنا ولبكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) وقد نزلت هذه الآية في علي حين تصدق بحاته وهو راكع في صلاته . وتفسير هذه الآية مفصل بتفسير الشعبي على سبيل المثال ، وعندمارأى النبي ٦ علياً وهو يتصدق بحاته أثناء ركوعه في الصلاة ، دعا محمد ربه بالدعاء الذي دعا فيه موسى ربه (واجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به ظهري ...) قال أبو ذر : فوالله ما اتم الرسول ٩ دعاءه حتى نزل عليه جبريل ومعه آية الولاية .
وقد أجمع المفسرون على نزول هذه الآية في علي ^(١).

(١) ونقل هذا الإجماع غير واحد كالأمام القوشجي في مبحث الإمامة من شرح التجريد وراجع تفسير الإمام أبي اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم اليسابوري الشعبي الذي قال عنه ابن خلkan في وفياته إنه أحد زمانه في علم التفسير . وراجع على سبيل المثال شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ١ ص ١٦١ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص ٣١١ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٢٨ و ٢٥٠ ، وذخائر العقبي لحب الدين الطبرى الشافعى ص ٨٨ و ١٠٢ و المناقب للخوارزمي الحنفى ص ١٨٧ و ترجمة الإمام علي بن الصباغ المالكى ص ١٠٨ و ١٢٣ والدر المنشور للسيوطى ج ٢ ص ٢٩٣ وفتح القدير للشوکانى ج ٢ ص ٥٣ ، والتسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ص ١٨١ والكشف للزخشري ج ١ ص ٦٤٩ و تفسير الطبرى ج ٦ ص ٢٨٩ - ٢٨٨ ، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي الحنبلي ج ٢ ص ٣٨٣ و تفسير القرطبي ج ٦ ص ٢١٦ ، والتفسير المنير لمعالم التنزيل للجادى ج ١ ص ٢١٠ وفتح البيان في مقاصد القرآن ج ٣ ص ٥١ واسباب النزول للواحدى ص ١٤٨ ، والباب المنقول للسيوطى بهامش تفسير الجلالين ص ٢١٣ وتذكرة الخواص للبسيط الجوزي الحنفى ص ١٨ وص ٢٠٨ و تفسير الرازى ج ١٢ ص ٢٠ و ٢٦ و تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧١ .. الخ وهنالك ٣٦ مرجعاً لم تذكر .

وبالفعل فقد نصب النبي ﷺ أمير المؤمنين علياً مرجعاً وخليفة من بعده في جمع ضم
مائة ألف مسلم في غدير خم ، وذلك يوم الخميس وقد نزل عليه جبريل بعد مضي خمس
ساعات من النهار فقال : يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك : (يا أيها الرسول بلغ ما
أنزل إليك ...).

وقد نزلت هذه الآية يوم الغدير^(١).

وبعد أن نصب الرسول علياً إماماً ومرجعاً وخليفة من بعده نزلت الآية (اليوم أكملت لكم دينكم وأتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) وهذه الآية نزلت ألفاً بذى الحجة وبنطقة غدير خم ، وبنفس المكان الذى نصب فيه أمير المؤمنين ومبشرة بعد تنصيبه^(٢).

وبعد تنصيب الإمام علي بن أبي طالب ولیاً ومرجعاً وخليفة للأمة بعد النبي

(١) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ٢ ص ٨٦ وفتح البيان في مقاصد القرآن للعلامة صديق حسن خان ملك بمحبالي ج ٣ ص ٦٣ وشواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت للحاكم الحسكياني ج ١ ص ١٨٧ وأسباب النزول للواحدي النيسابوري ص ١١٥ والدر المنشور في تفسير القرآن لجلال الدين السيوطي الشافعي ج ٢ ص ٢٩٨ وفتح القدير للشوكتاني ج ٢ ص ٦٠ وتفسير الفخر الرازي الشافعي ج ١٢ ص ٥٠ ومطالب المسؤول لابن طلحة الشافعي ج ١ ص ٤٤ والفصلون المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٥ وبيانع المودة للقندوزي الحنفي ص ١٢٠ و٢٤٩ والملل والنحل للشهرستاني الشافعي ج ١ ص ١٦٣ وفائد السمعطين للحمويي ج ١ ص ١٥٨ ، وعمدة القارئ في شرح صحيح البخاري لبدر الدين الحنفي ج ٨ ص ٥٨ ومودة العربي للهمداني وروح المعانى للألوسي ج ٢ ص ٣٤٨ وتفسير المنار محمد عبده ج ٦ ص ٤٦٣ ... الخ.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة الإمام علي ج ٢ ص ٧٥ والمناقب لابن المغازى الشافعى ص ١٩ وشواهد التنزيل للحسكاني الحنفى ج ١ ص ١٥٧ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ٨ ص ٢٩٠ والدر المنشور في تفسير القرآن لجلال الدين السيوطى الشافعى ج ٢ ص ٢٥٩ والاتفاق للسيوطى الشافعى ج ١ ص ٣١ والمناقب للخوارزمي الحنفى ج ١ ص ٤٧ وينابيع المودة للقندوزى الحنفى ص ١١٥ وفرائد السمطين للحموى ج ١ ص ٥٥ و تاريخ العقوبى ج ٢ ص ٣٥ وكتاب الولاية لابن حجر الطبرى وروح المعانى للألوسى ج ٦ ص ٥٥ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٢١٣ ... الخ.

تقىد عمر بن الخطاب من امير المؤمنين علياً وقال له مداعباً (بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم) وتلك حقيقة^(١).

وأصبح يوم الغدير عيداً عاماً لل المسلمين في الأزمنة المتقدمة^(٢) وحديث الغدير قد بلغ مرتبة التواتر عن طريق علماء أهل السنة ، وألفت فيه المؤلفات ، منها كتاب الولاية لابن حجر الطبرى ، وكتاب الولاية لأبي العباس بن أحمد بن عقدة المتوفى ٣٣٣ هـ ، وكتاب من روى حديث غدير خم لأبي بكر الجعفري المتوفى ٣٥٥ هـ ، والدارقطني المتوفى في ٣٨٥ هـ له جزء في طريق حديث الغدير ، وكتاب الدرایة في حديث الولاية لأبي سعد السجستاني المتوفى ٤٧٧ هـ ، وكتاب دعوة المداة إلى أداء حق المولاة لأبي القاسم عبيد الله الحنفي المتوفى ٤٩٠ هـ ... الخ. وقد روى حديث الغدير من الصحابة ١١٦ صحابياً ورواه ٨٤ من التابعين ، وروى حديث الغدير كل علماء أهل السنة ، وأخرجوه في كتبهم على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم من القرن الثاني الهجري حتى القرن الرابع عشر الهجري ، وعددتهم ٣٦٠ عالماً كما ذكر الأميني في كتاب الغدير.

ويكفي أن عمر بن الخطاب تقدىم وهناً علياً يوم الغدير قائلاً له : (هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة)

(١) راجع تاريخ دمشق ترجمة الإمام علي لابن عساكر الشافعى ج ٢ ص ٧٥ ح ٥٧٥ و ٥٧٧ و ٥٧٨ و راجع مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازى الشافعى ص ١٨ ح ٢٤ و راجع المناقب للخوارزمى الحنفى ص ٩٤ ، وراجع تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ٨ ص ٢٩٠ و راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسکانى الحنفى ج ١ ص ١٥٨ ح ٢١٣ ، وراجع سر العالمين لأبي حامد الغزالى ص ٢١ ، وراجع احراق الحق ج ٦ ص ٢٥٦ و راجع الغدير للاميىنی ج ١ ص ١٣٢ و راجع فرائد السمعطين لابن الجوزى ج ١ ص ٢٧٧ ... الخ.

(٢) وقد نقله العلامة الأميني في كتاب الغدير ج ١ ص ٢٦٧ نقله عن الآثار الباقية في القرون الخالية للبيريوني ص ٣٣٤ و راجع مطالب المسؤول لابن طلحة الشافعى ج ١ ص ٤ و وفيات الاعيان لابن خلkan ج ١ ص ٦٠ ترجمة المستعلي بن المنتصر وج ٢ ص ٢٢٣ في ترجمة المستنصر العبيدي.

نموذج من إعلان يوم الغدير

قال الطبراني في المعجم الكبير :

عن حذيفة بن أسد الغفاري الصحابي الجليل ٢ قال : لما صدر رسول الله ٦ من حجة الوداع نهى أصحابه عن شجيرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا ، ثم بعث إليهم ، فقم ما تختهن من الشوك وعمد إليهم فصلى تحتهن ، ثم قام فقال :
(يا أيها الناس إني قد أنبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمرنبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله ، وإنني لأظن أني يوشك أن أدعى فأجيب وإنني مسؤول وإنكم مسؤولون ، مما أنتم قائلون؟) قالوا : نشهد أنك قد بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيراً.
فقال : (أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق وناره حق وأن الموت حق وأنبعث حق بعد الموت وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟) قالوا بلى نشهد بذلك قال : (اللهم اشهد) ثم قال (أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاها فهذا . يعني علياً ٢ مولاها ، اللهم وال من والاه وعاد من عاده)^(١).

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٥٠ و ٥٤٨ والمناقب للخوارزمي الحنفي ص ٩٤ ومستند الإمام أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٢٨١ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٤ والحاوي للفتاوى للسيوطى ج ١ ص ١٢٢ وذخائر العقبى للطبرى ص ٦٧ وفضائل الخمسة ج ١ ص ٣٥٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٩٧ وعلم الكتاب لخواجه الحنفي ص ١٦١ ونظم درر السمعتين للزرندى الحنفى ص ١٠٩ ، وينابيع المودة للقندوزى الحنفى ص ٣٠ و ٣١ و ٢٤٩ وتفسير الفخر الرازى الشافعى ج ٣ ص ٦٣ وتدكرة الخواص للسبط الجوزى ص ٢٩ ومشكاة المصايبج ج ٣ ص ٢٤٦ وعيقات الانوار ج ١ ص ٢٨٥ وفرائد السمعتين للحموينى ج ١ ص ٧٧ وراجع المراجعات تحقيق السيد حسين راضى ص ١٧٧ ج ٢ من المراجعات.

ثم قال : أيها الناس إني فرطكم وانكم واردون علي الحوض ، حوض أعرض ما بين بصري وصنعاء ، فيه عدد النجوم قدحان من فضة وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين : فانظروا كيف تختلفون فيهما : الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله وطرفه بآيديكم فاستمسكوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا ، وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهم لله ينقضيان لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ^(١).

التأكيد الشرعي على ولادة علي

قال النبي ٦ لعلي (أنت ولبي في الدنيا والآخرة ^(٢) أنت ولـي كل مؤمن بعدي) وقال : (من كنت ولـيه فإن علياً ولـيه) وقال (إن لعلي أكثر من الجارية التي أخذـ إنـه ولـيكـ بـعـدـي) وقال مـرة :

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير راجع الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي الشافعي ص ٢٥ وصحح الحديث ، وراجع مجمع الزوائد للهيثمي الشافعي ج ٦ ص ١٦٤ وراجع ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ٢ ص ٤٥ ح ٥٤٥ وراجع كنز العمال للمتقى الهندي ج ١ ص ١٦٨ ح ٩٥٩ وراجع الغدير للإمامي ج ١ ص ٢٧ - ٢٦ وراجع عبقات الأنوار مجلد حديث التعليق ج ١ مجلد ١٢ ص ٣١٣٢ وج ١ ص ١٥٦ وراجع نوادر الأحوال للحكيم الترمذى الشافعى ص ٢٨٩ ، وراجع ينابيع المودة للفندوزي الحنفى ص ٣٧ .

(٢) وقد صرـحـ الذـهـيـ بصـحتـهـ عـلـيـ نـفـسـهـ فـيـ تـلـخـيـصـ الـمـسـتـدـرـكـ صـ ٢٦ـ ،ـ وـابـنـ حـجـرـ ذـكـرـهـ فـيـ الصـوـاعـقـ بـابـ ١٢ـ صـ ١٦ـ وأخرجه مسلم في فضائل علي ص ٢٤ ج ٢ من صحيحه والحاكم ص ١٠٩ ج ٣ من مستدركه وابن حجر في باب ١١ ص ١٠٧ من صواعقه وقال إن الإمام أحمد أخرجه وصححه ، وأخرجه صاحب الجمع بين الصحيحين في فضائل علي وفي غزوة تبوك موجود في صحيح بخاري ج ٢ ص ٥٨ وراجع صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٢٣ وص ٢٨ ج ١ ، وراجع ص ١٠٩ ج ٢ من مسنـدـ الإمامـ أـحمدـ وـصـ ١٧٢ـ وـ ١٧٥ـ وـ ٧٧٧ـ وـ ١٧٩ـ وـ ١٨٢ـ وـ ١٨٥ـ جـ ١ـ منـ المسـنـدـ وـصـ ٣٣١ـ وـصـ ٢٦٩ـ وـصـ ٤٣٨ـ جـ ٦ـ منـ المسـنـدـ وـصـ ٣٢ـ جـ ٣ـ منـ المسـنـدـ وـراجـعـ الصـوـاعـقـ الـمـحرـقـةـ بـابـ ١١ـ صـ ١٠٧ـ وـراجـعـ فـصـلـ ٢ـ بـابـ ٩ـ صـ ٧٢ـ منـ الصـوـاعـقـ وـذـكـرـهـ السـيـوطـيـ فيـ تـارـيـخـ الـخـلـفـاءـ وـذـكـرـ انـ الطـبـرـانـيـ اـخـرـجـهـ وـالـبـزارـ فيـ مـسـنـدـهـ وـراجـعـ صـ ٦٥ـ منـ تـارـيـخـ الـخـلـفـاءـ ،ـ وـاخـرـجـهـ التـرمـذـيـ كـمـاـ يـدلـ الحـدـيـثـ ٢٥٠٤ـ ،ـ وـراجـعـ جـ ٦ـ صـ ١٥٢ـ منـ الـكـنزـ ،ـ وـأـورـدـهـ اـبـنـ عـبـدـ الـبـرـ فيـ اـحـوـالـ عـلـيـ مـنـ الـاسـتـيـعـابـ .

(إنك ولی كل مؤمن بعدي) وقال : (من كتت ولیه فهو ولیه) وقال : (من كتت مولاہ
فهذا علی مولاہ) وقال : (إنك ولی المؤمنین بعدي ^(١) .

وجاء حديث المنزلة : (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) ليؤكد هذه الولاية (أنت
مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبی بعدي) وهذا الحديث من أصح الآثار وقد رواه
أصحاب السنن ^(٢) .

(١) راجع النسائي في خصائصه وأحمد بن حنبل في مسنده ص ٤٣٨ ج ٤ والحاکم في مستدرکه ص ١١١ ج ٣
والذهبی في تلخیص المستدرک وراجع المراجعات ص ١٦٣ - ١٦٤ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام الباب
الأول.

(٢) نذكر على سبيل المثال البخاري ج ٥ ص ١٢٩ وصحیح مسلم ج ٢ ص ٣٦٠ ومسند الإمام أحمد بن
حنبل ج ٣ ص ٥٠ ح ١٤٩٠ بسند صحيح وص ٥٦ ج ٥ وص ٥٧ وص ٦٦ وسنن ابن ماجة ج ١ ص
٤٢ وج ٤ ص ٢٠٨ من صحيح بخاري وج ٣ ص ١٠٩ من المستدرک للحاکم وج ٣ ص ١٠٤ من تاريخ
الطبری وج ١ من تاريخ ابن عساکر حدیث ٣٠ و ١٢٥ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ وقد رواه بأكثر من مائة
رواية ، وأنساب الأشراف للبلذري ج ٢ ص ١٠٦ والإصابة لابن حجر ج ٢ ص ٥٠٧ و ٥٠٩ ، والاستيعاب
بهاشم الإصابة ج ٣ ص ٣٤ و ٣٥ والخصائص للنسائي ص ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ ، ومناقب علي لابن المغازی ،
وحلیة الأولیاء ج ٧ ص ١٩٤ ، والمناقب للخوارزمی ص ٦٠ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطی ص ١٦٨ ، وینابیع
المودة للقندوزی ص ٣٥ ، وأسد الغابة ج ٢ ص ٨ ، ونظم درر السمحان للزرندي ص ٩٥ ، وكفاية الطالب
للکنجی ص ٢٨١ ، وشرح النهج لابن أبي الحدید ج ٢ ص ٤٩٥ ، والمعجم الصغیر للطبرانی ج ٢ ص ٢٢ و
٥٤ ، وجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٩ ، وكنز العمال ج ١٥ ص ١٣٩ ، والعقد الفرید لابن عبد ربه ج ٤ ص
٣١١ ، وجامع الأخوة لابن الأثير ج ٩ ص ٤٦٨ ، ومشکاة المصایح ج ٣ ص ٢٤٢ ، والجامع الصغیر
للسيوطی ج ٢ ص ٥٦ ... الخ.

الهداية من بعد النبي

قال النبي ﷺ : أنا المنذر وعلي الهادي وبك يا علي يهتدي المهددون ^(١).

الحجۃ من بعد النبي

قال النبي ﷺ : أنا وهذا . يعني علياً . حجۃ على لأمتی يوم القيمة ^(٢).

قال ﷺ : (علي باب علمي ومبين من بعدي لأمتی ما أرسلت به ، حبه إيمان وبغضه نفاق) وقال : (أنا مدينة العلم وعلى باحها) وسنبئنه في باب القيادة السياسية .
وقال لعلي : أنت تبين لأمتی ما اختلفوا فيه من بعدي ^(٣).

هذه السنن وأمثالها تؤكد أن النبي قد عين مرجعية للأمة من بعده ترجع إليها في

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٤١٧ ، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٠٧ ونظم درر السقطین للزرندی الحنفی ص ٩٠ وبنایع المودة للقندوزی الحنفی ص ٩٩ ونور الابصار ص ٧١ وشواهد التنزيل للحسکانی الحنفی ج ١ ص ٢٩٣ وكفاية الطالب للكجی الشافعی ص ٢٣٣ واحقاد الحق ج ٤ ص ٣٠١ ومنتخب کنز العمال بحاشی مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٣٤ وفرائد السقطین ج ٤ ص ١٤٨ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٦٦ والدر المنشور للسيوطی ج ٤ ص ٤٥ وزاد المسیر لابن الجوزی ج ٤ ص ٣٠٧ وروح المعانی للآلوسی ج ١٣ ص ٩٧ ، وتفسیر الشوکانی ج ٣ ص ٧٠ وتفسیر الطبری ج ١٣ ص ١٠٨ وتفسیر ابن کثیر ج ٣ ص ٥٠٢ ...

(٢) مناقب علي لابن المغازی ص ٤٥ ح ٤٥ وص ٩٧ ترجمة الإمام من تاريخ دمشق لابن عساکر الشافعی ج ٢ ص ٢٧٣ ح ٧٩٣ و ٧٩٤ و ٧٩٥ وبنایع المودة للقندوزی ص ٢٣٩ وکنز الحقائق للمناوی ص ٣٨ والمیزان للذهبی ج ٤ ص ١٣٨ ومنتخب الکنز ج ٥ ص ٣٤ من مسند الإمام أحمد.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساکر ج ٢ ص ٤٨٨ ح ٤٨٨ و ١٠٠٨ و ١٠٠٩ ومقتل الحسين للخوارزمی ص ٨٦ والمناقب للخوارزمی ص ٢٣٦ وکنز الحقائق للمناوی ص ١٨٢ ومنتخب الکنز بحاشی مسند أحمد ص ٣٣ .

أمور دينها ودنياها ، وأن هذا المرجع الفرد هو علي بن أبي طالب ، وسنقوم بمعالجة الموضوع بتفصيل أدق عند بحث القيادة السياسية في الباب الرابع من هذه الدراسة.

المرجعية الجماعية عند أهل الشيعة

أهل الشيعة يعتبرون النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين قدوة لهم لفضلهم على الإسلام وتفضيل الله لهم ، فهم الأبناء والنساء والأنفس التي عنتها آية المباهلة (**فقل تعالوا ندع أبناءنا ...**)^(١) فقد نزلت هذه الآية في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين : ^(٢) وهم حبل الله (**واعتصموا بحبل الله ...**)^(٣).

وهم أهل الذكر الذي قال الله تعالى فيهم (**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**)

(٤) وهم المحسودون (**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من**)

(١) آية ٦١ من سورة آل عمران.

(٢) راجع صحيح مسلم كتاب الفضائل ج ٢ ص ٣٦٠ وج ٧ ص ١٢٠ بشرح النووي وصحيحة الترمذى ج ٤ ص ٢٩٣ وشواهد التنزيل للحاكم الحسکاني ج ١ ص ١٢٩ - ١٢٠ ، والمستدرک على الصحيحين للحاکم ج ٣ ص ١٥٠ وصححه ، ومعرفة علوم الحديث للحاکم ذکر في النوع (١٧) وتلخیص المستدرک للذہبی ومناقب علي للمغازی الشافعی وترجمة الإمام علی من تاريخ دمشق لابن عساکر ج ١ ص ٢١ وتفسير الطبری ج ٣ ص ٣٠١ - ٢٩٩ والکشاف للزمخشري ج ١ ص ٣٦٨ - ٣٧٠ وتفسير القرطی ج ٤ ص ١٠٤ واسباب النزول للواحدی ص ٥٩ واحکام القرآن لابن عربی ج ١ ص ٢٧٥ ، وفتح القدير للشوكانی ج ١ ص ٣٤٧ وتفسير الفخر الرازی ج ٢ ص ٦٩٩ وقد ذکر السيد حسین راضی قرابة ٩٠ مرجعاً بجدها على الصفحة ٤٥ من ملحق المراجعات للعاصی.

(٣) آية ١٠٣ من سورة آل عمران ، راجع شواهد التنزيل للحاکم الحسکاني الحنفی ص ١٣٠ ح ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ وراجع الصواعق المحرقة لابن حجر المیثمی الشافعی ص ١٨٩ وراجع پنایع المودة للقندوزی الحنفی ص ١٣٩ و ٢٣٨ وراجع الاتحاف بحب الاشرف للشیراوی الشافعی ص ٧٩ وروح المعانی للآلوسی ج ٤ ص ١٦ ونور الابصار للشبلنجی ص ١٠٢ .

(٤) الأنبياء آية ٧ ، راجع شواهد التنزيل للحاکم الحسکاني الحنفی ج ١ ص ٣٣٤ ، وپنایع المودة للقندوزی الحنفی ص ٥١ وتفسير القرطی ج ١١ ص ٢٧٢ وتفسير الطبری ج ١٤ ص ١٠٩

فضله)^(١) وهم ذو القربي (وَاتِّذَا الْقَرِبِيَ حَقُّهُ) (... فَإِنَّ اللَّهَ خَمْسَهُ وَلِرَسُولِهِ وَلِذِي
الْقَرِبِي)^(٢) وهم المطهرون (إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا)
^(٣).

وهم الذين فرض الله مودتهم^(٤) وهم الذين أوجب الله الصلاة عليهم في أثناء

وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٧٠ وروح المعانى للآلوسى ج ١٤ ص ١٣٤ واحقاق الحق للتسنی ج ٣ ص ٤٨٢

(١) النساء آية ٥٤ ، راجع مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازى الشافعى ص ٤٦٧ ح ٣١٤ وشواهد التنزيل للحاكم الحسکانى الحنفى ج ١ ص ١٤٣ والصواعق الحرققة لابن حجر الشافعى ص ١٥٠ ونور الأ بصار للشبلنجى ص ١٠٢ وإسعاف الراغبين للصبان الشافعى مصنوع بهامش نور الأ بصار ص ١٠٨ والاتحاف بحب الأشرف للشيراوي الشافعى ص ٧٦ وورد الصادى لابى بكر الخضرمى ص ٣٧ والغدير للأمينى ج ٣ ص ٦١ .

(٢) راجع الدر المنشور للسيوطى ج ٤ ص ١٧٧ ومجمع الزوائد ج ٧ ص ٤٩ وتفسير الطبرى ج ١٥ ص ٧٢ وينابيع المودة للقندوزى الحنفى ص ٤ ومنتخب بهامش مسند الإمام أحمد ج ١ ص ٢٢٨ وتفسير الطبرى ج ١٠ ص ٥ وشواهد التنزيل للحسکانى ج ٢ ص ٣٣٨ وينابيع المودة للقندوزى ص ٥٠ . واتلوا الآيات الاسراء آية ٢٦ والانفال آية ٤ والخشر آية ٧ .

(٣) الاحزاب آية ٣٣ ، راجع صحيح مسلم فضائل أهل البيت ج ٢ ص ٣٦٨ وج ١٥ ص ١٩٤ بشرح النووي وشواهد التنزيل للحسکانى ج ٢ ص ٣٣ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ٣٤٧ وتلخیص المستدرک للذهی بذیل المستدرک والدر المنشور للسيوطى ج ٥ ص ١٩٨ وفتح القدیر للشوکانى ج ٤ ص ٢٧٩ وعلى الصفحات ٧٦ وما فوق من كتابنا النظام السياسي في الإسلام عالجت هذا الموضوع بطريقة علمية ومقنعة ويمكن من يشاء الرجوع إلى هذه المعالجة.

(٤) راجع شواهد التنزيل للحاکم الحنفى ج ٢ ص ١٣٠ ومناقب علي لابن المغازى ص ٣٠٧ وذخائر العقبي للطبرى الشافعى ص ٢٥ و ١٣٨ والصواعق الحرققة لابن حجر الشافعى ص ١٠١ و ١٣٥ و ١٣٦ والفصول المهمة لابن الصباغ المالکي ص ١١ ومقتل الحسين للخوارزمي الحنفى ص ١ و ٥٧ وتفسير الطبرى ج ٢٥ ص ٢٥ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ١٧٢ والاتحاف للشيراوي ص ٥ و ١٣ ، وإحياء المیت للسيوطى بهامش الاتحاف ص ١١٠ وتلخیص المستدرک للذهی ذیل المستدرک ج ٣ ص ١٧٢ وتفسير الكشاف للزمھشري ج ٣ ص ٤٠٢ وتفسير القرطبي ج ١٦ ص ٢٢ وفتح القدیر للشوکانى ج ٤

الصلة (١)

وهم النقل الأصغر ، فالقرآن وأهل البيت حرز من الصلاة^(٢) وهم المتقدمون^(٣) وهم سفينة النجاة من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق^(٤) وهم أمان الأمة من الاختلاف ومخالفتهم من حزب إبليس^(٥) وهم الأمان لهذه

ص ٥٣٧ وحلية الأولياء ج ٣ ص ٢٠١ ... الخ.

(١) الغدير للأميني ج ٢ ص ٣٠٢ والصواعق المحرقة ص ٨٧ و ١٣٩ وتفسير الرازى ج ٧ ص ٣٩١ وذخائر العقى للطبرى الشافعى ص ١٩ والمستدرك للحاكم ج ١ ص ٢٦٩ ، وفضائل الخمسة من الصاحح ستة ج ١ ص ٢٠٨ والأنوار الحمدية للنهاينى ص ٤٢٢ وراجع قول الإمام الشافعى (كفاكم من عظيم الفخر أنكم * من لم يصل عليكم لا صلاة له) في الصواعق المحرقة ص ١٤٦ وراجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفى ص ٣٥٤ وإسعاف الراغبين للصبان بهامش نور الأ بصار ص ١١٨ والاتحاف بحب الإشراف للشيراوي الشافعى ص ٢٩ ونور الأ بصار للشبلنجي ص ١٠٥ والسيرة النبوية لزيني دحلان بهامش السيرة الخلبية ج ٣ ص ٣٣٢ ... الخ.

(٢) صحيح الترمذى ج ٥ ص ٣٢٨ كنز العمال ص ١٥٣ وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ١١٣ وجامع الأصول لابن الأثير ج ١ ص ١٨٧ والمعجم الكبير للطبرانى ص ١٣٧ ومشكاة المصايبح ج ٣ ص ٥٠٣ ، والصواعق المحرقة ص ١ و ٢٢٦ والمعجم الصغير للطبرانى ج ١ ص ١٣٥ وتفسير الخازن ج ١ ص ١٥٤ والتاج الجامع للاصول ج ٣ ص ٣٠٨ وخصائص أمير المؤمنين للنسائى ص ٢١ ، وصحیح مسلم ج ٢ ص ٣٦٢ ... الخ.

(٣) الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٤٨ و ٢٢٦ وجمع الروائد ج ٩ ص ١٦٣ والدر المنشور للسيوطى ج ٢ ص ٦٠ .

(٤) تلخيص المستدرك للذهبي ، ونظم درر السلطين للزرندي الحنفى ص ٢٣٥ ، وينابيع المودة للقندوزي الحنفى ص ٣٠ و ٣٧٠ والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٨٤ و ٢٣٤ و تاريخ الخلفاء للسيوطى ، واسعاف الراغبين للصبان الشافعى ص ١٠٥ ، وفرائد السلطين ج ٢ ص ٢٤٦ وكفاية الطالب للكنجي الشافعى ص ٣٧٨ والمعجم الصغير للطبرانى ج ٢ ص ٢٢ واحياء الميت للسيوطى بهامش الاتحاف ص ١١٣ والصواعق المحرقة ص ٩١ ... الخ.

(٥) الصواعق المحرقة ص ٩١ و ١٤٠ وإحياء الميت للسيوطى بهامش الإتحاف ص ١١٤ ، ومنتخب الكثر بهامش مسنن الإمام أحمد ج ٥ ص ٩٣ وينابيع المودة للقندوزي الحنفى ص ٢٩٨ وجواهر البحار للنهاينى ج ١ ص ٣٦١ .

الأمة^(١).

قال ٦ : (في كل خلف من أمتى عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف
الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاھلین ألا وإن أئمتكم وفديكم إلى الله فانظروا من تعزون

^(٢)

ثمرة اتباع الشيعة للمرجعية الشرعية

لأن الشيعة والوا مهداً وأهل بيت محمد وما زالوا يواليونهم ، ولا نهم يعتبرون عميد أهل
بيت النبوة في كل زمان هو إمامهم وقدوتهم ، فإن الله سبحانه وتعالى اصطفاه لحفظ دينه
على الأصول المستقرة وقد بشرهم النبي أنهم خير البرية.

وعندما نزل قوله تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالات أولئك هم خير لي البرية

) قال الرسول ٦ : يا علي هم أنت وشيعتك^(٣).

(١) ذخائر العقبي للطبراني الشافعي ص ١٧ ، ونظم درر السمعتين للزرندي الحنفي ص ٢٣٤ وإحياء الميت
للسيوطني بحامش الإتحاف ص ١١٢ والجامع الصغير للسيوطني ج ٢ ص ١٦١ والفتح الكبير للبنهاي ج ٣ ص
٩٢ ومنتخب كنز العمال ج ٣ ص ٢٦٧ ، ومنتخب كنز العمال بحامش مسنن الإمام أحمد ج ٥ ص ٩٢
والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٨٥ و ٢٣٣ وإسعاف الراغبين بحامش نور الأبصار ص ١٢٨ الخ.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٤٨ وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٢٢٦ و ٢٣٦ و ٣٢٧ و ذخائر
العقبي لحب الدين الطبراني الشافعي ص ١٧ .

(٣) راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسکاني الحنفي ج ٢ ص ٣٥٦ - ٣٦٦ - ١١٢٥ - ١١٣٥ - ١١٣٧
و ١١٣٩ - ١١٤٨ ، وراجع كفاية الطالب للكتنجي الشافعي ص ٢٤٤ و ٢٤٥ ، والمناقب للخوارزمي ص ٦٢
و الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٠٧ ونظم درر السمعتين للزرندي الحنفي ص ٩٢ وترجمة
الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ٢ ص ٤٢ ، وينابيع المودة للقندوزي
الحنفي ص ٦٢ ونور الابصار للشبلنجمي ص ٧١ و ١٠٢ والصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص ٩٦ والدر
المنشور للسيوطني ج ٦ ص ٣٧٩ وتفسير الطبراني ج ٣ ص ١٤٦ وتنذكرة الخواص للسبط بن الجوزي الحنفي ص
١٨ وفتح القدير للشوکانی ج ٥ ص ٤٧٧ وروح المعانی للألوسي ج ٣٠ ص ٢٠٧ واحقاق الحق للتسنیمی ج ٣
ص ٣٨٧ والغدیر للأمینی ج ٢ ص ٥٧ وفضائل الخمسة ج ١ ص ٣٧٨ وغاية المرام باب ٢٨ من العقد الثاني
ص ٣٢٨ وفائد السمعتين ج ١ ص ١٥٦ .

الباب الرابع
القيادة والسياسة

الفصل الأول

القيادة السياسية

١ . ضوابط حركة المجتمع

حركة المجتمع . أي مجتمع سياسي على الاطلاق . تسير وفق ضابطين رئيسيين ، والمجتمع المسلم كواحد من المجتمعات السياسية الإنسانية لا يشذ عن هذه القاعدة ، فحركته أيضاً محكومة بضابطين :

١ . الضابط الأول : وهو العقيدة أو المنصومة الحقوقية الإلهية ، وهي بمثابة القانون النافذ في المجتمع الإسلامي ، وهي عبارة عن مخطوطات عامة وتفصيلية تعطي بالكامل حركة المجتمع الإسلامي في كل مجالات الحياة بالحال والمال وإن شئت فقل إنها الصيدلية الكبرى التي تحوي العلاج الشافي من كل داء قد أصاب المجتمع الإسلامي أو سيسصيبه . وتحتوي هذه المنظومة على التجذير النظري والعملي والتنظير لكل داء ودواء ، وتقدم ضمانة مؤكدة لفاعلية هذا العلاج ونتائجـه . وهذه المنظومة معدة ومصاغة لتغطيـ حـياة الفرد والأسرة والمجتمع والدولة والعالم كـله ، وتنظيم عـلاقات المجتمع وقيادـهم إلى التعاون والانسجام ، وإشباع حاجـاتهم المادية والروحـية أيضـاً.

الضابط الثاني : وهو القيادة السياسية المتبعة عن هذه العقيدة فهي الجهة المخولة وفق أحكام هذه المنظومة الإلهية ببقاء حركة المجتمع الإسلامي دائمـاً وفق أحكام هذه المنظومة الحقوقية الإلهية ، وتوضيحاً هو بمثابة المهندس الذي استوعب المخطوطات العامة والتفصيلية للعقيدة الإلهية ، وهو بمثابة الطبيب والصيدلاني الذي يشخص المرض ويصف العلاج ويقدمـه لك ويصفـ كيفية استعمالـه ، ويتابعـك وأنت

تناوله حتى يتم الشفاء.

وهو المنظر للمنظومة الحقوقية الإلهية ، وهو المشرف العام على تطبيقها ، والمرجع العام لفهم أحکامها ومراميها ، لأنه هو الأعلم بها ، والأفهم لقواعدها وغاياتها ، والأفضل من بين أتباعها والأنسب من بين كل الموجودين لقيادة أتباع هذه العقيدة.

وهو المبين لها من خلال نقلها وتبلیغها بالضبط ، كما تلقاها من ربه ، ومن خلال ترجمتها من النص إلى الحركة بعد عملية النقل والتبلیغ. وهو الشاهد على عملية البيان بشقيها النظري والعملي ، وهو المبشر للمخلصين للعقيدة ، والمنذر للمعاندين لها ، وهو الداعية إلى الله ، وهو السراج المنير الذي ينير درب المجتمع أثناء حركة هذا المجتمع الحياتية.

٢ . الترابط والتكميل بين العقيدة الإلهية والقيادة السياسية

العقيدة الإلهية الإسلامية بكليتها وأساسها قائمة على ركين أساسين ، أوهما كتاب الله المترز ، وهو القرآن الكريم ، وثانيهما نبي الله المرسل ، وهو محمد ٦ . محمد هو القيادة السياسية المخولة إلهياً بقيادة الدعوة إلى العقيدة والمعينة إلهياً لتقود الدولة بعد أن تسفر الدعوة عن الدولة ، بمعنى أن القيادة السياسية لدعوة العقيدة ودولتها هي جزء لا يتجزأ من هذه العقيدة ، وهي أصل من أصولها ، فالإيمان بقيادة محمد السياسية وولايته هي جزء من الإيمان بالعقيدة الإلهية ، كذلك فإن الإيمان بقيادة طالوت السياسية كان جزءاً لا يتجزأ من العقيدة الإلهية الناقدة آنذاك ، وكذلك الإيمان بقيادة داود ، وسليمان ٨ .

لأنه ليس بالإمكان وفق نواميس الحياة تبليغ العقيدة الإلهية وبيان أحکامها وتطبيق هذه الأحكام دون القيادة السياسية لحمد بالذات ، فهو نفسه المخول بترجمة نصوصها من الكلمات إلى الحركات وهكذا فعل عبر دعوة قادها بنفسه ، وعبر دولة ترأسها بنفسه ، لأنه هو بالذات محور وأساس القيادة السياسية التي أسندت إليها مهمة قيادة الدعوة والدولة معاً. ويؤكد هذا الترابط العضوي والتكميل المحتوم بالضرورة أن الله سبحانه وتعالى وطوال التاريخ البشري لم يرسل رسالة إلى بني البشر بدون رسول ، ولم ينزل كتاباً إلا

على عبد ليقود المؤمنين وفق أحكام هذا الكتاب بعد أن بين لهم تلك الأحكام ، ولو كان مجدياً فك الترابط بين العقيدة الإلهية والقيادة السياسية ، وبين الرسالة والرسول وبين الكتاب والعبد لكن يسيراً على الله أن يرسل نسخاً من كل الكتب السماوية إلى كل إنسان بالغ ، وأن يكلفه بفهمها والعمل بها ، لما كانت هنالك حاجة لإرسال عشرات الآلاف من الرسل والأنبياء والمهديين.

فك الارتباط والتكميل بين العقيدة الإلهية وبين القيادة السياسية غير وارد بكل المقاييس العقلية والمنطقية والدينية والفطرية ، ويخرج عن دائرة المعقول تماماً التمسك بالقرآن وحده وتجاهل القيادة السياسية الإلهية ، فمن يقول إنه يؤمن بالقرآن ولا يؤمن بمحمد كقائد له وكوليّ هو ليس مؤمناً بالإجماع. ومن يقول أنه يوالي محمداً كقيادة سياسية ولا يؤمن بالقرآن هو أيضاً ليس مؤمناً بالإجماع لأن من مستلزمات الإيمان ، الإيمان بالعقيدة الإلهية كقانون نافذ ، والإيمان بمحمد كقائد وكوليّ يقود حياة المؤمنين ضمن هذا القانون النافذ. فالقيادة السياسية هي بمثابة الهيئة التأسيسية ، فهي المختصة ببيان العقيدة وبقيادة الأتباع وفق أحكام هذه العقيدة.

و عمليات البيان وعمليات القيادة عمليات فنية تماماً كالطلب أو علم الذرة أو علم الهندسة ، ومن المستحيل أن نترك لأهواينا واجتها داتنا.

مؤهلات القيادة السياسية الإسلامية الشرعية

أول ولي وقائد سياسي للأمة الإسلامية هو محمد ﷺ فهو القدوة وهو المثال الذي يقاس عليه ، والذين تولوا الولاية والقيادة ، والمرجعية من بعده ، تولوها بوصفهم خلفاء للنبي ، فالمؤهلات العلمية للنبي كولي وكقائد سياسي وكمرجع للأمة هي أنه أعلم أهل زمانه بالعقيدة الإلهية ، وأفهם أهل زمانه بأحكامها وأفضل الموجودين من أتباعها ، وأنسبهم لقيادة ولايتها ومرعيتها ، بالإجماع. ودليلًا على ذلك أن الله سبحانه وتعالى هو الذي عينه وجمع له الولاية والقيادة والرجوعية ، ولا يعارض بذلك أحد من أبناء الملة.

وأي قيادة وولاية ورجعية تأتي من بعده يجب أن تكون لها نفس المؤهلات

فالولي القائد المرجع بعده يجب بالضرورة أن يكون :

١ . الأعلم بالعقيدة . ٢ . الأفهم بأحكامها . ٣ . أفضل الموجودين من أتباعها . ٤ .

أنسب هؤلاء الأتباع لقيادة الأمة .

وهذه معايير موضوعية ، وأمنيات مجردة ، وغايات محددة لكل من أراد الحق وجانبه الهوى . فمن مصلحة كل المؤمنين أن يتولاهم ويقودهم الأعلم والأفهم ، والأفضل والأنسب ، ولا مصلحة شرعية لأي واحد منهم ، لأن يتولى غير من كانت هذه صفاتاه .

من هو المختص بالتأكد من توافر هذه المؤهلات

لا يوجد في الدنيا فرد أو جماعة أو أمة تستطيع أن تؤكد لنا على وجه الجزم واليقين أن هذا أو ذاك هو : الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب ، لأن الأفراد والجماعات والأمم لا يعرفون ذلك على وجه الجزم واليقين ، لأن إمكانياتهم وطاقاتهم العقلية والفطرية والعلمية لا تمكنهم من ذلك ، ولأنهم لا يعرفون إلا الظاهر ، أما البواطن فهم يجهلونها ، وإذا اجتهدوا وحاولوا أن يبحثوا عن الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب ، فإن النتائج التي سيتوصلون إليها قائمة على الفرض والتخيّل فقد تكون وقد لا تكون ، ولكن المؤكد أن هذه النتائج هي ثمرة مبلغهم من العلم مشبعة بكل نوازع النفس الإنسانية .

والمطلب الحقيقي للجميع ليس الفرض والتخيّل إنما الجزم واليقين . إذًا ، فإن المؤهل والمختص بإعطاء المعلومات اليقينية القائمة على الجزم واليقين هو الله جل وعلا ، فهو نفسه الذي قدم لنا محمداً وأكّد لنا أنه الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب وهو نفسه صاحب العقيدة والأحرص على مصلحتها ، وهو المعنى تماماً بأن يقدم لنا من تتوفر فيه هذه الصفات على وجه اليقين وفي كل زمان من الأزمان من بعد وفاة النبي وحتى تقوم الساعة .

فمنذ اليوم الذي شرع فيه محمد بالدعوة شرع بأمر من ربه بإعداد هذا الذي سيتولى الولاية والقيادة والمرجعية من بعده ، وبين الطريقة التي ستتم بها عملية استكشاف من كانت هذه صفاتاه .

والخلاصة أن المختص بالتأكد من توافر هذه الصفات هو الله تبارك وتعالى.

القبول بالتكيف الإلهي

إذا قبلت الأمة بالتكيف الإلهي ووافقت على أن فلاناً هو الأعلم وهو الأفضل وهو الأفهم وهو الأنسب ، فإنها تعبر عن هذا القبول بالمباعدة فتفتفق إرادة الأمة مع إرادة الله ، وغاية الأمة مع غاية الله فيكون فلان هذا معيناً من الله ومحبلاً من الأمة ، فيستمد شرعية وجوده كولي وكقائد من مصدرين : الأول الله الذي كيف صفاته وعيته على أساسها ، والمصدر الثاني الأمة التي قبلت بالتكيف الإلهي بأن فلاناً هذا هو الأعلم والأفهم بالعقيدة وأفضل أتباعها لقيادتها فبایعته على هذا الأساس وقبلت به ولیاً وقائداً ومرجعاً.

وبهذه الحالة تستقيم أمور الأمة وعقيادتها وقيادتها السياسية ويقطف الجميع أحلى الثمرات وأطيبها وتشق الدعوة والدولة طريقهما إلى الله بيسر ورخاء وريح مواتية ويتفيأ الجميع في ضلال النعمة الإلهية.

رفض التكيف الإلهي

إذا لم تقبل الأمة التكيف الإلهي بأن فلاناً هو الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب لقيادتها على وجه الجزم واليقين ، واجتهدت الأمة أو هكذا خيل إليها بأن فلاناً هو الأنسب لخلافة النبي من فلان. فمعنى ذلك هو رفض التكيف الإلهي القائم على الجزم واليقين واستبداله بتكييف بشري قائم على الفرض والتتخمين.

وهذه العملية (الرفض والاستبدال) لا تغير من الحقيقة شيئاً ، ولا يجعل فلاناً أنساب من فلان لكن تحدث عملية انفكاك واقعية فيتولى الولاية والقيادة والرجعية شخص آخر غير الشخص الذي عينه الله ، وبما أن الولاية والقيادة والرجعية اختصاص ، وحيث أن الشخص البديل غير مؤهل لهذا الاختصاص فتحدث تبعاً لذلك انهيارات متلاحقة ، وما تزال تتواتي حتى تعصف بالأمة وتفرقها بعد وحدة وتذلها بعد عزة ، وتخرج رويداً رويداً من دائرة المنظومة الحقوقية الإلهية إلى دائرة العقل أو دائرة الفرض ، أو دائرة الشهوة أو مزيج من هذه الدوائر مجتمعة ، وتتوقف

العقيدة عن العطاء ويحل غضب الله بالأمة ، ولا يزول إلا بإعادة الأمور إلى نصابها ووضع القيادة التي كيفها الله وعيتها. ومن الطبيعي أن الله لا يكره المريض على تناول العلاج ولا يجبر الضال على سلوك طريق المدى ، فما على الله إلا أن يقدم العلاج ويرغب المريض فيه ، ويبين طريق المدى للضال ويشجعه على السير فيه ، فإذا رفض المريض العلاج مع سبق الإصرار فهو المفرط بحق نفسه ، وإذا رفض الضال طريق المدى فجنايته على نفسه وعلى الذين ساروا خلفه. وهذه حال الذين رفضوا العقائد الإلهية ورفضوا موالاة الرسل ، أو كانوا على استعداد للنظر في العقائد الإلهية لكنهم غير مستعددين لموالاة الرسل.

أشكال رفض التكيف الإلهي

١ . الشكل الأول : القبول بالعقيدة الإلهية وعدم القبول بولاية القيادة السياسية كالإيمان ببني إسرائيل ورفض موالاة طالوت لأنه ليس الأحق بالقيادة حسب رأيهم ، فيبين الله سبحانه وتعالى لهم أنه زاده بسطة في العلم والجسم ودعمه بالبيانات فقبلوه مكرهين وانتهتى الرفض إلى القبول.

٢ . الشكل الثاني : الإيمان بالعقيدة الإلهية وعدم القبول بولاية القيادة السياسية من بعد النبي بتأويل مفاده أن الله لم يعين هذه القيادة إنما عينها النبي حسب اجتهاده كبشر ، وأنه لا حرج من مخالفة هذا الاجتهاد واختبار شخص آخر بدلاً من الذي اختاره النبي ، لأن الذي اختاره النبي من بني هاشم ، والله قد أعطى الهاشميين النبوة والأفضل لمصلحة الجميع أن يهනا الهاشميون بالنبوة وأن يتولى الخلافة غيرهم ، أضعف إلى ذلك أن هذا الذي اختاره النبي به دعاية ، وعنه زهو بنفسه ، وما زال فتي ، وهنالك من هو أحسن منه ، وهم مشيخة قريش. لكل هذه الأسباب آمنوا بالعقيدة الإلهية ورفضوا موالاة الرجل الذي كيفه الله وأعده رسوله وعيته خليفة من بعده. وهذا ما حدث لعلي بن أبي طالب.

٣ . الشكل الثالث : رفض العقيدة الإلهية كقانون نافذ للأمة ، ورفض موالاة الذي عينه الله ، وهذا الرفض يدخل صاحبه الكفر من أوسع الأبواب والعياذ بالله.

الفصل الثاني

القيادة السياسية

٣ . الاعداد الإلهي لخلافة النبي

قبل أن يلد آدم

شاء الله تعالى أن يكون النبي العربي خاتم الأنبياء ، وأن يكون دين الإسلام آخر الديانات السماوية ، وأن يتولى هذا النبي بيان هذا الدين عبر دعوة يقودها بنفسه ، تتمحض عن دولة الإيمان التي ترأسها بنفسه. ومن خلال مرحلتي الدعوة والدولة ثم بيان الإسلام نظرياً ، وتحول النظر إلى التطبيق ، واتضحت أدق خفاياه وأبرز معالمه حتى لكان البيان الحمدي تصويراً فنياً بطيئاً مصحوباً بالصورة والصوت والحركة.

وقد قضت مشيئة الله ان ينطلق النبي وخليفته ووليه من بعده معاً وأن يكونا معاً حتى يبين النبي دين الإسلام ، ويكون قاعده ، ويفسس دولته وبعد ذلك يختار ما عند الله ويسلم الراية لولي عهده وخليفته من بعده ، فينطلق على نفس البصيرة ، ويتابع نفس الطريق ، تلك هي الصورة الراهية التي رسمتها العناية الإلهية وعرضتها على شاشة أذهان الذين آمنوا ، ومنت عليهم لو عملوا على تنفيذها طوعاً وبدون إكراه ، لأن الصلة بين النبي وولي عهده تصلح أن تكون مناراً لنمط الأخوة الإيمانية ، وأسلوب تبعية الخط الإيماني. وتفسر طبيعة العلاقة بين السلف والخلف وبين التابع والمتبوع في الإسلام.

يقول النبي ٦ «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عزّ وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق آدم قسم ذلك فيه وجعله

جزئين فجزء أنتا وجزء علي «^(١) فا لله تعالى هو الذي خلق النورين وسيرها معاً ثم وزع الأدوار بينهما. والله تعالى هو الذي اطلع إلى أهل الأرض فاختار منها رجلين أحدهما النبي ﷺ والآخر زوج ابنته والولي من بعده ، وعملية الاختيار الإلهي للرجلين من أبرز الثوابت ^(٢).

قبيل الدعوة

مات والد النبي وهو في بطن أمه ، فكفله جده عبد المطلب ، ثم مات جد النبي فكفله عمه عبد مناف بن عبد المطلب المكنى بأبي طالب ، فأبو طالب عم النبي الشقيق ووالد الخليفة والولي من بعده علي. ويشب النبي ويترعرع ويتزوج امرأة فاضلة ميسورة الحال وهي خديجة بنت خويلد ، ويكون لنفسه بيتاً ويستقل ، وأراد أن يساعد عمه صاحب العيال وفقيير الحال عبد مناف والد علي ، فأخذ أحد أطفال عمه ليغدو له ، وشاءت العناية الإلهية أن يكون هذا الطفل هو علي وال الخليفة والولي فيما بعد ، ونما الصبي ، وترعرع في كنف ابن عمه ولم يفارقه حتى اختص الله محمداً بالنبوية ، ثم لازمه حتى انتقل الرسول ﷺ إلى جوار ربه.

بعد النبوة

نبيء النبي يوم الاثنين ، وأسلم علي يوم الثلاثاء ، وتابع الفتى التصاقه بالنبي ولم يفارقه قط ، كانا في مكة معاً ، وكانا في المدينة معاً ، وسكنوا في بيت واحد طوال حياة النبي. فكان محمد ﷺ هو الذي جاء بالصدق ، وعلى هو الذي صدق به ، وهذا معنى قوله تعالى : **(والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقوون)** ^(٣).

(١) رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده وفي كتابه فضائل علي ، وذكره صاحب الفردوس وزاد فيه (ثم انتقلت حتى صررت في عبد المطلب فكان لي النبوة ولعلي الوصية) وراجع شرح نجح البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبي الحميد ج ٣ ص ٢٥٢ وما فوق.

(٢) راجع على سبيل المثال : المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٢٩ ، وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١ ص ٢٤٩ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٤ ص ١٩٥ وكنز العمال ج ٦ ص ٣٩١ وج ١٥ ص ٩٥ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٩٧ ... الخ.

(٣) راجع شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ٢ ص ١٢٠ ح ٨١٥ . وراجع مناقب علي لابن

فما جادل النبي ولا عانده إنما كان الصديق لكل أقوال النبي وطوال حياته مع النبي. كان فارسه الأول في كل حروبها ، ومن هنا سمي الصديق الأكبر بالنص الشرعي ، والفاروق الأعظم بالنص الشرعي ^(١).

وقال علي فيما بعد يصف علاقته بالنبي في تلك الفترة « وضعني في حجره وأنا ولد ، يضمني إلى صدره ، ويكتنفي فراشه ، ويسمني جسده ، وبشمني عرقه ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه ... وما وجد لي كذبة في قول أو خطلة بفعل ، وكنت أتبعه اتباع الفصيل إثر أمه يرفع لي كل يوم من أخلاقه ، ويأمرني بالاقتداء به ، وكنت في حراء فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيته واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة » ^(٢).

وسائل قثم بن العباس : كيف ورث علي رسول الله دونكم؟

فقال : كان أونا لحوقاً به وأشارنا به لصوقاً ^(٣).

المغازلي الشافعى ص ٣٦٩ ح ٣١٧ وراجع كفاية الطالب للكنجي الشافعى ص ٢٣٣ وراجع الدر المنشور للسيوطى ج ٥ ص ٣٢٨ وراجع تفسير القرطبي ج ١٥ ص ٢٥٦ وراجع ترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٤١٨ وإحقاق الحق للستري ج ٣ ص ١٧٧.

(١) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١ ص ٧٦ وجمع الروايد ج ٩ ص ١٠٢ وكفاية الطالب للكنجي الشافعى ص ١٨٧ والإصابة لابن حجر ج ٤ ص ١٧١ والاستيعاب لابن عبد البر هامش الإصابة ج ٤ ص ١٧٠ والغاية ج ٥ ص ٢٨٧ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٤١٧ وفرائد السمعطين ج ١ ص ٣٩ و ذخائر العقبى للطبرى ص ٥٦ والغدير للأمينى ج ٢ ص ٣١٣ ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٣٣ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٨٠ وشرح النهج لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٦١.

(٢) راجع التصوف والتشييع لهاشم معروف الحسيني ، وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ، ص ٧٦ - ٧٥.

(٣) أخرجه الضياء المقدسي في المختار وابن جرير في تهذيب الآثار وهو الحديث ٦١٥٥ من أحاديث الكنز ج ٦ ص ٤٠٨ وأخرجه النسائي في ص ١٨ من الحصائر العلوية ونقله ابن أبي الحديد في ص ٢٥٥ ، مجلد ٣ من شرح النهج وراجع ج ١ ص ١٥٩ من مسند الإمام أحمد.

إعلان الخلافة بعد النبوة

لما نزلت آية (وأنذر عشيرتك الأقربين ...) قال النبي ﷺ في اجتماعه ببني عبد المطلب (يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب قد جاء قومه بأفضل مما جئتكم به. إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني ربِّي أن أدعوكم ، فأياكم يؤازري على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصي خليفي فيكم بعدي؟) قال علي : (فأحجم القوم منها جميعاً وقلت وإنِّي «أيٌّ علياً» لأحدُهم سناً : أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقتني ثم قال (أي الرسول ﷺ) : (إنَّ هذَا أخِي ووصيٌّ و الخليفي فيكم فاسمعوا له وأطِيعوا ... الخ (١).

(١) تاريخ الامم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى ، ج ٢ ص ٢١٧ دار إحياء التراث ، بيروت .
جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الطبرى مجلد ١٩ ص ٧٥ في معرض تفسيره لآية (وأنذر عشيرتك الأقربين) .

- . لباب التأويل في معانٍ التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، ج ٥ ص ١٢٧ في معرض تفسير الآية.
- . معلم التنزيل تفسير البغوي الفرا ج ٥ ص ١٢٧ على هامش تفسير الخازن.
- . تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٣ ص ٧٧٤ .
- . السيرة النبوية لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، ج ١ ص ٤٥٨ وما فوق ، نقله عن البيهقي في الدلائل.
- . الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٦٢ و ٦٣ .
- . شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج ١٣ ص ٢١٠ و ٢٤٤ تحقيق محمد أبو الفضل.
- . السيرة الحلبية ، ج ١ ص ٣١١ منتخب الكنز بما مثل مسنن الإمام أحمد ، ج ٥ ص ٤١ و ٤٢ .
- . كنز العمال ، ج ١٥ ص ١١٥ ح ٣٣٤ ، ترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١ ص ١٢٥ ، وأخرجه بهذا المعنى الطحاوى والضياء المقدسى في المختار وسعيد بن منصور في السنن وأحمد بن حنبل في مسنده والحاكم في مستدركه وص ٦ من الخصائص العلوية للنسائي وأخرجه الذهبي في تلخيصه معترفاً .
وراجع ص ٣٩٢ ج ٦ من كنز العمال الحديث ٦٠٠٨ والحديث ٦٠٤٥ ص ٣٩٦ ج ٦

هذا نص شرعي بأن علياً بن أبي طالب قد عينه الرسول وصيأً وخليفة من بعده . والسنّة النبوية القول والفعل والتقرير جزء من العقيدة الإلهية ، ولم يرد ما يشير إلى نسخ هذا النص . وهو حديث صحيح وقد صححه ابن جرير وأبو جعفر الإسکافي إذ أرسلا صحته إرسال المسلمين كما يقول الإمام العاملي في مراجعته ، وهو واضح المعانٍ ولا يمكن تأويلاً . فكيف تؤول الواضحت .

ومن الطبيعي أن النبي لم يقل ما قاله في اجتماع بني عبد المطلب « الأقربين » من تلقاء نفسه إنما كان بأمر من ربه ، لأن النبي يتبع ما يوحى إليه ومن غير المعقول أن يعين النبي ولـي عهده وال الخليفة من بعده دون الرجوع إلى ربه .

الإعلان عن ولـيـة العـهـد والتـوـطـيـد لـلـوـلـيـة

١ . المنـزـلـة

قال النبي لـعليـ على مـسـمـعـ مـنـ الـمـسـلـمـيـنـ : « أـنـتـ مـنـيـ بـمـنـزـلـةـ هـارـوـنـ مـنـ مـوسـىـ إـلـاـ أـنـهـ لاـ نـبـيـ بـعـدـيـ » ^(١) .

ففي هذا النص أعطى النبي لـعليـ كافة المنازل التي كان لهاـرونـ ولم يستثنـ إـلـاـ النـبـوـةـ ، واستثنـاءـ النـبـوـةـ دـلـيـلـ عـلـىـ الـعـمـومـ كـمـاـ يـقـولـ الـإـمـامـ الـعـامـلـيـ ، وـمـنـ أـبـرـزـ الـمـنـازـلـ الـتـيـ كـانـتـ لهاـرونـ مـنـ مـوسـىـ وزـارـتـهـ وـشـدـ أـزـرـهـ وـإـشـرـاكـهـ فـيـ أـمـرـهـ وـخـلـافـتـهـ عـنـهـ وـفـرـضـ طـاعـتـهـ عـلـىـ أـمـتـهـ بـدـلـيـلـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : (وـاجـعـلـ لـيـ وـزـيـرـاـ مـنـ أـهـلـيـ هـارـوـنـ أـخـيـ أـشـدـ بـهـ أـزـرـيـ وـأـشـرـكـهـ فـيـ أـمـرـيـ) . وـقـلـوـلـهـ تـعـالـىـ (اـخـلـفـنـيـ فـيـ قـوـمـيـ وـأـصـلـحـ) وـقـوـلـهـ تـعـالـىـ مـخـاطـبـاـ مـوسـىـ (قـدـ أـوـتـيـتـ سـؤـلـكـ يـاـ مـوسـىـ) فـعـلـيـ بـحـكـمـ هـذـاـ النـصـ خـلـيـفـةـ

والـحدـيـثـ ٦٠٥٦ـ صـ ٣٩٧ـ جـ ٦ـ والـحدـيـثـ ٦١٠٤ـ صـ ٤٠٤ـ والـحدـيـثـ ٦١٥٥ـ صـ ٤٠٨ـ ، وـرـاجـعـ صـ ٢٥٥ـ مجلـدـ ٣ـ شـرـحـ النـهـجـ لـعـلـامـ الـمعـتـرـلـةـ .

(١) رـاجـعـ عـلـىـ سـبـيلـ الـمـثـالـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ ، جـ ٥ـ صـ ١٢٩ـ وـصـحـيـحـ الـمـسـلـمـ كـ الـفـضـائـلـ بـ عـلـيـ ، جـ ٢ـ صـ ٣٦٠ـ وـصـحـيـحـ التـرمـذـيـ جـ ٥ـ صـ ٣٠٤ـ وـصـحـحـهـ وـمـسـنـدـ الـإـمـامـ أـحـمـدـ جـ ٣ـ صـ ٥٠ـ وـالـمـسـتـدـرـكـ لـلـحاـكـمـ جـ ٣ـ صـ ١٠٩ـ وـتـارـيخـ الطـبـريـ جـ ٣ـ صـ ١٠٤ـ وـتـارـيخـ دـمـشـقـ لـابـنـ عـسـاـكـرـ جـ ١ـ صـ ٣٠ـ .

النبي وولي عهده . وحديث المنزلة من أصح الآثار وقد بلغ من التواتر والشيوخ أن رواه حتى
معاوية إمام الفجوة الباغية ، وقد كرر النبي الإعلان عن هذه المنزلة عشرات المرات .

٢ . الأخوة

وحتى يحكم الشرع الحلقة أخي الله بين النبي وبين علي وهذا شرف لم يبله غير علي ،
ومرتبة لم يحصل عليها سواه ، وأعلن النبي هذه المؤاخاة ^(١) قبل الهجرة وبعد الهجرة وقد أكد
النبي هذه الأخوة عشرات المرات في عشرات المناسبات حتى لا ينساها المسلمين ^(٢) مثل قوله
٩ : « بشاره أتني من ربِّي في أخي وابن عمِّي وابنِي بَأْنَ اللَّهَ زُوْجُ عَلِيًّا فاطمة » ^(٣) لما زفت
فاطمة إلى علي قال الرسول (يا أم أين ادعني لي أخي) فقالت (هو أخوك وتنكحه؟) قال
(نعم ...) ^(٤) .

وانظر إلى قوله ٦ لعلي : أنت أخي وصاحبِي ورفيقِي في الجنة ^(٥) .

(١) تذكرة المخواص للسبط ابن الجوزي ص ٢٣ وترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١
ص ١٠٧ و ١٥٠ وكنز العمال ج ٦ ص ٢٩٠ ح ٥٩٧ والمناقب للخوارزمي ص ٧ والفصول المهمة لابن
الصباغ المالكي ص ٢١ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ١٠٩ وصحیح الترمذی ج ٥ ص ٣٠ وأسد الغابة لابن
الأثیر ج ٢ ص ٢٢١ وج ٣ ص ١٣٧ والاستیعاب بهامش الاصابة ج ٣ ص ٣٥ والطبقات لابن سعد ج ٣ ص
٢٢٠ ... الخ فالذی يعرفه الجميع ان الرسول وعلي اخوه ، وان أبا بكر وعمر اخوه.

(٢) ذکره أصحاب السنن في مسانيدهم وذكر فخر الدين الرازي في تفسيره ج ٢ ص ١٨٩ ، اذ جاء بالحديث
القدسی : (ابی آخیت بینه وبنی محمد ...) حدیث المیت علی الفراش .

(٣) المناقب للخوارزمي ص ٢٤٦ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٦٠ واسد الغابة لابن الأثیر ج ١ ص
٢٠٦ والصواعق الحرقۃ لابن حجر ص ١٧١ .

(٤) راجع خصائص امير المؤمنین للنسائی ص ١١٥ وذخائر العقیی للطبری ...

(٥) ذکره ابن عساکر في تاریخه ج ١ ص ١٢٢ ومنتخب الكتز بهامش مستند الإمام أحمد ج ٥ ص ٤٦ .

ومثل قوله لعلي : « وأما أنت يا علي فأخي وأبو ولدي ومني وإلي » ^(١). وظل النبي يردد ويعلن هذه الأخوة طوال حياته ، ولما حضرته الوفاة قال « ادعوا لي أخي » ^(٢). فدعا عليناً فقال له (ادن مني) ، فدنا منه وأسنده إليه فلم يزل يكلمه حتى فاضت نفسه الزكية.

من هنا فقد كان يقول : (أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدى إلا كاذب ^(٣) .

ومن الأمور التي كان يعرفها العامة والخاصة ان علياً كان أخ النبي قبل الهجرة وبعدها ، وأن المؤاخاة بين أبي بكر وعمر تمت قبل الهجرة وبعدها ، وقد أوصى أبو بكر بالخلافة لأخيه عمر من بعد ونفذت وصيته.

٣ . الولاية

أعلن النبي لل المسلمين أن الولي من بعده هو علي حيث قال له : « أنت ولبي في الدنيا وفي الآخرة » ^(٤) وقال لعلي : « أنت ولني كل مؤمن بعدي » ^(٥) وقد سمع

(١) ذكره الخوارزمي.

(٢) الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ٢٦٣ وقريب منه ما ذكره الخوارزمي في المناقب ص ٢٩ .

(٣) راجع سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٤ وتاريخ الطبراني ج ٢ ص ٣١٠ والاستيعاب بجامش الاصابة ج ٣ ص ٣٩ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٥٧ وتاريخ ابن عساكر ج ١ ص ١٢٠ ... الخ.

(٤) وقد صرحت الذهبي بصحته في تلخيص المستدرك وذكره ابن حجر في صواعقه باب ١٢ ص ١٦ واخرجه مسلم في فضائل علي في صحيح ج ٢ ص ٢٤ وأخرجه الحاكم في مستدركه ص ١٠٩ وذكر ابن حجر في صواعقه باب ١١ ص ١٠٧ وقال إن الإمام أحمد أخرجه وصححه وراجع صحيح بخاري ج ٢ ص ٥٨ وصحح مسلم ج ٢ ص ٣٢٣ وج ٢ ص ١٠٩ من مسنن الإمام أحمد وذكره الطبراني وأخرجه البزار في مسنده والترمذى كما يدل الحديث ٤ ٢٥٠٤ ج ٦ من كنز العمال وأورده ابن عبد البر في أحوال علي من الاستيعاب.

(٥) راجع مسنن الإمام أحمد ج ٥ ص ٢٥ بسند صحيح وراجع الاستيعاب لابن عبد البر بجامش الاصابة ج ٣ ص ٢٨ وراجع الاصابة لابن حجر العسقلاني ج ٢ ص ٥٠٩ وراجع ينابيع المودة للقنديوزي الحنفي ص ٥٥ و ١٨٢ وراجع خصائص أمير المؤمنين للنسائي الشافعي ص ٦٤

المسلمين بذلك ، وفي إحدى المرات بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل على هذه السرية علياً بن أبي طالب ، فاصطفي على نفسه من الخمس جارية فأنكرها عليه وشكوه للرسول ، فقال النبي ﷺ : « إن لعلي أكثر من جارية التي أخذ إلهه وليلكم بعدي » ^(١) وطالما أعلن النبي وكرر « من كنت وليه فهو وليه ، ومن كنت مولاه فهذا علي مولاه » وتلك النصوص من الديوع والانتشار بحيث أنها لا تخفي على أحد. فقول النبي ﷺ : من كنت مولاه فهذا علي مولاه قالها أمام أكثر من مائة ألف مسلم كما سنرى ولم يكتف النبي ﷺ بذلك ، بل كانت أوامره واضحة بضرورة موالاة علي وأهمية هذه الم الولاية ، وأثرها في الدنيا والآخرة ، وأن من يتولى علياً هو تماماً كمن يتولى النبي ومن يحب علياً هو تماماً كمن يحب النبي ، ومن يبغض علياً هو تماماً كمن يبغض النبي ومن يتولى النبي فكأنما تولى الله.

ومن أحکامه ﷺ النصوص الشرعية التالية : « من يريد أن يحيا حياته وعموت مماتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربى فليتول علياً بن أبي طالب ، فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلاله » ^(٢).

وراجع المستدرک للحاکم ج ٣ ص ٣٤ وراجع تلخيص المستدرک مطبوع بذیل المستدرک للذهبي وراجع ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساکر ج ١ ص ٣٨٤ ح ٤٩٠ ... اخ.

(١) راجع صحيح الترمذی ج ٥ ص ٢٩٦ ح ٣٧٩٦ وراجع خصائص أمیر المؤمنین للنسائي ص ٩٧ والمناقب للخوارزمي الحنفي ص ٩٢ والاصابة لابن حجر ج ٢ ص ٥٠٩ ونور الا بصار للشبلنجي ص ١٥٨ وحلية الاولیاء ج ٦ ص ٢٩٤ واسد الغابة ج ٤ ص ٢٧ وترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساکر ج ١ ص ٣٨١ ومصابيح السنة للبغوي ج ٢ ص ٢٧٥ وجامع الاصول ج ٢ ص ٤٧٠ وكتنز العمال ج ١٥ ص ١٢٤ وينابيع المودة للقندوزي ص ٥٣ وتدكرة الخواص للسبط ابن الجوزي ص ٣٦ والغدیر ج ٣ ص ٢١٦ ومطالب المسؤول لابن طلحة الشافعی ج ١ ص ٤٨ ، وراجع ص ١٣٤ من ملحق المراجعات تحقيق السيد حسين راضي.

(٢) راجع حلية الاولیاء لأبي نعيم ج ٤ ص ٣٤٩ . ٣٥٠ ، وراجع مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٨ وراجع ترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساکر الشافعی ج ٢ ص ٩٣ ح ٦٠٢ وراجع فضائل الخمسة ج ٢ ص ٢١٣ ، وراجع إحقاق الحق ج ٥ ص ١٠٨ وراجع فرائد

قال وهب بن حمزة : سافرت مع علي فرأيت منه جفاء فقال ٦ : « لا تقولن هذا
علي فانه وليكم بعدي » ^(١).

ولاية علي وحبه ولاية الله وحب له

وخطاب النبي ٦ اصحابه قائلاً : « أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب فمن تولاه فقد تولاني ، ومن تولاني فقد تولى الله ومن احبه فقد احبني ومن احبني فقد أحب الله ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل » ^(٢).
وقال لهم يوماً « اللهم من آمن بي وصدقني فليتولّ علي بن أبي طالب فإنّ ولائيه
ولائي وولائي ولاية الله تعالى » ^(٣).

تابع الاعلان عن الولاية والتوطيد كان يجري بأمر الله

ولتوطيد ولاية علي نزلت آية الولاية (إِنَّا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ) ^(٤).
يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله
هم الغالبون) ^(٤).

السمطين للحمويني ج ١ ص ٥٥.

(١) الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٦٤١ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١ ص ٣٨٥ ح ٤٩١
ويتابع المودة للقندوزي ص ٥٥ والعديري للاميكي ج ٣ ص ٢١٦ وقرب منه في اسد الغابة ج ٥ ص ٩٤ وجمع
الزوايد ج ٩ ص ١٠٩ .

(٢) راجع ترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٩٣ ح ٥٩٤ و ٥٩٥ وراجع
مناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص ٢٣٠ ح ٢٧٧ و ٢٧٩ و راجع جمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٨ وراجع يتابع
المودة للقندوزي الحنفي ص ٢٨٢ ومنتخب كنز العمال بهامش مسنن الإمام أحمد ج ٥ ص ٣٢ واحقاق الحق ج
٦ ص ٤٣٧ - ٤٣٤ ، وفضائل الخمسة ج ١ ص ٢٠٢ وفائد السمطين ج ١ ص ٢٩١ وملحق المراجعات ص
.٢٩

(٣) راجع ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج ٢ ص ٩١ ح ٥٩١ .

(٤) سورة المائدة آية ٥٥ . ٥٦

وقد نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين وهو راكع واستجابة لدعوة الرسول ^٩ : «
واعمل لي وزيراً من أهلي علي أخي ». ^(١)

(١) راجع تفسير الطبرى ج ٦ ص ٢٨٨ و ٢٨٩ وراجع الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٦٤٩ وراجع زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي الحبلىي ج ٢ ص ٣٨٣ وراجع تفسير القرطبي ج ٦ ص ٢١٩ وراجع التفسير المنير للجادى ج ١ ص ٢١٠ ، وراجع فتح البيان في مقاصد القرآن ج ٣ ص ٥١ وراجع اسباب النزول للواحدى ص ١٤٨ وراجع معالم التنزيل بحاشى تفسير الخازن ج ٢ ص ٥٥ وراجع شواهد التنزيل للحسكاني الحنفى ج ١ ص ١٦١ ح ٢١٦ وما فوق ، وراجع مناقب علي لابن المغازى الشافعى ص ٣١١ ح ٣٥٤ وما فوق وراجع كفایة الطالب للكنجي الشافعى ص ٢٢٨ و ٢٥٠ وراجع ذخائر العقبي لمحب الدين الطبرى الشافعى ص ٨٨ وراجع المناقب للخوارزمى الحنفى ص ١٨٧ وراجع ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٤٠٩ وراجع الفصول المهمة لابن الصباغ المالكى ص ١٠٨ و ١٢٣ والدر المنشور للسيوطى ج ٢ ص ٢٩٣ وفتح القدير للشوکانى ج ٢ ص ٥٣ .

وراجع لباب النقول للسيوطى بحاشى تفسير الحالين ص ٢١٣ وتذكرة الخواص للسبط ابن الجوزى الحنفى ص ١٨ و ٢٠٨ ونور الابصار للشبلنجي ص ٧١ وينابيع المودة للقندوزى الحنفى ص ١١٥ وتفسير الفخر الرازي ج ١٢ ص ٢٦ وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧١ واحكام القرآن للجصاصى ج ٤ ص ١٠٢ وشرح النهج لابن أبي الحديد ج ١٣ ص ٢٧٧ تحقيق محمد أبو الفضل والصواعق المحرقة لابن حجر ص ٢٤ وانساب الاشراف للبلادى ج ٢ ص ١٥٠ وتفسير النسفي ج ١ ص ٢٨٩ والحاوى للفتاوى للسيوطى ج ١ ص ١٣٩ وكنز العمال ج ١٥ ص ١٤٦ ومنتخب الكنز بحاشى مسنن الإمام أحمد ج ٥ ص ٣٨ وجامع الاصول ج ٩ ص ٤٧٨ والرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٣ وراجع ملحق المراجعات ص ١٣٧ - ١٣٨ تحقيق حسين راضى .

الفصل الثالث

الولي هو السيد والإمام والقائد

قال النبي ﷺ لأصحابه : اوحى الله اليّ في عليٍّ ثلثاً : « أنه سيد المسلمين ، وإمام المتقيين ، وقائد الغر المجلين » ^(١). وقال لهم مرتاً « أوحى الله اليّ في علي أنه سيد المسلمين وولي المتقيين وقائد الغر المجلين » ^(٢) وقال له يوماً أمام أصحابه « مرحباً بسيد المسلمين وإمام المتقيين » ^(٣) وفي جلسة من جلساته مع أصحابه قال لهم : « أول من يدخل من هذا الباب إمام المتقيين وسيد المسلمين ويسوع الدين وخاتم الوصيين وقائد الغر المجلين »
فدخل علي فنهض

(١) راجع المعجم الصغير للطبراني ج ٢ ص ٨٨ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ص ٦٥ ج ٩٣ وص ١٠٤ ح ١٤٦ و ١٤٧ وراجع المناقب للخوارزمي الحنفي ص ٢٣٥ وراجع درر السلطان للزرندي الحنفي ص ١١٤ والفصل المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٠٧ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢١ واسد الغابة ج ١ ص ٦٩ وج ٣ ص ١١٦ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٢٥٧ وفضائل الخمسة ج ٢ ص ١٠٠ وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٨١ واحقاق الحق ج ٤ ص ١١ وفرائد السلطان ج ١ ص ١٤٣ وملحق المراجعات ص ١٤٢ - ١٤١ .

(٢) راجع ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٢٥٧ ح ٧٧٢ والرياض الناظرة ج ٢ ص ٢٣٤ وذخائر العقبي ص ٧٠ ومنتخب الكنز بهامش مستند أحمد ج ٥ ص ٣٤ .

(٣) راجع حلية الأولياء لابي نعيم ج ١ ص ٦٦ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٤٤٠ ح ٩٤٩ وكنز العمال ج ١٥ ص ١٥٧ ح ٤٤٣ وشرح النهج لابن أبي الحميد ج ٩ ص ١٧٠ تحقيق محمد أبو الفضل ونظم درر السلطان للزرندي الحنفي ص ١١٥ ومطالب المسؤول لابن طلحة الشافعي ج ١ ص ٤٦ وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ١٨١ و ٣١٣ ومنتخب كنز العمال بهامش مستند أحمد ج ٥ ص ٥٥ وفرائد السلطان ج ١ ص ١٤١ .

النبي وعائقه ... ^(١).

وبين يوماً لأصحابه قائلاً : « إن الله عهد إليّ في علي عهداً فقلت : يا رب بيّنه لي ، قال : اسمع : إن علياً راية الهدى وإمام أوليائي ونور من أطاعني » ^(٢).

وخطب النبي الأنصار في يوم من الأيام قائلاً :

« يا عشر الأنصار إلا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : هذا علي فأحبوه بحبِي ، وأكرموه بكرامتِي ، فإن جبريل امرني بالذِي قلت لكم عن الله عز وجل » ^(٣).

وفي يوم من الأيام قال النبي ملئ حوله (ادعو لي سيد العرب علياً) فقالت عائشة :
الست سيد العرب؟ فقال ٦ : أنا سيد ولد آدم وعلى سيد العرب ، فلما جاء علي أرسل
إلى الأنصار وقال لهم : يا عشر الأنصار إلا

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٩ ص ١٦٩ تحقيق محمد أبو الفضل وحلية الأولياء ج ١ ص ٦٣ والمناقب للخوارزمي الحنفي ص ٤٢ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٤٨٧ ح ١٠٠٥ ومطلب المسؤول لابن طلحة الشافعی ج ١ ص ٦٠ والميزان الذہبی ج ١ ص ٦٤ وكفاية الطالب للكنجي الشافعی ص ٢١٢ وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٣١٣ وفضائل الخمسة ج ٢ ص ٢٥٣ وفرائد السبطين ج ١ ص ١٤٥ .

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٧ وشرح النهج تحقيق محمد أبو الفضل ج ٩ ص ٦٧ والمناقب للخوارزمي ص ٢١٥ ونظم درر السبطين للزرندی الحنفی ص ١١٤ ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساکر ج ٢ ص ١٨٩ ح ٦٧٢ ومناقب علي لابن المغازی ص ٤٦ وكفاية الطالب للكنجی الشافعی ص ٧٣ وينابيع المودة للقندوزی الحنفی ص ٣١٢ ومطلب المسؤول لابن طلحة الشافعی ج ١ ص ٤٦ واحقاق الحق ج ٤ ص ١٦٨ وفرائد السبطین ج ١ ص ١٤٤ و ١٥١ .

(٣) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٩ ص ١٧٠ تحقيق أبي الفضل وحلية الأولياء لابي نعيم ج ١ ص ٦٣ وجمع الروايد ج ٩ ص ١٣٢ وكفاية الطالب للكنجي الشافعی ص ٢١٠ وينابيع المودة للقندوزي الحنفی ص ٣١٣ وكنز العمال ج ١٥ ص ١٢٦ والرياض النضرة ج ٢ ص ٢٣٣ وفضائل الخمسة ج ٢ ص ٩٨ ومطلب المسؤول لابن طلحة ج ١ ص ٦٠ ، وفرائد السبطين ج ١ ص ١٩٧ ح ١٥٤ .

أدلكم ...) الحديث السابق ^(١).

وقال النبي لعلي في جمع من أصحابه « النظر إلى وجهك يا علي عبادة. أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة. من أحبك أحبني ، وحبيبي حبيب الله ، وعدوك عدوي ، وعدوي عدو الله ، الويل لمن أبغضك » ^(٢).

أبرز المؤهلات العلمية للولي من بعد النبي

قال النبي ٦ لأصحابه موضحاً علم علي : « أنا مدينة العلم وعلى باها ، ومن أراد العلم فليأت الباب » ^(٣) وقال لهم مرة : « أنا دار الحكم وعلي باها » ^(٤) وقال لهم ثلاثة : « أنا مدينة الحكم وعلي باها » ^(٥) وقال لهم مرة رابعة : « علي باب علمي ومبين من بعدي لأمتى ما أرسلت به ، حبه إيمان

(١) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء ونقله ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ٢٥١.

(٢) رواه أحمد في مسنده وكان ابن عباس يفسر هذا الحديث ويقول : ان من ينظر اليه يقول : سبحان الله ما اعلم هذا الفتى ، سبحان الله ما اشجع هذا الفتى ، سبحان الله ما افصح هذا الفتى ، ونقله ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ٢٥٣.

(٣) مصادر هذا النص الشرعي لا تخصى نذكر منها على سبيل المثال : ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٤٦٤ ح ٩٨٤ . ٩٩٧ وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٧٠ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٤٣ والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٣ ص ٣٨ والميزان للذهبي ج ١ ص ٤١٥ والفتح الكبير للبنهانى ج ١ ص ١٧٦ والجامع الصغير للسيوطى ج ١ ص ٩٣ ومنتخب الكنز بهامش مسندة أحمد ج ٥ ص ٣٠ وشرح النهج لابن أبي الحديد ج ٧ ص ٢١٩ تحقيق محمد أبو الفضل الخ.

(٤) كذلك فقد ورد هذا النص بعشرات المراجع منها : صحيح الترمذى ج ١ ص ٣٠١ ح ٣٨٠٧ وحلية الاولياء ج ١ ص ٦٣ ومناقب علي لابن المغازى ص ٨٧ ح ١٢٩ واسعاف الراغبين بهامش نور الابصار ص ١٤٠ وذخائر العقبي للطبرى ص ٧٧ والصواعق الحرقه لابن حجر ص ١٢٠ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٤٥٩ وفضائل الخمسة ج ٢ ص ٢٤٨ ومصايخ السنة للبغوى ج ٢ ص ٢٧٥ والجامع الصغير للسيوطى ج ١ ص ٩٣ ومنتخب الكنز ج ٥ ص ٣٠ الخ.

(٥) مناقب علي لابن المغازى ص ٨٦ وفتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي ص ٢٦.

وبغضه نفاق »^(١).

وقال لعلي أمام أصحابه : « أنت تبين لأمتى ما اختلفوا فيه بعدي »^(٢) وقال لأصحابه يوماً عن علي « علي مني بمنزلتي من ربى »^(٣).
وكان النبي ﷺ يقول : « كفى وكف على في العدل سواء »^(٤) وكان علي يقول : « والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيمن نزلت ، وأين نزلت ، وعلى من نزلت. إن ربى وهب لي قبلأً عقولاً ولساناً صادقاً ناطقاً »^(٥) وكان يقول : « سلوني عن كتاب الله فانه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت ام بنهار ، وفي سهل ام جبل »^(٦) وقال الإمام أحمد : « ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله من الفضائل ما جاء لعلي »^(٧) وقال ابن عباس : « ما نزل في أحد من كتاب الله ما نزل في علي » وقال مرة أخرى (نزل في علي ٣٠٠ آية)
وقال مرة ثالثة : « ما أنزل الله (يا أيها الذين آمنوا) إلا وعلى أميرها وشريفيها » ، « كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي أشعر الثلاثة »^(٨) وننهي هذا المقطع
بقوله ﷺ (علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا على الحوض)^(٩).

(١) فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي ص ١٨ والغدير للأميني ج ٣ ص ٩٦.

(٢) ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٤٨٨ ح ١٠٠٨ و ١٠٠٩ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٨٦ والمناقب للخوارزمي ص ٢٣٦ وينابيع المودة للفندوزي ص ١٨٢ ومنتخب الكنز ج ٥ ص ٣٣ وملحق المراجعات ص ١٤٦.

(٣) ذخائر العقبى للطبرى ص ٦٤ والرياض النضرة ج ٢ ص ٢١٥ والصواعق المحرقة ص ٦٠٦ واحقاق الحق ج ٧ ص ٢١٧.

(٤) راجع الحديث ٢٥٣٩ ص ١٥٣ ج ٦ من أحاديث الكنز.

(٥) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٨٥.

(٦) اخرجه ابن سعد راجع تاريخ الخلفاء ص ١٨٥.

(٧) اخرجه الحاكم ص ١٠٧ من صحيحه ولم يتعقبه الذهبي.

(٨) اخرجه ابن عساكر راجع ص ٧٦ من الصواعق المحرقة لابن حجر ، وراجع تاريخ الخلفاء وكتابنا النظام السياسي في الإسلام الباب الأول.

(٩) أخرجه الطبراني في الأوسط والصغرى راجع الخلفاء ص ١٧٣ للسيوطى.

ولاية علي وخلافته للنبي قضية دينية وإيمانية من كل الوجوه

ها هو النبي ﷺ يقول لأصحابه : (علي بن أبي طالب باب حطة ، من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً)^(١) وانظروا إلى النص الشرعي القاطع (علي مني وأنا من علي ، ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي)^(٢) قوله ﷺ لعلي أمم الصحابة : (يا علي من فارقني فقد فارق الله ، ومن فارقك يا علي فارقني)^(٣) قوله ﷺ : (أنا المنذر وعلي الهدادي ، وبك يا علي يهتدي المheedون من بعدي)^(٤) وقول النبي لأصحابه : (أنا وهذا يعني علياً . حجة على أمري يوم القيمة)^(٥) وقوله ﷺ (مكتوب على باب الجنة لا اله إلا الله محمد رسول الله علي أخو

(١) راجع بنایع المودة للقندوزي الحنفي ص ١٨٥ و ٢٨٤ و ٢٤٧ والجامع الصغير للسيوطى ج ٢ ص ٥٦ ومنتخب كنز العمال بهامش مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٣٠ والصواعق المحرقة لابن حجر ص ٧٥ .

(٢) راجع سنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٤ ح ١١٩ وصحیح الترمذی ج ٥ ص ٣٠٠ ح ٣٨٠٣ وخصائص امير المؤمنین للنسائی ص ٢٠ وترجمة علی من تاریخ دمشق لابن عساکر ج ٢٣ ص ٣٧٨ ح ٨٧٥ . ٨٨٠ والمناقب للخوارزمی الحنفی والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢٠ والجامع الصغير للسيوطی ج ٢ ص ٥٦ ومصایب السنة للبغوي ج ٢ ص ٢٧٥ والاصول لابن الاثیر ج ٩ ص ٧١ والمشكاة للعمري ج ٣ ص ٢٤٣ ... الخ.

(٣) المستدرک للحاکم ج ٣ ص ١٤٦ وذخائر العقبی للطبری ص ٦٦ وجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٥ وتاریخ دمشق لابن عساکر ج ٢ ص ٢٦٨ والمیزان للذهبی ج ٢ ص ١٨ ... الخ.

(٤) ترجمة علی من تاریخ دمشق لابن عساکر ج ٢ ص ٤١٧ والفصل المهمة لابن الصباغ المالکی ص ١٠٧ ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ج ٥ ص ٣٤ وتفسیر الطبری ج ١٣ ص ١٠٨ وتفسیر ابن کثیر ج ٢ ص ٥٠٢ وتفسیر الشوكانی ج ٣ ص ٧٠ وتفسیر الفخر الرازی ج ٥ ص ٢٧١ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ١٢٩ . ١٣٠ والدر المشور للسيوطی ج ٤ ص ٤٥ وزاد المسیر لابن الجوزی ج ٤ ص ٣٠٧ وروح المعانی للآلوسی ج ١٣ ص ٩٧ وراجع ص ٥١ من ملحق المراجعات .

(٥) ترجمة علی من تاریخ دمشق لابن عساکر ج ٢ ص ٢٧٣ ح ٧٩٣ - ٧٩٥ ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٩٤ ومناقب علی لابن المغازی والمیزان للذهبی ج ٤ ص ١٢٨ .

رسوله ^(١) وقوله (مكتوب على ساق العرش : لا اله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي ونصرته بعلي) ^(٢) ثم انظر إلى قوله ٦ وهو يخاطب الأنصار (... فإن جبريل امرني بالذى قلت لكم عن الله عز وجل) ^(٣).

ولي الله وخليفة رسوله هو فارس الإسلام

أثناء حروب الكفر مع الإيمان تألق نجم علي وأصبح فارس الإسلام الأوحد ، فلا مثيل له بالأولين والآخرين. كلام علي طلحة والزبير قبل وقفه الجمل ليقيم الحجة البالغة عليهما فقال لهم : استحلف عائشة بحق الله وبحق رسوله على أربع خصال أن تصدق فيها. هل تعلم من قريش أولى مني برسول الله وإسلامي قبل كافة الناس أجمعين وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحي ... ^(٤).

وأول لواء عقد في الإسلام كان لحمزة بن عبد المطلب ، وفي كل معارك الإسلام في زمن النبي كان اللواء إما بيده علي أو بيده حمزة ^(٥) وأول من برع للقتال في معركة بدر هو حمزة علي وعيدي الله ، وفي كل المعارك كان علي هو الفارس الأول بعد رسول الله ، قال رسول الله ٦ : (غداً ساعطي الراية لرجل

(١) حلية الأولياء ج ٧ ص ٢٥٦ ومناقب علي لابن المغازلي ص ٩١ ح ١٣٤ والمناقب للخوارزمي ص ٨٨ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٣٨ وتذكرة الخواص للسبط الجوزي ص ٢٢ ، وذخائر العقبى للطبرى ص ٦٦ والميزان للذهبي ج ٢ ص ٣٩٩ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١ ص ١١٩ ومنتخب الكنز ج ٥ ص ٣٥ من مسنون الإمام أحمد الهامش وكنز العمال ج ١٥ ص ١٢١ ... الخ.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٣٥٣ وجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢١ وحلية الأولياء ج ٣ ص ٣٦ ومسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٣٥ الهامش والرياض النضرة للطبرى ج ٢ ص ٢٢٧ وفرائد السبطين ج ١ ص ٢٣٦ .

(٣) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٣ وشرح النهج ج ٩ ص ١٧٠ وكفاية الطالب ص ٢١٠ وكنز العمال ج ١٥ ص ٢٦ ... الخ.

(٤) الإمامة والسياسة ص ٧٠ - ٧٢ لابن قتيبة.

(٥) الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ٨ و ٩ و ٢٩ و ٣١ و ٤٩ و ٥٨ و ٧٤ و ٥٩ و ١٠٦ و ١٥٠ .

يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه) فلما أصبح الناس غدوا كلهم على رسول الله ، كل يرجو أن يعطها ، فقال الرسول (أين علي بن أبي طالب؟) فقيل له : (هو يشتكي من عينيه) ودعا له رسول الله فبرىء حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية وفتح الله على يديه خيراً^(١).

وتناول عليّ باباً عند حصن خير فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يديه وهو يقاتل حتى فتح الله خيراً ثم ألقاه وعجز ثمانية نفر عن قلب ذلك الباب^(٢).

وفي غزوة الخندق ، من أجاب عمرو بن عبد ود وهو يقول : (ولقد بحثت من النساء لجمعهم هل من مبارز؟) لم يحبه غير علي ولم يذقه الردى غير علي^(٣).

سل بدرأً ، وأحداً ، وخيراً ، وحنيناً ، سل كل الواقع متى هرب علي أو تقاعس رجل من العترة الطاهرة عن نصرة الإسلام ، من يدعى بأنه بز علياً أو ضحي أكثر منه ، أو قاتل بصورة أفضل من قتاله فهو كاذب.

فبطولاته خلال الإسلام جعلته نجماً متألقاً وفارس الإسلام الأوحد يشار إليه بالبنان. من قتل العاص بن سعد بن العاص ، وحنظلة بن أبي سفيان والعاص بن هشام بن مغيرة وحال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب!! من قتلهم غير علي؟^(٤).

من الذي تصدى لعتبة وشيبة والوليد بن عتبة ساداتبني أمية وقتلهم ، هنالك إجماع على أنهم علي وحمزة وعيبد الله وكلهم من العترة الطاهرة ، ومقتل هؤلاء الثلاثة أرجح نار الحقد والكراهية على علي وأهل البيت.

وكمثال على تقييم الله لعمل هذا الفارس الفريد من نوعه ، قال النبي ﷺ :

(١) رواه مسلم وبخاري والطبراني وأكثر المؤرخين واصحاب السنن.

(٢) رواه مسلم وبخاري ، وراجع ص ١٦٧ من تاريخ الخلفاء للسيوطى.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ٦٨ .

(٤) راجع الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ١٧ .

« لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبدود يوم الخندق أفضل من عمل أمري إلى
يوم القيامة »^(١).

(١) فرائد السبطين للحمويبي ج ١ ص ٢٥٩ ح ١٩٨ وراجع مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٤٥ والمناقب
للخوارزمي ص ٥٨ وشواهد التزيل للحسكاني ج ٢ ص ٨ والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٢٧.

الفصل الرابع

تزويج الله لوليه و الخليفة نبيه

فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين ^(١) وأحب عقب النبي إليه ، رضاه من رضاها وسخطه من سخطها ، كما يجمع على ذلك أهل الملة ^(٢) يتمناها كل وجيه ، جمعت كل ما يحتاجه الرجل من المرأة المثلثي . تقدم إليها الخطاب ، ورفض النبي تزويجها ، خطبها أبو بكر الصديق فرفض النبي تزويجها له وخطبها عمر فرفض النبي تزويجها له ^(٣) ، وقال إنه يتظر أمر ربها .

(١) الاستيعاب لابن عبد البر المالكي بهامش الاصابة ج ٤ ص ٣٧٧ و ٢٨٤ و ٢٨٥ والاصابة لابن حجر ج ٤ ص ٣٧٨ واسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير ج ٥ ص ٤٣٧ وذخائر العقبي لحب الدين الطبرى ص ٤ وبنایع المودة للقندوزي الخ.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٥ وما فوق نجد محاورتها مع أبي بكر وعمر واستشهادها بذلك.

(٣) كفاية الطالب للكنجي الشافعى ص ٣٠٢ و ٣٠٤ ومجمع الزوائد للهيثمي الشافعى ج ٩ ص ٢٠٥ و ٢٠٦ وخصائص امير المؤمنين للنسائي ص ١١٤ والصواعق الحرققة لابن حجر الهيثمي ص ١٣٩ ونظم درر السمعطين للزرندى الحنفى ص ١٤٨ وذخائر العقبي لحب الدين الطبرى ص ٢٧ ومناقب علي لابن المغازلى ص ٣٤٦ وتذكرة الحواضن للسبط بن الجوزي ص ٣٠٦ واسد الغابة لابن الاثير ج ١ ص ٣٨ والاصابة لابن حجر العسقلانى ج ١ ص ٣٤٧ وجامع الاصول لابن الاثير ج ٩ ص ٤٧٤ ، وشرح النهج لابن أبي الحميد ج ٣ ص ٢٦١ والسيرة النبوية لربني دحلان بهامش السيرة الخلبية ج ٢ ص ٧ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ١ ص ٣٦٣ والطبقات لابن سعد ج ٢ ص ٢٤٠ ... الخ.

البشارة

وفي يوم من الأيام جاءت البشارة وزفها النبي لاصحابه فقال لهم : (بشرارة أتنى من ربِّي في أخي وابن عمِّي وابنتي بأنَّ الله زوج علياً من فاطمة ...)^(١). ولظلما ذكر النبي فاطمة بهذه النعمة الإلهية ، ولظلما حدث أصحابه بنعمة ربِّ هذه كقوله ٦ لفاطمة (أما ترضين انَّ الله اختار من أهل الارض رجلين احدهما أبوك والآخر بعلك)^(٢) وقالت له مرة (يا رسول الله زوجتني من علي وهو فقير ولا مال له) فيجيبها النبي (يا فاطمة أما ترضين أنَّ الله عز وجل اطلع إلى أهل الأرض فاختار رجلين احدهما أبوك والآخر بعلك)^(٣).

وعاد النبي ٦ فاطمة في مرض أصابها على عهده فقال لها (كيف تجدينك؟) قالت (والله لقد اشتد حزني واشتدت فاقتي وطال سقمي) فقال لها (أما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي سلماً وأكثرهم علمًا ، وأعظمهم حلمًا)^(٤).

الذرية المباركة

أعلن النبي ٦ لل المسلمين : « إنَّ الله جعل ذرية كلِّ نبيٍّ في صلبه وجعل

(١) المناقب للخوارزمي ص ٢٤٦ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٦٠ وينابيع المودة للقندوزي ص ٤٠ واسد الغابة لابن الأثير ج ١ ص ٢٠٦ والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٧١.

(٢) راجع ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١ ص ٢٤٩ وتذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص ٣٠٨ وكنز العمال ج ١٥ ص ٩٥ والرياض النبرة للطبراني ج ٢ ص ٢٤٠ الخ.

(٣) راجع المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٢٩ وتاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة علي ج ١ ص ٢٤٩ وتذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص ٣٠٩ وينابيع المودة للقندوزي ص ٤٢١ وكفاية الطالب للكنجي ص ٢٩٧ وكنز العمال ج ٦ ص ٣٩١ وج ٥ ص ٩٥ واحراق الحق ج ٥ ص ٢٦٦ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٤ ص ١٩٥ و ١٩٦.

(٤) راجع نظم الدرر السمحطين ص ١٨٨ وشرح النهج لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٦١ ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٣١ والرياض النبرة للطبراني ج ٢ ص ٥٥.

ذرتي في صلب علي^(١) وهذا معنى قوله ٦ (كل بني أثى ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فأنا ولهم وأنا عصبهم وأنا أبوهم^(٢) وهذا معنى قوله ٦ أيضاً « وأما أنت يا علي فأخي وأبو ولدي ... »^(٣) قوله مشيراً لعلي (هذا أخي وابن أخي وابن عمي وصهري وأبو ولدي ...)^(٤) وليس صدفة أن تتحضر ذرية النبي بولد فاطمة ، وقد أحضرت الأمة علماً بذلك وعلمت علم اليقين أنه ليس للنبي ولد إلا ولد فاطمة ، وطالما ردد بنشوة عارمة أمام جموع الصحابة (هذا ابني الحسن ، وهذا ابني الحسين ، وإن الله سماهما باسميهما فهما سيداً شباب أهل الجنة في الجنة وريحاناتي من هذه الأمة) . وبالرغم من المحاولات المستميتة لإبادة نسل النبي^٦ في ما بعد ، وبالرغم من سُمِّ الحسن وقتل الحسين ، إلا أنه قد تحدّر من هذه السلالة المباركة إثنا عشر إماماً وآخرهم المهدى المنتظر عجل الله فرجه.

سكن النبي وخليفته من بعده

نظمت العناية الالهية حتى سكن النبي وخليفته من بعده واستقطبت حوله الاسماع والادهان ليقيى هذا التمييز واضحأً.

وقف الرسول خطيباً فقال (إن رجالاً يجدون في أنفسهم شيئاً أن أسكنت علياً في المسجد وأخرجتهم ، والله ما أخرجتهم وأسكنته بل الله اخرجهم واسكنه. ان الله عز وجل قد اوحى إلى موسى ان تبوءا لقومكم بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبله وأقيموا الصلاة وإن علياً مني بمنزلة هارون من موسى وهو أخي ولا يحل لأحد منكم أن ينكح فيه النساء إلا هو)^(٥).

(١) راجع كنز العمال ج ٦ ص ١٥٢ الحديث ٥٢١٠.

(٢) اخرجه الطبراني وهو الحديث ٢٢ من الأحاديث التي اوردها ابن حجر في الفصل ٢ من الصواعق المحرقة ص ١١٢ وراجع ج ٣ ص ١٦٤ من المستدرك للحاكم وقال انه صحيح.

(٣) راجع المناقب للخوارزمي ص ٢٧.

(٤) راجع الغدير للإمامي ج ٣ ص ١١٩.

(٥) راجع المراجعات ص ١٦١ - ١٧٥ وينابيع المؤدة للقندوزي من كتاب فضائل أهل البيت باب ١٨.

وأخرج رسول الله عمه العباس وغيره من المسجد فقال العباس (تخرجنا وتسكن علينا؟)
قال ٦ (ما أخرجتكم وأسكنته ولكن الله أخرجكم وأسكنه) ^(١).

وكان لنفر من أصحاب الرسول أبواب شارعه على المسجد ، فقال ٦ (سدوا هذه الأبواب إلا باب علي) فتكلم الناس في ذلك ، فقام ٦ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (أما بعد فإني أمرت بسد هذه الأبواب إلا باب علي ، فقال فيه قائلهم. واني ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكن أمرت بشيء فأتبعته) ^(٢) وقال (ما أخرجتكم من قبل نفسي ولا أنا تركته إنما أنا عبد مأمور ما أمرت به فعلت ، إن أتبع إلا ما يوحى إلي) ^(٣).

وقال أيضاً : (إن الله اوحى إلى نبيه موسى أن ابن لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا أنت وهارون وإن الله أوصى إلى أن ابن لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا أنا وأخي علي) ^(٤).

علي وصي النبي

فقد أكد النبي ٦ أن الوصي من بعده هو علي ، فقال (هذا أخي ووصيي وخليفي)
وحديث الدار من أصح الآثار ^(٥) ولقد كرر النبي ٦ النص بالوصاية

(١) أخرجه ابن ماجة ج ١ ص ٩٢ من سنته وآخرجه الترمذى والنمسائى فى صحيحيهما وهو الحديث ٢٥٣١ من الكنز ج ٦ ص ١٥٣ وآخرجه أحمى فى مسنده ج ٤ ص ١٦٤ وج ١ ص ١٥١.

(٢) راجع مسنند الإمام أحمى ج ٤ ص ٣٦٩ وآخرجه الضياء المقدسى والطبرانى وراجع منتخب الكنز ج ٥ ص ٣٩ من مسنند الإمام أحمى على الهاشمى.

(٣) أخرجه الطبرانى كما ذكره صاحب منتخب الكنز ج ٥ ص ٢٩ من مسنند الإمام أحمى.

(٤) راجع الصواعق المحرقة ص ١٠٦ لابن حجر المقصد الخامس من مقاصد الآية ٤.

(٥) راجع على سبيل المثال : تاريخ الطبرانى ج ٢ ص ٣٢١ . ٣١٩ والكامل فى التاريخ لابن الاثير ج ٢ ص ٦٢ و ٦٣ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣١١ ومستند الإمام أحمى ج ٥ ص ٤١ و ٤٢ الهاشمى وتاريخ دمشق لابن عساكر ج ١ ص ٨٥ الخ.

حيث قال (لكلنبي وصي ووارث وإن علياً وصي ووارثي)^(١) وكقوله ٦ (لكلنبي وصي ووارث وإن وصي ووارثي علي بن أبي طالب)^(٢) وكقوله ٩ (إن وصي وصي ووضع سري وخير من أترك بعدي ينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب)^(٣) وكقوله لأنس بن مالك (يا أنس اول من يدخل عليك من هذا الباب امير المؤمنين ، وسيد المسلمين وقائد الغر المجلدين وخاتم الوصيين فدخل علي ...) راجع تتمة الحديث^(٤) وكقوله لفاطمة (يا فاطمة أما علمت أن الله عز وجل اطلع على أهل الأرض فاختار منهم أباك فبعثه نبياً ثم اطلع ثانية فاختار بعلك فأوحى إليّ فأنكرحته واتخذته وصيأ)^(٥) وبعد وفاة النبي ٦ احتج الحسن بن علي بالوصية ، فقال في خطبته (... أنا ابن النبي وأنا ابن الوصي)^(٦) وقد شاعت الوصية في الأدب شعره ونشره^(٧) وانظر إلى قول جابر (حدثي وصي

(١) راجع ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٣ ص ٥ ومناقب علي لابن المغازلي ص ٢٠٠ والمناقب للخوارزمي ص ٤٢ وذخائر العقبى للطبرى والميزان للذهبي ج ٢ ص ٢٧٣ وينابيع المودة للقنديوزي الحنفى ص ٢٣٢ و ٢٤٨ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٥ والمناقب للخوارزمي ص ٤٢ والمناقب لابن المغازلي ص ٢٠٠ والميزان للذهبي ج ٢ ص ٢٧٣ ... الخ.

(٣) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٣ وكنز العمال ج ٦ ص ١٥٤ ومسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٣٢ الهاشمى .

(٤) راجع حلية الأولياء لابي نعيم ج ١ ص ٦٣ وشرح النهج ج ٩ ص ١٦٩ تحقيق محمد أبو الفضل ، والمناقب للخوارزمي ص ٤٢ وكفاية الطالب للكجى ص ٢١٢ وميزان الاعتدال للذهبي ج ١ ص ٦٤ وفضائل الحسنة ج ٢ ص ٢٥٤ ومطالب المسؤول لابن طلحة ص ٢١ .

(٥) كفاية الطالب ص ٢٩٦ ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٥٣ والفصل المهمة لابن الصباغ المالكى ص ٢٨١ ومناقب علي لابن المغازلي ص ١٠١ وينابيع المودة ص ٩٢ والغدير ج ٣ ص ٢٣ وملحق المراجعات ص ٢٤٤ .

(٦) ذخائر العقبى ص ١٣٨ .

(٧) راجع وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٢٢٧ و ٣٨٢ و ٤٣٦ والمناقب للخوارزمي ص ٣٨ و ٦٥ و ١٣٤ و ٢٨٨ و مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٢٣٨ والعقد الفريد لابن عبد ربه ج ٤ ص ٤١١ والفصل لابن الصباغ المالكى ص ٨ . وملحق المراجعات يوضح ذلك .

الأوصياء يعني علياً)^(١).

إنكار الوصية

وقد أنكر بخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قد أوصى ، وقد استندا إلى الحديث المنسوب لأم المؤمنين عائشة ، ومفاده أن النبي مات بين سحرها ونحرها وعلى فخذها ولم يوص ، لأن الثابت أن حادثة موت النبي لم تتم بمحنة الصورة ، ولا ينبغي أن تتم عقلاً بها ، بل الثابت أن النبي مات على صدر علي وأن جهوداً جبارة بذلك حتى لا يخلص النبي الموقف لأصحابه ، وأسفرت هذه الجهود عن الحيلولة بين النبي وبين كتابة ما أراد . والبخاري نفسه روى عن ابن عباس أن الرسول قد أوصاهم حيث قال (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزه وسكت عن الثالثة أو قال : فنسيتها)^(٢).

ومن جهة ثانية فإن الرسول لم يمت على الصورة التي نسبت لأم المؤمنين إنما مات على صدر علي ، وتلك حقيقة أقرها الخليفة عمر بن الخطاب . ففي زمان عمر كان الصحابة يجلسون ، فسأل كعب (ما كان آخر ما تكلم به رسول الله؟) فقال عمر (سل علياً) فروى علي كيف مات رسول الله وماذا قال ... ولما حضرته الوفاة قال (ادعوا لي أخي فدعوا علياً ، فقال ادن مني فدنا منه فلم يزل يكلمه حتى فاضت نفسه الزكية فأصابه بعض ريقه)^(٣) والخلاصة أن النبي لم يمت

(١) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٨٣ ، والملحق ص ٢٨٤.

(٢) راجع صحيح بخاري كتاب النبي إلى كسرى وفيصر باب مرض النبي ووفاته ج ٥ ص ١٣٧ دار الفكر.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ٢٦٤ - ٢٦٢ وراجع الحديث ١١٠٧ ص ١٥٥ ج ٤ من كنز العمال والحديث ١٠٠٩ ص ٣٩٢ ج ٦ والحديث ١١٠٦ ص ٥٥ ج ٤ والحديث ١١٠٨ ج ٤ ص ٥٥ من الكنز وراجع ٢ ص ٥١ من الطبقات لابن سعد وص ١٩٦ ج ٢ من شرح النهج وص ٥٦١ مجلد ٢ وص ٢٠٧ و ٥٠٩ ومجلد ٢ من شرح النهج وقد روى هذا الحديث علي ، وابن عباس وام سلمة وعبد الله بن عمر وعلي بن الحسين وسائر الأئمة أهل البيت الكرام.

بالصورة التي نسبوها لأم المؤمنين واستندوا عليها لإنكار الوصية.

اختصاص الولي وخليفة النبي بمزايا خاصة

قال النبي ﷺ لعلي في محضر من أصحابه (يا علي أخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدي وتخصم الناس بسبع ولا يحاجك فيها أحد من قريش :

أنت أولهم إيماناً بالله ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسوية ، وأعد لهم في الرعية ، وأبصرهم بالقضية ، وأعظمهم عند الله مزية)^(١).

وقال النبي ﷺ لاصحابه يوماً : (علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)^(٢) وقال ﷺ يوماً لأصحابه (علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيمة)^(٣).

(١) راجع حلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ ص ٦٥ وراجع ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١ ص ١١٧ ح ١٦٠ ، وراجع الرياض النضرة للطبراني ج ٢ ص ٢٦٢ وراجع مطالب المسؤول ج ١ ص ٩٥ وراجع شرح النهج ج ٩ ص ١٧٣ تحقيق محمد أبو الفضل وراجع المناقب للخوارزمي ص ٧١ وراجع الميزان للذهبي ج ١ ص ٣١٣ ، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٧٠ والغدير للامياني ج ٣ ص ٩٦ وينابيع المودة للقندوزي ص ٣١٥ ومنتخب الكلنر بمحامش مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٣٤ وفائد السبطين ج ١ ص ٢٢٣ ح ١٧٤ .

(٢) راجع المناقب للخوارزمي ص ١١٠ والمعجم الصغير للطبراني ج ١ ص ٥٥ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٣٩٩ والمعجم الصغير للطبراني ج ١ ص ٥٥ وكفاية ابن حجر ص ١٢٢ و ١٢٤ وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٧٣ واسعاف الراغبين المطبوع بمحامش نور الابصار ص ١٥٧ ونور الابصار ص ٧٣ والغدير للامياني ج ٣ ص ١٨٠ وينابيع المودة للقندوزي ص ٤٠ و ٩٠ و ١٨٥ ... الخ. وغاية المرام ص ٥٤٠ والجامع الصغير للسيوطى ج ٢ ص ٥٦ الخ.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١٤ ص ٣٢١ وترجمة الإمام من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٣ ص ١١٩ ح ١١٦٢ وغاية المرام ص ٥٣٩ والإمامية والسياسة ج ١ ص ٧٣ ومنتخب الكلنر بمحامش مسند أحمد ج ٥ ص ٣٠ .

تحصين الولي وال الخليفة من بعد النبي ﷺ

قال النبي ﷺ لعليٍّ في محضر من أصحابه (يا عليٍّ من فارقني فقد فارق الله ومن فارقك يا عليٍّ فارقني) ^(١).

وقال ﷺ (من سب علياً فقد سبني) ^(٢) وقال لأصحابه (من سب علياً فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله ، ومن سب الله أكباه الله على متخرجه في النار) ^(٣) وقال ﷺ لأصحابه (من آذى علياً فقد آذاني) ^(٤) وقال لهم أيضاً : (من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني) ^(٥).

(١) راجع المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٤٦ وذخائر العقبي للطبرى ص ٦٦ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٥ ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٧٨٩ ومناقب علي لابن المغازى ص ٢٤١ والرياض النضرة للطبرى ج ٢ ص ٢٢٠ وبيانباع المودة للقندوزي ص ٩١ والميزان للذهبي ج ٢ ص ١٨ ... الخ.

(٢) خصائص امير المؤمنين للنسائي ص ٢٤ ومناقب للخوارزمي ص ٨٢ وذخائر العقبي للطبرى ص ٦٦ وتاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ١٨٤ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٠ وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٧٣ ومشكاة المصاييف ج ٣ ص ٢٤٥ والفتح الكبير للنهايني ج ٣ ص ١٩٦ ومنتخب الكبير بهامش مستند الإمام أحمد ج ٥ ص ٣٠ .

(٣) راجع ذخائر العقبي للطبرى ص ٦٦ ومناقب للخوارزمي ص ٨١ و ٨٢ ومناقب علي لابن المغازى ص ٨٣ والفصل المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١١١ والرياض النضرة للطبرى ج ٢ ص ٢١٩ ... الخ.

(٤) المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٢٢ وتلخيص المستدرك للذهبي مطبوع بذيل المستدرك ج ٣ ص ٤٨٣ من مستند أحمد وتاريخ دمشق لابن عساكر ج ١ ص ٣٨٩ ترجمة علي وشواهد التنزيل للحسكاني ج ٢ ص ٩٨ ومناقب علي لابن المغازى ص ٥٢ والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٣ ص ٣٧ وذخائر العقبي للطبرى ص ٦٥ والصواعق الحرقية لابن حجر ص ٧٣ و ٧٤ وانساب الاشراف للبلاذري ج ٢ ص ١٤٦ وتاريخ الخلفاء للسيوطى وراجع ص ١٥١ - ١٥٢ من ملحق المراجعات ... الخ.

(٥) راجع الاستيعاب بهامش ج ٣ ص ٣٧ والميزان للذهبي ج ٢ ص ١٢٨ ومناقب علي لابن المغازى ص ١٠٩ والرياض النضرة للطبرى ج ٢ ص ١٦٥ ، ومستند الإمام أحمد ج ٥ ص ٣٠

الفصل الخامس

تتويج الولي خليفة للنبي

١ . المناسبة حجة الوداع

لريح النبي لأصحابه وللوفود التي تقاطرت عليه أن حجته ذلك العام ستكون آخر حجة فتأهب المسلمون من كل حدب وصوب لينالوا ثواب الحجة وشرف الصحبة والوداع ، فتجمع ٩٠ ، ٠٠٠ ألف وقيل ١١٤ ، ٠٠٠ وقيل ١٢٠ مسلم وقيل أكثر. ومن المؤكد أن هذا العدد كان مع النبي في غدير خم ^(١).

٢ . مكان التتويج

قال حذيفة بن أسد الغفاري : لما صدر رسول الله ﷺ من حجة الوداع نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا ، ثم بعث إليهم فقام ما تختمن من الشوك وعمد إليهم فصلٍ ثم قام خطيباً ... ^(٢) وبرواية زيد بن أرقم قال : لما رجع النبي ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم وبرواية البراء بن عازب : كنا مع الرسول فنزلنا بغدير خم ، فنودي فينا الصلاة جماعة ، وكسرح رسول الله تحت شجرين ...) وبرواية سعد بن أبي وقاص : (سمعت رسول الله يوم الجمعة فأخذ بيدي علي وخطب فحمد الله ...) وبرواية سعد أيضاً (كنا مع رسول الله وما بلغ غدير

الهامش ... الخ ، وراجع ملحق المراجعات ص ١٥٣ .

(١) راجع تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي الحنفي ص ٣٠ وراجع السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥٧ . والسيرة النبوية لزيني دحلان بهامش الحلبية ج ٣ ص ٣ والعديري للأمياني ج ١ ص ٩ .
(٢) برؤية الطبراني في المعجم الكبير .

خم ، وقف الناس ثم رد من تبعه وحقق من تخلف ، فلما اجتمع الناس اليه قال النبي ٦ ...
(...) فمن المؤكد ان مكان التتويج أمام الجميع غدير خم.

الأمر الإلهي بتنصيب الولي وال الخليفة من بعد النبي

أهل المدينة ومن حوالها على علم بأن الولي وال الخليفة من بعد النبي هو علي ، ولقد حصلوا هذا العلم من خلال التصريحات المتلاحقة التي صدرت أمامهم من النبي ٦ ، وقد تمت بحضورهم أفراداً وجماعات ، جماعات.

ومدينة هي عاصمة دولة الإسلام ، وأهل المدينة ومن حوالها هم أصحاب الشأن شرعاًً وواقعاًً بتنصيب الولي وال الخليفة من بعد النبي .

فأراد ربك أن يعلموا مجتمعين أن الولي وال الخليفة من بعد النبي هو علي ، فأمر الله نبيه أن يعلمهم بذلك في حجة الوداع فلا حجة بعدها حتى لا تنسى ، وقرب غدير ماء والماء عصب الحياة وسرها في الجزيرة ، وفي مكان يقال له خم ، فلا يوجد في الجزيرة مكان متميز مثله ، ولا يوجد مكان اسمه خم غيره. ولكن إعلان هذا الحدث الكبير أمام هذا العدد بالنسبة لسكان العالم آنذاك يشيرآلاف التساؤلات والاحتمالات والتعديلات ، لأن الذين تكون منهم هذا العدد تفاوتوا بأيمانهم وعلمهم وتقديرهم للأمور ، هذه أمور كان بذهن النبي ٦ وهو يتأنب ويعد لابلاع من معه بالأمر الإلهي ، فأراد ربك أن يثبت فؤاد نبيه وإن يجعل له مبرراً وسطاناً لتبيّن الأمر الإلهي ، القاضي بتنصيب الولي وال الخليفة من بعد النبي فأنزل آية التبليغ.

آية التبليغ

فنزل جبريل سريعاًً ومعه آية التبليغ (يا أيها الرسول بلغ ما أتني إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس والله لا يهدى القوم الكافرين) (١).

فكان مستقبل الرسالة الإسلامية يتوقف على هذا التبليغ. وقد نزلت هذه الآية

(١) سورة المائدة آية ٦٧.

يوم ١٨ من ذي الحجة في غدير خم ، وهو اليوم الذي نصب فيه الرسول ﷺ علياً علماً للناس ، وولياً وخليفة من بعده ، وصادف يوم خميس^(١).

نص قرار تنصيب الولي والخليفة من بعد النبي

١ . النص برواية حذيفة بن اسيد الغفارى وكما أخرجهها الطبرانى في الكبير

يقول حذيفة : ثم قال النبي : (يا أيها الناس إني قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمرنبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله ، وإنني لا أظن أنني يوشك أن أدعى فأجيب ، وإنني مسؤول وإنكم مسؤولون ، فماذا أنتم قائلون؟) قالوا (نشهد أنك قد بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيراً).

(١) راجع ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعى ج ٢ ص ٨٦ وفتح البيان في مقاصد القرآن للعلامة السيد صديق حسن خان ج ٣ ص ٦٣ وشواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت للحاكم الحسكتاني ج ١ ص ١٨٧ الأحاديث ٢٤٣ . ٢٥٠ وراجع اسباب النزول للواحدى ص ١١٥ وراجع الدر المنشور في تفسير القرآن لجلال الدين السيوطي الشافعى ج ٢ ص ٢٩٨ ، وراجع فتح القدير للشوكاتي ج ٢ ص ٦٠ وراجع مطالب المسؤول لابن طلحة الشافعى ج ١ ص ٤٤ وراجع الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٥ وراجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ١٢٠ و ٢٤٩ وراجع الملل والنحل للشهرستاني الشافعى ج ١ ص ١٦٣ وبهامش الفصل لابن حزم ج ١ ص ٢٢٠ وراجع فرائد السمطين للحمويني ج ١ ص ١٥٨ وراج الغدير للعلامة الاميبي ج ١ ص ٢١٤ عن كتاب الولاية في طريق حديث الغدير لابن جرير الطبرى صاحب التاريخ المشهور ، وراجع الإمام للمحاملى وما نزل من القرآن في امير المؤمنين لابى بكر الشيرازي وراجع الكشف والبيان للشعاعى مخطوط. وراجع تفسير النيسأبوري ج ٦ ص ١٦٠ وراجع تفسير القرآن لعبد الوهاب البخارى عند تفسير قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القرى) وراجع الأربعين لجمال الدين الشيرازي ، وراجع مفتاح النجا للبدخشى ص ٤١ وروح المعانى للآلوسى ج ٢ ص ٢٤٨ وراجع تفسير المنار لحمد عبده ج ٦ ص ٤٦٣ ، وراجع ارجع المطالب لعبد الله الحنفى ص ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٥٦٦ و ٥٦٧ و ٥٧٠ واما الشيعة فإنما مجتمعة على ان هذه الآية نزلت يوم ١٨ ذي الحجة في غدير خم وفيها أمر الله نبيه ان يجعل علياً خليفة من بعده واما راجع ملحق المراجعات ص ٧١٧.

فقال : (أليس تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق
وناره حق وأن الموت حق وأن البعث حق بعد الموت ، وأن الساعة آتية لا رب فيها ، وأن
الله يبعث من في القبور؟) قالوا (بلى نشهد بذلك) قال النبي (اللهم اشهد).

ثم قال : (يا أيها الناس إن الله مولا ي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولي بهم من أنفسهم
 فمن كنت مولا فهذا . يعني علياً . مولا لله ولهم وال من واله وعاد من عاده).

ثم قال : (يا أيها الناس إني فرطكم ، وإنكم واردون على الحوض ، حوض أعرض ما
بين بصرى وصنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة ، وإن سائلكم حين تردون على عن
الثقلين فانتظروا كيف تخلفوني فيهما ، الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل طرفه ييد الله وطرفه
بأيديكم فاستمسكوا به ، ولا تضلوا ، وعتري أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أخهما لن
ينقضيا . لن يفترقا . حتى يردا على الحوض) انتهى النص ^(١).

٢ . نص قرار التنصيب برواية زيد بن أرقم

قال زيد : (لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات
فقدم من فقال ﷺ : (كأني دعيت فأجبت ، وإني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من
الآخر كتاب الله تعالى وعترتي

(١) راجع الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي ، وجمع الزوائد للهيثمي الشافعى ج ٩ ص ١٦٤ وترجمة علي من
تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٤٥ ح ٥٤٥ وكنز العمال للمتقى الهندي ج ١ ص ١٦٨ ح ٩٥٩ والغدير
للاميني ج ١ ص ٢٦٠٢٦ وعقبات الانوار مجلد حديث الثقلين ج ١ مجلد ١٢ ص ٣١٢ وج ١ ص ١٥٦
وراجع نوادر الاصول للحكيم الترمذى ص ٢٨٩ وقد حذفت يد الطبع الآئمة هذا الحديث ولم تبق إلا الاشارة اليه
وقد نقل عنه هذا الحديث تماما الرخشى فى كتابه نزل الابرار ص ١٨ وراجع ينایيع المودة للفتنوزي الحنفى ص
٣٧ ويوجد بلفظ آخر في الفصول المهمة لابن الصباغ المالكى ص ٢٩ ومناقب علي لابن المغازى ص ١٦ ح
٢٣ وكنز العمال ج ١ ص ١٦٨ ح ٩٥٨ برواية زيد.

أهل بيتي فانظروا كيف تختلفون فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، ثم قال : إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ثم أخذ بيدي علي فقال : من كنت مولاه فهذا بيدي اللهم وال من والاه وعد من عاده)^(١) انتهى النص.

٣ . نص قرار التنصيب برواية البراء بن عازب

قال البراء كنا مع رسول الله فنزلنا بعدير خم فنودي الصلاة جامعة ، وكسر لرسول الله تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيدي علي فقال (ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟) قالوا : بلى . قال (ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟) قالوا : بلى . قال : وأخذ بيدي علي فقال (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعد من عاده) قال : فلقيه عمر بعد ذلك فقال له : هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وامسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة . انتهى النص^(٢) .

٤ . نص قرار التنصيب برواية سعد بن أبي وقاص

سمعت رسول الله ﷺ يوم الجمعة ، فأخذ بيدي علي وخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (أيها الناس إني وليكم) قالوا (صدقت يا رسول الله) ثم رفع يده علي فقال (هذا ولبي وبؤدي عني وأنا مولاي من والاه ومعادي من عاده^(٣) .

(١) خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٩٣ وص ٢١ والمناقب للخوارزمي ص ٩٣ وبنایع المودة للقنديزي ص ٣٢ والغدیر لللامینی ج ١ ص ٣٠ وکنز العمال للمتنقی الهندي ج ١٥ ص ٩١ ح ٢٥٥ وعقبات الانوار حدیث الشفیلین ج ١ ص ١١٧ و ١٢١ و ١٤٤ و ١٥٢ و ١٦١ .

(٢) راجع ذخائر العقی للطبری الشافعی ص ٦٧ وفضائل الخمسة ج ١ ص ٣٥ والریاض النضرة للطبری الشافعی ج ٢ ص ٢٣ والفصل المهمة لابن الصباغ المالکی ص ٢٤ وراجع الحاوی للفتاوی جلال الدین السیوطی ج ١ ص ١٢٢ وکنز العمال ج ١٥ ص ١١٧ وملحق المراجعات ١٧٦ وقربی منه ترجمة علی من تاریخ دمشق لابن عساکر ج ٢ ص ٤٧ ح ٥٤٩ - ٥٤٦ و ٥٥٠ وانساب الاشراف للبلاذری ج ٢ ص ٢١٥ والمناقب للخوارزمی الحنفی ص ٩٤ والغدیر لللامینی ج ١ ص ١٨ - ٢٠ وفائد السمعطین ج ١ ص ٦٤ و ٦٥ و ٧١ وملحق المراجعات ١٧٦ .

(٣) خصائص أمیر المؤمنین للنسائي ص ١٠١ وفضائل الخمسة ج ١ ص ٣٦٥ والبداية والنهاية ج ٥

٥ . قرار تنصيب برواية ثانية لسعد

كنا مع رسول الله فلما بلغ غدير خم وقف الناس ثم رد من تبعه ولحق من تخلف ، فلما اجتمع الناس إليه قال (أيها الناس من وليكم؟) قالوا (الله ورسوله ثلاثة) ثم أخذ ييد علي فأقامه ، ثم قال (من كان الله ورسوله وليه فهذا ولله ولهم وال من والاه وعد من عاده)^(١) انتهى النص.

فهم مضمون القرار وتقبل التهاني

فهم الحاضرون في غدير خم مضمون القرار ، وأقبلوا على الولي و الخليفة النبي يقدمون له التهاني بتلك النعمة الإلهية وكان من أبرز المهنئين عمر بن الخطاب حيث قال علي بالحرف (بخ بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم)^(٢) وقال ثانية وبالحرف (هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة)^(٣).

ص ٢١٢ والغدير ج ١ ص ٣٨ و ٤١ وملحق المراجعات ص ١٧٦ .

(١) خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ١٠١ وفضائل الخمسة ج ١ ص ٣٦٥ واسعاف الراغبين بحاش نور الابصار ص ١٤٩ والرياض النصرة للطبراني الشافعي ج ٢ ص ٢٨٢ وملحق المراجعات .

(٢) راجع ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٧٥ ح ٥٧٥ و ٥٧٧ و ٥٧٨ ومناقب علي لابن المغازلي ص ١٨ ص ٢٤ والمناقب للخوارزمي الحنفي ص ٩٤ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٨ ص ٢٩٠ وشواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ١ ص ١٥٨ ح ٢١٣ وسر العالمين لابي حامد الغزالى ص ٢١ واحقاق الحق ج ٦ ص ٢٥٦ والغدير لللاميني ج ١ ص ١٣٢ وفائد السمطين ج ١ ص ٧٧ .

(٣) ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٥٠ ح ٥٤٨ و ٥٤٩ و ٥٥٠ والمناقب للخوارزمي الحنفي ص ٩٤ ومسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٢٨١ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٤ والحاوي للفتاوى للسيوطى ج ١ ص ١٢٢ وذخائر العقى ص ٦٧ وفضائل الخمسة ج ١ ص ٣٥٠ وفضائل الصحابة للسمعاني ، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٩٧ وعلم الكتاب لخواجة الحنفي ص ١٦١ ونظم درر السمطين للزرندى الحنفى ص ١٠٩ وينابيع المودة للقندوزي الحنفى ص ٣٠ و ٣١ و ٢٤٩ وتفسير الفخر الرازى

وطوال حياة عمر لم ينس هذا اليوم : قيل له وهو خليفة (إنك تصنع لعلي شيئاً لا تصنعه بأحد من أصحاب النبي). فقال عمر (إنه مولاي)^(١) واختصم أعرابيان إلى عمر ، فالتمس من علي القضاء بينهما ، فقال أحدهما (هذا يقضي بيننا؟) فوثب إليه عمر وأخذ بتلبيه وقال (ما تدرى من هذا؟ هذا مولاك ومولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن)^(٢).

نصوص مبتسرة لقرار التنصيب الخالد

يجمع أهل السنة على أن الرسول ﷺ قد قال لعلي يوم غدير خم :

النص الأول

(من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاده وانصر من

ص ٦٣ وتذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي ص ٢٩ وراجع مشكاة المصايح ج ٣ ص ٢٤٦ وعيقات الانوار قسم حديث الثقلين ج ١ ص ٢٨٥ وفرائد السقطين للحمويني والغدیر ج ٣ ص ٢٧٢ وعيقات الأنوار قسم حديث شيبة والمسند الكبير لابن العباس الشيباني والمسند لأبي يعلي الموصلي وتفسير ابن مردوه والكشف والبيان للشعلي ، وراجع الرياض النضرة للطبراني ج ٢ ص ١٦٩ وكفاية الطالب في حياة علي بن أبي طالب للشنقيطي ص ٢٨ والمناقب لابن الجوزي الحنبلي والخصائص العلوية للنطزري ووسيلة المتعبدین لعمر بن الملا والبداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٢١٢ والخطسط للمقرئي ص ٢٢٣ وبديع المعانى للاذرعى الشافعى ص ٧٥ وشرح ديوان امير المؤمنين للمبیدي ص ٤٠٦ وكتنز العمال ج ٦ ص ٣٩٧ ووفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى للسمهودي الشافعى ج ٢ ص ١٧٣ والصراط السوى في مناقب آل النبي لمحمود الشیخانی المدنی ... الخ.

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي ص ٢٦ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٨٢ ح ٥٨١ والرياض النضرة لحب الدين الطبراني ج ٢ ص ٢٢٤ والملاحق ص ٢١٢ .

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٠٧ وذخائر العقبي للطبراني ص ٦٨ والمناقب للخوارزمي الحنفي ص ٩٨ والرياض النضرة للطبراني ج ٢ ص ٢٢٤ والغدیر ج ١ ص ٣٨٢ والملاحق للمراجعات ص ٢١٢ .

نصره واخذل من خذله)^(١).

النص الثاني

(من كنت مولاه فهذا علي مولاه).

النص الثالث

(من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاده)^(٢).

وأنت تلاحظ أن هذه النصوص فككت قرار التنصيب فاعترفت بمكان وقوعه غدير خم وتناسب حجم الجمع الذي سمع القرار وأنه باخر حجة للنبي ، وكان قرار التنصيب من القوة بحيث أنه فرض خلاصته فرضاً ، وبالرغم من أن مسبة علي كانت واجباً رسمياً على رعاية الدولة الأموية ، وبالرغم من أن هذه الدولة كانت تملك سيطرة فعلية على موارد الدولة وإمكانياتها ووسائل اعلامها ، إلا أنها عجزت تماماً عن طمس هذا القرار بل بقيت خلاصته خالدة مع الأيام وشاهدة على غدر الأمة بولي عهد النبي وخليفته من بعده. والله عاقبة الأمور.

(١) على سبيل المثال :

تاریخ دمشق لابن عساکر ج ٢ ص ١٣ ح ٥٠٨ و ٥١٣ . ٥١٥ . ٥١٦ ... وکنز العمال ج ٦ ص ٤٠٣
وخصائص امير المؤمنين للنسائي ص ٩٦ والفصل في الملل والنحل لابن حزم ج ١ ص ٢٦٠ ، والهامش ومسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٣٢ الهامش وانساب الاشراف للبلاذري ج ٢ ص ١١٢ والمناقب للخوارزمي ص ٢٤٩
والملحق ص ١٨٣ ... الخ.

(٢) صحيح الترمذی ج ٥ ص ٢٩٧ وتاریخ دمشق لابن عساکر ج ١ ص ٢١٣ وجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٣
والخصائص للنسائي ص ٩٤ والمستدرک على الصحيحین للحاکم ج ٣ ص ١١٠ وصححه وجامع الاصول لابن الاثير ج ٩ ص ٤٦٨ والمناقب للخوارزمي ص ٧٩ وتلخيص المستدرک للذهبي ج ٣ ص ١١٠ الهامش وحلیة الاولیاء ج ٥ ص ٢٦ والدر المنشور للسيوطی ج ٥ ص ١٨٢ وتاریخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ١٩٦ وتاریخ بغداد للبغدادی ج ٨ ص ٢٩٠ ... الخ.

حديث الغدير وواقعة التنصيب يقين

فقد رواه الإمام أحمد بن حنبل من حنبيل من ٤٠ طریقاً ورواه ابن حجر من ٧٢ طریقاً والجزري المقری من ٨٠ طریقاً وابن عقدة من ١٠٥ طرق وأبو سعيد ، السجستاني من ١٢٠ طریقاً وأبو بكر الحصabi من ١٢٥ طریقاً ومحمد اليماني قال إن له ١٥٠ طریقاً ورواه أبو العلاء العطار الهمداني من ٢٥٠ طریقاً^(١).

وأهل الشيعة قاطبة يؤمّنون أنّ حديث الغدير يقين لا ريب فيه ، وأنّ عملية تنصيب الولي وال الخليفة من بعد النبي في غدير خم لا ريب فيها.

وأهل السنة قاطبة يعترفون بحديث الغدير ويفسرونها يقيناً بصدوره عن النبي ، ولكنهم تبنوا تأويل الحكم للحديث ولواقعة التنصيب ، إذ اعتبر الحكم أنّ الحديث إن صح مجرد فضيلة من فضائل علي ، لا تقدم ولا تؤخر ، وورثوا هذه المقوله وهذا التأويل كما يورث المتّاع ، واعتبروا هذا الرأي تقليداً سنه السلف ولا يجوز الخروج عليه ، لأنّهم لو قالوا غير ذلك لسحبوا بساط الشرعية من تحت أقدام بني أمية وبني العباس وبني عثمان ، وقد تمت عملية سحب بساط الشرعية إلى غير هؤلاء ، ولكن في ذلك إثبات بأنّ الشيعة على حق ، وكيف تكون الشيعة على حق وقد ورثوا من الحكم أنّ الشيعة أعداء الدين.

عيد يوم الغدير

لقد اتّخذ المسلمون يوم الغدير عيداً في الأزمنة المتقدمة ، وكانوا يحتفلون به في كل عام ، ولما آلت الأمور لأعداء أهل البيت أحجم المسلمون عن الاحتفال بهذا اليوم وتناسوه الأجيال اللاحقة تحت ضغط الحكم رغبة أو رهبة ، وما زال هذا اليوم عيداً من أعظم أعياد شيعة علي وللآن^(٢).

(١) راجع الغدير للأميّني ج ١ ص ١٤ - ٢١٣ . وعقبات الأنوار في حديث الغدير وغاية المرام وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٥ - ٩٠ . وملحق المراجعات ص ١٨٢ .

(٢) راجع الغدير للعلامة الأميّني ج ١ ص ٢٦٧ نقله عن الآثار الباقيّة في القرون الخالية للبيروني ص ٣٣٤ . وراجع مطالب المسؤول لابن طلحة الشافعي ج ١ ص ٤٤ ، ووفيات الاعيان لابن

صوم يوم الغدير

أبو هريرة قال : (من صام يوم الثامن عشر من ذي الحجة كتب الله له صيام ستين شهراً ، وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي ﷺ يد علي فقال : (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاده وانصر من نصره) فقال عمر بن الخطاب (بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم)^(١).

خلكان ج ١ ص ٩٠ وترجمة المستعلي بن المتصر ج ١ ص ٢٢٣ في ترجمة المتصر بالله العبيدي وراجع ملحق المراجعات ص ٩٢.

(١) ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٧٥ ح ٥٧٥ وشواهد التنزيل للحسكاني ج ١ ص ١٥٧ ح ٢١٠ و ٢١٣ والغدير للامياني ج ١ ص ٤٠٢ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٢٩٠ وفائد السمعطين للحمويني ج ١ ص ٧٧ ب ١٣ وملحق المراجعات ص ١٩٣ - ١٩٢.

الفصل السادس

بتنصيب الإمام كمل الدين وقت النعمة

بعد أن نصب رسول الله ﷺ علياً بن أبي طالب أمام هذا الجمع الحاشد إماماً وخليفة على أمته كمل الدين وقت النعمة الإلهية ، فالمنظومة الحقوقية الإلهية مكتملة ، والولي من بعد النبي ﷺ قد نصب ، فيمكن للنبي أن يترك الدنيا وهو مطمئن على دينه وعلى أمته ، فما على الولي المنصب علي إلا أن يتبع المشوار وفق المنهج الذي علمه النبي إياه طوال ثلاث وعشرين عاماً.

وبعد أن نصب النبي خليفته من بعده نزلت آية الإكمال^(١) :

(١) ترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٧٥ ح ٥٧٨ - ٥٧٥ و شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ١ ص ١٥٧ ح ٢١٥ - ٢١١ ومناقب علي لابن المغازلي ص ١٩ ح ٢٤ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٨ ص ٢٩٠ والدر المشور للسيوطى ج ٢ ص ٢٥٩ والاتقان للسيوطى ج ١ ص ٢١ والمناقب للخوارزمي ص ٨٠ وتدكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص ٣٠ وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٤ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ١١٥ وفائد السبطين للحمويي ج ١ ص ٧٢ و ٧٤ و ٣١٥ ، وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٥ والغدير للاميبي ج ١ ص ٢٣٠ وكتاب الولاية لابن جرير الطبرى وصاحب التاريخ ، ومفتاح النجا للبدخشى ، وما نزل من القرآن في علي لابي نعيم الاصبهانى ، وكتاب الولاية لابي سعيد السجستاني والخصائص العلوية لابي الفتح النطري وتوضيح الدلائل على ترجيح الفضائل لشهاب الدين أحمد وتاريخ ابن كثير الدمشقي ج ٥ ص ٢١٠ والمناقب لعبد الله الشافعى ص ١٠٦ مخطوط ، والكشف والبيان للشعلي مخطوط وروح المعانى للآلوسى ج ٦ ص ٥٥ والبداية والنهاية لابن الأثير ج ٥ ص ٢١٣ وج ٧ ص ٣٤٩ وأما الشيعة فهم جمعون على ذلك راجع ملحق المراجعات ص ١٨٨ - ١٨٩ .

(**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَقْمَتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتْ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**)^(١).

فلو أن النبي فارق الدنيا ولم ينصب الإمام وال الخليفة من بعده ولم يبين كيفية انتقال منصب الإمام لنا في ذلك كمال الدين وقام النعمة ، لأن الإمام هو القائم مقام النبي ، والنبي هو أساس نظام الدين ونظام الدنيا وهو محور كل تحرك.

وقد اكتشف الحكام ذلك ، فلم يصدق على الإطلاق أن مات حاكم دون أن يعين عملياً الحاكم الخليفة الذي يليه ، وقالوا : (إن هذا حق مطلق لهم) أنسظر إلى قول ابن خلدون عن الخليفة :

(فهو ولهم والأمين عليهم ينظر لهم ، ذلك في حياته ويتابع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ويقيم لهم من يتولى أمرهم كما كان هو يتولاهم ويتحققون بنظره لهم في ذلك ، كما وثقوا به في ما قبل ...) ^(٢).

فإذا لم يعين الخليفة القائم من يخلفه من بعده لكان موضع لوم ، انظر بربك إلى قول عبد الله بن عمر لأبيه : (يا أمير المؤمنين استختلف على أمّة محمد ، فإنه لو جاءك راعي إبلك أو غنمك وترك إبله أو غنمته لا راعي لها للّمته وقلت له : كيف تركت أمانتك ضائعة ، فكيف يا أمير المؤمنين بأمّة محمد) ^(٣).

ثم انظر قول عائشة أم المؤمنين لعبد الله بن عمر : (يا بني أبلغ عمر سلامي وقل له : لا تدع أمّة محمد بلا راع ، استختلف عليهم ولا تدعهم بعده هملاً ، فإني أخشى عليهم الغشة) . فأتى عبد الله فأعلمه فقال (ومن تأمري أن تستخلف ؟ ... الخ) ^(٤).

كل الخلفاء طوال التاريخ أدركوا بأن ترك الخليفة القائم للأمة دون أن يعين من يخلفه ، عمل ينافي الحكمة ، ويفتح باب الفتنة ، ويعرض من يفعل ذلك اللوم ، كما

(١) سورة المائدة آية ٣.

(٢) راجع مقدمة ابن خلدون فصل ٣٠ ص ١٢٠.

(٣) راجع مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٣٥٣.

(٤) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٢٣.

يتعرض الراعي عندما يترك غئمه أو إبله. وعائشة أم المؤمنين امرأة أدركت ذلك ، وقد بينت ذلك في باب المرجعية ووثقته.

لطف نفسي على الإسلام فكيف يدرك كل هؤلاء الناس هذه الناحية ولا يدركها رسول الله؟!

كيف يؤمن كل حاكم على تعين من يليه ولا يؤمن رسول الله؟!
كان أمام الذين أعمالهم التقليد ، واحد من طريقين : إما دين محمد كما بينه للناس ، وإما الدين كما فهمه الحكام ، فاختاروا دين الحكام لأنهم مع من غالب : (نحن مع من غالب) تلك مقوله عبد الله بن عمر التي تحولت إلى نص شرعي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فمن يعينه الحاكم من بعده سيحكم ومن يغلب كائناً من كان يحكم أمة محمد! والله عاقبة الأمور .

الترتيب الإلهي لانتقال منصب الإمام بعد وفاة الولي

الله أنزل القرآن كرسالة وعقيدة إلهية إلى بني البشر ، وكضرورة من ضرورات بيان وتوضيح هذه العقيدة ، أنزل هذا القرآن على محمد ﷺ بالذات لأنه المعد من قبل الله ليكون الأعلم بالعقيدة والأفهم لأحكامها ، تلك العقيدة التي هي بمثابة الجموعة القانونية النافذة ولأنه هو الأفضل من بين أتباع هذه العقيدة ، وأنه من جهة ثالثة هو الأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع في الحال والمال. ومن هنا فقد كان النبي هو مرشد الدعوة وعندما تمخضت الدعوة عن دولة ترأس محمد الدعوة نفسه. وسيرة محمد سنة وجزء من العقيدة سواء قوله أو فعله أو تقريره ولا أحد في الدنيا كلها ينوب عن محمد بهذه المهمة ولا أحد يغنى عنه أو يسد مسده أثناء حياته المباركة. محمد كمرشد للدعوة ، وكقائد للدولة هو مركز الدائرة وقائد الأمة ومرجعها في كافة الشؤون الدينية والدينية.

من هو صاحب الاختصاص بتعيين النبي الإمام؟

إن صاحب الاختصاص بتعيين الإمام هو الله سبحانه وتعالى لأن أول ولي وإمام ورئيس للدولة الإسلامية هو محمد ﷺ وقد عينه الله في هذا المنصب ، لأنه هو الأعلم بالعقيدة والأفهم لأحكامها ، والأفضل بين أتباعها ،

والأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع وتطبيق أحكام العقيدة عليهم ، ولأنه لا أحد يعرف على وجه الجرم واليقين المتصف بهذه الصفات إلا الله ، لذلك حصر بنفسه حق اختبار هذا الإمام ، أو المرجع أو الولي وتقديمه للناس ، وخَوَّلَ هذا الإمام صلاحية بيان العقيدة في كل زمان وصلاحية المرجعية وصلاحية الجمع بين الولاية على الأتباع والمرجعية في الدين والدنيا ، والحكم بين الناس على ضوء أحكام هذا الدين عليه.

من هو هذا الإمام؟

إمام الأمة في كل زمان هو عميد أهل بيته ، لماذا عمادة أهل البيت بالذات؟ لأن القرآن ثقل وأهل البيت ثقل آخر ، وإن الهداية لا تدرك إلا بالتمسك بالثقلين ، والضلالة على المدى البعيد ، وبالتالي لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بالثقلين ، وهذا ليس اجتهاداً ، إنما هو نص شرعي ثابت في القرآن والسنة بفروعها الثلاثة القول والفعل والتقرير (١) ولأن الله يبين لنا أنهم للمسلمين بمثابة سفينه نوع من ركبها في كل زمان نجا ومن تخلف عنها غرق (٢) ولأنهم من جهة ثلاثة الأمان من الاختلاف وقد أعدهم الله لذلك (٣) ولأنهم ذرية محمد ، فكل نبي من الأنبياء جعل الله ذريته في

(١) راجع على سبيل المثال :

راجع صحيح الترمذى ج ٥ ص ٣٢٨ ، وصحىح مسلم باب فضائل علي ج ٢ ص ٣٦٢ و ١٥ ص ١٨١ بشرح النووي وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ١١٣ ومصابيح السنة للبغوي ص ٢٠٦ وجامع الأصول لابن الأثير ج ١ ص ١٨٧ وإحياء الميت للسيوطى بخامش الاتحاف ص ١١٤ والفتح الكبير للبنهاي ج ١ ص ٥٠٣ والصواعق المحرقة لابن حجر ١٤٧ و ٢٢٦ والدر المنشور للسيوطى ج ٦ و ٣٠٦ وذخائر العقى للطبرى ص ١٦ والمعجم الصغير للطبرانى ج ١ ص ١٣٥ وكنز العمال ج ١ ص ١٥٤ والطبقات لابن سعد ج ٢ ص ١٩٤ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٢١ الخامش لنبي دحلان وخصائص امير المؤمنين للنسائي ص ٢١ ... الخ.

(٢) راجع على سبيل المثال : تلخيص المستدرك للذهبي بذيل المستدرك والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٨٤ و ٢٣٤ و تاريخ الخلفاء للسيوطى واسعاف الراغبين للصبان الشافعى ص ١٠٩ وجمع الزوائد للبهشمى ج ٩ ص ١٦٨ والمعجم الصغير للطبرانى ج ٢ ص ٢٢ و حلية الاولى لابي نعيم ج ٤ ص ٣٠٦ والجامع الصغير للسيوطى ج ٢ ص ١٣٢ ومسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٩٢ الخامش.

(٣) راجع الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٤٠ وإحياء الميت للسيوطى بخامش وذخائر العقى

صلبه ، وجعل ذرية محمد في صلب علي ومن بطن فاطمة ^(١).

من هو صاحب الاختصاص بتعيين الخليفة من بعد النبي الإمام؟

الأعلم بالعقيدة والأفهم لأحكامها ، والأفضل بين أتباعها والأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع ، وتطبيق أحكام العقيدة ، ولا أحد يعرفه على وجه الجزم واليقين إلا الله سبحانه وتعالى ، لذلك فهو المختص بتعيين الخليفة من بعد النبي ، ومن هنا فإن الله قد اختار علياً بن أبي طالب خليفة وإماماً ومرجعاً للأئمة بعد نبيها ، وأمر الله رسوله أن يعد خليفته وأن يوطد له ، حتى أصبح الأعلم بعد النبي ، والأفهم بعد النبي والأفضل بعد النبي والأنسب بعد النبي ، وهو المؤهل والمخلول بممارسة كافة الوظائف الدينية والدنيوية التي كان يمارسها الرسول باستثناء النبوة فلا نبي بعده ، وقد بين الله لنا من خلال رسوله أن علياً مع الحق والحق مع علي ، يدور حيث دار ، لذلك ، هو موضع ثقة على حد تفسير ابن خلدون في الفصل ٣٠ من مقدمته.

من هو المختص بتعيين الخليفة الذي يلي خليفة النبي

طالما أن الخليفة بعد النبي مباشرة علي بن أبي طالب على الحق ومع الحق ، وأن الحق معه يدور حيث دار ، وطالما أنه مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتى يردا الحوض على النبي ^٦ ، وطالما أنه الأفضل والأنسب بين الأتباع ، والأعلم والأفهم بشهادة الله ورسوله فهو المخلول بتعيين الخليفة الذي يليه ، وكل إمام يعين بنص من سبقه فهم أبناء النبي بنص القرآن الكريم ، وآية المباهلة تصفع كل مكابر على وجهه وتلوي أنفه ، فعندما نزل قوله تعالى : (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نتباهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) ^(٢) وقد

للطبرى ص ١٧ والجامع الصغير للسيوطى ج ٢ ص ١٦١ والفتح الكبير للنبهانى ج ٣ ص ٣٦٧ ومسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٩٢ وإسعاف الراغبين للصيابان الشافعى بهامش نور الأنصار ص ١٢٨ ... الخ.

(١) راجع الصواعق المحرقة ص ١١٢ وج ٣ ص ١٦٤ من الحاكم وقال انه جمع ، وراجع كنز العمال ج ٦ ص ١٥٢ والمناقب للخوارزمى ص ٢٧ .

(٢) آية ٦١ من سورة آل عمران.

أجمعـت الأمة عـلـى أـن هـذـه الآيـة نـزـلت عـلـى النـبـي ﷺ فـي فـاطـمـة وـالـحـسـن وـالـحـسـين :^(١)
فـالـحـسـن وـالـحـسـين بـحـكـم هـذـه الآيـة وـحـدـهـا أـوـلـادـهـ ، فـبـأـي حـدـيـث بـعـدـه تـؤـمـنـونـ؟! وـأـي لـغـةـ
يمـكـنـ أـن تـحـمـلـنـا عـلـى تـرـكـ التـقـلـيدـ وـاتـبـاعـ الـحـقـ وـإـعـمـالـ الـعـقـلـ!!

وـلـأـنـمـ عـلـى الأـقـلـ مـنـ قـرـيشـ ، وـقـرـيشـ عـشـيرـةـ النـبـي ﷺ وـالـخـالـافـةـ فـي قـرـيشـ^(٢) وـنـاصـيـةـ
قـرـишـ بـالـنـصـ الشـرـعـيـ هـمـ بـنـوـ هـاشـمـ ، وـنـاصـيـةـ هـاشـمـ هـمـ بـنـوـ عـبـدـ الـمـطـلـبـ ، وـنـاصـيـةـ عـبـدـ
الـمـطـلـبـ هـمـ مـحـمـدـ وـأـهـلـ بـيـتـهـ^(٣) لـأـنـ اللـهـ قـدـ طـهـرـهـمـ ، وـآـيـةـ التـطـهـيرـ لـاـ تـخـفـىـ عـلـىـ أـحـدـ ، فـإـنـ
قـالـواـ إـنـهـاـ فـيـ النـسـاءـ فـكـيـفـ تـكـوـنـ أـزـوـاجـ الرـجـلـ طـاهـرـاتـ وـأـوـلـادـ غـيـرـ ذـلـكـ!! أـوـ عـلـىـ أـقـلـ مـنـ
بـابـ رـدـ الإـحـسانـ ، لـأـنـمـ حـوـصـرـوـ ثـلـاثـ سـنـينـ فـيـ شـعـابـ أـبـيـ طـالـبـ.

(١) راجـعـ صـحـيـحـ مـسـلـمـ بـفـضـائـلـ عـلـىـ جـ ٢ـ صـ ٣٦٠ـ وـجـ ١٥ـ صـ ١٧٦ـ بـشـرحـ النـوـويـ وـصـحـيـحـ التـرمـذـيـ جـ
٤ـ صـ ٢٩٣ـ وـالـمـسـتـدـرـكـ عـلـىـ الصـحـيـحـيـنـ لـلـحـاكـمـ جـ ٣ـ صـ ١٥٠ـ وـصـحـحـهـ وـمـسـنـدـ الـإـمامـ أـحـمـدـ جـ ١ـ صـ ١٨٥ـ
وـتـرـجـمـةـ عـلـىـ مـنـ تـارـيـخـ دـمـشـقـ لـابـنـ عـسـاـكـرـ جـ ١ـ صـ ٢١ـ وـتـفـسـيـرـ الطـبـرـيـ جـ ٣ـ صـ ٢٩٩ـ وـ ٣٠٠ـ وـالـكـشـافـ
لـلـزـمـشـريـ جـ ١ـ صـ ٣٦٨ـ ٣٧٠ـ ٣٧١ـ وـتـفـسـيـرـ اـبـنـ كـثـيـرـ جـ ١ـ صـ ٣٧١ـ ٣٧٢ـ ٣٧٣ـ وـتـفـسـيـرـ الـقـرـطـيـ جـ ٤ـ صـ ١٠٤ـ
وـاحـكـامـ الـقـرـآنـ لـلـجـاصـاصـ جـ ٢ـ صـ ٢٩٥ـ ٢٩٦ـ ٢٩٧ـ وـاسـبـابـ النـزـولـ لـلـواـحـدـيـ صـ ٥٩ـ وـاحـكـامـ الـقـرـآنـ لـابـنـ الـعـرـيـ
جـ ١ـ صـ ٢٧٥ـ وـالـتـسـهـيلـ لـلـعـلـومـ التـنـزـيلـ لـلـكـلـيـ جـ ١ـ صـ ١٠٩ـ وـزادـ المـسـيـرـ لـابـنـ الجـوزـيـ جـ ١ـ صـ ٣٩٩ـ وـفـتحـ
الـقـدـيرـ لـلـشـوـكـانـيـ جـ ١ـ صـ ٣٤٧ـ وـتـفـسـيـرـ الفـخرـ الرـازـيـ جـ ٢ـ صـ ٦٩٩ـ وـتـارـيـخـ الـخـلـفـاءـ لـلـسـيـوطـيـ صـ ١٩٦ـ وـالـدرـ
الـمـشـورـ لـلـسـيـوطـيـ جـ ٢ـ صـ ٣٩ـ ٣٨ـ وـالـصـوـاعـقـ الـمـحرـقةـ لـابـنـ حـجـرـ صـ ٧٢ـ وـالـمـنـاقـبـ لـلـخـوارـزمـيـ صـ ٦٠ـ وـ ٩٦ـ
وـالـفـصـولـ الـمـهـمـةـ لـابـنـ الصـبـاغـ الـمـالـكـيـ صـ ١١٠ـ وـاسـدـ الـغـابـةـ لـابـنـ الـاثـيـرـ جـ ٤ـ صـ ٢٦ـ وـالـاـصـابـةـ لـابـنـ حـجـرـ
الـعـسـقـلـانـيـ جـ ٢ـ صـ ٥٠٩ـ وـمـشـكـاةـ الـمـاصـابـحـ لـلـعـمـرـيـ ...ـ الخـ.

(٢) راجـعـ كـنـزـ الـعـمـالـ جـ ١٢ـ صـ ٢٥ـ نـقـلـهـ عـنـ أـحـمـدـ فـيـ مـسـنـدـهـ وـعـنـ الطـرـابـيـ فـيـ الـكـبـيرـ وـعـنـ الـبـيـهـقـيـ فـيـ السـنـنـ وـعـنـ
الـحـاكـمـ فـيـ الـمـسـتـدـرـكـ وـقـدـ روـيـ قـرـابةـ مـائـةـ حـدـيـثـ تـفـيـدـ أـنـ الـأـمـرـ فـيـ قـرـيشـ وـقـدـ روـيـ هـذـهـ الـأـحـادـيـثـ كـلـ أـصـحـابـ
الـسـنـنـ رـاجـعـ الـأـحـادـيـثـ ٣٣٧٨٩ـ ٣٣٨٩٠ـ جـ ١٢ـ مـنـ الـكـنـزـ.

(٣) كـنـزـ الـعـمـالـ جـ ٢ـ صـ ٤٣ـ نـقـلـهـ عـنـ الـحـاكـمـ فـيـ مـسـتـدـرـكـهـ وـعـنـ الـبـيـهـقـيـ فـيـ سـنـنـهـ وـعـنـ الطـرـابـيـ فـيـ الـكـبـيرـ وـعـنـ
ابـنـ عـسـاـكـرـ فـرـاجـعـ جـ ١٢ـ صـ ٤٣ـ وـ ٥٨ـ مـنـ الـكـنـزـ لـلـمـتـقـيـ الـهـنـدـيـ.

وهوؤلاء الأئمة اثنا عشر^(١) وهوؤلاء هم الأئمة الأطهار وليسوا الحكام ، لأن الحكام من قريش بملئيات وليسوا اثني عشر فقط^(٢).

الحكمة من حصر الإمامة بأولاد محمد

لأن الله طهرهم وأعدهم لذلك فلا خطر على الأمة منهم ، ولقطع دابر التنافس والخلاف على منصب الإمامة ، إذ بغيرهم يتحول الملك لمن غالب ، فيحكم أمة محمد الغالب بغض النظر عن دينه وعلمه وأمانته ، فإذا كان منصب الإمام محصور بعمادة أهل البيت تطيب نفوس الجميع ، لأن حاكمهم هو ابن النبي ﷺ ، فيعم الاستقرار وتحنّا النفوس وتحدأ الأطماع.

دور الأمة بتعيين الإمام

الأمة المؤمنة الجادة الصادقة الوعية تبحث عن الأعلم بالعقيدة والأفهم لأحكامها ، لأن هذه العقيدة هي المنظومة الحقوقية الإلهية ، وهي بمثابة القانون النافذ والمُسؤول الأول عن تطبيق هذا القانون هو الإمام ، فإذا لم يكن الإمام هو الأعلم والأفهم فيقع المحظور. والأمة من جهة ثانية تبحث عن أفضل أفرادها ، لأن من مصلحة الجميع ومن يواثق فخر الجميع أن يحكم الأفضل ، والأمة العاقلة المؤمنة الوعية تبحث عن الأنسب ليقودها على درب الله.

ولا يستطيع أي فرد من أفرادها ، ولا أي جماعة من جماعاتها ولا هي مجتمعة أن تعرف على سبيل الجزم واليقين من هو الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب.

إن من يعرف ذلك على وجه الجزم واليقين هو الله سبحانه وتعالى ، لذلك رحمة عباده المؤمنين يتلطّف فيخبرهم على وجه الجزم واليقين أن هذا هو صاحبكم الذي تبحثون عنه ، وهو المؤهل لقيادتكم وقيادة مسيرة الإيمان في العالم.

(١) راجع كنز العمال ج ١٢ ص ٢٤ وقد نقله عن البخاري ومسلم.

(٢) ويمكن لمن أراد معرفة اسماء حكام قريش وعددهم أن يراجع مروج الذهب للمسعودي.

وكامة مؤمنة عاقلة واعية تقبل التكليف الإلهي بأن هذا هو الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب ، وتفرح لأنها عثرت على بغيتها فتقبل عليه وتباعيه بالرضى لا بالإكراه ليكون إماماً لها وقائداً لسيرتها ، وب مجرد تمام البيعة يصبح الإمام الذي رشحه الله هو القائد الشرعي والفعلي للأمة ، ويتعاون مع الأمة لوضع المنظومة الحقوقية الإلهية موضع التطبيق.

الانفكاك بين الواقع والشرعية

أما إذا لم تقبل الأمة بالتكليف الإلهي بأن هذا الذي قدمه الله هو الأعلم والأفهم الأفضل والأنسب لقيادتها ، وفتشت لنفسها وبقدرتها عن شخص آخر اعتقدت أنه الأفضل والأنسب لقيادتها ، عندئذ تحدث عملية انفكاك بين الشرعية والواقع فيكون الحاكم القابض على مقاليد الأمور فعلياً شخص والإمام المعين من قبل الله شخص آخر لا سلطة بيديه ، ويتذر عليه أن يتأمر على أناس لا يقبلون به ، ودينه يمنعه من اللجوء إلى أساليب غير شرعية للوصول إلى السلطة ، ومع الأيام يستحوذ الحاكم على السلطة والمرجعية ، فيزعم بأنه خليفة النبي والقائم مقامه ، ومن يعارض ذلك يهز الحاكم بوجهه عصا السلطة.

فالحسين بن علي بن أبي طالب إمام بالنص ، وولي بالنص ، ومرجع بالنص ، وهو القدوة في زمانه بالنص. ولكن الأمة رغبة أو رهبة بايعت يزيد بن معاوية فأصبح يزيد هو الحاكم الواقعي (الخليفة). أما الحسين فهو الإمام الشرعي ولكنه غير قادر على ممارسة صلاحياته ، لأن يزيد استولى عليها بالقوة والغضب ، وسكتت الأمة عليه وباعته طوعاً أو كرهاً وأدارت ظهرها لإمامها الشرعي ، وعلى الحسين أن يقبل بالأمر الواقع أو يواجه قوة السلطة التي تتدرج بالضغط عليه بكل وسائل الدولة وامكاناتها التي قد تصل إلى إنزال عقوبة الموت بالإمام. فالسلطة بمثابة زوجة شرعية للإمام الحسين ولكل إمام معين وفق الشع ، وهذه الزوجة الفاتنة تحب زوجها وتخلص له لأنه أهل لها.

فجاء الحاكم وبالقوة والغلبة والقهر ، واغتصب الزوجة من زوجها وأجبرها على معاشرته بالقوة ، لأن الحاكم يدرك أن جسد الزوجة له وقلبه معلق بزوجها

الشرعى ، فإن هذا الحاكم لن يهناً قبل أن يموت هذا الزوج الشرعى ، حتى يستحوذ على قلب زوجته وجسدها معاً ، وحتى لا تعود الزوجة لزوجها الشرعى خلسة.

الأئمة الشرعيون

- ١ . علي بن أبي طالب.
- ٢ . الحسن بن علي.
- ٣ . الحسين بن علي.
- ٤ . زين العابدين بن الحسين.
- ٥ . ابنته محمد الباقر
- ٦ . ابنته جعفر الصادق.
- ٧ . ابنته موسى الكاظم.
- ٨ . ابنته علي الرضا.
- ٩ . ابنته محمد الجواد.
- ١٠ . ابنته علي الهادي.
- ١١ . ابنة الحسن العسكري.
- ١٢ . ابنة محمد بن الحسن المهدي.

استكشاف المستقبل أمام الولي وخليفة النبي

أدى رسول الله الأمانة ، وبلغ الرسالة ، وبين كل شيء ، ونصب ولی عهده وخليفته من بعده ، كما أمره الله ، وبلغ أفراد الأمة وجماعاتها بذلك ، ثم أعلن القرار الإلهي أمام مائة ألف مسلم ، وهنأ الجميع عليا بذلك ، وعلى رأس المهنئين عمر بن الخطاب ، ولاحق أن كل شيء في مكانه الصحيح ، وأن الأمور ستجري رخاء وبرح ملائمة. ولم يكتف النبي بذلك ، إنما نقل أصحابه ذهنياً معه وكشف أمامهم بعض مضائق المستقبل ، فقال أمام كبار أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر (إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله) فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر. قال أبو بكر : (أنا هو؟) قال النبي : (لا) قال عمر (أنا هو؟) قال النبي : (لا ولكنه خاصف النعل يعني عليا) قال أبو سعيد الخدرى (فبشرناه فلم يرفع رأسه كأنه قد كان سمعه من رسول الله ٦). ^(١)

(١) راجع مطالب المسؤول لابن طلحة الشافعى ج ١ ص ٦٤ والمناقب للخوارزمي الحنفى ص ١٨٣ ونظم درر السمعطين للزرندى الحنفى ص ١١٥ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٣ ص ١٣٧ وقرب منه في خصائص النسائي ص ١٣١ ومسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٣٧ الهمامش وحلية الأولياء ج ١ ص ٦٧ واسد الغابة ج ٣ ص ٢٨٢ والرياض النصرة للطبرى ج ٢ ص ٢٥٢ و ٢٥٣ وذخائر العقبي ص ٦٧ ومناقب علي لابن المغازى ص ٢٩٨ وشرح النهج لابن أبي

وها هو النبي يكشف خليفته الأمور فيقول له : (أما أنت ستلقى بعدي جهداً)
فقال علي (في سلامة ديني؟) قال النبي (نعم في سلامة دينك) ^(١).
ولم يكتف النبي بذلك ، إنما أخبر ولية وخلفيته من بعده أن الأمة ستغدر به بعد وفاته
^(٢).

والأهم أنه سيقاتل ، إذ قال له النبي (يا علي ستقاتلوك الباغية وأنت على الحق ،
 فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني) ^(٣).

ويحاول النبي بكل جهوده لتنبيه الأمة فيقول مرة لأحد أصحابه (يا أبا رافع سيكون
بعدي قوم يقاتلون علياً ، حق على الله جهادهم ، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه ،
فمن لم يستطع بلسانه فقلبه) ^(٤).

نصف الصيغة السياسية الجاهلية

الترتيبيات الإلهية المتعلقة بمنصب رئاسة الدولة نسفت تماماً الصيغة السياسية الجاهلية ،
فالقيادة في نظر الإسلام اختصاص وعمل فني تماماً ، يتصدى له الأعلم والأفهم ، والأفضل
والأنسب للقيادة من بين أتباعه ، بعض النظر عن بطنه أو قبيلته.

الحديد بتحقيق محمد أبو الفضل ج ٢ ص ٢٧٧ وجمع الروايد ج ٩ ص ٣٣ وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٧٣
والصواعق الحرقة لابن حجر ص ٧٤ والاصابة للعسقلاني ج ٢ ص ٣٩٢ وكنز العمال ج ١٥ ص ٩٤ ... الخ
وراجع ملحق المراجعات ص ١٦٢ - ١٦١ .

(١) راجع المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٤٠ وتلخيص المستدرك للذهبي بذيل المستدرك ونظم درر السقطين
للزرندي الحنفي ص ١١٨ ومنتخب كنز العمال بجامش مسنن الإمام أحمد ج ٥ ص ٣٤ وفضائل الخمسة ج ٣
ص ٥٣ والملاحق ص ١٦١ .

(٢) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٦ ص ٤٥ بتحقيق محمد أبو الفضل والبداية والنهاية لابن كثير ج ٦
ص ٢١٨ وفضائل الخمسة ج ٣ ص ٥١ وتلخيص الشافي للطوسى ج ٣ ص ٥١ .

(٣) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٣ ص ١٧١ والغدير للأميّي ج ٣ ص
١٩٣ ومنتخب الكنز ج ٥ ص ٣٢ من مسنن الإمام أحمد الهامش .

(٤) راجع مجمع الروايد ج ٣ ص ١٣٤ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٣ ص ١٢٣ وذكره عنهم
في احقاق الحق ج ٧ ص ٣٤٣ راجع ملحق المراجعات ص ١٦٤ .

بينما الصيغة السياسية الجاهلية قائمة على اعتبار القيادة بمثابة شركة لكل بطن هذه البطون سهم في هذه الشركة ، فقد توصلت هذه البطون إلى صيغة سياسية قائمة على اقتسام مناصب الشرف « المناصب السياسية » في ما بينها من قيادة ورفادة وسقاية ولواء وسفارة الخ. لاح لهذه البطون أنها أفضل صيغة ، إذ ليس فيها غالب ولا مغلوب ، فالمناصب السياسية قدر مشترك بين البطون وفق هذه الصيغة ، ولا مصلحة لأي بطن في تغيير هذه الصيغة ، مما جعلها عنوان عقيدة سياسية ، وأثراً مأثوراً ما تركه الأولون ، ومن غير الجائز الخروج عليه ، وحاولت القبائل المكية أن تمنع ظهور نبي من بنى هاشم ، وقاومت بكل قواها ولكنها فشلت ، فكان نبوة بنى هاشم قدر لا مفر منه ، فإذا أخذ الهاشميون النبوة فهذا قدر لا يحيد عنه ، فهل تكون الخلافة أو الملك قدر أيضاً ، فمن غير المعقول أن يعطي الله الهاشميين النبوة والخلافة معاً؟ ومن هنا فإن الترتيبات الإلهية المتعلقة بالخلافة من بعد النبي أثارت حفيظة قريش وحدها ، وتم خض هذا الحسد عن شعار (لا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة مع الخلافة) ولكن هذا الشعار كان ملجموماً بوجود النبي ^٦ ولكن الفرصة مهياً لظهوره. وربطاً منهجياً للموضوع فإبني اسوق معالجي التاريخية لهذا الموضوع مرة ثانية في هذا الباب ، لتكميل الصورة ، وليت استيعاب الموضوع.

الانقلاب

الفصل السابع

المناخ التاريخي الذي ساعد على نجاح الانقلاب وتقويض الشرعية

أ. بطون قريش

ت تكون قريش من خمسة وعشرون بطناً^(١) وأشرف هذه البطون على الإطلاق وأفضلها بالنص الشرعي (بنو هاشم بن عبد مناف)^(٢) ويليهم بالشرف بنو عبد المطلب بن عبد مناف ، وبنو الحارث بن عبد مناف . وبنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وبنو نوفل بن عبد مناف ... وهم سادة قريش ، فقد ساروا بعد أبيهم ويقال لهم المجبرون ، وهم أول من أخذ العصم لقريش فانتشروا من الحرم ، فقد أخذ لهم هاشم حبلاً من ملوك الشام ، وأخذ عبد شمس حبلاً من النجاشي ، وأخذ نوفل حبلاً من الأكاسرة ، وأخذ المطلب حبلاً من حمير ، فاختلف قريش بهذه الاسباب إلى بلاد العالم ، وكان يقال لهم : أقداح النصار لفخرهم وسيادتهم على العرب^(٣).

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٢٩١.

(٢) راجع السيرة الخلبية ج ١ ص ٣ . ٤ علي برهان الدين الخلباني ، وراجع الجامع للحصول في أحاديث الرسول علي ناصيف مجلد ٣ ص ٤١٩ وما فوق وراجع السيرة الدخلانية بحاشية السيرة الخلبية ج ١ ص ٤ . ١١ وراجع الطبقات لابن سعد ، وراجع الخطبة ١٨٥ ص ١٥٦ ج ٢ من شرح النهج لابن أبي الحديد.

(٣) راجع الطبقات ج ١ ص ٧٥ وتاريخ الطبرى ج ٢ ص ١٨٠ وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص . ٩٣

ب . الصيغة السياسية

وصلت بطون قريش إلى صيغة سياسية قائمة على اقتسام مناصب الشرف في ما بينها (المناصب السياسية) من قيادة ولواء وندوة وسقاية ورفادة وسفارة لأسمهم السياسية المحددة في هذه الصيغة أقصى ما استطاعت البطون أن تنتزعه ، ولاح لهذه البطون أنها أفضل صيغة سياسية على الإطلاق ، أذ ليس فيها غالب ولا مغلوب ، فالمناصب السياسية قدر مشترك بين البطون ولا مصلحة لأي بطن بتغيير هذه الصيغة ، لأنه لو حاول التغيير فلا يعرف على وجه الجزم واليقين عواقب محاولته فقد يفقد حقه ، ثم إنّ الأمور قد استقامت ونظمت أمور ولاية البيت الحرام ، فارتاحت كل البطون لهذه الصيغة ، ومع الأيام أصبحت عنوان عقيدة سياسية وأثراً مأثراًً ما تركه الأولون ومن غير الجائز الخروج عليه من قبل أي كان.

ت . محاولات لزعزعة الصيغة

في السنين العجاف لم يكن ملكرة غير هاشم ، يطعم الناس ويساعدهم ، وقيل له أبو البطحاء وسيد البطحاء ، ولم تزل مائته منصوبة في السراء والضراء ، وكان يحمل ابن السبيل ويؤمن الخائف^(١) فخشى أمية بن عبد شمس وحسده ، فتكلف أن يصنع ما يصنع هاشم فعجز عن ذلك ، فغيرته قريش ، فدعوا هاشماً للمنافرة فأبى ، ثم تناfra على خمسين ناقة وعلى الجلاء عن مكة عشر سنين ، فقضى الحكم بأن هاشماً أشرف من أمية ، فنحرت النوق وجلى أمية إلى الشام ، فكانت هذه بذرة العداء الأولى بين البيتين الهاشمي والأموي ، ولعل الذي دفع أمية هو الحسد لهاشم ، والخشية من أن يشكل هاشم خطراً على هذه الصيغة ، لأن القيادة بيدبني عبد شمس ، وبهروز نجم مثل هاشم قد يزعزع الصيغة كلها ، ويستخف الناس^(٢).

ث . إشاعة النبوة

أشيع في مكة نبياً سيعث ، وأنه سيكون من سلاله عبد مناف. ومن

(١) راجع تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٨٠ والسيرة الخلبية ج ١ ص ٥ والطبقات لابن سعد ج ١ ص ٧٦ ، وج ٢ ص ٢٧٩ من تاريخ الطبرى.

(٢) راجع السيرة الخلبية ج ١ ص ١٥ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ١٧٠ - ١٧٢.

استقرت في أذهانهم هذه الإشاعة أبو سفيان ، فقد كان على علاقة وطيدة بأمية بن أبي الصلت ، وأبو سفيان موقن أن هذا النبي سينسف الصيغة السياسية ، وسيأخذ منه القيادة ، وطالما أن القيادة لبني أمية فإن هذه النبوة من أكبر الأخطار ، ولكنها اطمأن بعد عذاب ومعاناة ، فالشائعة تقول : إنّ النبي من بني عبد مناف ولا يوجد حسب رأيه من هو جدير بالنبوة سواه^(١) فمن المؤكد أنه سيكون النبي المرتقب.

ج . إعلان النبوة

أعلن محمد الهاشمي أنه النبي المرتقب الذي اختاره الله لهداية العرب خاصة ، والجنس البشري عامة ، وأن برهانه على هذه النبوة هو كلام الله ، واتبعه نفر قليل من عرفوا بالحصافة وبعد النظر أو من أولئك الذين مستهم البشرية مسّاً أليماً.

ح . احتضان الهاشميين للنبي

احتضن الهاشميون محمداً بكل قوة ، وهددت زعامة قريش بفشل محمد ، وأشيع أنه قد قتل ، فجمع أبو طالب بنى هاشم وأعطى كل واحد منهم حديدة صارمة ، وسار مع الهاشميين والمطبيين ، ونادى : يا معاشر قريش هل تدرؤن ما هممت به؟ قالوا : لا ، فأخبر الخبر وقال للفتيان : أكشفوا عما في أيديكم ، فكشفوا ، فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة فقال أبو طالب : والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحداً حتى نتفاني وإياكم ، فانكسر القوم ، وكان اشدتهم انكساراً « أبو جهل »^(٢).

خ . حفاظاً على الصيغة السياسية وحسداً لا حباً بالاصنام

قاومت بطون قريش بقيادة أبي سفيان محمداً وبكل أساليب المقاومة ، ولم ينثن وأمام إصرار ورفض بنى هاشم لفكرة تسليمه ، اتفقت بطون قريش بدون استثناء وعلى ما يلي :

١ . مقاطعة بنى هاشم مقاطعة تامة ، فمقاطعتهم قريش كلها بما فيهم بنى عدي وبنى تيم ، وحصروهم في شباب أبي طالب ثلاث سنين ، واضطروهم أن يأكلوا ورق

(١) السيرة الخلبية ج ١ ص ٨٠.

(٢) راجع الطبقات لأبن سعد ج ١ ص ٢٠٣ - ٢٠٢.

الشجر من الجوع ، واضطر أطفالهم أن يمتصوا الرمال من العطش. تلك حقيقة كالشمس لا يجادل بها أحد ، ولم يركع محمد ولم يركع الهاشميون ، وأبطل الله كيد بطون قريش وزعامتهم ، وفشل الحصار بعد مقاطعة استمرت ثلاثة سنين.

٢ . عندما سمعت قريش أن محمدًا سيفهاجر إلى يثرب بعد أن تمكن من إيجاد قاعدة له ، قررت بطون مكة بالإجماع أن تقتل محمدًا ، فاختاروا من كل قبيلة رجلاً حتى يضر به هؤلاء الرجال دفعة واحدة ، فيضيّع دمه بين القبائل ، ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه ، لأنّه إن ذهب إلى يثرب نجح ، وسلبهم القيادة والشرف ، وباللحظة التي أجمعوا أمرهم دخلوا فوجدوا عليًّا ابن أبي طالب نائماً في فراشه ، وجن جنون القيادة المكية وخصّصت الجوائز لمن يقبض على محمد حياً أو ميتاً.

وفي الطرف الآخر كان محمد وصاحبته وذيلهما المشرك يشقون طريقهم سالمين بإذن الله ، وتلك حقيقة ساطعة كالشمس لا تحتاج إلى دليل ^(١).

د . حروب من أجل الصيغة السياسية وحسداً لا حباً بالأصنام

لم تيأس بطون قريش وقيادتها من هزيمة محمد وبني هاشم وذينهم ، ولم ييأس محمد والهاشميون وأصحابه من هزيمة الشرك وقيادته ، وانقسم العرب ثلاثةً ، قسم مع قريش وقيادتها المشركة ، وقسم قليل مع محمد ، والقسم الثالث ترخيص يتبع الغالب ، واحتُلت الحروب في بدر وأحد ، وجيشت زعامة قريش بالتحالف مع اليهود جيش الأحزاب ، وزحفت إلى المدينة المنورة ، فاعتصم النبي ﷺ بالمدينة وفشلت الأحزاب وفوجئت قريش وقيادة الشرك بجند الله يدخل مكة عاصمة الشرك ، وركعت زعامة مكة واضطررت للدخول في الإسلام ، وبركوعها رکع كل العرب ، ودانت الجزيرة لدولة النبي ، وأخذ العرب يدخلون في دين الله أفواجاً.

ز . النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه

رفضت بطون قريش بزعامتها الأموية الدين الحمدي ، ونبوة محمد الهاشمي

(١) راجع على سبيل المثال السيرة الحلبية ج ١ ص ٨٠ والطبقات لابن سعد ج ١ ص ٢٠٩ - ٢٠٨ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٣٢.

بكل أصناف الرفض وألوانه ، وقاومت بكل فنون المقاومة لا وفاء للأصنام ، ولكنها تكره أن يأتي الدين عن طريق هاشمي وتكره أن تكون للهاشميين القيادة ، وأن تحز الصيغة السياسية ، وأخيراً فوجيء أبو سفيان بجند الله قرب مكة ، ويوقفه العباس فيرى جند الله ، فيدخل الرعب في قلبه ، ويتزع منه فتيل المقاومة ويفصل قائد الحزب عن حقيقة تصوراته لدعوة محمد فيقول : ما رأيت ملكاً مثل هذا لا ملك كسرى ولا ملك قيسار ولا ملك بني الأصفر (١) ويجره العباس إلى محمد فيقول ٦ : (ويحك يا أبو سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا اله إلا الله) فيقول أبو سفيان : (لقد ظنت أن له لو كان مع الله إلهًا غيره لما أغمى عني شيئاً) قال ٦ : (يا أبو سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن رسول الله؟) قال أبو سفيان : (أما والله فإن في النفس حتى الآن منها شيء). صاح العباس (ويحك يا أبو سفيان أسلم وأشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك) هنا فقط بعد ذكر ضرب العنق ، وبعد الإحاطة ، وضعف الحيلة أسلم ، لينجو بنفسه ، ودهش أبو سفيان وهو ينظر للنبي فقال في نفسه (ليت شعري بأي شيء غلبني ، فأوحى الله إلى نبيه بما في صدر أبي سفيان فقال له الرسول (غلبتك بالله) .

وادركت بطون قريش أن النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه ولا محيد عنه ، ولا علاقة لها باختيارها ، ولو كان لها أي دور بهذا الاختيار لما قبلت أبداً أن يكون النبي من بني هاشم ، والنبوة الطاهرة لن تتذكر ، وأنه لن يلحق أي بطن من بطون قريش ببني هاشم ، فقد سبقوا تماماً وأدركت بطون قريش أن صيغتها السياسية قد اهتزت ونسفت تماماً ، وأضمرت العمل على وقف ما تعتبره زحفاً هاشمياً للجميع بين النبوة والملك وحيازة الشرف كلها.

أكثر البطون اندفاعاً لوقف ما يسمى بالزحف الهاشمي

كل بطون قريش مجمعة على أن النبوة الهاشمية قد هرت هزاً عنيفاً الصيغة السياسية التي كانت قائمة على اقتسام مناصب الشرف بين القبائل المكية. وكل البطون رفضت هذه النبوة الهاشمية باستثناء بني المطلب بن عبد مناف حيث وقفوا مع

(١) السيرة الخلبية ج ٣ ص ٧٩ وما فوق ، وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

الهاشميين ، لكن أكثر البطون رفضاً واندفاعاً لوقف الزحف الهاشمي ، والحقيقة بين جماع الهاشميين الملك والنبوة ، هم بنو أمية ، وذلك لعدة أسباب منها :

١ . ماض طويل من الشحناء والعداوة والحسد لبني هاشم حتى قبل الإسلام.

٢ . بسبب النبوة الهاشمية فقد الأمويون القيادة.

٣ . الهاشميون قتلوا سادات بنى أمية فهم لا يكرهونهم فحسب ، بل يهددون عليهم ، وهند أم معاوية وزوجة أبي سفيان عكست مقدار هذا الحقد ، فهي لم تكتف بقتل حمزة إنما مثلت بجثمانه الطاهر ، ولكن مع انتصار النبوة وشمول نور الإسلام ، وتأخر الأمويين عن دخوله ، وذكريات مساعيهم الطويلة في محاربته ، يتذرع عليهم الجهر والمنادات عليناً بمنع الهاشميين من أن يجمعوا مع النبوة الملك.

ز . التيار الغلاب

لقد تحولت مقوله لا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة مع الملك إلى تيار غلاب ولكنه ساكن ومستقر في النفوس ، وملجوم بوجوده **٦** وبالشرعية وبوحدة الصحابة الصادقين تحت قيادته ، فلو فقد عنصر من هذه العناصر الثلاثة فستهتز الشرعية ، وسيتحول الصحابة الصادقون إلى شعرة بيضاء في جلد ثور أسود ، على حد تعبير معاوية وسيأخذ الأمر من يغلب .

س . القرابة الظاهرة الأساس الشرعي للخلافة الراشدة

عندما دخل المهاجرون الثلاثة إلى سقيفة بنى ساعدة احتجوا بما يلي : فقال أبو بكر

(نحن عشيرة رسول الله **٦** ، وأنتم وزراؤنا في الدين ووزراء رسول الله ، **٦** ...).

قال عمر : (لا يجتمع سيفان في غمد واحد ، والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم ... لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ينazuنا سلطان محمد وميراثه نحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو

متورط في هلكة)^(١) قالت الأنصار كلها : (لا نبایع إلا علیاً) وعلي غائب. قال بعض الأنصار : (لا نبایع إلا علیاً)^(٢).

وسريعاً أبِرَّ الأمْرَ لِلصَّدِيقِ ٢ ، ودُعِيَ عَلَى مُبَايِعَةِ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ عَلَى (أَنَا أَحْقَ بَهْذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، لَا أَبَايُكُمْ وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْبَيْعَةِ لِي ، أَخْذُتُمْ هَذَا الْأَمْرَ مِنَ الْأَنْصَارِ وَاحْجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِالْقَرَابَةِ مِنَ النَّبِيِّ ٦ وَتَأْخُذُونَهُ مِنْنَا غَصْبًاً أَهْلَ الْبَيْتِ . أَسْتَمْ زَعْمَتِ لِلْأَنْصَارِ أَنَّكُمْ أَوْلَى بَهْذَا الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَمَّا كَانَ مُحَمَّدًا مِنْكُمْ فَأَعْطُوكُمُ الْمُقَادَّةَ وَسَلَّمُوا إِلَيْكُمُ الْإِمَارَةَ ، وَأَنَا أَحْتَاجُ عَلَيْكُمْ بِمَثَلِ مَا احْجَجْتُمْ بِهِ عَلَى الْأَنْصَارِ ، نَحْنُ أَوْلَى بِرَسُولِ اللَّهِ حَيًّا وَمِيتًا ...) الْخَ.

ص . الانقلاب وانفلات التيار الغلاب

وَعَمْرٌ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ يَتَفَكَّرُ بِمُسْتَقْبَلِ أَمَّةِ مُحَمَّدٍ ، وَيَقْلِبُ الْأَمْرَ عَلَى وِجْهِهِ الْمُخْتَلَفَةَ قَالَ : لَوْ أَدْرَكْتُ أَبَا عَبِيْدَةَ بِاقِيًّا اسْتَخْلَفْتُهُ وَلَوْ أَدْرَكْتُ مَعَاذَ بْنَ جَبَلَ اسْتَخْلَفْتُهُ ... لَوْ أَدْرَكْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ لَوْلَيْتُهُ ، لَوْ أَدْرَكْتُ سَالِمًا مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ وَلَيْتُهُ ...) الْخَ . وَسَالِمُ مِنَ الْمَوَالِيِّ ، وَلَا يُعْرَفُ لَهُ نَسْبٌ فِي الْعَرَبِ ، وَمَعَاذُ مِنَ الْأَنْصَارِ وَيَوْمِ السَّقِيفَةِ لَمْ يَكُنْ جَائِرًا تَوْلِيَةَ الْأَنْصَارِ ، وَخَالِدٌ مِنْ بَنِي مُخْزُومٍ ، وَمِنْ الطَّبَقَةِ الْعَاشِرَةِ مِنْ طَبَقَاتِ الصَّحَابَةِ ، حِيثُ هَاجَرَ فِي الْفَتَرَةِ الْوَاقِعَةِ بَيْنِ صَلْحِ الْحَدِيبِيَّةِ وَفَتْحِ مَكَّةَ .

قَالَ عَمْرٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ أَثْنَاءَ خَلَافَتِهِ (يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَتَدْرِي مَا مَنَعَ قَوْمَكُمْ مِنْكُمْ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ؟) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (فَكَرِهْتُ أَنْ أَجِيَّهُ ، فَقَلَّتْ : إِنْ لَمْ أَكُنْ أَدْرِي فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَدْرِي ، فَقَالَ عَمْرٌ : كَرِهُوا أَنْ يَجْمِعُوا لَكُمُ الْبَيْنَةَ وَالْخَلَافَةَ فَتَجْحِفُوا عَلَى قَوْمَكُمْ ، فَاخْتَارُتُ قَرِيشَ لِأَنْفُسِهَا فَأَصَابَتْ وَوْفَقَتْ ، قَالَ : فَقَلَّتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ تَأْذُنَ لِي فِي الْكَلَامِ وَتَمْطِعْ عَنِي الْغَضْبُ تَكَلَّمْ ، قَالَ : تَكَلَّمْ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَلَّتْ : أَمَا قَوْلُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اخْتَارَتْ قَرِيشَ لِأَنْفُسِهَا

(١) راجع الإمامة والسياسة ص ٦ - ٨ .

(٢) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٩٨ وراجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٦٦ .

فأصابت ووفقت فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها من حيث اختيار الله لها لكان الصواب يبدها غير مردود ولا محسود ، وأما قوله : إنهم أبوا أن تكون لنا النبوة والخلافة ، فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهية فقال (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم). فقال عمر (هيئات يا ابن العباس قد كانت تبلغني عنك أشياء أكره أن أفرك عليها فتنزل منزلتك مني . فقلت : يا أمير المؤمنين فان كان حقاً فما ينبغي أن تنزل منزلتي منك ، وإن كان باطلًا فمثلي أماط الباطل عن نفسه) فقال عمر : بلغني أنك تقول صرفوها عنّا حسداً وبغيًا وظلماً . قال ابن عباس : فقلت : أما قولك يا أمير المؤمنين ظلماً فقد تبين للجاهل واللحيم وأما قولك حسداً فإن آدم حسد ونحن ولده المحسودون) فقال عمر : هيئات هيئات ، أبىت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً لا يزول . قال : فقلت : يا أمير المؤمنين مهلاً لا تصف بهذا قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ... ^(١) .

والواقعة التي يرويها المسعودي في كتابه مروج الذهب ، والتي جرت بين ابن عباس وبين الفاروق رضي الله عنهما تؤكد حدوث الانقلاب الفكري وإنفلات التيار المغلوب الذي كان ساكناً في النفوس ، وملجوماً أثناء حياته ^٦ ، وقبل ان تتأسس دولة الخلافة الراشدة ، وسأورد النص الحرفي لهذه الواقعة .

النص الحرفي للقصة

ذكر عبد الله بن عباس أن عمر أرسل إليه فقال : يا ابن عباس ، إن عامل حمص قد هلك وكان من أهل الخير ، وأهل الخير قليل ، وقد رجوت أن تكون منهم ، وفي نفسي منك شيء ، وأعياني ذلك بما رأيك في العمل؟ قال ابن عباس : لن أعمل حتى تخبرني بالذى في نفسك . قال عمر : ما تزيد إلى ذلك؟ قال ابن عباس : أريدك ، فإن كان شيء أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت ، وإن

(١) راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ٢٤ وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٠٧ أخرجه الإمام أحمد أبو الفضل بن أبي الطاهر في تاريخ بغداد ، راجع مجلد ٢ ص ٩٧ من شرح النهج وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام .

كنت بريئاً من مثله علمت أني لست من أهله ، فقبلت عملك هنالك ، فإني قلما رأيتك طلبت شيئاً إلا عاجلته) .

فقال : يا ابن عباس إني خشيت أن يأتي علي الذي هو آت (يعني موت عمر) وأنت في عملك فنقول : هلم إلينا ، ولا هلم إليكم دون غيركم إني رأيت رسول الله استعمل الناس وترككم .

قال : والله قد رأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك؟ .

قال عمر : والله ما أدرى أضن بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم ، أم خشي أن تباعوا بمنزلتكم منه فيصبح العتاب ولا بد من عتاب ، وقد فرغت لك من ذلك فما رأيك .

قال ابن عباس : قلت : أرى إلا اعمل لك . قال : ولم؟ قلت : إن عملت لك وفي نفسك ما فيها لم أُبرح قدزي في عينك؟ قال : فأشر علي؟ قلت : إني أرى أن تستعمل صحيحاً منك صحيحاً عليك (١) .

من فرط حرصه على مصلحة المسلمين يريد حتى بعد موته أن يتأكد بأن الهاشميين لن يسلطوا على رقاب الناس ، ولن يحكموا أمة محمد!!

وبالإجمال تحولت هذه المقوله إلى تيار غلاب أ瘋ح عن ذاته ، وفرض نفسه كقناعة عامة تؤمن بها السلطة ، وآمنت بها الأكثريه الساحقة ، على اعتبار أن هذه المقوله هي الوسيلة المثلثي لمنع الإجحاف الهاشمي ، وإنصاف البطون القربيه ل التداول الخلافه في ما بينها ، كرد على النبوة الهاشمية ، أو كتعويض لها عن الإختصاص الهاشمي بالنبوة ، وأخيراً على اعتبار أن هذه المقوله مظهر من مظاهر هداية قريش وتوفيقها على حد تفسير الفاروق .

وباستعماله أبي سفيان إلى جانب السلطة ، وترك ما بيده من الصدقات التي جمعها ، وتوليه ابنه يزيد قائداً على جيش الشام ، وتعيين ابنه الثاني قائداً من قواد يزيد ، ثم خلافته لأخيه يزيد كوال على الشام بعد وفاته ، كل هذا كون حلفاً حقيقياً بين

(١) راجع المجلد الثاني ص ٢٥٤ - ٢٥٣ من مروج الذهب للمسعودي .

السلطة وبين الطلقاء ، لم قناعة سياسية مشتركة تقوم على عدم تمكين الهاشميين من أن يجمعوا مع النبوة الخلافة ، وبهذا التحالف قطع دابر المعارضة وحجمت . وتم تكريس مبدأ عدم جواز جمع الهاشميين للنبوة والخلافة معاً.

وهكذا فقدت العترة الطاهرة حتى نصيتها من امتيازات الشرف التي كانت مخصصة بمحب الصيغة السياسية التي سادت قبل الإسلام وعزلت تماماً وحجمت ، أنظر إلى قول الفاروق مخاطباً العباس وبني هاشم : (إِيَّاهُ اللَّهُ وَأَخْرَى أَنَّا لَمْ نَأْتُكُمْ حَاجَةً مَّا إِلَيْكُمْ ، وَلَكُنْ كُرْهَنَا أَنْ يَكُونَ الطَّعْنُ مِنْكُمْ فِيمَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْعَامَةُ فَيَتَفَاقَمُ الْخُطُبُ بِكُمْ وَبِهَا)^(١) وبلغت الاستهانة بها حداً أنه حتى عبد الله بن الزبير هم بأن يحرق بيوت الهاشميين على من فيها لولا أن تدخل أهل الخير .

ومعنى ذلك أن أي قبيلة من القبائل التي حاصرت الهاشميين في شعب أبي طالب ثلاث سنين ، وأرسلت مندوبها للاشتراك بقتل النبي ، هي أسعد حظاً من الهاشميين ، والفرد منها أولى وأحق برئاسة الدولة من أي هاشمي ، فالرئاسة والولاية حلال لكل الناس ، وحرم على أي هاشمي من الناحية العملية ، كل ذلك من أجل عدم تمكين الهاشميين من الجمع بين النبوة والخلافة ، وهل جزء الإحسان إلا الإحسان؟

ض . التكيف الشرعي لمقولة : لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة
هذه مقولة جاهلية من كل الوجود ، وتعارض معارضة تامة مع النصوص الشرعية ، ومع النظم السياسية المشتقة من العقائد الإلهية ، فدواود النبي وورثه ابنه سليمان ، فجمع كل واحد منهم النبوة والخلافة معاً ، وأوتي الأنبياء وذرياتهم الحكم والنبوة والكتاب ، ولم يعترض عليهم أحد لأن الفضل بيد الله والخلافة منصب ديني وبالدرجة الأولى ودنيوي ، وال الخليفة قائم مقام النبي ، ومن مهام النبوة البيان والحكم ، وعملية البيان والحكم عملية فنية تماماً واحتصاص .

ومن هو على علم بالتقاطيع الأساسية الإسلامية تبين له بأقل

(١) راجع الإمامة والسياسة ص ١٥ .

جهد ممكّن أن هذه المقوله نسفت نسفاً تماماً النّظام السياسي الإسلامي كنظام اهلي ، وفرغته تماماً من مضمونه ، وحولته من الناحية العمليّة إلى نظام وضعي لا يختلف عن الأنظمه الوضعية إلّا بالشكل سياسيًّا بل والأهم من ذلك أن رئاسة الدولة صارت غنيمة ، وطعنة يأكلها الغالب والغالب وحده ، وبعد أن يغلب يجلس على كرسي النبي « أو حصيرته » ويلبس جبة الإسلام فإذا هو خليفة ، فإنّ غلب الطليق الذي قاتل الإسلام بكل فنون القتال حتى أحاط به فأسلم رغبة أو رهبة فإنه يتأنّر على المهاجر الذي قاتل مع الإسلام كل معاركه ، ويصبح ولـي الله المخصص شرعاً لرئاسة الدولة الإسلامية مجرد مواطن عادي من رعاياه ، يتكلّم الجاهل ، ويُسكت العالم ، يتقدّم المحاصر بالكسـر ويتأخر المحاصر بالفتح. كل هذا من أجل إنصاف القبائل الأخرى ومنع الماشيين من أن يجتمعوا مع النبوة الخلافة ، أو بتعبير أدق من أجل العودة عملياً إلى الصيغة السياسية التي كانت سائدة قبل الإسلام ، ولكن بشوّها الجديد ، فالصيغة السياسية الجاهلية كانت تقوم على اقسام مناصب الشرف ، بحيث تأخذ كل قبيلة نصيبها من هذه المناصب ، وبتطبيق المقوله أصبحت القبائل تداول رئاسة الدولة ، وبنفس الوقت تتشارك بالشرف والمناصب أثناء عملية التداول ، أما الأحكام الإلهية المتعلقة بالنّظام السياسي الإسلامي فهي موضوع آخر ، فهي لا تستجيب للصيغة السياسية التي وجدت قبل الإسلام في مكة.

**النتائج التي ترتبت على تكريس مبدأ عدم جواز
جمع الماشفين للنبوة والخلافة**

١ . النتيجة الأولى

زوال الفوارق نهائياً بين الذين قاتلوا الإسلام بكل فنون القتال حتى أحيط بهم فأسلموا ، وبين أولئك الذين قاتلوا مع الإسلام كل معاركه حتى أعز الله دينه ونصر رسالته وأقام دولة الإيمان ، فالكل مسلم لا فرق من الناحية السياسية بين هذا وذاك ، فكلهم مسلم وكلهم في الجنة ، فالمهاشمي الذي حاصرته قريش ثلاث سنين هو تماماً مثل أي شخص كان على الشرك واشتراك بالحصار ، ألم يسلم ذلك الشخص؟ أليس الإسلام يجب ما قبله؟ فلو أن حمزة سيد الشهداء رجع إلى الدنيا فهو تماماً كوحشي من الناحية العملية السياسية ، فالقاتل المقتول تماماً ، والهاجر كالطريق ، والجاهل كالعالم ، ولو غالب الجاهل وكانت لزاماً على العالم أن يطيعه سياسياً وأن يتبعه وينقاد إليه ، بل على العكس ، فلو كان هنالك هاشمي عالم كعلى بن أبي طالب وكان هنالك أنصاراً بدرجته أو أقل علمًا منه ، فالأنصارى العالم مقدم على المهاشمى. انظر إلى قول الفاروق ٢ بوجود علي بن أبي طالب وهو يقول : لو أدركت معاذ بن جبل لوليته ، ولو أدركت خالد بن الوليد. خالد قاتل الإسلام في أحد وفي أكثر من وقعة ، وعلى قاتل مع الإسلام في كل مواجهة ، مع هذا فالأخير هو خالد ، حتى إن الفاروق لو أدرك سالماً مولى أبي حذيفة وهو من المولى ، ولا يعرف له نسب في العرب ، لولاه الخلافة وأمره على علي بن أبي طالب ، مع أن علي بن أبي طالب وهو ولد سالم وعمر ومولى أبي عبيدة ومولى كل مؤمن ومؤمنة « باعتراف الفاروق وباقراره »

النتيجة الثانية : زرع بذرة الخلاف وغواها

طالما أن لا فرق بين المهاجر والطليق ، ولا بين القاتل والمقتول ، ولا بين المحاصر « بالفتح » والمحاصر « بالكسر » ومن حق كل واحد أن يفهم الإسلام وأن يستقطب حول هذا الفهم ، فمعنى ذلك وجود مرجعيات متعددة ، ووجود مفاهيم متعددة ، وقناعات متعددة ، وكل فريق يزعم أنه على الحق ، ففريق يذهب إلى الشمال وآخر إلى اليمين وثالث إلى الشرق ورابع إلى الغرب وخامس إلى الشمال بزاوية كذا الخ ، ولا يوجد مرجع يعتبر كلامه حجة يقينية شرعية يقر بها الجميع ، بهذا الجور زرعت بذرة الخلاف وغناها بأرض خصبة ، فلو قال علي ٧ كلاماً وقال واحدٌ من الطلقاء كلاماً آخر ، فالذي يزن القولين هو السامع ، لأنَّه عملياً لا فرق بين علي وأي طليق ، فكلَّا هما في الجنة وكلاهما مسلم ، فهم صحابة ، أي لا يقرُّون عملياً بأي ترجيح شرعي لقول علي ، فكيف يرجح بين المتساوين وكيف يفرق بين المتعادلين تماماً؟ فهذه قطعة ذهبية تتساوى حجماً وشكلًاً ومقدارًاً وقيمة مع قطعة أخرى ، فخذ ما شئت وإياك والتمييز ، فاللوفاق الحاصل وفاق ظاهري ، وتحت هذا الظاهر ينمو الخلاف ويشب ، ثم يتحول إلى سرطان عاجلاً أم آجلاً ، يمزق وحدة الأمة وبخرجها من إطار الشرعية إلى الغامض والجهول.

النتيجة الثالثة : رئاسة الدولة حق للجميع إلا لهاشمي

يعني أنه لا شيء على الإطلاق يمنع أي مسلم من أن يتولى رئاسة الدولة الإسلامية ، شريطة أن يتمكن من الوصول إليها ، والاستحواذ عليها ، وانقياد الجميع له وتسليمهم له بالغلبة والسلطان ، شريطة أن لا يكون من بيْن هاشم ، لأنَّهم اختصوا بالنبوة والنبوة تكفيهم. هذا الحق حول الطمع برئاسة الدولة إلى كأبوس بغرض وإلى آلية مزعجة سلبت الأمة قرارها واستقرارها ، وحوّلتها إلى حقل تجاذب لكل الطامعين بالرئاسة ، وعطلت نظامها السياسي والشرعية.

أما من أي قبيلة هذا الرئيس؟ ما هو علمه؟ ما هو دينه؟ ما هي سبقته؟ من

الذين سيحكمهم؟ تلك أمور ثانوية لا قيمة لها من الناحية العملية ، ولا يعول عليها لأن الغالب غالب ، والحصول على رضوان المغلوب فن قائم بذاته.

ما الذي يمنع يزيد بن معاوية ، وهو المشهور بعهره وفجوره ، من أن يكون رئيساً للدول الإسلامية ، لأنه ابن معاوية الرئيس ، ومن الذي يمنع الحسين بن علي بن أبي طالب سيد شباب أهل الجنة في الجنـة بالنص ، وريحانة النبي من هذه الأمة بالنص ، والإمام الشرعي لهذه الأمة بالنص ، فـما الذي يمنعه من أن يكون أحد رعايا يزيد ، وأحد الذين يتآمـر عليهم ، فـكلاهما مسلم ، وكلاهما في الجنـة ، يـزيد القاتل المـحـرم في الجنـة والحسـين الإمام المـقـتـول في الجنـة ، فـكلاهما صـحـابـي !!! ومن يـنـقـد هـذا الرأـي فهو زـنـديـق لا يـؤـاـكل ولا يـشـارـب ولا يـصـلـى عـلـيـهـ.

النتيجة الرابعة : اختلاط الأوراق

اختلط الحابل بالنابل ، والحق بالباطل ، والخير بالشر ، والعلقم بالشهد ، وأصبح المتأخر كالمتقدم ، واللاحق كالسابق ، والمجاهد كالقاعد ، والقاتل للمقتول ، والمحاصر كـالـحاـصـر « بالفتح والكسر » ومن وقف مع الإسلام تماماً مثل من وقف ضده ، ومن قاتل الإسلام تماماً كمن قاتل معه. لقد دخل الجميع بدين الله ، وشاهد النبي أو شاهدوه ، فـكـلـهـمـ صـحـابـةـ ، وكـلـهـمـ فيـ الجنـةـ.

وضاع الصادقون ، وتفرقوا في الأمصار وأصبحوا على حد تفسير معاوية كالشـعـرةـ البيضاءـ فيـ جـلـدـ ثـورـ أسـودـ وـأـنـهـارـ النـظـامـ السـيـاسـيـ الإـسـلامـيـ وـتـأـخـرـ المـتـقـدـمـونـ وـتـقـدـمـ المـتـأـخـرـونـ ، وـلـهـ عـاقـبةـ الـأـمـورـ.

الفصل الثامن

مقدمات الانقلاب

١ . مع النبي على فراش الموت

النبي في بيته ، يجلس على فراش الموت ، وجريل الأمين لا ينقطع عن زيارته. النبي على علم بمستقبل هذه الأمة ، وقد أدى دوره كاملاً ، وبلغ رسالات ربه ، وبين المسلمين كل شيء على الإطلاق ، وهو على علم تام بما يجري حوله ، ومدرك أنه السكون الذي يسبق العاصفة ، والصمت الذي يسبق الانفجار ، فإذا ثارت العاصفة ، وحدث الانفجار ستنسف الشرعية السياسية ، ونسفها سيجرد الإسلام من سلاحه الجبار ، ويتعطّل المولد الأساسي للدعوة والدولة.

لكن مثل النبي لا ينحني أمام العاصفة ، ولا يسكن حتى يحدث الانفجار ، ولا يقعده شيء عن متابعة إحساسه العميق بالرأفة والرحمة لهذه الأمة ، وبالرغم من كمال الدين وتمام النعمة والبيان الإلهي الشامل لكل شيء تحتاجه الأمة ، بما فيه كيف يتبول المسلم وكيف يتغوط.

إلا أنه أراد أن يلخص الموقف لأمته حتى تكتدي بعده وحتى لا تضل ، وحتى تخرج بسلام من المفاجآت التي تتربص بها وتنتظر موت النبي لتفتح أشداقها ، فتعكر صفو الإسلام ، وتعيق حركته وتغير مساره.

بيت النبي ٦ يغص بعواده من أكابر الصحابة فاغتنم النبي الفرصة وأراد أن يلخص الموقف لأمته ويدرك بالخط المستقبلي لمسيرة الإسلام ، فقال ٦ :

(قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً) . ما هو الخطأ بهذا العرض

النبي؟ من يرفض التأمين ضد الضلال؟ ولماذا لمصلحة من؟ ثم إن من حق كل مسلم أن يوصي ، ومن حق أي مسلم أن يقول ما يشاء قبيل موته ، والذين يسمعون قوله أحرار فيما بعد بإعمال هذا القول أو إهماله ، هذا إذا افترضنا أن محمداً مجرد مسلم عادي وليس نبياً وقائداً للأمة. فتصدى عمر بن الخطاب له ، وجه كلامه للحضرور وقال إن النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا ، منهم من يقول : (قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لا تضلوا بعده أبداً) ومنهم من يقول ما قاله عمر ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم رسول الله قوموا عنـي)^(١).

وفي رواية ثانية أن الرسول **٦** عندما قال : ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً تنازعوا . ولا ينبغي عند النبي تنازع . فقالوا : هجر رسول الله . قال النبي : دعوني فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه)^(٢).

وفي رواية ثالثة : قال النبي **٩** : « ائتوني بالكتف والدواء أو اللوح والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً » فقالوا : (إن رسول الله يهجر)^(٣).

وفي رواية ثالثة للبخاري أن النبي قال : ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده) قال عمر بن الخطاب : إن النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا ، فاختلفوا وأكثروا اللغط ، قال النبي : (قوموا عنـي ولا ينبغي عنـي التنازع ...)^(٤).

(١) صحيح بخاري كتاب المرض باب قول المريض قوموا عنـي ج ٧ ص ٩٠ وراجع صحيح مسلم في آخر كتاب الوصية ج ٥ ص ٧٥ وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٩٥ ومسند الإمام أحمد ج ٤ ص ٣٥٦ ح ٢٩٩٢ وشرح النهج لابن أبي الحميد ج ٦ ص ٥١.

(٢) راجع صحيح بخاري ج ٤ ص ٣١ وصحيح مسلم ج ٢ ص ١٦ بشرح النووي ومسند الإمام أحمد ج ١ ص ٢ وج ٣ ص ٢٨٦.

(٣) راجع صحيح مسلم ج ٢ ص ١٦ وج ١١ ص ٩٤ . ٩٥ بشرح النووي ومسند الإمام أحمد ج ١ ص ٣٥٥ وتاريخ الطبرى ج ٢ ص ١٩٣ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٢٠ .

(٤) راجع صحيح بخاري ج ١ ص ٣٧ .

رواية بلفظ رابع للبخاري :

قال النبي ﷺ : (ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً) فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا : (ما شأنه أهجر؟ استفهموه) فذهبوا يردون عليه فقال (ذروني فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه ...) ^(١).

رواية بلفظ خامس للبخاري :

قال النبي ﷺ : (ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً) فتنازعوا . ولا ينبغي عند نبي تنازع . فقالوا : ما له أهجر؟ استفهموه : فقال النبي : ذروني فالذى أنا فيه خير مما تدعونى اليه ... ^(٢).

رواية بلفظ سادس للبخاري :

قال النبي ﷺ : (هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده) قال عمر : ان النبي غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسينا كتاب الله) واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند النبي قال : (قوموا عني) ^(٣).

وفي رواية أن عمر بن الخطاب قال : إن النبي يهجر ... ^(٤) وقد اعترف الفاروق أنه صد النبي عن كتابة الكتاب حتى لا يجعل الأمر لعلي ^(٥).

(١) راجع صحيح البخاري ج ٥ ص ١٣٧ و تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٢) راجع صحيح البخاري ج ٢ ص ١٣٢ و ج ٤ ص ٦٥ - ٦٦ .

(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٦١ .

(٤) راجع تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي ص ٦٢ و راجع سر العالمين وكشف ما في الدارين لابي حامد الغزالى ص ٢١ .

(٥) راجع شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١١٤ سطر ٢٧ الطبعة الأولى مصر و بيروت . وج ١٢ ص ٧٩ سطر ٣ ، بتحقيق محمد أبو الفضل وج ٣ ص ٨٠٣ دار مكتبة الحياة وج ٣ ص ١٦٧ دار الفكر .

تحليل المواجهة

١ . أطراف المواجهة

الطرف الأول : هو محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ وامام الدولة الإسلامية رئيسها.

الطرف الثاني : هو عمر بن الخطاب أحد كبار الصحابة ووزير من أبرز وزراء دولة النبي ﷺ ، وال الخليفة الثاني من خلفاء النبي فيما بعد.
مكان المواجهة : بيت النبي.

شهود المواجهة : كبار الصحابة رضوان الله عليهم.

النتائج الأولية للمواجهة

١ . الانقسام

إن الحاضرين قد انقسموا إلى قسمين :

القسم الأول : يؤيد الفاروق في ما ذهب إليه من الحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما يريده ، وحجة هذا الفريق أن الفاروق من كبار الصحابة ، وأحد وزراء النبي ﷺ ومشفق على الإسلام ، وأن النبي مريض وبالتالي فلا داعي لإزعاجه بكتابه هذا الكتاب. ثم إن القرآن وحده يكفي ، فهو التأمين ضد الضلاله ولا داعي لأي كتاب آخر يكتبه النبي.

القسم الثاني : يرفض المواجهة أصلًاً بين التابع والمتبوع ، وبين النبي و المسلم ، وبين رسول يتلقى تعليماته من الله ، وبين مجتهد يعمل بما يوحيه له اجتهاده ، وبين رئيس دولة ونبي بنفس الوقت ، وبين واحد من وزرائه ، ويرى هذا القسم أن تناح الفرصة للنبي ليقول ما يريده ، ولكاتبه ما يريده ، لأنه النبي وما زال نبياً حتى يتوفاه الله ، ولأنه رئيس الدولة وما زال رئيساً للدولة حتى يتوفاه الله ويحل ، رئيس آخر محله. ثم على الأقل لأنه مسلم يتمتع بالحرية كما يتمتع بها غيره ، ومن حقه أن يقول ما يشاء ، وأن يكتب ما يشاء ثم إن الأحداث والمواجهة تجري في بيته ، فهو صاحب البيت ، ومن

حق أي إنسان أن يقول ما يشاء في بيته.

٢ . بروز قوة هائلة جديدة

برز الفاروق كقوة جديدة هائلة استطاعت أن تحول بين النبي وبين كتابة ما يريد ، واستطاعت أن تستقطب لرأيها عدداً كبيراً من المؤيدين بمواجهة مع النبي نفسه وبحضور النبي نفسه^(١) واستطاع أن يحرك الأحداث وأن يقودها بكفاءة ، ولحد الآن لا أحد يدرى على وجه اليقين من الذي أوحى للأنصار بفكرة الاجتماع بسقيفة بنى ساعدة ، ولا كيف التم شمل هذا الاجتماع ، ولا من الذي دعا إليه؟ ولا أحد يدرى كيف علم به عمر من دون كل المهاجرين ، فالثابت أن الذين حضروا هذا الاجتماع من المهاجرين ثلاثة فقط ، هم أبو بكر الصديق وعمر وأبو عبيدة ، والثابت أيضاً أن أبو بكر^٢ كان يساعد العترة الطاهرة بتجهيز النبي ، والثابت أيضاً أن عمر^٢ هو الذي دعا أبو بكر وأخربه بحادث اجتماع السقيفة ، والثابت أيضاً أن أبو بكر وعمر وجداً وهما في طريقهما إلى السقيفة أبو عبيدة بالصدفة؟ فالفاروق كان يعيش في صميم الأحداث ، ويتبعها متابعة دقيقة ، دقيقة بدقة ، وفي داخل السقيفة كان له الدور الأعظم ، فلو أراد لكان هو الخليفة ، وبعد الخروج من السقيفة ومبادلة الأكثريّة الحاضرة لأبي بكر الصديق ، هو بنفسه الذي قاد عملية إتمام البيعة ، وهو الذي صالح بالمهاجرين أنه قد بايع الصديق وبابيعه الأنصار ، وأن عليهم أن يقوموا فيبايعوا ، فنهض عثمان ومن معه من بنى أمية فبايعوا الصديق. وعثمان والأمويون بأغلبهم هم أول من بايع الصديق ، وعمر بن الخطاب نفسه هو الذي نظم الذين بايعوا أبو بكر في السقيفة ، وجهز منهم سرية أخرجت علياً ومن معه من بيت فاطمة الزهراء لبياعوا الصديق^(٢) وهو نفسه الذي أحضر الخطيب وهم بإحراق بيت فاطمة إن لم يخرج المعتصمون به^(٣) وهو نفسه الذي هدد علياً بالقتل إن لم

(١) راجع مراجع يوم الرزبة وكيف اجتمع على أن الفاروق هو الذي قال حسبنا كتاب الله.

(٢) راجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٥ وما فوق.

(٣) راجع مراجع التحريق التي ذكرناها أكثر من مرة.

بياع^(١) وهو نفسه الذي أشار على أبي بكر الصديق بأن يترك لأبي سفيان ما بيده من الصدقات ليضمن ولاءه^(٢) وأشار عليه بأن يعين يزيد بن أبي سفيان قائداً لجيش الشام. وهو القوة الهائلة التي وضعت الاستقرار لدولة أبي بكر ، ولم يطل بقاء الصديق في الحكم طويلاً ، فانتقل إلى جوار ربه ، وورث عمر دولة آمنة مستقرة ، وانتقلت إليه السلطة بيسر وسهولة ، وبدون معارضة ، وكان الانتقال خطوة طبيعية تتبع خطوة ، وعاجلاً أم آجلاً سيكشف الباحثون أن للفاروق قدرة هائلة على التخطيط والتنظير ما توفرت لأحد قط من أقرانه ، فقد قام بدور الهيئة التأسيسية لعصر ما بعد النبوة ، ورتب كل شيء لمستقبل الحكم في الإسلام ، فلن يجمع الهاشميون الخلافة والنبوة أبداً ، وستكون الخلافة تداولًا في غيرهم ، وحقاً خالصاً لمن غلب بغض النظر عن شرعية أو عدم شرعية وسائل الغلبة.

٣ . بروز فكرة التغلب وترجيح التابع على المتبوع

نبت ب لهذا المواجهة فكرة التغلب ، وترجح التابع على المتبوع ، أو المساواة بين التابع والمتبوع ، وخلق حالة من الشبهات والخيرة مع من يكون الصواب ، هل هو مع التابع أو مع المتبوع؟

فحججة الفاروق أن النبي قد اشتد به الوجع وكتابة الكتاب بمثل هذه الحالة قد تشكل خطراً ، وشائع الفاروق بذلك مجموعة من الصحابة ، وهذا شك ، وحججة الطرف الآخر أن محمداً ما زال نبياً وسيبقى نبياً حتى تصعد روحه الطاهرة إلى باريها ، وأنه لا ينطق عن الهوى وهذا يقين ، فترك اليقين إلى الشك غير معقول!! والمرض ليس مانعاً من القول.

حادستان مشابهتان

الأولى : لقد مرض الصديق واشتد به الوجع كما يجمع على ذلك كل أتباع

(١) الإمامة والسياسة ص ١٣ .

(٢) راجع شرح النهج لعلامة المعزلة ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٠٦ - ٣٠٧ تحقيق حسن تيمي مكتبة الحياة.

الملة : « فلما تم لأبي بكر ما أراد من المشورة دعا عثمان خالياً . أى وحدة . وقاله له (اكتب أما بعد) ثم أغمي عليه من شدة الوجع فكتب عثمان (فإني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً) . فلما أفاق أبو بكر من إغمائه قال لعثمان : اقرأ علي ، فقرأ عليه ما كتب فقال أبو بكر : أراك خفت أن يختلف الناس إن اقتلت نفسى في غشىتي؟ قال عثمان : نعم . قال أبو بكر : جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله ، وأقرها أبو بكر ^(١) تلك حقيقة بالإجماع .

الثانية : مرض عمر نفسه . قال طبيبه : لا أرى أن تتمسي ، فما كنت فاعلاً فافعل فقال لابنه عبد الله : ناولني الكتف فمحاهما ، وقال من شدة الوجع : والله لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع ، وكان رأسه في حجر ابنه عبد الله ، فقال لابنه : ضع خدي بالأرض ، فلم يفعل ، فلحظه وقال : ضع خدي بالأرض لا أم لك الويل لعمر ولأم عمر إن لم يغفر الله لعمر ^(٢) .

وبالرغم من شدة وجع أبي بكر فقد أوصى وكتب ما أراد ، وبالرغم من شدة وجع عمر فقد أوصى وكتب ما أراد ، ورتب أمر الشورى ، واطمأن أن عثمان سيكون الخليفة ، واطمأن أنه لا يسلط هاشمي على رقاب الناس حتى ولو كان ذا قوة وذا أمانة ونفذت بدقة وصية الاثنين ، وسمح لهمما بقولها ، وسمح لهمما بالتوصية ، وبالرغم من اشتداد الوجع بكل واحد منهمما ، فعندما كتب كل واحد منهمما وصيته كان ما زال رسمياً على رأس عمله خليفة المسلمين ، ومن حقه أن يمارس عمله ما دام حياً أو لم يعزل .

تلك حقيقة مسلم بها بالإجماع ، وقول واحد لا خلاف عليه ، فكيف يسمح لأبي بكر ولعمر بالتوصية وكتابة ما أراد ، مع أن المرض قد اشتد بكل واحد منهمما أكثر من اشتداده برسول الله ﷺ ، ويحال بين الرسول وبين كتابة ما أراد!

(١) راجع تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٤٢٩ وص ١٧٦ من نظام الحكم للقاسمي وص ٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي وص ٢ ص ٨٥ من تاريخ ابن خلدون وص ١٢٠ من كتابنا النظام السياسي في الإسلام على سبيل المثال فقط .

(٢) راجع الإمامة والسياسة ص ٣١ . ٢١ والطبقات لابن سعد وص ١٢٠ . ١٢١ من كتابنا النظام السياسي على سبيل المثال .

ألا يحق لـ **محمد** **٦** ما يحق لأبي بكر وعمر (رضي الله عنهم). هذا مع الافتراض أن محمداً على قدم المساواة مع أبي بكر وعمر!! وهذا افتراض مرفوض شكلاً وموضوعاً ، لأن محمداً نبي مرسل من الله وإمام ، بينما أبو بكر وعمر من الأتباع ، و Mohammad يوحى اليه ، وقد أكد وقال أكثر من مرة : (إن أكثر ما كان يأتيه الوحي كان يأتيه وهو مريض) ^(١).
 والله يقول (**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنِهِ فَانتَهُوا**) ويقول : (**وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمُجْنَوْنٍ**) (**مَا ضلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غُوْيٌ**) (**إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يَوْحَى**) فكيف يتحول بطريقة عين من كانت هذه صفاتـه وملـكتـه إلى رجل حاشـا له يهـجر؟! ولا يؤمنـ على كتابـة وصـية!!

ومع أن هذه حقائق دامغة ، لا قوة في الأرض تستطيع أن تنكرـها أو تـدافع عنها ، ومع أن هذه الواقعـة نـسـفت مستـقبل الإـسلام كـله ، وـكانـت هي البـذـرة التي انـطلـقت منها كل المـآـسي والنـكـباتـ التي حلـتـ بالـمـسـلمـين ، إلاـ أنـ أـهـلـ السـنـةـ يـتجـاهـلـ وـنـحـاـ تـاماـ ولاـ يـفـكـرـونـ بـها ، إلاـ أنهاـ مجردـ قـصـةـ.

وهـكـذا ، وـعـلـيـاـ رـجـحـ قولـ التـابـعـ عـلـىـ قولـ المـتـبـوعـ ، فـأـصـبـحـ التـابـعـ مـرـجـعاـ وـالمـتـبـوعـ مـتـفـرـجاـ ، وـتـمـ لـلـتـابـعـ مـاـ أـرـادـ ، وـغـلـبـتـ مـشـيـئـتـهـ وـاستـقـطـبـ النـاسـ لـهـ وـوـجـدـتـ وـاقـعـيـاـ فـكـرـةـ الغـلـبةـ وـأـثـرـتـ ، وـاعـتـيرـتـ الغـلـبةـ فـيـمـاـ بـعـدـ مـبـدـأـ شـرـعـيـاـ ، وـأـجـيـزـ لـلـأـمـةـ أـنـ تـتـفـرـجـ عـلـىـ الـصـرـاعـ بـيـنـ مـتـغـالـبـيـنـ ، ثـمـ تـقـفـ فـيـ النـهـاـيـةـ مـعـ الـغـالـبـ ، مـهـمـاـ كـانـ صـفـاتـهـ وـمـهـمـاـ كـانـ دـيـنـهـ؟ ^(٢)

فـطـمـعـ المـتـبـوعـ بـالـتـابـعـ وـتـقـدـمـ المـفـضـولـ عـلـىـ الـأـفـضـلـ ، وـمـنـ هـنـاـ فـلـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ نـدـهـشـ إـذـ رـأـيـناـ مـعـاوـيـةـ بـنـ أـبـيـ سـفـيـانـ يـعـتـلـيـ سـدـةـ الـخـلـافـةـ وـهـوـ الطـلـيقـ اـبـنـ الطـلـيقـ وـمـنـ الـمـؤـلـفـةـ قـلـوبـهـ وـيـنـازـعـ بـالـخـلـافـةـ أـوـلـ مـنـ أـسـلـمـ وـوـلـيـ اللـهـ بـالـنـصـ ، وـمـوـلـيـ كـلـ مـؤـمـنـ وـمـؤـمـنـةـ بـالـنـصـ ، وـيـحـاـوـلـ أـنـ يـقـنـعـ الـمـسـلـمـيـنـ بـأـنـ أـفـضـلـ مـنـ عـلـيـ وـأـصـلـحـ لـلـأـمـةـ مـنـهـ ، وـلـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ نـنـدـهـشـ إـذـ وـجـدـنـاـ فـيـ عـصـورـ الـإـسـلـامـ مـنـ يـقـولـ : هـذـاـ مجـتـهـدـ وـهـذـاـ

(١) راجـعـ الطـبـقـاتـ لـابـنـ سـعـدـ جـ٢ـ صـ١٩٣ـ .

(٢) راجـعـ نـظـامـ الـحـكـمـ لـلـقـاسـيـ صـ٢٤٤ـ . ٢٤٥ـ وـكـتـابـنـاـ النـظـامـ السـيـاسـيـ صـ١٥٣ـ .

مجتهد وكلاهما في الجنة.

وما ينبغي أن ندهش عندما طالب مروان بن الحكم بالخلافة ، وهو ابن الحكم بن العاص الذي كان محظوراً عليه أن يدخل المدينة في زمن الرسول وأبي بكر وعمر ، حتى تولى الخلافة عثمان ، فأدخله معززاً مكرماً ، والخذ ابنته مروان رئيساً لوزرائه وزوجاً لابنته.

لقد تداعت الفوارق بين التابع والمتبوع ، وبين المتقدم عند الله وفي الإسلام ، والمتأخر في موازين الله والإسلام ، فالوليد بين عقبة يتأنّر على الحسين بن علي ، والوليد يعظ ، وعلى الحسين أن يسمع وعظ هذا الوعظ ، والوليد يصلّي بالناس صلاة الصبح أربعاء وهو سكران ، ويسأل المؤمنين إن كانوا يرغبون بالزيادة ، وبعد ذلك فإنه لا حرج أن يكون هذا الرجل إماماً للحسين بن علي بن أبي طالب ، وأميراً عليه ، ومرجعاً يمكن للحسين إذا أراد أن يسأله في أمور دينه ودنياه!!!

٤ . ظفر الغالب ونحاجه

أصبح الغالب . أي غالب وأياً كان . هو الظافر ، وهو سيد الموقف ، وهو إمام المسلمين ، ورئيس دولتهم وهو مرجعهم في كل الأمور الدينية والدنوية ، وهو الحائز لكل وسائل القوة ، بيده السيطرة الكاملة على كل موارد الدولة يعطي من يشاء وينع العطاء عن يشاء ، لا رقيب عليه إلا الله ومقدار دينه ، وهو القائد العام لجيوش الإسلام يستعملها لتحقيق الأمرين الخارجي والداخلي ، ولتطويع الرعية رغبة ورهبة ، وهو المسيطر سيطرة تامة على وسائل الإعلام ، فلو شاء جعل الأبيض أسود ، ولو شاء جعل الأسود أبيض ، ويمكنه بسيطرته على وسائل الإعلام أن يجعل القزم عملاقاً وأن يجعل العملاق إلى قزم ، وتحول مؤيدوه إلى واجهة له بيدهم الحل والعقد ، ومع الأيام أصبحوا مراجع ، فهم يتبنون وجهة نظر الغالب ويستعملون وسائله المرجعية ، فهم سادات المجتمع وهم الفرائد المتألقة ، وإذا سار معهم أي واحد قادوه إلى نقطة الارتكاز ومحور الهداية . أي عين ما يراه الغالب . وعزف العامة على ذات الوتر ، واتحدت الأمة على هذه الشاكلة ، وكلما مضت سنة ترسخت هذه السنة وتوطدت ، وكلما مر عقد ضربت جذورها في الأرض وأصبحت رأياً عاماً وقناعة وعقيدة سياسية.

عزل العترة الطاهرة

بـهذا المنـاخ نـادـت العـترة الطـاهـرة بالـشـرعـيـة ، وـقـالـت إنـ لـهـا حـقـاً وـتـطـالـبـ به ، وـلـكـنـ الناسـ يـحـولـونـ بـيـنـهاـ وـبـيـنـ حـقـهاـ الشـرـعـيـيـ . كـانـتـ مـعـارـضـةـ أـبـيـ الـحـسـنـ لـأـبـيـ بـكـرـ مـعـارـضـةـ مـتـحـضـرـةـ ، وـشـرـعـيـةـ وـمـنـطـقـيـةـ جـدـاًـ ، بـشـاهـدـةـ بـشـيرـ بنـ سـعـدـ أـوـلـ منـ بـايـعـ أـبـاـ بـكـرـ حـيـثـ قـالـ عـنـدـمـاـ سـعـمـ حـجـةـ الإـلـمـامـ (ـلـوـ كـانـ هـذـاـ الـكـلـامـ سـعـتـهـ مـنـكـ الـأـنـصـارـ يـاـ عـلـيـ قـبـلـ بـيـعـتـهـ لـأـبـيـ بـكـرـ ماـ اـخـتـلـفـ عـلـيـكـ اـثـنـانـ)ـ (ـ١ـ)ـ وـلـكـنـ تـبـقـىـ السـلـطـةـ سـلـطـةـ ، وـتـبـقـىـ الـمـعـارـضـةـ مـعـارـضـةـ ، وـلـاـيمـكـنـ بـالـفـطـرـةـ لـلـقـائـمـيـنـ عـلـىـ السـلـطـةـ بـأـبـيـ مـقـيـاسـ اـنـ تـقـنـ سـيـاسـيـاـ بـالـمـعـارـضـةـ وـلـاـ أـنـ تـسـلـمـ لـلـمـعـارـضـةـ مـكـتـسـبـاـتـهاـ ، وـلـكـنـ لـأـنـ فـاطـمـةـ بـنـتـ مـحـمـدـ بـجـانـبـ الإـلـمـامـ عـلـيـ ، فـقـدـ رـؤـيـ عـدـمـ قـتـلـهـ ، بـالـرـغـمـ مـنـ أـنـهـ هـدـدـ بـالـقـتـلـ إـنـ لـمـ بـيـاـعـ وـرـؤـيـ عـدـمـ إـكـراـهـهـ عـلـىـ الـبـيـعـةـ تـقـدـيرـاـ لـفـاطـمـةـ .

وـلـمـ تـتـخـذـ اـيـةـ إـجـرـاءـاتـ فـعـالـةـ ضـدـ الإـلـمـامـ وـزـوـجـتـهـ الزـهـراءـ عـنـدـمـاـ كـانـاـ يـطـوفـانـ لـيـلـاـ فيـ مـجاـلسـ الـأـنـصـارـ وـيـسـلـانـ النـصـرـةـ فـكـانـ الـأـنـصـارـ يـقـولـونـ (ـيـاـ بـنـتـ رـسـوـلـ اللـهـ قـدـ مـضـتـ بـيـعـنـاـ لـهـذـاـ الرـجـلـ ، وـلـوـ أـنـ زـوـجـكـ وـابـنـ عـمـكـ سـبـقـ إـلـيـنـاـ قـبـلـ أـبـيـ بـكـرـ مـاـ عـدـلـنـاـ بـهـ)ـ فـيـقـولـ عـلـيـ (ـأـفـكـنـتـ أـدـعـ رـسـوـلـ اللـهـ فـيـ بـيـتـهـ لـمـ أـؤـمـنـهـ وـأـخـرـجـ أـنـازـعـ النـاسـ سـلـطـانـهـ؟ـ)ـ فـنـقـولـ فـاطـمـةـ :ـ مـاـ صـنـعـ أـبـوـ حـسـنـ إـلـاـ مـاـ كـانـ يـنـبـغـيـ وـلـقـدـ صـنـعـوـاـ مـاـ اللـهـ حـسـبـهـمـ عـلـيـهـ وـطـالـبـهـمـ (ـ٢ـ)ـ .

وـمـعـ هـذـاـ فـالـنـتـيـجـةـ مـنـطـقـيـةـ كـانـتـ عـزلـ الإـلـمـامـ بـعـدـ وـفـاةـ فـاطـمـةـ وـعـزلـ شـيـعـتـهـ ، وـتـجـلتـ الرـغـبةـ بـعـزلـ الإـلـمـامـ عـنـ بـنـيـ هـاشـمـ خـاصـةـ مـحاـوـلـةـ السـلـطـةـ اـجـتـذـابـ الـعـبـاسـ الـيـهـ بـاغـرـائـهـ بـعـضـ الـأـمـرـ لـهـ وـلـعـقـبـهـ ، وـلـكـنـ الـعـبـاسـ رـفـضـ ذـلـكـ رـفـضـاـ قـاطـعاـ وـرـدـ رـدـاـ حـاسـماـ عـلـىـ السـلـطـةـ (ـ٢ـ)ـ . وـبـالـمـعـيـارـ المـوـضـوعـيـ إـنـاـ قـدـرـ لـلـشـخـصـ الـعـادـيـ أـنـ يـخـتـارـ بـيـنـ السـلـطـةـ وـبـيـنـ خـصـومـهـاـ ،ـ إـنـاـ سـيـخـتـارـ جـانـبـ السـلـطـةـ ،ـ لـأـنـهـ هـيـ الـجـانـبـ الـأـقـوىـ خـاصـةـ ،ـ وـأـنـ مـعـارـضـاتـ

(١) الإمامة والسياسة ص ١٢ على سبيل المثال.

(٢) الإمامة والسياسة ص ١٢ على سبيل المثال.

(٣) الإمامة والسياسة ص ١٥ . ١٦٠ .

أهل البيت تتابعت وكاد حبل الود أن ينقطع نهائياً بينهم وبين السلطة عندما هم عمر بإحرق بين فاطمة على من فيه ولكن الله سلم^(١).

ولقد سلم من حجم القناعة لدى السلطة أنها اقتنعت بأنه لا يجوز لبني هاشم أن يجمعوا مع النبوة الخلافة كوسيلة لمنع الإجحاف الهاشمي ، وأمنت السلطة أن قريشا قد اهتدىت عندما أخذت بهذا المبدأ^(٢).

والأهم من ذلك أنه قد وضع شرطاً بأنه لا يجوز أن يسلط هاشمي على رقاب الناس حتى ولو كان ذا قوة وأمانة ، وقد نفذ هذا الشرط بدقة في عهدي أبي بكر وعمر ، وكان عمر يحرص على أن لا يتولى أعماله أبي مؤيد لهم.

عزل علي وعزل شيعته ، وتعالى الإمام مع الشيختين وتعالى شيعته ، وقدم أهل البيت في زمنهما على الجميع في العطایا ، فكانوا يبدأون بال محمد ثم ببقية الناس ، وأمن الإمام وأهل البيت وشيعتهم على أرواحهم وأموالهم ، وكانوا يستشيران الإمام ويرجعون إليه في كثير من الأمور ، واستقرت الأحوال وساعد على استقرارها فتوح البلدان وعدم تدنس الشيختين بشهوة.

وبعد فترة من استلام عثمان للخلافة بدأ الصحابة يتراجعون من حوله ، وببدأ الأمويون ينزلون في بلاطه ، فانفض الصحابة جمِعاً من حوله ، والتَّفَّ الأمويون عليه وغضّ بهم بلاطه.

ولم يأت الأمويون بمُجَدِّد ، فآل البيت وشيعتهم حرموا الأعمال في زمن الشيختين ، وغير وارد ان يتولوها في زمن عثمان ، ولأن الإمام وشيعته لا يمكن أن يسكنوا على أخطاء بني أمية وهم حاشية عثمان وعماله ، اعتبروا أن أمر أهل البيت بالمعروف ونفيهم عن المنكر معارضة للأمويين لأنهم أمويون ، فلذلك ضاقوا ذرعاً

(١) راجع مراجع التحقيق.

(٢) راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ٢٤ آخر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣ ، وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحميد مجلد ٣ ص ٩٧ و ١٠٧ وقد نقلها عن الإمام أحمد بن أبي طاهر في تاريخ بغداد ، وراجع كتابنا النظام السياسي ص ١٤٩ وما فوق ص ٦ ، ومروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٣٥٣ .

بعلي وبشيوعته وترامت هذه المعارضة مع تركات الماضي بين الماشيين والأمويين ، وما زالت تكبر وتكبر حتى حدثت المواجهة المسلحة بين الأمويين برئاسة معاوية والى الشام وبين الأمة برئاسة إمامها ووليها علي ، وانتصرت القوة على الشرعية وتوج معاوية ملكاً حقيقةً على الأمة ، وسي العايم بعام الجمعة.

وببدأ عهد جديد لمطاردة آل محمد مليء بالدم والدم ، فأبىدوا إلا من كتبوا له الحياة ، وفرضت مسبتهم وشتمهم في الأمصار ، ورددت الأمة المسبات والشتائم وراء الحكام. وطوردت شيعة آل محمد ، ولم يجيزوا لأحد من أهل البيت أو لأحد من شيعتهم شهادة ، ومحوا من الديوان كل من يظهر حبه لعلي وأولاده وأسقطوا عطاءهم ورزقهم^(١).

الاستيلاء على السلطة

١ . استذكار وربط الأحداث

قال النبي ٦ كما أسلفنا (هلم اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبداً) ولما اتى النبي هذه الجملة قال الفاروق موجهاً كلامه لمن حضر (إن النبي قد اشتد به الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله) وعلى الفور انقسم الحاضرون إلى قسمين : القسم الأول يقول (قربوا يكتب لكم رسول الله) والقسم الآخر يقول ما قاله عمر ، فأكثروا اللغو والاختلاف عند النبي ، حتى بلغ الأمر بالقسم الذي أيد عمر ان قالوا (حاشا للرسول ، هجر رسول الله) إن (رسول الله يهجر) ورسول الله يسمع ويرى ، عندئذ قال رسول الله : (دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه)^(٢).

(١) راجع تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٤٠٧ وراجع معاوية في الميزان للعقاد ص ١٦ ، وراجع شيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية ص ١٨٠ .

(٢) نحن أهل السنة نعتبر صحيحي بخاري ومسلم من أصح كتب الحديث على الإطلاق وقد روى البخاري تلك الحادثة الآلية بست روایات ولهما كلها نفس المضمون ورواهما مسلم أيضاً ، وراجع أن شئت صحيح بخاري ج ٧ ص ٩ ، وصحيح مسلم ج ٥ ص ٧٥ وج ١١ ص ٩٥ بشرح النووي وج ٤ ص ٨٥ صحيح بخاري وصحيح مسلم ج ٥ ص ٧٥ وج ١١ ص ٩٤ . ٨٩ بشرح النووي .

٢ . النجاح الساحق

نجح الفاروق بشق الحاضرين إلى قسمين : ١ - جماعة تؤيده وهو التابع ، وجماعة تؤيد النبي وهو المتبع ، فأزال الفوارق بين التابع والمتبع. ونجح الفاروق ومؤيدوه بالحيلولة بين النبي وبين كتابة ما يريد.

الخيارات

فإذا أصرّ النبي على كتابة الكتاب الذي يريد ، ففريق الفاروق يرى أن النبي حاشا له : هجر ، يهجر وفي ذلك كارثة على الدين كلّه ، وإذا عدل النبي عن كتابة الكتاب الذي اراد فريق الفاروق عندئذ يرى ان الرسول قد اشتد به الوجع وحسينا كتاب الله ، فاختار النبي العدول عن كتابة الكتاب ، وصدم خاطرة الشريف هذا القول الموجع هجر يهجر فقال : (دعوني ...).

ثوب الشرعية

الفاروق لم يخرج عن إطار الشرعية من حيث الشكل ، فهو لا يدعوا إلى باطل ، فهو يقول مخاطباً من حضر : عندكم القرآن ، حسينا كتاب الله ، إن رسول الله ﷺ قد اشتد به الوجع ، فهو حريص على أن لا يكتب النبي هذا الكتاب ، وحرirsch على تقديم واجبات الاحترام الرسمية للنبي حيث قال : إن رسول الله ﷺ قد اشتد به الوجع ... وحرirsch على التمسك بالقرآن ، وهو وحده يكفي ولا حاجة لكتاب النبي ، فكامل هذه التصرفات ترتدي ثوب الشرعية.

وهذا عين موقف فريق أمير المؤمنين عمر.

الفصل التاسع

مقاصد الفاروق واهدافه

لقد قاومت بطون قريش النبوة الهاشمية بكل فنون المقاومة ، وحاربتهما بكل وسائل الحرب ، لا حباً بالأصنام ولا كراهيّة للإسلام ، فليس في الإسلام ما تعافه الفطرة فيكره ، لكن قريش لا تزيد أن تغير صيغتها السياسية القائمة على اقتسام مناصب الشرف ، ولا تزيد أن يتميز البطن الهاشمي عن بقية البطون ، ولا أن يتفوق هذا البطن عليها ، وقد تصورت بطون قريش أن التفاف الهاشميين حول النبوة ، ودفعهم المستيميت عن النبي هو إصرار هاشمي على التمييز ، ورغبة هاشمية بالتفوق على الجميع ، فحاصرت بطون قريش مجتمعة الهاشميين ، وتأمرت بطون قريش مجتمعة على قتل النبي ، وتعاونت بطون قريش مجتمعة على حرب النبي ، ففشل الحصار ، وفشلت المؤامرة ، وهزمت البطون في حروبها ، وأحيط بها فأسلمت ، وأدركت أن النبوة الهاشمية قدر محظوظ لا مفر منه ولا محيد ، وطالما أن النبوة قدر محظوظ ، ولا طاقة للبطون بمواجهة هذا القدر ومنعه ، فلتكن النبوة للهاشميين خالصة لهم لا يشاركونهم بالنبوة أحد من البطون ، ولি�توقف الرزف الهاشمي على حقوق البطون الأخرى ، فالنبي قد أعد العدة لتكون الخلافة لعلي الهاشمي ولذرية النبي من بعد علي ، لأنكم يعلم الله الأعلم بالإسلام ، والأفهم بأحكامه ، والأفضل من أتباعه ، والأنسب لقيادة الأمة ، والأطيب لنفوس الجميع.

الحل المثالي

لقد دخلت كل البطون في الإسلام ، والإسلام يجب ما قبله ، وتوحيد قريش في ظلال الإسلام مصلحة شرعية ، وضرورة من ضرورات انتصاره وشيوعه ، وانتشاره في البلدان ، ولا يتحقق ذلك إلا :

- ١ . أن تكون النبوة خالصة لبني هاشم لا يشاركون بها أحد غيرهم كائناً من كان.
- ٢ . أن تكون الخلافة لبطون قريش تداولها فيما بينها لا يشاركونها في الخلافة أي هاشمي على الإطلاق ، ولا حرج لو تداولها مع البطون من غيرهم كالأنصار ، وكملوالي ، لأن اشتراك هذا الغير يتداول الخلافة لا يخدم التمييز والتتفوق الهاشمي ، واستقرت بأذهانهم نهائياً مقوله (لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة) وتحولت هذه المقوله إلى تيار غلاب مستقر في النفوس .

استكشاف الحل

قريش وبإجماع قبلت النبوة الهاشمية باعتبار أنها قدر لا مفر منه ، وهي تتمى لو تحقق حلمها بالحل الشالي ، فلا يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة ، ولكن هذه الأمانى ملجمة بوجود النبي ، وإمكانية تحقيقها بعد وفاته واردة ومتاحة .

اقتناع الفاروق بالمقولة وتطويرها على يديه

لسوء الحظ أن الفاروق قد اقتنع بالمقولة القرئية (لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة) وهو يتلقى هنا مع التيار الغلاب الساكن في نفوس قريش ، والمتائب للظهور بعد وفاة النبي . وأضفى عليها الفاروق ثوب الشرعية فوصفها بأنها الصواب والتفريق ، وأن الغاية منها منع الإجحاف الهاشمي على بطون قريش ، وهكذا طور الفاروق هذه النظرية ، وألبسها ثوب الشرعية ، فشققت طريقها بيسر وسهولة ، وبلا حرج تختال بشوها الشرعي مخفية أحاسيسها الجاهلية ، لأن شعار (لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة) شعار جاهلي من كل الوجوه ، تجد جذوره مستقرة وواضحة في الصيغة الجاهلية التي سادت مكة قبل ظهور الإسلام ، والقائمة أصلاً على اقتسام البطون القرئية لمناصب الشرف ، ومن جهة أخرى فإن الخليفة المقترح من النبي ^٦ وهو علي بالذات نكل ببطون قريش ، فليس فيها بطن إلا وله دم عند علي ، فهو قاتل سادات بني أمية في بدر ، وقاتل حنظلة بن أبي سفيان ، وقاتل العاص بن هشام بن المغيرة ، وهشام هذا هو خال أمير المؤمنين ^(١) ،

(١) الطبقات : ج ٢ ص ١٧ - ١٨

ثم إنّ علياً هو الذي كفى رسول الله كفار العرب بسيفه ورمحه ، فكيف يرضى أبو سفيان عن قاتل ابنه وأولاد عمومته؟ وكيف تتقبل هند وابنها معاوية رئاسة الذين قتلوا الأهل والأحية؟ عمر قد يقبل قاتل خاله ، ولكن غيره لا يتقبل ولا يقبل ، ثم إنّ الرسول ﷺ لا لو عليه ، فهو لم يقتل بيديه ، إنما كان القاتل علي ، فعصبت قريش دماءها بعلي ، ووجهت لومها وكراهيتها له ، مع الاحتفاظ بمويتها الإسلامية ، وولائتها للنبي بالذات ، فلو أخذت قريش بما تسميه بالفضائل التي أضفها النبي ﷺ على علي وسلمت له الخلافة فان قريشا لن تتحد في ظل حكمه بل ستفترق وتختلف وسيعكس هذا الافتراق وهذا الاختلاف على مستقبل الإسلام ومستقبل الولاء للنبي بالذات ، وقد تقع الفتنة مع ما تجره من عواقب وخيمة على الإسلام والمسلمين. بهذا وحده يمكن ان نفسر الاندفاع الهائل لأمير المؤمنين في هذا التوجّه ، ونفس سر الائتلاف بينه وبين بطون قريش على شعار لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة ، حتى تحول أمير المؤمنين عمر إلى مخطط ومنظر حقيقي وأوحد لهذا التيار.

قريش تتحد ضد الولي كما أخذت ضد النبي

وحدة الرؤى الرئيسية وحدت قريشا كلها خلف شعار (لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة) فقد وقفت كل بطون قريش بلا استثناء^(١) ضد النبوة الهاشمية ، واشتركت كل بطون قريش في مقاطعةبني هاشم ثلاثة سنين بهدف القضاء على هذه النبوة وفشل الحصار ، وتأمرت كل بطون قريش على قتل النبي ، وعبرت عن وحدتها بهذا التآمر بإرسال أحد رجالها للاشتراك في قتله ، وفشلت المؤامرة ونجا النبي ثم جهزت كل بطون قريش الجيوش وحاربت النبي وفشلت ، وأحيط بها فاستسلمت وأدركت أن النبوة قدر لا مفر منه وسلمت بها لبني هاشم.

لكنها عزمت وجذرت على أن لا يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة ، فوقفت وقفه رجل واحد ضد علي ، كما وقفت كل بطونها ووقفة رجل واحد ضد النبي ، وغايتها محددة ، وهي ان لا يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة ، وبنفس الوقت الاحتفاظ بالهوية

(١) الإمامة والسياسة ص ٧٠ - ٧٢.

الإسلامية والولاء للنبوة الهاشمية بالقدر الذي لا يتعارض مع نجاح المقوله.

قريش تخطط وهاشميون يرزحون في مصايبها

قريش مدركة أن النبي ميت لا محالة في مرضه هذا ، وقد أخبرهم النبي ﷺ بذلك وهم يصدقون النبي ، وهي مدركة أيضاً أن ترك الأمور على طبيعتها يؤدي حتماً لفوز علي بالخلافة عندئذ يقع المحظور ، فيجمع الهاشميون مع الخلافة النبوة لذلك ، فلا غنى لها عن التحرك بالخفاء لمنع وقوع المحظور .

والهاشميون كذلك وعلى بالذات مشغولون بمصايبهم ، فالنبي ميت لا محالة في مرضه هذا ، وهو يعاني الألم ، وألمه ألمهم لأنه النبي والسيد ، وهم الأتباع المخلصون ، وأنه الأخ والقريب وابن العام والحبيب فالأخ مثله ، ولا قريب يعني عنه ، ولا ابن عم يتحلى بمزاياه ، ولا حبيب نظير له على الإطلاق ، لذلك انصرفوا له بكليتهم ، وانشغلوا به عن سواه مفترضين أن الآخرين مثلهم.

التخطيط الحكم

كيف علم عمر بأن النبي سيوصي ذلك اليوم بالذات فحضر؟ ومن الذي أخبره؟ وكيف تجمع هذا الفريق الذي ما إن سمع النبي يقول : (هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا به) حتى سمعوا الفاروق يرد فوراً على النبي موجهاً الكلام لمن حضر : (إن النبي قد اشتد به الوجع وحسينا كتاب الله) فردد هذا الفريق فوراً : القول ما قاله عمر ، وزادوا (رسول الله هجر !! استفهموه إنه يهجر) كما أسلفنا وأثبتنا ، فقول النبي لا يمكن أن يخلق هذا النفور الفوري . والرد العمري الفوري بجملته الشهيرة (إن الوجع قد اشتد برسول الله حسينا كتاب الله) لا يمكن أن يخلق الإقناع الفوري . مثل هذا الاقناع الذي حمل أصحابه على اللفظ والخلاف والتنازع في حضرة رسول الله ، والأقرب إلى الذهن والمنطق والعقل أن هنالك معرفة يقينية مسبقة لدى هذا الفريق بمضمون الكتاب الذي أراد الرسول أن يكتبه ، وأن هنالك نوعاً من الاتفاق المسبق للح涸لة بين النبي وبين كتابة هذا الكتاب ، ولو أدى ذلك إلى مواجهة مع النبي نفسه ، والقول بأنه يهجر أو هجر حاشا الله ، والأقرب إلى التفكير أيضاً بأن هنالك رابطاً أو اتفاق يضمن تماسك هذا الفريق ووحدته حتى بمواجهة مع النبي

نفسه ، أما هل هذا الاتفاق عفويا أم ثمرة تخطيط ، الله وحده يعلم ، لكن المؤكد أن ظهر الشرعية قد قسم تماماً في هذه المواجهة.

الثمرة الأولى لهذا التخطيط

تمكّن هذا الفريق من أن يحول بين النبي وبين كتابة ما يريد ، وبرز عمر بن الخطاب كأقوى رجل في هذا الفريق على الإطلاق ، فهو الذي خاطب الحاضرين (إن النبي قد اشتد به الوجع حسبنا كتاب الله) بمعنى أنه لا حاجة لنا بكتاب النبي ، هذا معنا حسبنا يكفيانا ، وما زاد عن الكفاية فهو لغو ولا ضرورة له. مما شجع مؤيدي هذا الرأي على القول (رسول الله هجر استفهموه إنه يهجر) حاشا لك يا رسول الله. والخلاصة أن الثمرة الأولى للتخطيط كانت الخيلولة بين الرسول وبين كتابة ما يريد ، ولنفترض جدلاً أن النبي قد أصر على رأيه ولخص الموقف وقال (لا تنسوا بأن الخليفة من بعدي علياً) فإن هذا القول سيعقد مهمة الفريق وسيضطه في ما بعد لإثبات الهجر مع ما يجره ذلك على الدين نفسه من ويلات وكوارث ، فلو رفعوا شعار الهجر فيما بعد لكان الدين نفسه في خطر ، ولما امكّن التفريق بين ما قاله النبي في هجره المزعوم ، وصحّوه المؤكّد ، ففضل النبي ٦ أن يعدل عن كتابة الكتاب ليصون الأهم ، وهو الدين بدلاً من صيانة المهم وهو خلافة علي ، فقال لهم : (قوموا عنّي ما أنا فيه خير مما تدعوني إليه) وخرج هذا الفريق وهو يتصرّف انه المنتصر ، وأنه قطف الثمرة ، وأن العقبة الكبرى في طريق تحقيق الهدف قد زالت.

التخطيط لهزيمة الهاشميين

بمواجهة متكافئة وعادلة وشريفة بين قريش والهاشميين ، فإن الفائز المؤكّد هم بنو هاشم وقد أثبتت وقائع التاريخ ذلك ، فقد حاصرت كل بطون قريش مجتمعةبني هاشم ثلاثة سنين ، وفشل الحصار وانتصر الهاشميون ، وقد تآمرت كل بطون قريش على قتل محمد ، واختارت من كل بطن منها رجلاً ليشتّركوا بقتل النبي مجتمعين ، فيضيّع دمه بين القبائل ، ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه ، وفشل المؤامرة ونجا النبي وانتصر الهاشميون. وجيشت بطون قريش الجيوش وحاربت محمدًا وبني هاشم ، وانتصر محمد

وانتصر الهاشميون بانتصاره ، وهزمت كل بطون قريش وأحيط بها ، وأسلمت واعترفت بالنبوة ، وأدركت أنها قدر لا مفر ولا محيد عنه. فانصب هدف بطون قريش على مساحة الهاشميين بالنبوة ، والإقرار بتفرد الهاشميين بها ووحدهم دون أن يشاركهم بها أحد ، مقابل أن تأخذ بطون قريش الخلافة وتتناولها في ما بينها ، ولا مانع من خروج الرئاسة منهم إلى غير قريش موقتاً على أن لا تؤول إلى هاشمي ، لأنه إذا آلت لبني هاشم فلن تخرج منهم ، ويقع المحظوظ بجمع الهاشميين للخلافة مع النبوة ، لكن وقائع التاريخ أثبتت أن الهاشميين هم الفائزون بأي مواجهة.

الترجمة بمرجح لتحقيق الهدف

أدركت قريش أن سر الانتصارات المتواترة للهاشميين على بطون قريش ، وسر التميز والتفوق الهاشمي يكمن في وجود المرجح الذي ساهم بترجيح الكفة الهاشمية على كفة بطون قريش ، فالمرجح للهاشميين في صراعهم ضد بطون قريش هو الله الناصر أولاً وأسبابه بالترجح ثانياً ، إجماع قريش على مقاطعة الهاشميين ظلم صارخ أخل بالتوازن ، وتزوييد الله للهاشميين بالصبر والأخذ بيدهم وتزويدهم من يؤيدهم من صفوف بطون قريش ويطلب فك هذا الحصار مرجع أدى لفشل الحصار.

ومؤامرة قريش لقتل النبي إفساد في الأرض وقتل دون سبب موجب ذلك ، ونوم علي بن أبي طالب في فراش النبي ، ونجاة النبي واستقراره في يثرب سبب مرجح أدى لفشل مؤامرة القتلة .

وتجييش بطون قريش الجيوش ومحاربة النبي وملاحقته بلا كلل ولا ملل ، تمادٍ بالباطل وإصرار عليه ، والتفاف الأنصار حول النبي واحتضانه ومحاربته إلى جانبه وجانب الماشيين ، سبب مرجع أدى لفشل كل الحروب التي شنتها بطون قريش ، وأسفر عن هزيمة ساحقة أدت في النهاية لأنهيار الزعامة المشركة واستسلامها بالكاملا .

التكافؤ والفرصة والموضوعية

إذا كان هنالك تكافؤ بالفرض بين رأي قريش وبين رأي بنى هاشم ، فإن الرأي المهاشمي سيسmmo على رأي قريش ، ويثبت أنه الأصوب والأجدر ، وإذا كان هنالك فرصة موضوعية لتقرع الحجة بالحججة ، فإن الولي من بعد النجy سيفرغ بحجهـة الـباـهـرة

حجـةـ غـيرـهـ ، لأنـ الـوليـ معـ القرآنـ والـقرـآنـ معـهـ بالـنصـ ، والـحقـ معـ الـوليـ والـوليـ معـ الحقـ بالـنصـ ، كماـ أـثـبـتـنـاـ ، وإـذـاـ كـانـتـ هـنـالـكـ مـبـارـزـةـ شـرـيفـةـ بـيـنـ الـولـيـ وـبـيـنـ أـيـ كـانـ ، فـإـنـ الـوليـ سـيـفـوـزـ ، لأنـ الـمـصـورـ بـإـذـنـ اللهـ ، وـلـكـنـ الـولـيـ لـاـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـخـطـطـ فـيـ الـظـلـامـ وـلـاـ يـمـكـنـهـ التـأـمـرـ ، وـلـاـ يـمـكـنـهـ مـعـصـيـةـ اللهـ .

المـرجـعـ الـذـيـ سـيـهـمـ الـولـيـ وـالـخـطـةـ الـمـثـلـيـ

اهـتـدـتـ قـرـيشـ إـلـىـ مـفـصـلـ الـأـمـرـ وـفـيـصـلـهـ اـهـتـدـتـ إـلـىـ الـأـنـصـارـ . إـذـاـ اـسـتـطـاعـتـ قـرـيشـ أـنـ تـضـمـنـ وـلـاءـ الـأـنـصـارـ لـوـقـفـهـاـ فـقـدـ حـقـقـتـ النـصـرـ السـاحـقـ ، وـتـحـقـيقـ هـدـفـهـاـ الـأـعـظـمـ بـمـنـعـ الـهـاشـمـيـنـ مـنـ أـنـ يـجـمـعـوـاـ مـعـ الـخـلـافـةـ الـنـبـوـةـ ، وـمـنـعـ الـولـيـ مـنـ أـنـ يـكـونـ هـوـ الـخـلـيفـةـ ، لأنـهـ إـذـاـ توـلـىـ عـلـىـ الـخـلـافـةـ فـسـوـفـ يـقـتـرـحـ الـحـسـنـ لـيـخـلـفـهـ مـنـ بـعـدـهـ ، فـالـإـلـامـ الـحـسـنـ إـمامـ مـسـمـىـ مـنـ قـبـلـ اللهـ وـقـبـلـ رـسـولـهـ ، وـمـنـ لـهـ مـكـانـةـ اـبـنـ بـنـتـ رـسـولـ اللهـ حـتـىـ يـعـتـرـضـ يـوـمـ تـسـمـيـتـهـ ، وـبـالـتـالـيـ سـيـكـونـ الـخـلـيفـةـ مـنـ بـعـدـ أـيـهـ ، إـذـاـ توـلـىـ الـحـسـنـ إـلـمـامـةـ فـسـيـقـتـرـحـ الـحـسـنـ إـمامـاـ مـنـ بـعـدـهـ ، وـلـيـسـ بـامـكـانـ أـحـدـ أـنـ يـعـتـرـضـ عـلـيـهـ ... الـخـ وـهـكـذـاـ تـبـقـىـ الـأـمـرـ بـيـدـ أـبـنـاءـ الـنـبـيـ الـهـاشـمـيـنـ وـيـجـمـعـ الـهـاشـمـيـوـنـ الـخـلـافـةـ مـعـ الـنـبـوـةـ ، فـيـكـونـ فـوزـهـمـ عـلـىـ الـبـطـوـنـ سـاحـقاـًـ .
وـوـسـيـلـةـ مـنـعـ ذـلـكـ كـلـهـ تـكـمـنـ فـيـ الـمـرجـعـ وـفـيـ اـنـدـادـ تـكـافـئـ الـفـرـصـ ، وـفـيـ السـرـعـةـ وـالـحـزمـ

: :

١ . المـرجـعـ الـأـعـظـمـ وـاقـعـيـاـ هـمـ الـأـنـصـارـ ، إـذـاـ وـقـتـ الـأـنـصـارـ مـعـ عـلـيـ فـقـدـ هـزـمـتـ قـرـيشـ وـفـقـ مواـزـينـهـاـ وـوـقـعـ الـمـحـظـورـ ، فـجـمـعـ الـهـاشـمـيـوـنـ الـخـلـافـةـ وـالـنـبـوـةـ ، إـذـاـ وـقـتـ الـأـنـصـارـ مـعـ قـرـيشـ وـمـعـ هـدـفـهـاـ هـذـاـ فـإـنـ هـزـيـةـ الـهـاشـمـيـوـنـ وـهـزـيـةـ الـولـيـ مـؤـكـدـةـ وـفـقـ هـذـهـ الـمـواـزـينـ .
وـإـذـاـ اـمـكـنـ تـحـيـيدـ الـأـنـصـارـ فـلـاـ يـقـفـوـ مـعـ الـولـيـ فـانـ هـذـاـ إـنجـازـ ، وـإـمـكـانـيـةـ تـحـقـيقـ هـدـفـ قـرـيشـ وـارـدـةـ بـكـلـ الـمـواـزـينـ الـمـوـضـوعـيـةـ .

٢ . النـقـطةـ الثـانـيـةـ اـنـدـادـ تـكـافـئـ الـفـرـصـ ، إـذـاـ وـقـفـ الـولـيـ عـلـىـ قـدـمـ الـمـساـواـةـ مـعـ قـرـيشـ وـمـعـ أـيـ زـعـيمـ مـنـ زـعـمـائـهـاـ ، فـيـ فـرـصـةـ مـتـكـافـئـةـ ، فـإـنـ الـولـيـ سـيـغـلـبـ وـسـيـقـيـمـ الـحـجـةـ الـشـرـعـيـةـ عـلـىـ قـرـيشـ مـجـتمـعـةـ ، وـعـلـىـ أـيـ زـعـيمـ مـنـ زـعـمـائـهـاـ ، وـلـمـهـ بـهـذـهـ الـحـالـةـ أـنـ

لا يتكلم معه الزعيم القرشي بصفته الشخصية ، ولكن يتكلم معه باسم جمع ، باسم المهاجرين ، باسم أكثريّة الأمة ، فإذا فعل الزعيم القرشي ذلك فامكانية هزيمة الولي وفق موازينهم واردة.

٣ . السرعة القصوى بحيث يتم البت بموضوع الخلافة خلال فترة اشغال العترة الطاهرة بتجهيز النبي ودفنه ، فلا يحضر منهم أحد على الإطلاق ويتم تنصيب الخليفة بغيراهم كلهم ، فلا يكون لهم بعد ذلك عذر ، ولا مبرر للاعتراض إلا الفتنة ومواجهة دولة حقيقة لها رئيسها ونائبتها وجيشهما ، وهم أتباع الخليفة الجديد ومباعوه.

اجتماع السقيفة

مات النبي ٦ ، غاب القمر المنير الذي أضاء الوجود بنوره ، وشاء الخبر ، وهرع سكان العاصمة وتجمعوا في بيت النبي وأحاطوا به ، ي يكون نبيهم ووليهם وإمامهم الأعظم ، والآل الكرام وعلى رأسهم الولي وال الخليفة بعد النبي منصرفون كلهم وبكليلتهم إلى مصابح الذي لا مصاب بمثله ، ومشغولون بتجهيز النبي لمواراته في ضريحه الأقدس . في هذا الوقت بالذات انعقد الاجتماع في سقيفة بني ساعدة.

أسئلة بدون أجوبة

لماذا انعقد هذا الاجتماع بهذا الوقت بالذات؟ ومن الذي دعا اليه؟ وكيف أمكن عقده بهذا الوقت بالذات؟ ومتى بدأ التحضير له؟ ومن حضره على وجه اليقين من الأنصار؟ فالسقيفة لا تتسع لكل الأنصار ، وقسم كبير منهم كان بحكم المنطق في بيت النبي أو متاحلاً حوله؟ لأن من المستحيل أن يغيروا كلهم عن النبي دفعة واحدة؟ ومن الذي بدأ بالتحضير لهذا الاجتماع؟ وكم استغرق التحضير له؟ ولماذا لم يعلم بهذا الاجتماع من المهاجرين إلا عمر بالذات؟ ومن الذي أخربه؟ لأن عمر لم يكن في بيت النبي ولا مع المتاحلين حوله ، إنما كان في مكان ما وهو يعلم أن أبا بكر في منزل النبي بالضرورة ، فأتى عمر فأرسل إلى أبي بكر : أن اخرج إلى فأرسل إليه : إني منشغل ، فأرسل إليه : أنه حدث أمر لابد من حضوره ، فخرج أبو بكر إليه فقال : أما علمت أن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يولوا هذا الأمر

سعد بن عبادة ، وأحسنهم مقالة من يقول : من أمير ومن قريش أمير ، فمضيا مسرعين ،
فلقيا أبا عبيدة بن الجراح فماشوا إليهم ثلاثة^(١).

من الذي أتى بالخبر

يقول الطبرى : إن أول من سمع خبر (اجتماع الأنصار هو عمر)^(٢) وفي رواية أخرى : (أبا بكر بلغه الخبر)^(٣) وفي رواية ابن هشام (فأتى آت إلى أبي بكر وعمر) أما من هو هذا الذي أتى بالخبر ؟ فلا أحد يعرفه على الإطلاق لأن اسم هذا المخبر ضائع^(٤).

اثنان من الأنصار

عندما سار الثلاثة باتجاه السقيفه وجدوا عويم بن ساعدة الأنصاري ومعن بن عدي^(٥) وهما من صفة الأنصار ، وفي رواية ثانية للطبرى : فلقيهما عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة ، وهما صحابيان قد شهدا بدرأً.

وفي رواية أئمما قالا للثلاثة : ارجعوا واقضوا أمركم بينكم ، وفي رواية ثانية : ارجعوا فإنه لن يكون ما تريدون.

الملفت للانتباه : أئمما من الأنصار وشهدا بدرأً ، ومع هذا لم يحضرها اجتماع السقيفه ، ولا كانوا متوجهين اليه مع علمهم بالاجتماع ، إنما كان اتجاه مسيرهما معاكس لاتجاه مسیر الثلاثة ، فقد تبادل الاثنان الحديث مع الثلاثة المهاجرين ، ومضى كل نفر في دربه. لأن لم يشر أحد أن الخمسة ساروا معاً باتجاه اجتماع السقيفه. ثم مضمون الحوار فمرة قالوا للثلاثة : ارجعوا واقضوا أمركم بينكم ، بمعنى أنه لا علاقة للأنصار بهذا الأمر ، ومرة أخرى قالا : إنه لن يكون الذي تريدون بمعنى أن الأنصار

(١) راجع تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢١٩ .

(٢) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢١٩ .

(٣) تاريخ الطبرى .

(٤) نظام الحكم للقاسى ص ١٢٦ .

(٥) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٠٦ .

لن توليككم. فأي الروايتين أولى بالتصديق؟

الفصل العاشر

تحليل موضوعي ونفي الصدفة

هناك إجماع بين مؤرخي أهل السنة بأن أول من سمع بخبر الاجتماع هو عمر^(١) وفي رواية أخرى له أن أبا بكر بلغه الخبر^(٢) وبلوغ الخبر لأبي بكر لا ينفي كون عمر هو أول من سمع الخبر وفي رواية ابن هشام (فأتى آت إلى أبي بكر وعمر فقال ...)^(٣) ثم إنه لا أحد يعرف اسم الذي أتى بالخبر لحد الآن !! إنه ليس صدفة أن يضيع اسم المخبر ، مع أن هذا المخبر شخص يارز في المجتمع ، لأنه يعلم ما يدور في الخفاء ، وأنه أخبر عمر وأبا بكر ، وما يدل على بروز هذا الشخص أن عمر وأبا بكر أصغيا إليه وصدقاه وكلماه ، فمخبر بهذا الوزن لأمر بهذه الأهمية لا يمكن أن يضيع اسمه إن وجد ، مما يلقي ظلالاً من الشك على وجود حقيقي مثل هذا المخبر.

ثم إنه ليس صدفة أن تجتمع الأنصار وهم الأغلبية الساحقة من سكان العاصمة (المدينة) ولا يعلم بهذا الاجتماع من المهاجرين كلهم إلا عمر وحده ! ثم لماذا ينادي عمر أبا بكر وحده ولا ينادي غيره من المهاجرين ، مع أن المهاجرين كلهم يلقون نظرة الوداع على نبيهم وإمامهم ويشاركون الآل الكرام مصابحهم الفادح ؟ وهذا ليس صدفة أيضاً ، ثم أين كان الفاروق الذي لم تتحمله رجلاته عندما سمع بخبر وفاة النبي ، وتوعده بالموت وتقطيع اطراف من يزعم موت النبي^(٤)؟ وما تأكد له الموت من

(١) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢١٩ .

(٢) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٠١ .

(٣) ابن هشام ج ٢ ص ٦٥٦ .

(٤) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٩٧ .

المفترض أنه ذهب إلى بيت نبيه وإمامه ليلقى عليه نظرة ، وليشارك الأمة مصابها. فلو كان ذهب إلى بيت نبيه ورئيسه ، فكيف جاءه الخبر من دون الناس؟ ومن الذي أتاه بهذا الخبر ، وكيف اهتدى إليه من بين الألوف المتواجدين في البيت المبارك أو حوله؟ فمن المؤكد أن هذا ليس صدفة.

و حول الأنصار أنفسهم ، من المؤكد قطعاً أن الأنصار لم يجتمعوا جميعاً فالذين اشتركوا في بدر هم الخيار ، كما ورد بنص الشرع ، ومن غير الممكن أن يتم اجتماع الأنصار ولا يحضره البدريون وهم الخيار ، فاللذان صادفاً المهاجرين الثلاثة هما من أهل بدر ، ولو كانت غاية الاجتماع اختيار خليفة لحضره هذان البدريان ، أو على الأقل لما كانوا خارج الاجتماع بتلك اللحظة. ثم إن النبي قد فارق الحياة وهو مسجى في بيته الطاهر ، فهل يعقل أن يتركه الأنصار ، ولا يذهب منهم أحد لالقاء نظرة الوداع عليه ، بالوقت الذي تتأهب فيه العترة الطاهرة لوارثه في ضريحه المقدس؟ هذا أمر لا يمكن تصديقه إلا بحكم التقليد الأعمى. ثم إن الأنصار على فرض اجتماعهم كلهم من أجل انتخاب خليفة عرفوا أحكام الشرع ، وعرفوا أن محمداً من قريش ، وأن الأئمة من قريش ، وعرفوا الأحكام الواردة في أهل بيته ، وشهدوا تنصيب الولي وال الخليفة من بعد النبي في غدير خم ، وأوصاهم النبي بعلي وبأهل بيته ، وخطبهم مجتمعين ذات مرة قائلاً لهم (يا معاشر الأنصار إلا أدلكم على ما إن تمكتم به لن تضلوا بعده أبداً؟) قالوا : بلـى يا رسول الله ، قال (هذا على فأحبوه بجيـ وـأكرموه بـكرامتـي فإن جـبرـيلـ أمرـيـ بالـذـيـ قـلـتـ لـكـمـ عنـ اللهـ عـزـ وـجـلـ^(١) . فـكـيفـ يـنسـونـ هـذـاـ النـصـ أوـ يـتـناسـونـ هـذـاـ النـصـ؟ـ كـيفـ يـنسـونـ قـضـيـةـ التـنـصـيبـ ،ـ وـمـاـ هـيـ عـلـاقـتـهـ بـشـعـارـ (ـ لـاـ يـنـبـغـيـ اـنـ يـجـمـعـ الـهـاشـمـيـوـنـ الـخـلـافـةـ مـعـ الـنـبـوـةـ)ـ ،ـ فـهـمـ لـيـسـوـاـ مـنـ قـرـيـشـ وـلـاـ مـصـلـحـةـ لـهـمـ بـإـبـعادـ آـلـ مـحـمـدـ ،ـ كـيفـ يـنسـونـ قـولـهـ ٦ـ عـنـ عـلـيـ (ـ إـنـهـ وـلـيـكـمـ بـعـدـيـ ،ـ وـإـنـهـ مـوـلـيـ

(١) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٩ ص ١٧٠ تحقيق محمد أبو الفضل وحلية الأولياء لابي نعيم ج ١ ص ٦٣ و مجمع الروائد ج ٩ ص ١٣٢ وكفاية الطالب لكتابي الشافعي ص ٢١٠ وينابيع المودة للقنديوزي الخففي ص ٣١٣ وكتنز العمال ج ١٥ ص ١٢٦ والرياض النصرة للطبراني ج ٢ ص ٢٣٣ وفضائل الحسنة ج ٢ ص ٩٨ ومطالب المسؤول لابن طلحة ج ١ ص ٦٠ وفرائد السقطتين ج ١ ص ١٩٧ ح ١٥٤ .

كل مؤمن ومؤمنة بعده ... ، الخ ، ما هي مصلحتهم بتجاهل هذه النصوص الواضحة القاطعة وأمثالها؟ فالأنصار لم تجتمع لاختيار خليفة منها ، وهذا أمر عسير تصديقه بكل الموازين ، لأن الأنصار يعرفون الولي ويعرفون الخليفة ، بدليل أنهم وفي غياب علي وعندما أدركوا أن الأمر سيفلت من أيديهم قالوا (لا نبایع إلا علياً) وفي رواية قال بعض الأنصار (لا نبایع إلا علياً)^(١) مما يدل على أن بعض الموجودين أرادوا مبايعة غيره ، إن صدقت الرواية الثانية ، لكن من المؤكد أن إحدى الروايتين صادقة ، وعندما غالب الأنصار على أمرهم وراجعتهم فاطمة الزهراء^٣ طالبة النصرة فكانوا يقولون لها (يا بنت رسول الله . قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو ان زوجك وابن عمك سبق اليانا قبل أبي بكر ما عدنا به) فيقول علي كرم الله وجهه (أفكنت أدع رسول الله^٦ في بيته لم أدفعه وأخرج أنازع الناس سلطانه؟) فتفقول فاطمة : ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبيهم ومطالبهم^(٢) .

وبشير بن سعد . الذي خرج عن إجماع الأنصار وكان أول من بايع أبي بكر . لما سمع حجة الإمام واحتاججه قال مخاطباً علياً : (لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان)^(٣) .

من كان هذا تفكيرهم لا يعقل أن يعتقدوا اجتماعاً بقصد انتخاب خليفة للنبي في غياب الولي الذي نصبه النبي ولیاً لهم من بعده أمام أعينهم في غدير خم ، وقدموا بأنفسهم له التهاني ، وسمعوا النبي مرات ومرات وهو يقول لهم : إنه وليك من بعدي ، وإنه مولى كل مؤمن ومؤمنة بعدي.

ثم إن سعد بن عبادة الصحابي الجليل ، وسيد الخزرج ، وصاحب المواقف التي لا تعرف المهادنة أكبر من ان يقبل الخلافة من بعده ، في وجود الولي وأهل بيته ، وشيوخ

(١) راجع على سبيل المثال ج ٣ ص ١٩٨ والإمامية والسياسة لابن قتيبة ص ٨ وشرح النهج لابن أبي الحميد ج ٢ ص ٢٦٦ .

(٢) راجع الإمامية والسياسة ص ١٢ .

(٣) الإمامية والسياسة ص ١٢ وص ٨ .

المهاجرين ، ثم إنه كان مريضا بالإجماع ولا يقوى على النهوض ، ولو كان قادراً على النهوض لما ترك وليه ونبيه دون أن يلقي عليه نظرة الوداع. ومن المؤكد أن منزل سعد متصل ب لهذا المكان ، حيث حملوه فأدخلوه داره كما يروي ابن قتيبة ، ومن الممكن أن هذه المجموعة من الأنصار كانوا من عواده ، وخبروه بموت النبي ، وليس من المستبعد أن يكون قد جرى حوار هادئ بين المجتمعين ، ومن الممكن جداً أن يكون هذا الحوار قد تناول عصر ما بعد النبي .^٦

دخول المهاجرين الثلاثة

أخذ الاجتماع طابعاً خاصاً بدخول المهاجرين الثلاثة ومن الطبيعي أن الحديث سينقطع بعد دخول هؤلاء المهاجرين ، من الذي بدأ الحديث؟ من الذي فتح المناقشة بعد دخولهم؟ لا أحد في الدنيا من أهل الملة يعرفه على وجه التحديد ، لكن الفاروق يتصور أن هؤلاء يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويفصلونا الأمر^(١) وأن الفاروق نفسه كان يتوقع قدوم جدد وانضمائهم إلى هذا الاجتماع. وأقبلت أسلم بجماعتها حتى تضيق بهم السكك فباقوا أبا بكر فكان عمر يقول : (ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقتنت بالنصر)^(٢) معنى أنه يعلم اسم مؤيده سلفاً.

وأسلم بطن كبير من بطون الأنصار كثير العدد كما يبدو ، ومع هذا لم يكونوا في الاجتماع ، هذا مما يؤكّد أنّ اجتماع الأنصار لم يكن له طابع سياسي أبداً ، ثم قول الفاروق : (فأيقتنت بالنصر) النصر على من؟ والنصر بماذا؟ وكل هذا يؤكّد المهمة الترجيحية التي فرضت على الأنصار بمعنى الذي نوهنا عنه آنفاً.

الغاية من قدول المهاجرين الثلاثة

كان الهدف من ذهاب المهاجرين الثلاثة إلى الأنصار هو بالتحديد تنصيب خليفة للنبي ، وذلك بعياب قريش كلها ، فرأى قريش هو عينه رأي الثلاثة ، وهو ينصب بالدرجة الأولى والأخيرة على عدم تمكين الماشيين من الجمع بين الخلافة والنبوة ،

(١) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٠١ - ٢١٨.

(٢) الطبرى ج ٣ ص ٢٢٢.

وبهذه الحالة فلا داعي لوجود قريش ، لأنها ممثلة بمؤلءات الثلاثة أو على الأقل ممثلة بعمر المؤمن إيماناً تاماً بهذه المقوله ، والغاية أيضاً أن يجري تنصيب الخليفة في غياب العترة الطاهرة كلها وخاصة عميدتها علي بن أبي طالب ، لأنه إن حضرت العترة الطاهرة أو حضر العميد ، تتغير حتماً النتائج ، ويقيم الحجة عليهم ويقنع الأنصار. فإذا غابت العترة الطاهرة وغاب عميدتها ، فمن المؤكد أن الجو سيصفوا لهم ويتمكنوا من تعين أحد هم خليفة ، فبایعه مؤيدوهم من الأنصار ، وإذا بايع أناس من الأوس بالضرورة ستتابع الخزرج ، حتى تتقاسم المجموعتان هذا الشرف. وعندما يتم ذلك تواجه العترة الطاهرة ويواجهه عميدتها بمرجع باياعته الأنصار ، وإذا باياع الأنصار فلن ترجع عن بيعتها. وأي مواجهة من العميد أو من العترة لن تكون بين علي وأبي بكر ، أو بين علي وعمر ، أو بين علي وأبي عبيدة كأشخاص ، إنما تكون مواجهة بين خليفة حاكم واحد رعاياه ، أو بين أحد نائبي الخليفة واحد الرعايا المحكومين للدولة ، وهي مواجهة معرفة النتائج. فبمواجهة منطقية متكافئة لا قدرة للفاروق على الولي ، لأن الولي باب الحكم اللدني ، وبمواجهة متكافئة بين الفاروق والولي فإن الولي سيحسمها على مستوى القوة ، لأن افعال الفاروق بالقتال ليست كأفعال الولي ، ففي معركة الخندق مثلاً نادى عمرو بن عبد ود حتى بع صوته ، والصحابة ومنهم الفاروق يسمعون ، ولم يقو على التصدي إلا الولي. لكن عندما يكون الفاروق نائباً للخليفة فلا داعي ليواجه الولي بنفسه ، إنما يرسل له سرية مجتمعة ، وتجر الولي إلى الفاروق جرأ كما حدث فعلاً.

والوقت الذي اختاره الثلاثة لتنصيب الخليفة ملائم جداً لهدفهم ، وهو وقت تجهيز النبي والإعداد لمواراته في ضريحه ، وهذا الوقت المثالي لتنصيب الخليفة في غياب العترة الطاهرة وغياب عميدتها ، فهم منصرون بكليتهم إلى مصابهم ، وذاهلون حتى عن أنفسهم بهذه الفاجعة الأليمة ، بل إن المسلمين أنفسهم في حالة ذهول ... وبالتالي هذا هو الوقت المناسب لتنصيب خليفة بالصورة التي تمناها بطون قريش.

ثم إن اختيار الأنصار بالذات للترجيح اختيار موفق ودقيق ، فغاية بطون قريش أن لا يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة ، وهذه البطون لا تحفظ لها على أي شخص

إذا لم يكن هاشمياً ، فمعارضة قريش غير واردة ، فأول من بايع الخليفة هو عثمان الأموي ومن معه من بني أمية ، ثم سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بني زهرة^(١) ولفهم دقة الاختيار لو أن قريشاً كلها بايعت أباً بكر ولم يبايعه الأنصار لما كان لبيعة قريش أدنى قيمة واقعية ، ولأن المكن الإمام في ما بعد أن يقيم الحجة على قريش ، وأن ترجع كفته بالأنصار. ومن هنا فلا معنى لتحضير قريش ، لأنها فريق والثلاثة يقومون مقامها ويحققون أهدافها.

وهكذا ولأول مرة في التاريخ بقيت العترة الطاهرة خاصة ، والهاشميون عامة ، بدون مرجع واقعي يضمن لهم الفوز على بطون قريش ، بعد أن تمكن الثلاثة من الانفراد بالأنصار ، والتعبير عن ضمير البطون القرشية ، واستبعاد الهاشميين بالكامل عن الخلافة والولاية والأعمال فيما بعد.

ومن هنا نفهم سر أسلوب عمر بأخذ بيعة المهاجرين والعترة الطاهرة وعميدها بعد خروج الثلاثة من السقيفة : كان الناس في المسجد الشريف مجتمعين ، فلما أقبل عليهم أبو بكر وأبو عبيدة وقد بايع الأنصار أباً بكر ، قال لهم عمر : مالي أراكم مجتمعين حلقاً شتى ! قوموا فباعوا أباً بكر فقد بايعته وبابيعه الأنصار. فقام عثمان ومن معه من بني أمية فباعوا ، وقام سعد وعبد الرحمن ومن معهما من بني زهرة فباعوا. وأما علي والعباس بن عبد المطلب ومن معهم من بني هاشم فانصرفوا إلى رحالتهم ومعهم الزبير بن العوام ، فذهب إليهم عمر في عصابة ، فقالوا : انطلقوا فباعوا أباً بكر ، فأبوا

انظر إلى لهجة الفاروق وأسلوبه بأخذ البيعة

في السقيفة

الجالسون في السقiffe مجرد جماعة من جماعات الأنصار ، وليسوا ككل الأنصار ولا نصفهم ، ولا ثلثتهم ولا رباعهم ، ولا حتى عشرهم ، لأن الأكثريّة الساحقة من سكان المدينة من الأنصار ، والقسم الأكبر منهم كان في بيت النبي أو حوله بالعقل

(١) راجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ١١ .

والضرورة ، وحتى الذين شاهدوا سعد بن عبادة ومن حوله لم ينضموا إليهم (الرجال الصالحان) اللذان شهدا بدرًا وهم عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة برواية للطبرى ، وبرواية أخرى عويم بن ساعدة ومعن بن عدي ^(١) ، فلو كان اجتماعاً للأنصار لما تركاه ، ثم إنَّ أسلم « التي أقبلت بجماعتها حتى تصايق بهم السكك » لم تكن موجودة ، ويبدو أن عمر كان يتوقع قدومها وموئن من تأييدها بدليل قوله : (ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقتنت النصر) هؤلاء جاءوا بعد المبايعة مما يدل على أن موضوع اختيار الخليفة من بعد النبي ولد بقدوم المهاجرين الثلاثة وفرضه المهاجرون الثلاثة .

لأن الذي جاء بخبر اجتماع الأنصار ما زال مجھولاً للاآن ولا يعلم به أحد ، وأن الذي فتح المناظرة بعد قدوم المهاجرين الثلاثة ما زال مجھولاً ، فعندما يدخل هؤلاء المهاجرون لا بد أن يطرحوا السلام ولا بد من تكلم بعد طرح السلام . فمن هو هذا المتكلم الذي فتح المناظرة؟ إنه تماماً كالذي جاء بخبر اجتماع الأنصار وما زال مجھولاً ، مع أن الذين هم أدوار هنالك مقاطع من الحقيقة مقصوصة ، وجوانب من الروايات مبتورة ، بالرغم من تعدد الروايات وتعدد الرواية . والحقيقة أن قصة اجتماع السقيفة صيغت وأرخت تحت إشراف مؤيدِي الفاروق والصديق ، وتم تناول القصة وطرحها بالطريقة التي لا تثير حفيظة الحكماء ولا تستفز المؤيدين والتي تصور هؤلاء الثلاثة كرواد وكأبطال لقصة تاريخية ، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال تعدد الروايات ومضامين هذه الروايات ، وتناقضها مع بعضها أحياناً ، فما قاله (الصالحان البدريان) ورد مضمونه بروايتين متناقضتين مثلاً ^(٢) وسعد بن عبادة يصوَّر في رواية كطالب للخلافة ومنافس عنيد للثلاثة يثير غضب الجموع وتوشك أن تقتلته ، بل ويقال (اقتلوه قتله الله) ^(٣) ويصوَّر في رواية ثانية كرجل أقام الفاروق عليه الحاجة فسكن واقتنع وباع ^(٤) ولا ترى تمراً من الحباب أو من غيره ، لأن الأمور استقرت في

(١) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٢) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٠٥ .

(٣) الإمامة والسياسة ص ١٠ .

(٤) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢٠٣ .

مكاحنا الصحيح الخ.

أعظم ثروة فكرية إنسانية

لو أن المهاجرين الثلاثة شاركوا العترة الطاهرة وال المسلمين في تجاهز النبي لمواراته في ضريحه المقدس ، وبعد مواراته اتجهت جموع المشيعين إلى المسجد فأدلت الصلاة المفروضة بإمامية مولى الثلاثة ، ومولى كل مؤمن ومؤمنة باعتراف الثلاثة ، وبعد أن فرغت من صلاتها قام كل واحد من هؤلاء الثلاثة فتكلّم بما يحلوا له ، ويبين تصوّره وطرح فكره ، وأتيحت الفرصة ليقول كل ذي رأيه. وبعد ذلك قام الوالي ببيان رأيه وحكم الشّرع في كل الآراء المطروحة باعتباره هو الـهادي بنـصـ الشـرـع ، وهو المـبـينـ لـلـأـلـمـةـ بـعـدـ النـبـيـ كـلـ أـمـرـ تـخـلـفـ عـلـيـهـ بـنـصـ الشـرـعـ ، وـالـأـنـصـارـ وـجـمـوـعـ الـمـسـلـمـيـنـ يـسـمـعـونـ كـلـ ذـلـكـ وـيـعـونـهـ ، وـيـقـومـونـ بـدـورـ الـمـرـجـعـ ثـمـ يـسـاـعـونـ إـلـيـمـامـ الـذـيـ اـرـادـهـ اللـهـ بـالـنـصـ اـنـ يـسـاـعـوهـ ، لـوـ حـدـثـ ذـلـكـ لـكـانـتـ ثـرـةـ هـذـهـ الـمـنـاظـرـ أـعـظـمـ ثـرـوـةـ فـكـرـيـةـ إـنـسـانـيـةـ عـلـىـ إـلـاطـلـاقـ ، وـلـتـغـيـرـ مـجـرـىـ التـارـيـخـ تـامـاـ ، وـلـأـمـكـنـ تـطـيـقـ الـنـظـامـ السـيـاسـيـ إـلـاسـلـامـيـ الـذـيـ أـنـزـلـهـ اللـهـ عـلـىـ عـبـدـهـ ، وـلـأـمـكـنـ مـنـ خـلـالـهـ اـنـتـشـالـ الـجـنـسـ الـبـشـريـ كـلـهـ ، وـتـكـوـيـنـ الدـوـلـةـ الـعـالـمـيـةـ الـتـيـ تـحـكـمـ الـكـرـةـ الـأـرـضـيـةـ وـفـقـ أـحـكـامـ الشـرـعـ. تـلـكـ أـمـنـيـةـ ، مـاـ تـحـقـقـتـ لـأـنـاـ تـرـكـنـاـ النـصـ وـاجـتـهـدـنـاـ ، وـأـمـةـ تـرـكـ النـصـوـصـ الشـرـعـيـةـ وـتـعـمـلـ بـاجـتـهـادـهـ أـمـةـ هـالـكـةـ لـاـ مـحـالـةـ ، وـذـائـقـةـ وـبـالـأـمـرـهـاـ ، جـزـاءـ وـفـاقـاـ لـتـبـدـيلـهـاـ نـعـمـةـ اللـهـ وـهـدـايـتـهـ ، وـتـأـوـيلـهـاـ لـلـوـاضـحـاتـ مـنـ أـوـامـرـ اللـهـ لـاـ لـشـيءـ إـلـاـ لـيـتوـافـقـ هـذـاـ التـأـوـيلـ مـعـ مـاـ تـحـوـيـ الـأـنـفـسـ.

الحجـجـ الشـرـعـيـةـ لـأـطـرـافـ السـقـيـفـةـ

عاجلاً أم آجلاً سيكتشف الباحثون أن لقاء جماعة من الأنصار مع سعد بن عبدة هو لقاء عادي من كل الوجوه ، وليس له أي طابع سياسي ، وإن جرى فيه حديث سياسي مما هو إلا مجرد تبادل بوجهات النظر بين أنس اجتمعوا عند مريض.

لكن الذي أعطى لقاء هذه الجماعة هذا الطابع السياسي والتأسيسي هو قدوم المهاجرين الثلاثة ، لقد حوله هؤلاء المهاجرين إلى لقاء سياسي وتأسيسي اتخذوه أساساً لتنصيب الخليفة من بعد النبي بالصورة التي ارادوها. وطالما أن هذا اللقاء

أصبح سياسياً وتأسيسياً فما هي الحجج الشرعية التي طرحت فيه ، حتى فاز بوجبهما من فاز؟

حججة المتواجددين من الأنصار

لم تكن غاية المتواجددين من الأنصار أن ينصبوا خليفة منهم كما يحلو للرواية التركيز على ذلك ، لأن كل الأنصار تعلم أن الخلافة ليست فيهم ، ومن غير الوارد أن يبدلوا جميعاً عهدهم الله وعهده رسوله ، والنبي لم يدفن بعد. وهم يعلمون أيضاً أن النبي نصب الولي من بعده ، وأن التهانى قد قدّمت لهذا الولي حال حياة النبي ^٦ ، وكل مسلم على الإطلاق بما فيه الثلاثة يعلمون أن علياً مولى المؤمنين ووليهم مجتمعين من بعد النبي ، ومولى وولي كل مؤمن ومؤمنة على انفراد بما فيهم الثلاثة المهاجرين. وبالتالي وحيث أن المتواجددين لا غاية لهم ، ولا مطعم بتنصيب خليفة منهم ، ولم يطرح ذلك أصلاً قبل حضور الثلاثة ، فمن الطبيعي أن لا تكون حجة بذلك ، والحجج المنسوبة إليهم لا تخلو من روح المواءمة والتسوية ، ومستلزمات خراج القصة وتتوبيح ابطالها ، وتبرير ما فعلوه ، ثم تداولت الأمة القصة تحت أشراف الابطال ، وبالكيفية التي اقروها وتداولتها وسائل الإعلام الرسمية وأهملت الروايات المتناقضة معها ثم أخذتها الأجيال اللاحقة كحقيقة مكرسة رسمياً وشعبياً ، ونفرت واستنكرت من كل ما يعيها باعتباره خارجاً على إجماع الأمة.

غاية المهاجرين الثلاثة

المقاصد الحقيقية للثلاثة هي :

أن ينصبوا خليفة من بعد النبي ، وبهذا الوقت بالذات وفي غياب العترة الطاهرة ، وأنثناء انشغال الجميع بتجهيز النبي ودفنه ، وأن يحصلوا على بيعة من حضر ، فإذا بايعهم أناس من الأوس ، فبالضرورة سيما ياع الحاضرون الخرج حتى لا ينال الأوس الشرف وحده. وتتصبح للمبايعين مصلحة بتبني الخليفة الجديد ، فيخرج من يبايعه الحاضرون ك الخليفة ، ويخرج المهاجران الاثنان كنائبين للخليفة ، وخلف الثلاثة يسير الذين بايعوا الخليفة كجيشه له يأمر بأمره ، ومن يتصدى لمن بايعوه أو يعارضه فإنه لا يعارض شخصاً عادياً ، إنما يعارض الخليفة النبي ، ويخرج

عن طاعة ولی أمرها ، ومن يفعل ذلك فلا غضاضة على الخليفة لو قتله حتى قتلا باعتباره خارجاً على الجماعة وشاقاً لعصا الطاعة ، وطامع بالسلطة وحريص عليها وموقف الشرع واضح (لا نولي هذا الأمر من طلبه ...) الخ وهذا ما حدث بالضبط.

ما هي الحجة الشرعية لهؤلاء الثلاثة

بماذا احتاج هؤلاء الثلاثة حتى أعطتهم الأنصار المقادمة؟ وهل كانت حجتهم شرعية فعلاً؟ بمعنى أن لها وجوداً في الشرع؟ احتاج أبو بكر وعمر بالقرابة من النبي وأن أقارب النبي هم أولى بسلطانه.

ملخص حجة أبي بكر التي احتاج بها على من حضر من الأنصار

قال أبو بكر (فكنا عشر المهاجرين أول الناس إسلاماً ، والناس تبع لنا ، ونحن عشيرة رسول الله ، ونحن مع ذلك أوسط العرب أنساباً ليست قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة).

ملخص حجة عمر التي احتاج بها على من حضر من الأنصار

(إنه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيها وأولوا الأمر منهم ، لنا بذلك على من خالفنَا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ينazuنا سلطاناً محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشائرته إلا مدلّ بباطل أو متجانف لإثم ، أو متورط في هلكة)^(١).

جواب الأنصار

قالت الأنصار (لا نبایع إلا علياً) قال بعض الأنصار (لا نبایع إلا علياً)^(٢) حدث هذا وعلى غائب بجامع الأمة ، فكيف لو كان حاضراً

(١) راجع فيما تقدم على سبيل المثال الإمامة والسياسة ص ٦.

(٢) راجع تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٩٨ وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٦٥ .

لهذا المجتمع؟

فمن ومبرير

لو أن الثلاثة المهاجرين قبلوا خلافة علي لما حدث أي إشكال ، ولسار النظام السياسي الإسلامي سيراً طبيعياً ، ولكن يتعدى عليهم ذلك ، فلا يجوز أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة ، فقد أخذوا النبوة وهي لهم خالصة لا يشاركون بها أحد ، ويجب أن تكون الخلافة لبطون قريش خالصة لا يشاركون بها هاشمي فقط.

ال الخليفة واحد من ثلاثة

تجاهل الثلاثة قول الأنصار (لا نباع إلا علياً) وقال أبو بكر : (إني ناصح لكم في أحد هذين الرجلين : أبي عبيدة بن الجراح أو عمر ، فباعوا من شئتم). فقال عمر : (معاذ الله أن يكون ذلك وأنت بين أظهرنا ... أبسط يدك أبا ياعك).

أول من بايع

لما رأى بشير بن سعد أن المهاجرين الثلاثة لم يقبلوا بولاية علي ، أدرك أن البيعة واقعة لا محالة ، فأراد أن يكون له السبق فقال : (إن محمداً رسول الله رجل من قريش وقومه أحق بميراثه ، وتولي سلطانه ...) ثم قفز وكان أول من بايع أبياً بكر .^(١) ويجد بالذكر أن بشيراً هذا هو ثاني اثنين من الأنصار وقفَاً مع معاوية ضد علي فيما بعد.

تنصيب الخليفة ومبايعته

لما رأت الأوس موقف سعد بن عبادة سيد الخزرج ورأت موقف المهاجرين الثلاثة وما آلت إليه الأمور أدرك أسيد بن حضير أن أبياً بكر سيكون الخليفة فقال لجماعته : قوموا بابعوا أبياً بكر ففعلت الأوس ذلك ، وحتى ينال الخزرج جزءاً من هذا الشرف ولا يأخذه الأوس وحدهم بابع أكثرية من حضر .

(١) راجع في كل ما تقدم الإمامة والسياسة ص ٩٠٨ .

المكافأة

أصبح بشير بن سعد من أقرب مستشاري الخليفة ونائبه ، فهو نفسه الذي أشار على أبي بكر وعمر بعدم قتل سعد بن عبادة ، وأصبح أسيد بن حضير قائداً لقوى الأمن الداخلي . إن صَحَّ التعبير . فهو نفسه الذي ساعده عمر بقيادة السرية التي ذهبت لتطويق بي هاشم والزبير والممتنعين عن البيعة وأخرجتهم بالقوة ، يساعدته في ذلك سلمة بن أسلم (١) .

شيوخ الخبر والمبايعة

أقبل الخليفة وأبو عبيدة وعمر ، وقد بايع الصديق من بايع ، وكان الناس مجتمعين في المسجد الشريف فصالح بهم عمر : ما لي أراكم حلقاً شتى ، قوموا بايعوا أبا بكر فقد بايعتمه وبايده الأنصار ، فقام عثمان ومن معه من بنى أمية فبايعوا ، وقام سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بنى زهرة فبايعوا ... ومن الطبيعي أن من كان في المسجد من الأنصار بايعوا أيضاً عندما اشيع أن الأنصار قد بايعوا ، خاصة وهم يرون بشير بن سعد ، وأسيد بن حضير ، وسلامة بن أسلم يتصرفون وكأنهم جزء من السلطة الجديدة ...

أما علي والعباس ومن معهم من بنى هاشم فانصرفوا إلى رحالتهم ومعهم الزبير بن العوام ، مما اضطر نائب الخليفة أن يتحرك بسرية من المؤيدین فيهم أسيد بن حضير ، وسلامة بن أسلم ، ويذهبوا لإخراجهم للبيعة بالقوة ، ولو استدعى الأمر أن يحرقوا بيت فاطمة بنت محمد الذي اجتمعوا فيه . ولكن الله سلم وخرجوا لما شاهدوا الحطب ، وأدركوا عزم عمر على إحراق بيت فاطمة فبايعوا . وقد أثبتنا حادثة التحريق أكثر من مرة ، ولا عجب في ذلك ، فإن فاطمة ليست أعظم من أيها محمد رسول الله ، ومع هذا حيل بينه وبين كتابة ما يريد ، وقيل عنه حاشا له (هجر استفهموه إنه يهجر) كما وثقنا ذلك .

(١) راجع الإمامة والسياسة ص ٩ وما فوق .

المواجهة الغير متكاففة بين الولي والسلطة

الجديدة

الولي من بعد النبي قد جرد من كل سلطاته ، وأتي به إلى أبي بكر بالقوة وهو يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، فقيل له : بايع أبو بكر فقال : أنا أحق بهذا الأمر منكم وأنتم أولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتجتم عليهم بالقرابة من النبي ٦ وتأخذونه من أهل البيت غصباً؟ ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر لما كان محمد منكم ، فأعطوكم المقادرة وسلموا إليكم الإمارة وأنا احتج عليكم بمثل ما احتجتم به على الأنصار ، نحن أولى برسول الله حياً وميتاً فأنصفونا إن كنتم تؤمنون وإلا تبوا وبالظلم وانتم تعلمون.

كلام الولي هذا لا يستحق حتى رد السلطة ، فقال له عمر على الفور : إنك لست متروكاً حتى تبايع ، فقال له علي : احلب حلبأ لك شطره واشدد له اليوم أمره يرددك عليك خداً) ثم قال (والله يا عمر لا اقبل قولك ولا أبايعه). فقال أبو عبيدة بن الجراح لعلي كرم الله وجهه : يا ابن عم إنك حديث السن ، وهؤلاء مشيخة قومك ، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور ، أرى أبو بكر أقوى على هذا الأمر منك ، وأشد احتمالاً واضطلاعاً به ، فسلم لأبي بكر ، فإنك إن تعيش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خلائق ، وبه حقيق في فضلك ودينك ، وعلمه وفهمك ، وسابقتك ونسبك وصهرك) . فقال علي ٧ : الله الله يا معاشر المهاجرين ، لا تخروا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقبور بيوتكم ولا تدافعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه ، فو الله يا معاشر المهاجرين لنحن أولى بهذا الأمر ما كان فيما القاريء لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بسنن رسول الله ، المضططع بأمر الرعية ، والمدافع عنهم الأمور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية ، والله إنه لفينا ، فلا تتبعوا الهوى ،

ففضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعداً).

حكم لأول من بايع

من الطبيعي أن السلطة لا تملك ردأ على حجة الإمام لأنها قاطعة ، وكان بشير بن سعد أول من بايع أبي بكر حاضراً لمواجهة الإمام المنطوقية مع السلطة ، فقال علي في حضرة أركان السلطة الجديدة : لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان)^(١).

تحرك

خرج علي كرم الله وجهه يحمل فاطمة^٣ على دابة ليلاً في مجالس الأنصار يسألهم النصرة ، فكانوا يقولون (قد سبقت بيعتنا لهذا الرجل ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا عنه ، فيقول علي : أفكنت أدع رسول الله^٦ في بيته لم أدفعه وأخرج أناس الناس سلطانه؟ فقالت فاطمة : ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم^(٢) وأدرك الإمام أن الأمة قد غدرت به كما بين رسول الله^٦ .

إذلال الولي وهدیده بالقتل إن لم يبايع

هددت السلطة . كما أسلفنا . بحرق بيت فاطمة على من فيها إن لم يخرج المتعاطفون مع الولي ، فقيل لعمر : إن في البيت فاطمة ، فقال : وإن . وأدرك المتواجدون في بيت علي أن عمر جاد في عزمه على حرق بيت فاطمة ، فخرجوها فباعوها بالقوة ، إلا علياً صاحب البيت ، فوقفت فاطمة على باب بيتها فقالت : لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم ، تركتم رسول الله جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأموانا ولم تردوا لنا حقنا ...) وأرسل أبو بكر من يدعو علياً وعلى يرفض ، ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا بباب فاطمة فدقوا الباب فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها : يا أبتي يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب

(١) راجع فيما تقدم على سبيل المثال الإمامة والسياسة ص ١١ - ١٢.

(٢) راجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة ص ١١ - ١٢.

وابن أبي قحافة؟) فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين ، وكادت قلوبهم تتصدع ، وأكبادهم تتقطر. إلا أن عمر القوي الذي لا يعرف اللين ، ولا تأخذه في الحق لومة لائم ، بقي ومعه قوم فأخرجوا علياً فمضوا به إلى أبي بكر فقالوا : بائع ، فقال : إن لم أفعل فمه؟ قالوا : إذا والله الذي لا اله إلا هو نضرب عنقك. قال علي : إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله ، قال عمر : أما عبد الله فنعم وأما أخوه رسوله فلا (أخوة النبي لعلي ثابتة) فقال عمر : ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال : لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جانبه. فلحق علي بقبر رسول الله يصيح ويسكي وينادي : (يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلوني .

محاولة لاسترضاء الزهراء

بعد إلحاح تمكّن الفاروق والصديق من مقابلة الزهراء ، فقالت لها : نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول : (رضا فاطمة من رضائي وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحب فاطمة ابني فقد أحبني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني). قالا : نعم سمعناه. قالت : فإذاً أشهد الله وملائكته أنكما أسلطتماني وما أرضيتماني ، ولعن لقيت النبي لأشكونكم اليه) فأخذ أبو بكر يتحبب وهي تقول : والله لأدعون عليك في كل صلاة أصليها ثم خرج باكياً^(١).

أبو بكر يهم التنازل عن الخلافة

فاجتمع الناس إليه لما خرج فقال لهم (بيت كل رجل منكم معانقاً حليته مسروراً بأهلها وتركتموني وما أنا فيه ، لا حاجة لي في بيعتكم أقليوني بيعتني). ومن الطبيعي أن من حوله سيرفضون ذلك ويعملون هذا الرفض تعليلاً شرعياً^(٢).

(١) راجع فيما تقدم الإمامة والسياسة ص ١٢ - ١٣.

(٢) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ١١ وما فوق وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

الموقف النهائي للولي

لقد استقر الأمر للسلطة الجديدة ، وأصبح الولي مجرد مواطن عادي لا حق له على أحد ، إن شاءت السلطة قريته منها وإن شاءت أبعدته عنها ، فهي صاحبة الحق الواقعي بذلك بحكم الغلبة ، لقد ضاعت الخلافة منه مع أنها حق خالص من الله ورسوله له. واستمراره بالمعارضة قد يؤدي لقتله ، ومبررات القتل كثيرة ، فيتمكن أن يسند له جرم شق عصا الطاعة والخروج على الجماعة ومنازعة الأمر أهله الخ.

ثم انه لا أحد معه إلا أهل بيته ، وهو يصف حاله بتلك الفترة فيقول : (ونظرت فإذا ليس معي إلا أهل بيتي فظننت بهم عن الموت ، وأغضبت على القذى ، وشربت على الشجا ، وصبرت على أخذ الكضم ، وعلى أمر من طעם العلقم)^(١) وقال يوماً (فجزت قريش عني الجوازي فقد قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن أمري (فهو مؤمن أن الحق له)^(٢) وأجمعوا على منازعتي أمر هو لي ... وقد قال قائل : إنك على هذا الأمر يا ابن أبي طالب لحرirsch ، بل أنتم والله الأحرص ، وإنما طلبت حقاً لي ، وأنتم تحولون بيني وبينه ، فو الله ما زلت مدفوعاً عن حقي مستأثراً علي منذ قبض رسول الله حتى يومنا هذا)^(٣).

ولم يكن أمامه إلا الاحتفاظ بحقه في الخلافة ، والاحتجاج على من عدل عنه بها على وجه لا تشق بها للمسلمين عصا ، ولا تقع بينهم فتنية يتهزها عدوهم ، فقعد في بيته حتى أخرجوه كرها ، ولو أسرع إليهم ما تمت له حجة ولا سطع لشيعته برهان ، لكنه جمع بين حفظ الدين والاحتفاظ بحقه في خلافة المسلمين ، وحين رأى أن حفظ الإسلام ورد عادية موقف في تلك الأيام على المواجهة والمسألة ، شق بنفسه طريق المواجهة ، وآخر مساملة القائمين في الأمر احتفاظاً بالامة ، واحتياطاً على الملة ،

(١) راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحميد ج ١ ص ٦٢ .

(٢) راجع شرح النهج ج ٣ ص ٦٧ .

(٣) راجع شرح النهج ج ٢ ص ١٠٣ وص ٣٧ ج ١ وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ١٣٥ .

وضنناً بالدين ، وإيشارا للعاجلة على الآجلة ، وقياماً بالواجب شرعاً وعقلاً من تقديم الأهم في قيام التعارض على المهم^(١).

سر كراهة قريش لولاية علي

مكمن السر في التربية السياسية القرئيشية القائمة على اقتسام بطون القرئيشية لمناصب الشرف في الجاهلية بحيث يختص كل بطن بنصيب ما من هذه «الشركة» التي لا غنى عن وجودها ، فجاءت النبوة الهاشمية فنسفت صيغة قريش السياسية ، واحتضن الهاشميون بالنبوة حكم القدر الذي لا مفر منه ولا محيد عنه ، رغم كفاح بطون قريش المرير لإبطال هذه النبوة ، فحاز الهاشميون شرف النبوة وحدهم ولم يشاركهم بهذا الشرف أحد ، وحال حياة النبي نصب علياً بن أبي طالب ليكون الولي وال الخليفة من بعده بأمر من ربه ، لأن علياً هو الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب والأقدر على قيادة سفينة الإسلام.

الخوف من وقوع الحظور

فإذا تمت مبايعة علي ك الخليفة من بعد النبي ، فمعنى ذلك أن الهاشميين قد جمعوا الخلافة مع النبوة وذهبوا بالشرف كله ، ولم يتذروا لبطون قريش شيئاً من هذا الشرف ، وهذا أمر لا يمكن قبوله بكل الموازين ، ولا يمكن التسليم له بأي ثمن ، فقد دخلت قريش بالإسلام ، والإسلام ساوي بينها ، والإسلام يجب ما قبله ، مما الداعي لاستمرار الهاشميين بالسبق والتمييز والانفراد؟

القسمة العادلة

لقد أخذ الهاشميون النبوة واحتضنوا بها وحدهم ولم يشاركهم بها أحد من بطون قريش ، ولن يشاركهم بها أحد مستقبلاً ، وهذا شرف ما بعده شرف. والهاشميون والبطون أخوة.

(١) المراجعات للإمام شرف الدين العاملی ص ٣٣٢ . ٣٣٤ وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ٣٣ وما فوق.

فما هو الغلط إذا اختصت بطون قريش بالخلافة وحدها ولم يشاركها أحد من بني هاشم بهذا الشرف؟ إن هذه القسمة هي الحل وهي أقرب الحلول للعدل. للهاشمين النبوة وحدهم ، ولا يشاركهم بها أحد من البطون ، والخلافة لبطون قريش تداولها بينها ولا يشاركهم بها أي هاشمي.

بطون قريش تتصرف كفريق واحد

ومن هنا فإن كافة بطون قريش تصرفت طوال التاريخ كفريق واحد لا فرق بين بطن وبطن طلما أن للجميع هدف واحد وهو منع الهاشمين من الجمع بين الخلافة والنبوة. ففي سقيفة بني ساعدة قال أبو بكر مخاطباً الحاضرين من الأنصار : (إني ناصح لكم في أحد هذين الرجلين أبي عبيدة بن الجراح أو عمر ، فباعوا من شئتم منهما) فقال عمر : (معاذ الله أن يكون ذلك ، وأنت بين أظهرنا)^(١) ومن الطبيعي أن لأبي عبيدة نفس الموقف ، فلا فرق بين الثلاثة ، فكلهم أخوة وكلهم من فريق ، ولكن عندما قالت الأنصار (لا نبأع إلا علياً) رفض الثلاثة هذا العرض مجتمعين^(٢).

وعندما هم أبو بكر بالتنازل عن الخلافة تصدت له قريش وأبىت عليه ذلك ، فقرىش مجومة على ذلك. انظر إلى قول الولي : (فجزت قريش عن الجوازي فقد قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن أمري)^(٣) وقال مرة لك (اللهم إني أستعينك على قريش ومن أعادهم فإنهم قطعوا رحمي ، وصغروا عظيم منزلتي وأجمعوا على منازعي أمرأ لي)^(٤) ثم انه عندما أراد أبو بكر أن يستخلف من بعده كتب له الوصية عثمان ، فقال أبو بكر (اكتب) ثم أعمى عليه فكتب عثمان : (إني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً) وعندما أفاق الخليفة من إغماءه قال له

(١) الإمامة والسياسة ص .٩.

(٢) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٩٨ وشرح النهج ج ٢ ص ٢٦٥.

(٣) ج ٣ ص ٦٧ من شرح النهج.

(٤) راجع شرح النهج ج ٢ ص ٣٧ وج ١ ص ١٠٣ من الشرح.

اقرأ ... فقال أبو بكر (لو كتبت نفسك لكتت أهلاً لها)^(١) فلا فرق على الإطلاق بين عمر وعثمان فكلاهما أخوة ومن نفس الفريق ، وقيل وفاة عمر قال (لو أدركت أبي عبيدة بن الجراح باقياً استخلفته ووليته ، ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفته ، ولو أدركت خالد بن الوليد ... ولو أدركت سالماً مولى أبي حذيفة ...) إنه لا فرق بين أبي عبيدة وخالد فكلاهما من نفس الفريق ، ولا يوجد أي خطأ بتولية معاذ بن جبل وهو من الأنصار ، وما كان جائزاً أن يتولى أنصاراً الخلافة لأنها محصورة بمن كانت النبوة فيهم حسب رأي الفاروق آنذاك ، وما هو الخطأ بأن يتولى الخلافة رجل من الموالى كسامِل موالى أبي حذيفة ، المهم أن لا يتولاها علي بالذات أو أي هاشمي . ويوم تشاور الخمسة لأن طلحة كان غائباً ، ولم يكن علي بالصورة لما تعقدت الأمور ولباعوا عثمان فوراً ، فهو أول من بايع الصديق بعد عمر وأبي عبيدة من المهاجرين ، وهو الذي كتب (إني استخلف عليكم عمر) وهو المرشح الوحيد للخلافة عمر ، فقد كان يعرف بالرديف في زمن عمر ، ومن يدقق بوصية عمر يكشف بأقل جهد بأن عثمان هو الفائز بكل الحالات .

وعند عودة طلحة أعلن عثمان عن استعداده للتنازل لطلحة إن رغب بذلك ، ولم لا فكلهم أخوة ، وكلهم فريق ، وغاياتهم واحدة ، وهي عدم تمكين الهاشميين من أن يجمعوا الخلافة مع النبوة . بل ولا ما نع من أن يتولى الخلافة عبد الله بن عمر بعد أبيه ، بل أشاروا على الفاروق بذلك فقالوا له : (يا أمير المؤمنين استخلفه إن فيه للخلافة موضعًا) فكل قريش فريق بينها على الإطلاق .

(١) راجع تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٤٢٩ وسيرة عمر لابن الجوزي ص ٣٧ وتاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٨٥ .

الفصل الحادي عشر

تجريد الهاشميين من كافة الحقوق السياسية

لم تكتف بطون قريش بالحيلولة بين علي ورئاسة الدولة الإسلامية ، بل حرمت علي أي هاشمي ممارسة أي وظيفة عامة ، فأبوا بكر لم يستعمل أي هاشمي ، وعمر كذلك وعثمان كذلك ^(١).

قال عبد الرحمن بن عوف : (أبايعك على شرط أن لا تجعل أحداً من بني هاشم على رقاب الناس) أي عدم تولية هاشمي ، فقال علي عند ذلك (ما لك وهذا إذا قطعتها في عنقي فان علي الاجتهاد لأمة محمد حيث علمت القوة والأمانة استعنت بها كان في بني هاشم أو غيرهم) قال عبد الرحمن : (لا والله حتى تعطيني هذا الشرط) قال علي : (والله لا اعطيكه أبداً) ^(٢). ومعنى ذلك أنه لا يجوز لل الخليفة أن يستعمل هاشمياً حتى ولو كان ذا قوة وذا أمانة ، وتلك منتهى الصرامة ، ولا داعي للتذكرة بأن عبد الرحمن نفذ بدقة وصبية عمر.

ما هي الغاية من عدم استعمال الهاشمي؟

الفاروق يجيز على ذلك ، فقد هم مرة أن يستعمل ابن عباس ولكنه تردد وأخبر الفاروق ابن عباس بترددده ، ولما سأله ابن عباس لماذا يخشى منه ويتردد في توليته ، فقال الفاروق : (يا ابن عباس إبني خشيت أن يأتي علي الذي هو آت . يعني بموت .

(١) الإمامة والسياسة ص ٢٤ .

(٢) الإمامة والسياسة ص ٢٦ . ٢٧ .

وأنت على علمك فتقول : هلم إلينا ولا هلم إليكم دون غيركم ...)^(١).
معنى ذلك أن الفاروق يريد أن يطمئن أنه حتى بعد موته بأن الخلافة لن تؤول لعلي
أو لأي هاشمي ، وهذا قمة الوفاء لشعار لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة.

بح الخفاء وباحث الأسرار

قسمت بطون قريش قسمة خارجية ، فخصصت لبني هاشم النبوة لا يشاركون بها
أحد من هذه البطون. فالنبوة خالصة لبني هاشم ، أما الخلافة . حسب هذه القسمة . فهي
خالصة لبطون قريش مجتمعة ، تتنادوها بينها ، لا يشاركتها فيها هاشمي على الإطلاق.
واعتقدت هذه البطون أن هذه القسمة عادلة تماماً ، لذلك قررت بالإجماع أن لا تتمكن
الهاشميون من أن يجمعوا الخلافة مع النبوة. ولكنها لا تدري كيف تفعل ، هل تجعل هذه
القسمة ملزمة للجميع؟ ولا تدري كيف تضع قرارها موضع التنفيذ ، لأنها أسلمت متاخرة
فتأخرت. وبينما كانت البطون حائرة في أمرها لا تدري ماذا تفعل ، بز ابن قريش البار عمر
بن الخطاب معبراً عن ضميرها ومتراجماً قسمتها ، ومنفذًا لقرارها ومبرراً القسمة وشرعية القرار
، فاستحق بحق لقب ابن بطون قريش البار.

فعمراً هو الذي حال بين رسول الله وبين كتابة ما يريد بمحجة أن المرض قد اشتد
برسول الله ، وأن كتاب الله وحده يكفي ، ولا حاجة لكتابة الكتاب الذي أراد رسول الله
كتابته ، وأعوان عمر هم الذين أيدوا رأيه ، وتطرقو بتأييد هذا الرأي ، حتى بلغ بهم التطرف
حداً أن قالوا (هجر رسول الله ، استفهموا إِنَّه يَهْجُر) وحتى اختلفوا وتنازعوا مع الفريق
الذي أيد رسول الله ، وما كان لهذا الفريق أبداً أن يقول ما قال لولا ثقته المطلقة بالفاروق
ومعرفته اليقينية بمضون هذا الكتاب. فقد أدرك عمر بثاقب بصيرته أن النبي ﷺ يريد أن يجدد
عهوده للولي ، فحال بينه وبين كتابة ما

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٣٥٣ و ٤٥٤ وقد نقلنا حرفيًا هذه القصة في باب المرجعية.

يريد ، بحجة ان المرض قد اشتد به ، فرأى أنه ليس من الصواب أن يكتب النبي وصيته لأن المرض قد اشتد به ، والفاروق نفسه لا يرى غضاضة من أن يكتب الصديق وصيته عند اشتداد المرض ، ولا حرج على الفاروق نفسه لو كتب وصيته عند اشتداد المرض به ، مع أن المرض قد اشتد به وبالصديق أكثر من اشتد برسول الله . وحادثة الحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما أراد ثابتة لم يخلق بعد الذي سينكرها أو سيقوى على تبريرها ، وحادثة وصية الصديق أثناء مرضه ، ووصية الفاروق أثناء مرضه ثابتة كطلوع الشمس من المشرق ، وهاتان الوصيتان هم أسس نظام الخلافة التاريخي.

تصريح الفاروق بأسباب المدع

حاور الفاروق يوماً ابن عباس فقال له : كيف خلقت ابن عمك؟ قال : فظننته يعني عبد الله بن جعفر ، قال : فقلت : خلفته مع أترابه ، قال عمر : لم أعن ذلك إنما عنيت عظيمكم أهل البيت ، قال : قلت : خلفته يمتحن بالضرب وهو يقرأ القرآن قال : يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتيها ، هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت : نعم. قال : أيزعم أن رسول الله نص عليه؟ قال ابن عباس قلت : وأزيدك : سأله أبي عمما يدعى من نص رسول الله ٦ عليه بالخلافة فقال : صدق. قال عمر : قد كان من رسول الله في أمره ذروأً . أي المكان المرتفع . من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذرًا ، ولقد كان يربع . يمتحن في أمره . وقتاً ما ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعته ^(١).

رأي الفاروق بشعار : لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة

قال عمر لابن عباس في حديث طويل دار بينهما : يا ابن عباس ، أتدرى ما منع قومكم بعد محمد ٦ ، قال ابن عباس : فكرهت أن أجبيه ، فقلت : إن لم أكن أدرى فإن أمير المؤمنين يدرى ، فقال عمر : كرهوا أن يجتمعوا لكم النبوة والخلافة فتجحفوا على قومكم بحجاً بحجاً؟ ، فاختارت قريش

(١) راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة مجلد ٣ ص ١٠٥ وقد نقلها عن تاريخ بغداد.

لأنفسها فأصابت ووفقت. قال فقلت : يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في الكلام وتمطعني الغضب تكلمت ، قال : تكلم ، قال ابن عباس فقلت : أما قولك يا أمير المؤمنين اختارت قريش لنفسها فأصابت ووفقت ، فلو أن قريشا اختارت لأنفسها من حيث اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود ، وأما قولك : إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فإن الله عز وجل وصف قوما بالكرابة فقال : (**ذلك باهتم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم**).

قال عمر (هيهات يا ابن عباس ، قد كانت تبلغني عنك أشياء أكره أن أفرك فتزيل منزلتك مني) فقلت : يا أمير المؤمنين فإن كانت حقاً مما ينبغي أن تزيل منزلتي منك ، وإن كانت باطلأً فمثلي أماط الباطل عن نفسه. قال عمر : بلغني أنك تقول : حرفوها علينا حسداً وبغياناً وظلماً. قال ابن عباس فقلت : أما قولك يا أمير المؤمنين ظلماً فقد تبين للجاهل والعلم ، وأما قولك حسداً فان آدم حسد ونحن ولده المحسودون).

قال عمر : هيهات هيهات أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً لا يزول. قال فقلت : مهلاً يا أمير المؤمنين لا تصف بهذا قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً^(١).

فروط الوفاء لهذا الشعار

لم يكتفى الفاروق بالعمل على ترجمة شعار (لا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة مع الخلافة) إلى واقع وسيادة هذا الشعار في حياته ، إنما عمل الفاروق وبكل قواه حتى يسود هذا المبدأ حتى بعد وفاته ، فهو حريص كل الحرص على أن لا تؤول رئاسة الدولة الإسلامية لعلي أو لأي هاشمي بعد وفاته ، مثل حرصه على أن لا يتولى

(١) راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ٢٤ آخر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣ وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحميد مجلد ٣ ص ١٠٧ اخرجه الإمام أحمد بن أبي الطاهر في تاريخ بغداد بسنده المعتبر إلى ابن عباس وراجع شرح النهج تحقيق محمد أبو الفضل ج ١٢ ص ٥٢ وراجع تاريخ الطبرى ص ٢٢٣ وج ٢ ص ٢٨٩ وراجع عبد الله بن سباء للعسكرى ج ١ ص ١١٤ وملحق المراجعات ص ٢٦٢ .

أي هاشمي أي عمل من أعمال الدولة الإسلامية ، حتى ولو كان هذا الهاشمي ذات قوة وذات أمانة. فشرط عدم تولية الهاشمي حتى ولو كان ذات قوة وذات أمانة لم يكن من عبد الرحمن بن عوف إنما كان تنفيذاً حرفيًا لوصية الفاروق ، وهو على فراش الموت ، ونورد ثانية مقاطع من الواقعية التي رواها المسعودي في مروجته :

عندما مات عامل حمص ، أرسل عمر إلى ابن عباس وهم بتوبيته ثم عدل ، والسبب كما يذكره الفاروق :

(يا ابن عباس إني خشيت أن يأتي علي الذي هو آت . يعني موت عمر . وأنت في عملك فتقول : هلم إلينا ولا هلم إليكم دون غيركم)^(١).

فالفاروق يريد أن يموت وهو مطمئن البال بأنه أيًّا من الولاة لن يدعوه لبني هاشم ، ولن يساعد دعوتهم لترأس الدولة الإسلامية. ومن أجل هذا وضع الشرط عدم جواز تولية الهاشمي حتى ولو كان ذات قوة وذات أمانة كما وثقنا ذلك مرارًا . وهذا منتهي الوفاء لشعار (لا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة والخلافة) ولا أحد من البطون يمكن أن يصل إلى هذه الدرجة من الوفاء لهذا الشعار ، ولم يفرض هذا القيد على أي بطن من بطون المسلمين فقط إلا على الهاشميين.

هل أمر الله بهذا الشعار؟

هذا الشعار جاهلي من كل الوجوه ، كما أثبتنا مرتين ، فما أمر الله به ، ولا أمر به رسوله ، ولا تقره عقيدة الإسلام لا من قريب ولا من بعيد ، بل وهو يتعارض تعارضًا كاملاً مع النصوص الشرعية القولية والفعلية ، كالنصوص المتعلقة بتنصيب علي بن أبي طالب ولياً من بعد النبي ﷺ ، والتي عرضناها ووثقناها ، ويتعارض مع النصوص الواردة بضرورة التمسك بالعترة أهل البيت واعتبارهم أحد الثقلين ، وسفينة النجاة وحزب الله ، وأمان الأمة من الاختلاف ، وأن الشرف والرئاسة لمحمد وآلـه ، ولتأكد هذه الحقيقة جعل الله الصلاة على محمد وآلـه ركناً من أركان الصلاة المفروضة ، وقد وثقنا ذلك أكثر من مرة فارجع اليه.

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

إذا لماذا يتمسك الفاروق بهذا الشعار ويخلص له؟

لأن الفاروق . حسب اجتهاده . يرى أن هذه القسمة (النبوة للهاشميين والخلافة للبطون قسمة عادلة) وأن قريش عندما قسمت هذه القسمة قد اهتدت ووقفت تماماً . كما وثقنا ذلك . ثم من باب سد الذرائع ، فلو جمع الهاشميون النبوة مع الخلافة فإن ذلك اجحاف ويؤدي لإجحافبني هاشم على بطون قريش ، والإجحاف ليس من الإسلام . أما علي بالذات فهو صغير السن بالنسبة لغيره ، وهو غير مؤهل ليكون ولياً على المسلمين من بعد النبي ، ولكل ما أشرنا من أسباب ، وللحرص على الإسلام تبني الفاروق هذا الشعار ، وأخلص له بالرغم من إدراكه بأنه يتعارض مع ظاهر النصوص ، لأن الفاروق لا يتعامل مع الظواهر إنما يتعامل مع البواطن ومالات الأمور .

ما هو موقف الفاروق كحاكم وكنائب للحاكم من الولي ومن العترة الطاهرة؟

الفاروق حريص على مستقبل الإسلام والمسلمين ، حتى عندما كان وزيراً ، فعندما أراد النبي ﷺ أن يكتب وصيته ، ورأى الفاروق أن هذه الوصية قد تشكل خطراً على مستقبل الإسلام والمسلمين تصدى للنبي الكريم نفسه ، وعارض كتابة الوصية واستقطب حوله مجموعة كبيرة من المعارضين ، فتمادوا بمعارضتهم للنبي حتى قالوا للنبي ﷺ ومواجهة (رسول الله هجر ، استفهموه إنه يهجر !!!)

والفاروق هو نفسه الذي رتب أمر اختيار الخليفة وتتابع الأحداث بدقة حتى نصب الخليفة الجديد في غياب كل قريش وغياب العترة الطاهرة وغياب عميدها ، وذلك حرصاً على مصلحة المسلمين ووحدتهم . وحتى لا يجمع الهاشميون النبوة مع الخلافة فيجحفوا على قومهم ، والفاروق بطبيعته يكره الإجحاف والظلم .

والفاروق لا يتسامل في ما يمس أمن الدولة ووحدة الأمة ، فأمن الدولة ووحدة الأمة فوق كل اعتبار ، فإذا اعتقد أن الإخلال بأمن الدولة أو تعريض وحدة الأمة

للخطر يصدر عن بيت فاطمة بنت محمد نفسها ، فلا مانع يمنع من حرق بيت فاطمة على من فيه ، لأن القانون يسري على الجميع بما فيهم فاطمة ، وقد هم الفاروق حقيقة بحرق بيت فاطمة بعد أن جاء بالخطب ، ولكن المعارضة خرجت وعدل عن حرق بيت فاطمة. وبالرغم من ذلك فإن الفاروق هو الذي اقترح على الصديق أن يذهب بعد الحادثة ويعذر للزهاء.

والفاروق لا يتهاون من يتخلّف عن البيعة كائناً من كان ، حتى لو كان الولي من بعد النبي نفسه ، فعندما رفض علي مبايعة أبي بكر ، هدده الفاروق بالقتل إن لم يبايع ، ومع هذا يقول من استصغر شأن الولي (هذا مولاي ومولاك ومولى كل مؤمن ومؤمنة) وكان يرجع إليه يستشيره في كثير من الأمور ، وكثيراً ما قال : اللهم إني أعوذ بك من معضلة ليس فيها أبو حسن) وقد وثقنا كل ذلك في هذه الدراسة وفي كتابنا النظام السياسي في الإسلام .

والفاروق نفسه هو واضح شرط عدم جواز تولية الهاشمي وتسلیطه على رقاب الناس ، حتى لو كان هذا الهاشمي ذا قوة وذا أمانة ، وذلك من باب سد الذرائع . حسب رأيه . حتى لا يجمع الهاشميون النبوة والخلافة معاً فيؤدي ذلك لإجحافهم على بطون قريش . وبالرغم من ذلك كان يبدأ بآل محمد عند توزيع العطايا ويقدمهم على نفسه وعلى آل أبي بكر كما يروي البلاذري في فتوح البلدان .

وباختصار ، فإن للفاروق أسلوبه ومنهجه الخاص بفهم الدين ، ولا يجد حرجاً ولا غضاضة بالجهر بهذا الأسلوب وهذا المنهج حتى بمواجهة النبي نفسه ، وحادثة الرزية . كما يسميه ابن عباس . خير مثال على ذلك .

وقد يبلغ به الأمر حداً أن يواجه بأسلوبه ومنهجه النص القرآني نفسه وعلى سبيل المثال قوله تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعلماء عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله) فالنص القرآني يحدد الجهات المستفيدة من الصدقات وعلى سبيل الحصر ، ويعتبر هذا التحديد فريضة إلهية مثل أي فريضة .

ثم لاح للفاروق أن سهم المؤلفة قلوبهم لا ضرورة له ، وهم لا يستحقونه ، وإعطاء هذا السهم للمؤلفة قلوبهم بعشرة ملal الله ، فالله نصر الإسلام وأعز دينه ، ولا حاجة لتأليف القلوب بمال ، وبجرة قلم أسقط سهم المؤلفة قلوبهم ، ومنع عنهم الحق الذي رتبه الله لهم ، ولم يمنعه عن ذلك علمه بأن الرسول نفسه قد أعطى المؤلفة قلوبهم هذا السهم بالرغم من مجيء نصر الله والفتح. وسهم الخمس مثال ، ومتعة الحج شرعت على عهد النبي وظلت قائمة حتى نهى عنها الفاروق ، وفي زمن النبي وأبي بكر « الطلاقات » يجب أن تكون متفرقة ، فجاء عمر وقال : إن المسلمين يستعجلون الأمر وإن الأوفق أن يكون الطلاق ثلاث مرات) فجعل صيغة (أنت طالق ثلاثة) تحل محل الطلاق ثلاث مرات ... الخ.

الفاروق يندفع كالأعصار ، فلا شيء يقف في طريقه ولا شيء يمنعه من أن يقول ما يعتقد أنه الحق بمواجهة أي كان ، فقد كانت له الكلمة العليا في زمن الصديق ، لأن الصديق مدين له باستخلافه ، ولو شاء عمر لكان هو الخليفة الأول بدلاً من الصديق ، وكانت له الكلمة العليا في زمنه هو الخليفة ، وكانت له الكلمة المسموعة في كل بطون قريش ، لأنها تعرف أنه وحده منع الهاشميين من أن يجمعوا الخلافة والنبوة ولو لاه لجمعهما ، وكانت له الكلمة العليا عند بنى أمية بالذات ، فهو الذي عين يزيد بن أبي سفيان ومعاوية وثبتهما على ولادة الشام ، وهو الذي أوصى عملياً لعثمان الأموي ، فغزت محبته قلوب قريش ، وامتدت لبقية المجتمع المسلم ، وسرت كالعاافية ، وما ساعد على توطيدها انه لم يت遁س بشهود كما يقول الإمام العاملي .

على مفترق الطرق

الآنيهارات

اهتزت الأرض من تحت أقدام الذين آمنوا ، ومادت بهم حتى والنبي على فراش الموت ، وحدثت سلسلة هائلة من الآنيهارات المتلاحقة والآنيهار يتبعه بالضرورة آنيهار ، والآن يهار التام وارد لا محالة ، أما متى؟ فالله وحده هو الذي يعلم ، وقد بدأت سلسلة الآنيهارات عندما حالوا بين الرسول وبين كتابة ما يريد ،

وموته وقبل دفنه ، أبرم الذين حالوا بين رسول الله وبين كتابة ما يريد الأمر ، وقبضوا على زمام السلطة في غياب قريش كلها وغياب العترة الطاهرة ، وغياب عميدتها ، وغياب الأكثريّة الساحقة من المسلمين ، وواجهوا الجميع بدولة حقيقية تلبس رداء الشرعية كاملاً وأمر قد أحكم تماماً.

الحكم والمعارضة

برز القائمون على الأمر كحكام حقيقين بيدهم الحول والقوة ، وقد استقام لهم الأمر وبايدهم الأتباع وسلموا لهم الإمارة والمرجعية ، فهم حكم حقيقي وسلطة واقعية.

ووجد الولي من بعد النبي نفسه وحيداً مع القرآن ، والقرآن معه يدور حيث دار^(١) وحيداً مع الحق والحق معه يدور حيث دار^(٢) وقرار التعيين الإلهي بأنه الهادي^(٣) وقرار الحق بالبيان عند الاختلاف بعد وفاة النبي^(٤) وأنه كالنبي حجة على المسلمين يوم القيمة^(٥) وأنه يتمتع بكافة المنازل التي كان يتمتع بها هارون مع

(١) راجع المناقب للخوارزمي ص ١١٠ والمعلم الصغير للطبراني ج ١ ص ٥٥ والجامع الصغير للسيوطى ج ٢ ص ٥٦ وتاريخ الخلفاء للسيوطى ج ٢ ص ٥٦ ... الخ.

(٢) راجع تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١٤ ص ٣٢١ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٣ ص ١١٩ ح ١١٦٢ وغاية المرام ص ٥٣٩ ومنتخب الكنز ج ٥ ص ٣٠ من مسنن الإمام أحمد الخامش ... الخ.

(٣) على سبيل المثال ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٤١٧ ومسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٣٤ الخامش وتفسير الطبرى ج ١٣ ص ١٠٨ وابن كثير ج ٢ ص ٥٠٢ والشوكتى ج ٣ ص ٧٠ والرازي ج ٥ ص ٢٧١ والمستدرك ج ٣ ص ١٢٩ - ١٣٠ والدر المثور للسيوطى ج ٤ ص ٤٥ ... الخ.

(٤) على سبيل المثال المناقب للخوارزمي ص ٢٣٦ ، ومنتخب الكنز ج ٥ ص ٣٣ من مسنن الإمام أحمد ، وترجمة علي من تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٨٨ ح ١٠٠٨ و ١٠٠٩ .

(٥) على سبيل المثال ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ص ٢٧٣ ح ٧٩٣ - ٧٩٥ ومسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٩٤ ومناقب علي لابن المغازى والميزان للذهبي ج ٤ ص ١٢٨ .

موسى باستثناء النبوة^(١) وجد الولي نفسه وحيداً مع كل هذا ، ومجراً من كافة سلطاته ، ولا أحد يصغي إليه ، إنه مجرد مواطن عادي لا معين له إلا أهل بيته الطاهرين وبني هاشم الذين أنكثتهم مقارعة العرب. تلك هي التقاطع الأساسية للمعارضة. ليست مرشحة لعمل الكثير ، لكنها مرشحة ومؤيدة من الله تبين لنا الدين على حقيقته.

خيارات أمام المعارضة

ليس أمام المعارضة بدليل غير المواجهة أو المواجهة ، والمواجهة بمثل الأوضاع التي كانت تحياتها الأمة انتشار حقيقي ، فيها قد يتعرض الدين نفسه للخطر وقد يتعرض الولي للموت وتتعرض الذرية المباركة للردى ، فقدم الولي الأهم على المهم وشق طريق المواجهة بنفسه. لا يدخل بنصح ولا بيان للدين.

خيارات أمام الأمة

والله لكان الأمة كانت في حلم استفاقت مذعورة بعد موت النبي ﷺ لتجد أماماً :
١ . سلطة قائمة وحكماؤها حقيقةً يقودها ويرشدها شيوخ كانوا من أبرز وزراء النبي ويعلنون أنهم على حق.

٢ . معارضة محدودة ومحجنة يقودها ويرشدها الولي من بعد النبي ولا يقف معه إلا عترة النبي وأهل بيته وبنو هاشم التي واقفت العرب ٢٣ عاماً كاملة ، ويعلنون أن الحق معهم.

انقسام الناس

ففريق : آثر السلامة ، وأدرك عدم جدواً للمعارضة ، فوادع السلطة (أهل السنة) ووالها لأنها ولية النعمة ، وبيدها الحول والقوة ورمز وحدة الأمة ، وعندما انتصر معاوية على علي وهزمت الشرعية أمام القوة سمي هذا العام بعام

(١) وثقنا ذلك أكثر من مرة فحتى معاوية روى حدیث (أنت مني بمنزلة هارون من موسى).

الجماعة ، وسمى الذين والوا معاوية ومن غلب بأهل السنة. وهذا الفريق شيع وأحزاب ، يتفاوتون بولائهم للسلطة وتبريرهم لأفعالها ، ويتفاوتون بدرجة تعاطفهم مع المعارضة ، وتفهمهم ل موقفها وغالبتهم استقرت على أن الجميع صحابة ومن أهل الجنة وكلهم مجتهدون ، والمجتهدون مأجورون أصحابوا أم أخطأوا ، وارتاحت هذه الجموع لهذا الحل ، وارتبط مصيرهم بمصير الحكم فدفعوا اللوم عن الحكم لا حباً بالحكم ولكن حتى يسلموا بأنفسهم من اللوم ، لأنه إذا ثبت اللوم على الحكم فيثبت على من والاهم بالضرورة. وفي ما يتعلق برئاسة الدولة استقر هذا الفريق على رأي : أنهم مع من غالب ، فهم يوالون الغالب ، كائناً من كان ، وحجتهم في ذلك مقوله الصحابي عبد الله بن عمر الذي قال يوم الحرة : (نحن مع من غالب) فصارت مقولته تلك قاعدة شرعية.

الفريق الثاني :

الشيعة

هم الذين والوا الولي من بعد النبي ، وآمنوا أن الحق معه يدور حيث دار ، وأن الولي مع القرآن والقرآن معه ، فوالوه ووالوا عترة النبي وأهل بيته ، وصدقوا قول النبي إن القرآن هو الثقل الأكبر ، وإن عترة النبي وأهل بيته هم الثقل الأصغر ، والمهدى لا يدرك إلا بالثقلين معاً : القرآن والعترة الطاهرة ، فعميد أهل بيت النبوة في كل زمان هو إمامهم الشرعي وهو ولهم ، يوالون من يوالى ويعادون من يعادى ، وقد بلغ هؤلاء العمداء اثنى عشر عميداً ، وقد التزمت الشيعة بالشرعية الكاملة لا تحيد عنها ولا تخرج من دائرها أبداً مهما كانت التكاليف ، ومهما غلت التضحيات. والهدف الأعظم للشيعة هو توحيد الأمة الإسلامية تحت راية إمام أهل بيت النبوة الذي سيتولى بيان أحكام العقيدة الإلهية وتطبيقها وحمل رسالة الإسلام الندية إلى العالم لانتشاله من الظلمات إلى النور. والطريق التي اختارتها الشيعة طوال التاريخ هي طريق الآلام والمصائب وهي الضريبة التي يتوجب أن تدفعها الشيعة حتى تنال رضوان الله من خلال المرتبة السننية التي خلعها النبي عليهم. عندما نزول قوله تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) قال النبي

٦ : (يا علي هم أنت وشيعتك)^(١). ولأن الشيعة حزب معارضة ، فهي تشكيك بشرعية السلطة القائمة في كل زمان إن لم يكن إمامها ورئيسها من أهل بيته . فلذلك حدثت حالة من سوء الظن بين الشيعة والسلطة ، وتعمقت هذه الحالة حتى تحولت إلى خصومة ، فعداوة تمخضت عن الحق المتبادل بين السلطة . أي السلطة . والشيعة طوال التاريخ . فحاولت الشيعة كأفراد وجماعة أن تثبت أن السلطة قوة غاشمة وغالبة اغتصبت الأمر من أهله ، وفرضت نفسها على الأمة بحكم القوة والغلبة ، وأنها حرمت المسلمين والإنسانية من الاستفادة من الحكم الإلهي بسبب حبها للجاه والسيطرة وإيثارها للعاجلة على الآجلة . ووسائل الشيعة بإثبات وجهة نظرها هذه فردية وسرية ، لأن السلطة صادرت حرية الشيعة طوال التاريخ ، ولاحقتهم وطاردهم وضيقوا عليهم الخناق .

وبال مقابل فإن السلطة القابضة بأيديها على زمام كل شيء في المجتمع ، صادرت حرية الشيعة بطرح وجهة نظرها ، واتهمت الشيعة بأنها خارجة على الجماعة ، وشاقة لعصا الطاعة ، وأحياناً اتهمتها بالمرroc والرفض والزندة والكفر ... الخ. وكانت وجهة نظر السلطة بالشيعة متاحة للجميع ، وتنقلها كافة وسائل اعلام السلطة بحرية ، ويروج لها العلماء المتعاونون مع السلطة فصورت السلطة الشيعة بأبشع الصور ، وعمقت الهوة بين الشيعة والأمة ، وماتت أجيال وجاءت أجيال ، فتصورت الأجيال اللاحقة أن التهم التي أُلصقتها السلطة بالشيعة صحيحة ، فأخذت تردد نفس التهم وتعزف على ذات الوتر بحكم التقليد ، والشيعة محتسبة صابرة ومثابرة ، وواثقة أن اليوم الذي تتكتشف فيه الحقائق ليس بعيد.

(١) سورة البينة آية ٧ ، وراجع الصواعق المحرقة لابن حجر الم testimي ص ٩٦ وراجع الدر المنثور للسيوطى ج ٦ ص ٣٧٩ ، وراجع تفسير الطبرانى ج ٣ ص ١٤٦ وفتح القدير للشوکانى ج ٥ ص ٤٧٧ ، وروح المعانى للآلوي ج ٣٠ ص ٢٠٧ ، وغاية المراد بباب ٢٨ من العقد الثاني ص ٢٣٨ وفرائد السمعطين ج ١ ص ١٥٦ ، والمناقب للخوارزمي الحنفي ص ٦٢ و ١٨٧ والفصل المهمة لابن الصباغ المالكى ص ١٠٧ ... الخ وراجع ملحق المراجعات ص ٦٢ .

المحتويات

الباب الأول

مفهوم الصحابة والصحابة

الفصل الأول : مفهوم الصحابة والصحابة . ١١

معنى الصحابة لغة . ١١ . (في قواميس اللغة ١١ ، في القرآن الكريم ١١ ، استقراء الآيات لصالح المعنى اللغوي ١٢ ، وجوه أو صور الصحابة ١٢) ، معنى الصحابة اصطلاحاً ١٣ . (توضيح ابن حجر لهذا التعريف ١٣ ، تقييم ابن حجر لهذا التعريف ١٥ ، وسائل معرفة الصحابة ١٥ ، كل الشعب صحابة ١٥).

الفصل الثاني : نظرية عدالة الصحابة عند أهل السنة . ١٩

ما هو الدليل أهل السنة على ذلك؟ ١٩ ، مضمون عدالة الصحابة عند أهل السنة ٢٠ ، جزاء من لا يعتقد بهذا الرأي ٢٠ ، استذكار ٢١ ، محاولة للتخفيف من هذا الغلو ٢١ ، استذكار المحاولة ودفتها ٢١ ، الآثار المترتبة على هذا التعميم ٢٢ ، تساؤل واستنتاج ٢٣ ، نقد رأي أهل السنة ٢٣ ، الأئتلاف والاختلاف ٢٣ ، محاولة للتوفيق ٢٣ ، الفائدة من هذا التقسيم ٢٥ ، التفاضل سنة إلميّة ٢٥ ، الدليل الشرعي للتفاضل ٢٦ ، طبقات الصحابة ٢٦ ، الطبقات كما ذكرها الحاكم ٢٧ ، نظام التفاضل في الإسلام ٢٩ ، أركان التفاضل أو مسارب العدالة ٢٩ ، الحكم على هذه الموازن ٣٠ ، تساؤلات ٣١ .

الفصل الثالث : نقض النظرية من حيث الشكل . ٣٣

حجّة أهل السنة منقوضة شكلاً من وجهين ٣٣ . (الوجه الأول : حول الشهادة والشهود ٣٣ ، الوجه الثاني ٣٤) ، نقض حجّة أهل السنة ٣٤ ، قراءة

أولية ٣٥ . (الخلط ٣٦ ، كلمات للتّلقين ٣٦ ، الحماية والتّستر ٣٦) ، نقض نظرية كل الصحابة عدول من حيث الموضع ٣٨ ، العجب العجاب ٣٩ ، وجوه النّقض ٣٩ تفصيل وإثبات وجوه النّقض ٣٩ ، نظرية عدالة كل الصحابة تتعارض مع النصوص القرآنية القاطعة ٣٩ . (ظاهرة النّفاق ٣٩) ، الحكم الإلهي القاطع ٤٠ ، أمثلة على تعارض نظرية عدالة كل الصحابة مع القرآن الكريم ٤١ . (المثال الأول ٤١ ، المثال الثاني ٤١ ، المثال الثالث ٤٢) ، تحليل الأمثلة الثلاث ٤٣ ، « حكم الله في الثلاث ٤٣ ، حكم أهل السنة في الثلاث ٤٣ ، الأولى بالتصديق ٤٤) ، نظرية عدالة كل الصحابة تتعارض مع السنة النبوية ٤٤ . (المثال الأول ٤٤ ، المثال الثاني ٤٤ ، المثال الثالث ٤٤ ، المثال الرابع ٤٥ ، المثال الخامس ٤٥ ، المثال السادس ٤٥) ، دعوة لتحليل هذه الأمثلة ٤٧ ، نظرية عدالة كل الصحابة ينقضها واقع الحال ٤٧ . (المثال الأول ٤٧ ، المثال الثاني ٤٨ ، المثال الثالث ٤٨ ، المثال الرابع ٤٩ ، المثال الخامس ٥٠ ، المثال السادس ٥٠ ، المثال السابع ٥١) ، تحليل هذه الأمثلة ٥١ ، نظرية عدالة الصحابة تتعارض مع روح الإسلام العامة ٥٢ ، تحليل هذه النماذج من النصوص ٥٤ ، تناقض نظرية عدالة كل الصحابة ٥٥ ، عرض ٥٥ ، دور الصحابة في التسنن والتشريع ٥٦ .

الفصل الرابع : نظرية عدالة الصحابة عند الشيعة ٥٩ .

موالاة الشيعة للصحابه ٥٩ ، من هم الصحابة عند الشيعة ٥٩ ، نقطة الخلاف الجوهرية ٦٠ ، دعاء الشيعة لأصحاب محمد ٦٠ ، أشهر أدعية الشيعة ٦٠ ، النص الحرفي للدعاء الذي تدعو به الشيعة للصحابه ٦١ .

الفصل الخامس : بنور للتفكير في نظرية عدالة الصحابة ٦٣ .

« ابن عباس » يصف الصحابة لـ « معاوية » ٦٣ ، شهادة ووصيّة الصحابي « حذيفة بن اليمان » ٦٤ ، « الزبير » وحسن الخاتمة ، « طلحه » وحسن الخاتمة ٦٥ ، الخليف يقتل حليفه ٦٥ ، نهاية الصحابي « عمّار بن ياسر » ٦٦ ، « معاوية » يعاقب قتلة « عثمان » ٦٦ ، رأي « الحسن البصري » في « معاوية » ٦٧ ، تتوسيع مفاهر « معاوية » ٦٧ ،

عّمال « معاویة » یسبّون « علیاً » .^{٦٨}

الفصل السادس : طریق الصواب في معرفة العدول من الأصحاب .^{٦٩}

المدخل الموضوعي ^{٦٩} ، تدقیق في الدعاءین ^{٦٩} ، تساؤل ^{٧٠} ، احتمالات ^{٧٠} ، سر الحل ^{٧٠} ، الطریق إلى ذلك ^{٧٠} ، عوائق على طریق الحل ^{٧١} ، القول الفصل في عدالة الصحابة ^{٧٢} ، استذکار وتلخیص لوجهی نظر السنة والشیعة ^{٧٢} ، خلط الأوراق ^{٧٣} ، واقعه الاستکشاف الشرعي ^{٧٤} ، عدالة كل الصحابة ^{٧٤} ، التکیيفات المنطقیة ^{٧٥} ، تساؤل ^{٧٥} ، استخلاص ^{٧٥} ، کیف نعرف العدول من الصحابة من غير العدول في هذه الواقعه؟ کمثال للتبیط ^{٧٦} ، المولة کمفتاح للعدالة ^{٧٦} ، الصحابة العدول ^{٧٧} ، نماذج من غفلة أهل الشام والعراق ^{٧٧} ، هؤلاء الذين أطاعوا معاویة ^{٧٨}.

الباب الثاني

الجذور التاریخیة لنظریة عدالة كل الصحابة

الفصل الأول : الجذور التاریخیة لنظریة عدالة كل الصحابة .^{٨٣}

الجذور القلبي : عدم جواز الجمع بين النبوة والخلافة ^{٨٣}. (بطون قریش ^{٨٣} ، الصیغة السیاسیة ^{٨٣} ، محاولات لزعزعة الصیغة ^{٨٤} ، إشاعة النبوة ^{٨٤} ، إعلان النبوة ^{٨٥} ، احتضان الهاشیین للنبي ^{٨٥} ، حفاظاً على الصیغة السیاسیة وحسداً لا حبّاً بالأصنام ^{٨٥} ، حروب من أجل الصیغة السیاسیة وحسداً لا حبّاً بالأصنام ^{٨٦} ، النبوة الهاشیة قدر لا مفرّ منه ^{٨٦} ، أكثر البطون اندفاعاً لوقف ما يسمى بالزحف الهاشی ^{٨٧} ، التیار الغلاب ^{٨٨} ، القرابة الطاهرة الأساس الشرعي للخلافة الراشدة ^{٨٨} ، الانقلاب وانقلاب التیار الغلاب ^{٨٩}) ، النص الحرفی للقصة ^{٩٠}. (التکیيف الشرعي مقوله لا ينبغي أن یجمع الهاشیون الخلافة مع النبوة ^{٩٢}) ، النتائج التي ترثیت على تکریس مبدأ عدم جواز جمع الهاشیین للنبوة والخلافة ^{٩٣}).

الفصل الثاني : الجذور السياسية لنظرية عدالة كل الصحابة . ٩٧

النظام السياسي الإسلامي ٩٧ . (اختلاف الواقع عن المثال ٩٧) ، النظام السياسي الإسلامي ٩٨ ، أركان النظام السياسي الإسلامي ٩٨ ، الركن الأول : القيادة السياسية ٩٨ ، الغاية من الترشيح الإلهي للقيادة السياسية ٩٩ ، الركن الثاني : الصلة العضوية بين العقيدة الإلهية وقيادتها ٩٩ ، الركن الثالث : المنظومة الحقوقية الإلهية ١٠٠ ، الركن الرابع : موافقة المحكومين ورضاهم ١٠١ ، بساطة النظام السياسي الإسلامي ١٠١ ، المناخ السياسي الذي نشأت فيه نظرية عدالة كل الصحابة ١٠٢ ، تجاهل الهدف المعلن للخروج على الشرعية ١٠٥ ، الصحوة من الغفلة ١٠٥ ، نظريات في خدمة الواقع ١٠٦ .

الفصل الثالث : ما هي الغاية من ابتداع نظرية كل الصحابة عدالة . ١٠٧

التبير ١٠٧ ، التحصن ضد النقد والسب والشتم والانتقاد ١٠٨ ، مقارعة خصوم معاوية وشيعته ١٠٩ ، التفريق بين المسلمين ١٠٩ ، نشوء نظرية عدالة كل الصحابة ١٠٩ ، رواة الأحاديث ١١١ ، فضائل معاوية ١١١ ، رأي الشافعي في معاوية ١١٢ ، قول الحسن البصري ١١٢ ، نظرية عدالة كل الصحابة تحمل الطابع الأموي ١١٢ .

الفصل الرابع : الجذور الفقهية لنظرية عدالة كل الصحابة . ١١٥

المرجعية الفقهية ١١٥ ، المرجعيات ١١٥ . (كل الصحابة مرجعية لأهل السنة ١١٦ ، السندي الشرعي لأهل السنة لمرجعيتهم للصحابه ١١٧ ، أئمة أهل البيت وثقات الصحابة هم مرجعية أهل الشيعة ١١٨ ، السندي الشرعي لأهل الشيعة بمرجعيتهم لأئمة أهل البيت ١١٨) ، دور المراجعين ١١٩ ، اختلاف المنطلقين يؤدي لاختلاف النتائج ١٢١ ، تعدد المراجعات ١٢٣ ، حكم الشرع في تعدد المراجعات ١٢٤ ، إلغاء المرجعية الشرعية يستتبع بالضرورة إيجاد مرجعية بديلة ١٢٥ ، نظرية عدالة كل الصحابة هي الطريق الفرد لإيجاد المرجعية البديلة ١٢٥ ، لو جاءت النظرية عن طريق غير الحاكمين

لفشلت ١٢٥ ، المرجعية البديلة أصبحت شرعية ١٢٦ ، الحال ١٢٧ ، في غياب المرجعية الشرعية ١٢٧ ، الانقسام الفقهي ١٢٧ ، جذور مطاردة أهل البيت ١٢٨ ، خصوصية القرابة الطاهرة ١٢٩ ، الغاية من هذه الخصوصية؟ ١٣٠ ، وظائف القرابة الطاهرة ، ١٣٠ لماً أعطيت القرابة الطاهرة هذه الخصوصية؟ ١٣١ ، تعليقات ١٣١ ، تحولت هذه الخصوصية إلى حجة سياسية طوال التاريخ ١٣٢ ، معاملة الحكام للقرابة الطاهرة من الناحية السياسية ١٣٥ ، نوعاً القرابة ١٣٧ ، عزل العترة الطاهرة ١٣٨ ، تأويل الخصوصية ١٣٨ .

الفصل الخامس : الآمال التي علقت على نظرية الصحابة ١٣٩ .

التقابل بالصفات ١٣٩ ، مثال من الواقع ١٤٠ ، مثال آخر من الواقع ١٤١ ، توضيح الصورة ١٤١ ، تساؤل واستغراب ١٤١ ، التقابض بالحماية ١٤٢ ، في مجال البيان ١٤٢ ، أمثلة ما تعطيه نظرية عدالة كل الصحابة للصحابة ١٤٣ ، نصوص للتدبر ١٤٣ ، تساؤلات ١٤٤ ، تلقين الحجة بالواسطة ١٤٥ ، التوسيعة في التفهّم ١٤٧ ، قيد على الرواية من حيث المبدأ ١٤٧ .

الباب الثالث

المرجعية

الفصل الأول : المرجعية ١٥١ .

ما معنى المرجعية ١٥١ ، تلازم المرجعية مع العقيدة ١٥٢ ، المرجعية اختصاص وعمل في تماماً ١٥٣ ، تعددية المراجع ١٥٣ ، الفارق بين العقيدة والمرجعية ١٥٤ ، تحذير الحكمة من وجود المرجعية ١٥٤ ، المرجعية أكبر من أن تنكر ١٥٦ .

الفصل الثاني : العقيدة ١٥٧ .

معنى العقيدة ١٥٧ ، نوع العقائد ١٥٨ ، صناعة العقائد ولوازم إيجادها ١٥٨ ، ملامح عقيدة الإسلام ١٥٩ ، التصور اليقيني ١٦٠ ، المنظومة

الحقوقية الإلهية ١٦١ .

الفصل الثالث : من هو المختص بتعيين المرجعية ١٦٣ .

المهام والوظائف المناظرة بالمرجع الذي عينه الله ١٦٤ ، المرجعية خلال حياة النبي ١٦٦ ، المرجعية بعد وفاة النبي قراءة أولية للواقع ١٦٦ ، الحاجة لرجوعية بعد وفاة النبي ١٦٧ ، تساؤلات تحتاج إلى أجوبة ١٦٨ .

الفصل الرابع : مواقف المسلمين من المرجعية بعد وفاة النبي (ص) ١٦٩ .

المرجع بعد وفاة النبي (ص) ١٧٠ ، رأي أهل السنة ١٧٠ ، زعم ترك النبي الأمة بدون خلف ولا مرجعية ١٧٠ ، تلاشي عملية ترك الأمة بدون مرجع ١٧١ ، المرجع بعد وفاة النبي (ص) عند أهل السنة ١٧٣ ، الحاكم القائم هو المرجع عند أهل السنة ١٧٥ ، من الذي يقوم مقام الحاكم في المرجعية؟ ١٧٦ ، المرجعية الجماعية عند أهل السنة ١٧٨ ، كيف تعمل المراجع عند أهل السنة ١٨٠ .

الفصل الخامس : المرجعية البديلة ١٨١ .

الشروع بوضع معالم المرجعية البديلة ١٨١ ، المواجهة الصادحة ١٨٢ ، تحليل المواجهة ١٨٤ . (أطراف المواجهة ١٨٤) ، النتائج الأولية للمواجهة ١٨٤ . (الانقسام ١٨٤ ، بروز قوة هائلة جديدة ١٨٥ ، بروز فكرة التغلب وترجيح التابع على المتبوع ١٨٧ ، حادثتان متتشابهتان ١٨٧ ، ظفر الغالب ونجاحه ١٩٠ ، عزل العترة الطاهرة ١٩٠) ، طاقم المرجعية الجديد ١٩٣ ، أثر المعارضة ١٩٣ .

الفصل السادس : المرجع بعد وفاة النبي (ص) ١٩٥ .

رأي الشيعة ١٩٥ . (ضرورة المرجعية ١٩٥ ، البيان الإلهي للمرجعية ١٩٦) ، الولي والمراجع الذي عينه الله ١٩٨ ، سبب عداء أهل السنة للشيعة ١٩٨ ، عجلة أهل السنة ١٩٩ ، الرد على العجلة ١٩٩ ، المرجعيتان ١٩٩ ، الله هو الذي عين المرجعيتين ١٩٩ ، الدليل الشرعي على تعين الله للمرجعية الفردية ٢٠٠ ، نموذج من إعلان يوم الغدير ٢٠٣ ، التأكيد

الشرعى على ولادة علي (ع) ٢٠٤ ، الهدایة من بعد النبي ٢٠٦ ، الحجّة من بعد النبي
(ص) ٢٠٦ ، المرجعیة الجماعیة عند أهل الشیعہ ٢٠٧ ، ثمرة اتّباع الشیعہ للمرجعیة الشرعیة
. ٢١٠

الباب الرابع

القيادة والسياسة

الفصل الأول : القيادة السياسية . ٢١٣

ضوابط حركة المجتمع ٢١٣ ، الترابط والتكميل بين العقيدة الإلهية والقيادة السياسية
٢١٤ ، مؤهلات القيادة السياسية الإسلامية الشرعية ٢١٥ ، المختص بالتأكد من توافر
هذه المؤهلات ٢١٦ ، القبول بالتكيف الإلهي ٢١٧ ، رفض التكيف الإلهي ٢١٧ ،
أشكال رفض التكيف الإلهي ٢١٨ . (الشكل الأول ٢١٨ ، الشكل الثاني ٢١٨ ،
الشكل الثالث ٢١٩ .)

الفصل الثاني : القيادة السياسية . ٢٢١

الإعداد الإلهي لخلافة النبي ٢٢١ . (قبل أن يلد آدم ٢٢١) ، قبيل الدّعوة ٢٢٢ ،
بعد النبوة ٢٢٢ ، إعلان الخلافة بعد النبوة ٢٢٤ ، الإعلان عن ولادة العهد والتّوطيد للولي
٢٢٥ ، (المنزلة ٢٢٥ ، الأخوة ٢٢٦ ، الولاية ٢٢٧) ، ولادة علي وحبه ولادة الله وحبّ
له ٢٢٩ ، تتابع الإعلان عن ولادة والتّوطيد كان يجري بأمر الله . ٢٢٩

الفصل الثالث : الولي هو السيد والإمام والقائد . ٢٣١

أبرز المؤهلات العلمية للولي من بعد النبي ٢٣٣ ، ولادة علي (ع) وخلافته للنبي
قضية دينية وإيمانية من كلّ الوجوه ٢٣٥ ، ولي الله وخليفة رسوله هو فارس الإسلام ٢٣٦ .

الفصل الرابع : ترويج الله لوليه وخليفة نبيه . ٢٣٩

البشرة ٢٤٠ ، الذريّة المباركة ٢٤٠ ، سكن النبي وخليفته من بعده ٢٤١ ،

عليّ وصيّ النبيّ ٢٤٢ ، إنكار الوصيّة ٢٤٤ ، إختصاص الوليّ وخليفة النبيّ (ص) بمزايا خاصة ٢٤٥ ، تحصين الوليّ وال الخليفة من بعد النبيّ (ص) ٢٤٦ .

الفصل الخامس : تتويع الولي خليفة للنبيّ ٢٤٧ .

المناسبة حجّة الوداع ٢٤٧ ، مكان التتويج ٢٤٧ ، الأمر الإلهي بتنصيب الوليّ وال الخليفة من بعد النبيّ (ص) ٢٤٨ ، آية التبليغ ٢٤٨ ، نصّ قرار تنصيب الوليّ وال الخليفة من بعد النبيّ ٢٤٩ . (النصّ برواية « حذيفة بن أسد الغفاري » وكما أخرجها « الطبراني » في « الكبير » ٢٤٩ ، نصّ قرار التنصيب برواية « زيد بن أرقم » ٢٥٠ ، نصّ قرار التنصيب برواية « البراء بن عازب » ٢٥١ ، نصّ قرار التنصيب برواية « سعد بن أبي وقاص » ٢٥١ ، نصّ قرار التنصيب برواية ثانية « لسعد » ٢٥٢) ، فهم مضمون القرار وتقبّل التهاني ٢٥٢ ، نصوص مبتسرة لقرار التنصيب الخالد ٢٥٣ . (النصّ الأول ٢٥٣ ، النصّ الثاني ٢٥٤ ، النصّ الثالث ٢٥٤) ، حديث الغدير وواقعة التنصيب يقين ٢٥٥ ، عيد يوم الغدير ٢٥٥ ، صوم يوم الغدير ٢٥٦ .

الفصل السادس : بتنصيب الإمام كمل الدين ومتّ النعمة ٢٥٧ .

الترتيب الإلهي لانتقال منصب الإمام بعد وفاة الوليّ ٢٥٩ ، صاحب الاختصاص بتعيين النبيّ (ص) الإمام ٢٥٩ ، من هو هذا الإمام؟ ٢٦٠ ، صاحب الاختصاص بتعيين الخليفة من بعد النبيّ (ص) الإمام ٢٦١ ، المختص بتعيين الخليفة الذي يلي خليفة النبيّ (ص) ٢٦١ ، الحكمة من حصر الإمامة بأولاد محمد (ص) ٢٦٣ ، دور الأمة بتعيين الإمام ٢٦٣ ، الانفكاك بين الواقع والشرعية ٢٦٤ ، الأئمة الشرعيون (ع) ٢٦٥ ، استكشاف المستقبل أمّام الوليّ وخليفة النبيّ (ص) ٢٦٥ ، نسف الصيغة السياسية الجاهلية ٢٦٦ .

الفصل السابع : المناخ التاريخيّ الذي ساعد على نجاح الانقلاب وتفويض الشرعية

. ٢٧١

(بطون قريش ٢٧١ ، الصيغة السياسية ٢٧٢ ، محاولات لزعزعة

الصيغة ٢٧٢ ، إشاعة النبوة ٢٧٣ ، إعلان النبوة ٢٧٢ ، احتضان الهاشميين للنبي ٢٧٣ ، حفاظاً على الصيغة السياسية وحسداً لا حبّاً بالأصنام ٢٧٣ ، حروب من أجل الصيغة السياسية وحسداً لا حبّاً بالأصنام ٢٧٤ ، النبوة الهاشمية قدر لا مفرّ منه ٢٧٤) ، أكثر البطون اندفاعاً لوقف ما يسمى بالزحف الهاشمي ٢٧٥ . (التيار الغلاب ٢٧٦ ، القرابة الطاهرة الأساس الشرعي للخلافة الراشدة ٢٧٦ ، الانقلاب وانقلاب التيار الغلاب ٢٧٧) ، النص الحرفي للقصة ٢٧٨ . (التكييف الشرعي لمقوله لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة ٢٨٠) .

النتائج التي ترتبت على تكريس مبدأ عدم جواز جمع الهاشميون للنبوة والخلافة ٢٨٣ .
(النتيجة الأولى ٢٨٣ ، النتيجة الثانية : زرع بذرة الخلاف ونموها ٢٨٤ ، النتيجة الثالثة : رئاسة الدولة حق للجميع إلا هاشمي ٢٨٤ ، النتيجة الرابعة : اختلاط الأوراق ٢٨٥) .

الفصل الثامن : مقدمات الانقلاب ٢٨٧ .

مع النبي على فراش الموت ٢٨٧ ، تحليل المواجهة ٢٩٠ . (أطراف المواجهة ٢٩٠) ، النتائج الأولية للمواجهة ٢٩٠ . (الانقسام ٢٩٠ ، بروز قوّة هائلة جديدة ٢٩١ ، بروز فكرة التغلب وترجيح التابع على المتبع ٢٩٢) ، حادثتان مشابهتان ٢٩٢ . (ظفر الغالب ونجاحه ٢٩٥ ، عزل العترة الطاهرة ٢٩٦ ، الاستيلاء على السلطة ٢٩٨ . (استذكار وربط الأحداث ٢٩٨ ، النجاح الساحق ٢٩٩ ، الخياران ٢٩٩ ، ثوب الشرعية ٢٩٩ .

الفصل التاسع : مقاصد الفاروق وأهدافه ٣٠١ .

الحلّ المثالي ٣٠١ ، استكشاف الحلّ ٣٠٢ ، افتتاح الفاروق بالمقوله وتطويرها على يديه ٣٠٢ ، قريش تتّحد ضدّ الولي كما اتحدت ضدّ النبي (ص) ٣٠٣ ، قريش تخطّط والهاشميون يرثّون في مصابهم ٣٠٤ ، التخطيط المحكم ٣٠٤ ، الشمرة الأولى لهذا التخطيط ٣٠٥ ، التخطيط لهزيمة الهاشميين ٣٠٥ ، الترجيح بمرجح لتحقيق المدفّع ٣٠٦ ، التكافؤ والفرصة

والموضوعية ٣٠٦ ، المرجح الذي سيهزم الولي والخطة المثلثي ٣٠٧ ، اجتماع السقيفة ٣٠٨ ، أسئلة بدون أجوبة ٣٠٨ ، من الذي أتى بالخبر ٣٠٩ ، اثنان من الأنصار ٣٠٩ .

الفصل العاشر : تحليل موضوعي ونفي الصدفة ٣١١

دخول المهاجرين الثلاثة ٣١٤ ، الغاية من قدوم المهاجرين الثلاثة ٣١٤ ، في السقيفة ٣١٦ ، أعظم ثروة فكرية إنسانية ٣١٨ ، الحجج الشرعية لأطراف السقيفة ٣١٨ ، حجة المتواجددين من الأنصار ٣١٩ ، غاية المهاجرين الثلاثة ٣١٩ ، الحجج الشرعية لهؤلاء الثلاثة ٣٢٠ ، ملخص حجة « أبي بكر » التي احتج بها على من حضر من الأنصار ٣٢٠ ، ملخص حجة « عمر » التي احتج بها على من حضر من الأنصار ٣٢٠ ، جواب الأنصار ٣٢٠ ، تمن وتبير ٣٢١ ، الخليفة واحد من ثلاثة ٣٢١ ، أول من بايع ٣٢١ ، تنصيب الخليفة ومبaitته ٣٢١ ، المكافأة ٣٢٢ ، شيوخ الخبر ومبaitة ٣٢٢ ، المواجهة الغير متكاففة بين الولي والسلطة الجديدة ٣٢٣ ، حكم لأول من بايع ٣٢٤ ، تحرك ٣٢٤ ، إذلال الولي وتحديده بالقتل عن الخلافة ٣٢٥ ، الموقف النهائي للولي ٣٢٦ ، سرّ كراهية قريش لولاية علي ٣٢٧ ، الخوف من وقوع المحظور ٣٢٧ ، القسمة العادلة ٣٢٧ ، بطون قريش تتصرف كفريق واحد.

الفصل الحادي عشر : تحرير الهاشميين من كافة الحقوق السياسية ٣٣١

الغاية من عدم استعمال الهاشمي ٣٣١ ، برج الحفاء وباحت الأسرار ٣٣٢ ، تصريح الفاروق بأسباب المنع ٣٣٣ ، رأي الفاروق بشعار لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة ٣٣٣ ، شرط الوفاء لهذا الشعار ٣٣٤ ، هل أمر الله بهذا الشعار؟ ٣٣٥ ، لماذا يتمسك الفاروق بهذا الشعار ويخلص له؟ ٣٣٦ ، موقف الفاروق كحاكم وكتائب للحاكم من الولي ومن العترة الطاهرة ٣٣٦ ، على مفترق الطرق ٣٣٨ ، الانهيارات ٣٣٨ ، الحكم والمعارضة ٣٣٩ ، خياران أمام المعاوضة ٣٤٠ ، خياران أمام الأمة ٣٤٠ ، انقسام الناس ٣٤٠ ، الفريق الأول ٣٤٠ ، الفريق الثاني ٣٤١ .

المحويات ٣٤٣ .